تفسير

انجيل متى

بنيامين بنكرتن

تفسير

إنجيل متى

بقلم

المرحوم بنيامين بنكرتن

طبعة ثالثة منقحة

عام ١٩٨١

بنيامين بنكرتن

ان بعضاً ممن عاصروا بنكرتن وعاشروه شهدوا عنه أنه كان تقياً غزير العلم فى كلمة الله عميق الشركة مع الرب . وتشهد على ذلك كتاباته التى لا تزال بين أيدينا وهى تفسير العهد الجديد من انجيل متى الى رسالة كولوسى وغير هذه من النبذ والكتب التى تعتبر فى مقدمة المراجع التفسيرية .

كانت الحاجة شديدة الى خدام للكلمة وكان بنيامين بنكرتن يشعر بهذه المسئولية ، لذلك لم يكن يتأخر قط عن زيارة القرى فى أى وقت دون أن يقيم اعتباراً لما يكلفه ذلك من ضيق أو جهد واضعاً أمامه خير النفوس ومجد الله قبل كل شيء .

وقد رقد فى الرب فى شهر مايو سنة ١٨٩٠ فى مدينة بيروت وهو فى الثانية والخمسين من عمره بعد أن خدم جيله بأمانة فى تقوى كثيرة وفى جهاد الايمان .

قصة جهاد الشارح

في الأقطـــــار العربية

كان بنيامين بنكرتن واحداً من المرسلين الذين جاءوا من امريكا لخدمة الانجيل في الشرق الأوسط. وكان مقره مدينة بيروت عاصمة لبنان. ولكنه كثيراً ما كان يجول بين بلدان القطر المصرى. وقد تعرف بكثيرين من المؤمنين فى هذه البلاد.

وحدث حوالى سنة ١٨٧٠ ميلادية أن وقعت بين يدى بنيامين بنكرتن كتابات يوحنا داربى ويوحنا ج بلت، وشرح الكتاب المقدس لوليم كلى وغيرهم، ووقف على آرائهم فى موضوعات حرية الروح القدس فى العبادة وكسر الخبز وخدمة الكلمة وتعليم اختطاف الكنيسة والملك الألفى .. ألخ

عكف بنكرتن على دراسة هذه الكتابات بروح الصلاة، مدققاً وفاحصاً، مستودعاً الأمر بين يدى الرب الذى يستطيع وحده أن يوصل الحق إلى النفوس، إلى أن انتهى به الرأي إلى كتابة خطاب إلى مجلس ادارة الارسالية بامريكا يعلن اقتناعه بتلك الحقائق ويفصح عن رغبته فى خدمة الرب حسب مبادىء كلمة الله التى اقتنع بها، وعن امتنـاعه عن قبول أية مساعدة مالية من مركز الارسالية، تاركاً سداد أعوازه الزمنية للرب الذى يعرف حاجاته ويستطيع أن يسددها فى حينها.

ثم حدث بعد ذلك أن سافر إلى انجلترا وتعرف هناك بالأخ تشارلس ستانلى، أحد الاخوة البارزين هناك الذى شجعه كثيراً وزوده بمطبعة عربية بجميع معداتها. فرجع إلى بيروت وبدأ يذيع الحقـــائق الكتابية قولاً وكتابة فى بلاد سوريا والعراق ومصر.

وتميزت الفترة ما بين سنة ١٨٧٥ وسنة ١٨٨٥ بكثرة انتشار النبذ والكراسات الصغيرة التى كان يرسلها بنيامين بنكرتن إلى مرسل الثانى من الاخوة كان يقيم فى الاسكندرية، هو الأخ لويس شلوطهاور، الذى كان يوزعها فى جهات كثيرة.

وكان بنكرتن يتردد على القطر المصرى سنوياً ليقضى بين بلدانه حوالى أربعة أشهر متجولاً منادياً بكلمة الله فى اجتماعات صغيرة يعقدهـا فى البيوت. ورغم

المقاومات التى كان يلقاها ، تشجع على مواصلة التجوال ، والزيارات لان الرب كان يحرك القلوب ويوقظ النفوس بواسطة خدمته التى تميزت بمسحة الروح القدس وبقوة تأثيرهـــا . وبدأ البعض يكسرون الخبز فى تلك الاجتماعات البسيطة ويفرحون بالحق .

ان الذين عاشروا بنكرتن يشهدون بانه كان تقياً ورعاً غزير العلم فى كلمة الله ، عميق الشركة مع الرب . تشهد بذلك كتاباته التى لا تزال بين أيدينا ، وهى تفسير العهد الجديد من انجيل متى إلى رسالة كولوسى ، وغير ذلك من النبذ والكتب التى تعتبر فى مقدمة المراجع التفسيرية .

واشتهر بأنه كان يحمل فى تجواله نسخة من العهد القديم ، مطبوعة صفحاتهـــا باللغتين الانجليزية والعبرانية ، كل آية مقـــابل نظيرتها ، ونسخة أخرى من العهد الجديد مطبوعة صفحاتها باللغتين الانجليزية واليونانية القديمة على نفس .ـنـ . وكان اذا ما سئل عن معنى عبارة فى الكتاب ، يخرج موضعها ثم يصلى صلاة قصيرة سرية ثم يقرأ النص فى اللغتين ، وحينئذ يتكلم مفسراً الكلمة بالاستقامة وموصلاً إلى النفوس فائدة حقيقية .

كانت الحاجة شديدة إلى خدام للكلمة . وكان بنيـــامين بنكرتن يشعر بهذه المسئولية . ولذلك لم يكن يتأخر قط عن زيارة القرى فى أى وقت دون أن يقـــيم اعتباراً لما يكلفه ذلك من تعب أو جهد واضعاً أمامه مجد الله وخير النفوس قبل كل شيء . وقد عانى الكثير من التعب من ركوب الدواب التى كانت هى الوسيلة الوحيدة للوصول إلى القرى فى تلك الأيام . حتى أنه سقط مرة من على ظهر دابته وهو فى طريقه إلى بلدة هور احدى قرى مركز ملوى فانكسر ذراعه. وكم من مرة نام فى البيادر (الأجران) أو فى الأكواخ أو افترش فراشاً من اللباد فى العراء .

ومرة كان على سفر فى طريق الخدمة مع قافلة تقطع الصحراء على ظهر الجمال (وأغلب الظن بين العراق وسوريا) وفى أحد الدروب أناخت تلك القافلة لتستريح من حر النهار ونام الرجال فى ظل صخرة . وبعد قليل قاموا وواصلوا السير . واستيقظ بنكرتن فوجد نفسه وحيداً ، فتمسك ايمانه بالله واعتمد على مواعيده نحو الذين .

قلوبهم كاملة أمامه موقناً أن الرب يهتم به (مز ٤٠:١٧) وبعد ست ساعات كان قد قضاها فى الصلاة ومطالعة الكتاب ، اذا بالقافلة نفسها تقترب لان الرب حول طريقها وأتاهها ليصنع احساناً مع عبده . وكان ذلك درساً تدريبياً عميقاً له .

وفى شتاء سنة ١٨٨٩ انتابته حمى الملاريا وظلت الحمى تعاوده إلى أن كان شهر مايو سنة ١٨٩٠ حين رقد فى الرب فى مدينة بيروت وهو فى الثانية والخمسين من عمره بعد أن خدم جيله بأمانة فى تقوى كثيرة وفى جهاد الايمان.

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هى الطبعة الثانية من « تفسير انجيل متى » للمرحوم بنيامين بنكرتن . الحلقة الأولى من سلسلة تفاسيره القيمة من انجيل متى إلى رسالة كولوسى . نقدمها لمحبى درس كلمة الله ، والراغبين فى كشف غوامضها . نقدمها شاكرين الرب الذى أعاننا على اخراجها لفائدة اخوتنا المؤمنين وتقدمهم الروحى ، لما تميزت به من غزارة المادة ، ونقاوة التعليم ، ودقة التعبير ، ومن روح التقوى والوقار التى تترك أثرها القوى فى نفوس القراء.

ولا يخفى أن المرحوم بنيامين بنكرتن كتب تفاسيره باللغة العربية ، فانه وان كان أجنبياً ، الا انه كان بنعمة الله ضليعاً فى هذه اللغة . فضلاً عما تميز به أسلوبه من سلاسة وسهولة . ولكن لانه كان مستوطناً فى قطر شقيق ، غلبت عليه لهجته فى التعبير ، لذلك رأينا من اللازم تغيير بعض الألفاظ ، وأحياناً بعض الفقرات ، لتتفق والأسلوب العربى الصحيح .

كما قد رأينا لايضاح المعنى واستكمال الفائدة أن نضيف بعض حواشى، أو بعض شواهد هامة .

والرب الذى بارك هذه التفاسير فى افادة القديسين فى العالم العربى زهـــاء سبعين عاماً ، يتولى هذه الطبعة برعايته ، لمجده وفائدة قديسيه إلى يوم مجيئه. آمين.

ملاحظات افتتاحية

الطوائف الدينية عند اليهود في أيام المسيح

كان اليهود فى أيام الرب يسوع المسيح منقسمين إلى طائفتين دينيتين عظيمتين هما الفريسيون وهم أهل التقاليد ، والصدوقيون وهم منكرو عالم الأرواح. علاوة على بعض الطوائف الصغيرة الاخرى التى جاء ذكرها فى العهد الجديد . منهـــا الهيرودسيون ، وهم مؤيدو هيرودس في ملـكه . وأغلب الظن أنهـم كانوا فى مبادئهم أقرب إلى الصدوقيين منهم إلى الفريسيين .

وقد بدأ ظهور تلك الطوائف قبل المسيح بحوالى مائة وخمسين سنة . وواضح انه لا يذكر شيء عنها فى العهد القديم لان آخر سفر فيه — وهو سفر ملاخى النبي — كان قد كتب قبل المسيح بحوالى اربعمائة سنة .

الفريسيون

أعظم طوائف اليهود وأغناها ، وأكثرها عدداً . كان من مبادئهم التمسك بحرفية الناموس . وقالوا بوجود تقاليد سلمها الله لموسى شفاهاً ، وموسى سلمها لآباء الامة . وقالوا أن لهذه التقاليد سلطان الشريعة نفسها . وقد تمسكوا بتلك التقاليد تمسكاً جعلهم يتركون وصايا الله الصريحة (مت ١٥: ٢—٤ ، مر ٧: ٨—١٣ ، غل ١ : ١٤) .

وكان من أفكارهم ان الله لابد أن يبارك اليهود لمجرد أنهم أولاد ابرهيم . وأن يبررهم باستحقاقات ابراهيم وأن الغضب الآتى سينصب فقط على الامم لانهم ليسوا من أولاد ابرهيم . وهذا مما دعا المعمدان لأن يوبخهم قائلاً « من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى ؟.. ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابرهيم أباً » .

معنى اسمهم « المفرزون » الذى قصدوا به فرز أنفسهم عن باقى النــــاس (لو ١٨: ١٤). كانوا متكبرين، يحبون المتكأ الاول فى الولائم. والمجالس الاولى فى الجامع. والتحيات فى الاسواق وأن يدعوهم الناس « سيدى. سيدى ».

كانوا مرائين. يصنعون صدقاتهم أمام الناس لكى ينظروهم. ويصلون قائمين فى الجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس. وكانوا يصومون مرتين فى الاسبوع: يوم الخميس، ظنــاً منهم انه فى ذلك اليوم صعد موسى إلى الجبــل ليتسلم الناموس، ويوم الاثنين، ظنــــاً منهم انه فى ذلك اليوم نزل من الجبل. واذا صاموا كانوا يغيرون وجوههم لكى يظهروا أمام الناس انهم صائمون. وكانوا يعرّضون عصائبهم، ويعظمون أهداب ثيابهم، متظاهرين بالتقوى والقرب من الله اكثر من سواهم.

وقد وبخهم الرب بشدة، وحكم عليهم بالويل لاجل كبريائهم الممقوت وريائهم الكاذب (مت ١٥: ١١ — ٢٠، ٢٣: ١٣ — ٣٦)

ولكن هذا لم يمنع أن يكون بينهم أناس أتقياء ذكرهم الكتاب، أمثال غمالائيل، ونيقوديموس، وشاول الطرسوسى. غير أنهم كانوا فى حاجة إلى غسل الميلاد الثانى وتجديد الروح القدس.

الصدوقيون

سموا كذلك نسبة إلى رئيسهم « صادوق ». كانت مبادئهم مشتقة من الفلسفة الوثنية وتبعوا كثيراً من العادات الوثنية ورفضوا التقاليد التى كان يتمسك بها الفريسيون. ويقال انهم رفضوا أسفار العهد القديم ما عدا أسفار موسى الخمسة وأنكروا القيامة وخلود النفس (مت ٢٢: ٢٣) كما أنكروا وجود الملائكة والارواح (أع ٢٣: ٨)

الكتبة

يغلب على الظن أنهم خلفاء عزرا (عز ٧: ٦) وكانت وظيفتهم نسخ الكتب

المجامع الدينية

هى أماكن كانوا يجتمعون فيها للعبادة والمرجح انها بدأت بعد السبى البابلى وامتد تأسيسها الى سوريا وآسيا الصغرى واليونان وغيرها من البلاد التى تشتت اليها اليهود. وكان يوجد فى المدن الكبرى اكثر من مجمع واحد.

فى هذه المجامع كانت تقام الصلوات ويقرأ الناموس (أى كتب الناموس ، أسفار موسى الخمسة) وبعض كتب الانبياء فى السبوت (اع ١٣:١٥). وكان مرتباً أن تقرأ جميعها على مدار السنة. وكان من عادة السيد أن يزور تلك المجامع ليعلم الشعب ويعمل بينهم المعجزات (مت ٤:٢٣ ، لو ٤:١٦ ، ٦:٦-١٠).

وكان الاخراج من المجمع عقاباً شديداً عند اليهود (يو ٩:٢٢) وقد أوضح الرب لتلاميذه انهم سيخرجونهم من المجامع (يو١٦:٢) وقد نفذوا هذا الحكم فى الانسان الذى ولد أعمى وفتح السيد عينيه لشهادته للمسيح (يو ٩:٣٤-٣٨) ومع انه آمن كثيرون من رؤساء تلك المجامع ، غير انهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع لانهم أحبوا مجد الناس اكثر من مجد الله (يو١٢:٤٢و٤٣).

أرض اسرائيل في أيام المسيح

كانت تنقسم الى ثلاثة أقسام : الجليل ، والسامرة ، واليهودية.

١ — الجليل . فى الشمال . وكانت تنقسم الى قسمين. الجليل العليا فى الشمال وكان يسكنها السوريون والفينيقيون والعرب (الامم) واختلط بهم اليهود بعد سبى بابل . لذلك سميت جليل الامم (اش ٩:١ ، مت ٤:١٥). والجليل السفلى ، فى الجنوب . وكانت تشمل أنصبة أسباط يساكر وزبولون ونفتالى وأشير . وكانت لغة أهل الجليل محرفة بسبب اختلاط اليهود الذين استوطنوا هناك بعد سبى بابل مع الامم (يو ١:٤٦ ، ٧:٥٢ ، اع ٢:٧) ومن مدن الجليل الشهيرة الناصرة وكفر ناحوم وقانا وطبرية وكورزين و بيت صيدا ونايين.

٢ — السامرة : كانت السامرة فى العهد القديم تطلق على مدينة بناها عمرى ملك اسرائيل واصبحت بعد انقسام المملكة عاصمة اسرائيل (العشرة الاسباط) حتى اخربت بعد السبى (٢مل ١٨ : ٩ - ١٢) ولما جاء الرومان أطلقوا هذا الاسم على الجزء الذى يشمل أنصبة منسى وافرايم وهو فى الوسط ، بين الجليل شمالا واليهودية جنوبا (لو١٧ :١١ ، يو ٤ :٤ ، اع ١ :٨ ، ٩ :٣١ ، ١٥ :٣) وكان يسكنها السامريون وهم خليط من الاشوريين واليهود (اقرأ ٢مل ١٧ :٢٤و٣٣) وقد قبلوا أسفار موسى الخمسة ، و بنوا هيكلاً على جبل جرزيم وسجدوا لإله اسرائيل وانتظروا مسيا (يو٤ :٢٥) وكانت عداوة شديدة بين اليهود والسامريين (يو ٤ :٩)

٣ — اليهودية : جنوب السامرة ، غرب الاردن . وفى العهد الجديد تطلق اليهودية احياناً على كل فلسطين وعلى بعض الأراضى شرق الاردن (مت ١٩ : ١ ، مر ١٠ :١ ، غل ١ :٢٢) ومن مدنها أورشليم و بيت عنيا و بيت فاجي و بيت لحم وعين نون واريحا .

الأناجيل الأربعة

لقد سُرَّ الله ان يعطينا أربعة أناجيل لكى تقدم لنا المسيح فى الأربع الصفات الآتية :

كالملك ، فى انجيل متى « ... لداود غصن البر » (ار ٣٣ :١٥) .

وكالخادم الأمين ، فى انجيل مرقس « عبدى الغصن » (زك ٣ :٨) .

وكابن الانسان ، فى انجيل لوقا « الرجل الغصن » (زك ٦ :١٢) .

وكابن الله ، فى انجيل يوحنا « أصل داود » (رؤ ٢٢ :١٦) .

ولكن جميع الأناجيل تقدم الشخص الواحد ، مأخوذة صورته من الجانب الذى قصد الروح القدس أن يقدمه لنا منه بواسطة كل كاتب من البشيرين الأربعة .

انجيل متى

كاتبه

كتبه متى ، أحد رسل ربنا يسوع المسيح الإثنى عشر (مت ١٠ :١—٤) . وهو يهودى من الجليل (أع ٢ :٧) . وهو نفسه « لاوى بن حلفى » (مر ٢ :١٤ ، لو ٥ :٢٩) . وكلمة « متى » معناها « عطية الله » . والضيافة الكبيرة التى صنعها متى فى بيته للرب ، ودعا اليها جمعاً كبيراً من عشارين وآخرين ، كانت بمناسبة دعوة الرب له وفرحاً بها . ولكنه لتواضعه لا يعلق عليها كغيره (ص ٩ :٩—١٣) .

كان متى فى أول الأمر عشاراً — أى انه كان يجمع الجزية للدولة الرومانية — ولهذا كان هو وأمثاله من العشارين منبوذين ومحتقرين من اليهود ، وكانوا يعتبرونهم غير مستحقين للجنسية اليهودية . وطالما اقترنت أسماؤهم بالخطاة والوثنيين (مت ٩ : ١٠ و١١ ، ١٨ :١٧) . وكثيراً ما تذمر الفريسيون على الرب لقبوله العشارين ودخوله بيوتهم (لو ٥ :٣٠ ، ١٥ :١ ، ١٩ :٧) ، ولكن نعمة الله هى للجميع بدون استثناء ، وقادرة ان تخلص أشر الخطاة . فدعت متى من مكان الجباية للرومان ، ليكون رسولاً لربنا يسوع المسيح (مر ٢ :١٥ و١٦ ، لو ٥ :٢٧—٢٩) ، و بعد ان كان نكبة على اليهود بجبايته كعشار ، جعلته نعمة الله « عطية الله » لهم بانجيله كبشير . لذلك لم يستح ان يسمى نفسه « متى العشار » (ص ١٠ :٣) .

غرضه

كتب متى هذا الانجيل لليهود ليثبت لهم أن الرب يسوع هو « ابن داود » — مستودع وعد الله بالملك على شعبه وعلى كل الأرض (مز ٨٩ :١٩—٣٧ ،

مز ٧٢ ، ٢صم٧: ٨ ـ ١٥) و «ابن ابراهيم» مستودع وعد الله بالبركة لشعبه ولكل الأمم (تك ٢٢: ١٧ و١٨ ، غل ٣: ١٦) ولهذا السبب يرد بهذا الانجيل نحو خمسة وستين اقتباساً من العهد القديم تمت فى المسيح. وفيه تردكلمة «الملكوت» حوالى خمس وخمسين مرة، والعبارة ملكوت السموات اثنتين وثلاثين مرة . واللقب « ابن داود» سبع مرات .

أسلوبه

يفتتح الروح القدس هذا الانجيل بالعبارة « كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم » . فسلسلة النسب هنا لا تتعدى داود صاحب الوعد بالملك ، وابراهيم ، صاحب الوعد بالبركة . بخلاف انجيل لوقا حيث تمتد سلسلة النسب الى آدم ، لأن لوقا يقدمه كابن الانسان ، نسل المرأة ، والمخلص لكل الجنس البشرى .

وفى هذا الانجيل ترد اقتباسات من العهد القديم أكثر من أى انجيل آخر . بالمطابقة لغرضه الأساسى ، وهو اقناع اليهود بمسيام المتنبأ عنه فى كتبهم .

وفيه فقط يرد القول « يخلص شعبه من خطاياهم » (ص ١: ٢١) . وفيه وحده يذكر الاسم النبوى « عمانوئيل ، الذى تفسيره الله معنا » (ص ١: ٢٣) . وفيه وحده نرى المجوس آتين الى أورشليم مدينة الملك العظيم (مز ٤٨: ٢) ليسألوا « أين هو المولود ملك اليهود ؟ » (ص ٢: ٢) ونقرأ عن الهروب الى مصر تتميماً للنبوة « من مصر دعوت ابنى » (ص ٢: ١٥ ، هو١١: ١) وفى دخوله أورشليم فى موكبه الملكى يسجل هذا الانجيل وحده استقبال الجماهير له بالهتاف « أوصنا لإبن داود » (ص ٢١: ٩) .

ولا يُذكر فى ختام هذا الانجيل صعود الرب يسوع ، بل يقتصر على الاشارة الى قيامته فقط ، وان اليه قد دفع كل سلطان من الآب ، شهادة بأن المسيح المقام قد تسلم كل السلطان أو القوة اللازمة لإقامة الملكوت ، وهى القوة التى قهرت الموت (٢ تى ٢: ٨) .

أقسامه

يتقسم هذا الانجيل الى سبعة أقسام :—

١ — (ص ١ و٢) الملك كما وُعد به .

٢ — (ص ٣ ـ ٧) إعلان الملكوت والملك .

٣ — (ص ٨ـ١٢) ظهور الملك الذى أظهر أيضاً حالة قلب الشعب من نحوه .

٤ — (ص ١٣ ـ ص ٢٠:٢٨) الملكوت فى أيدى البشر .

٥ — (ص ٢٠:٢٩ ـ ص ٢٣) عرض الملك الحاكم ورفضه .

٦ — (ص ٢٤ و٢٥) إخضاع الشر فى نهاية الدهر .

٧ — (ص ٢٦ ـ ٢٨) الملك يتمم صفقة الشراء للملك بدمه .

الاصحاح الاول

سلسلة نسب المسيح (ع ١ــ١٧)

قابل (لوقا ٣ : ٢٣ ـــ ٣٨)

« كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود ابن ابراهيم . ابراهيم ولد اسحق . واسحق ولد يعقوب . ويعقوب ولد يهوذا وأخوته . ويهوذا ولد فارص وزارح من ثامار وفارص ولد حصرون وحصرون ولد آرام وآرام ولد عميناداب . وعميناداب ولد نحشون . ونحشون ولد سلمون . وسلمون ولد بوعز من راحاب . وبوعز ولد عوبيد من راعوث . وعوبيد ولد يسى . ويسى ولد داود الملك . وداود الملك ولد سليمان من التى لأوريا . وسليمان ولد رحبعام . ورحبعام ولد أبيا . وأبيا ولد آسا . وآسا ولد يهوشافاط . ويهوشافاط ولد يورام . ويورام ولد عزيا . وعزيا ولد يوثام ويوثام ولد أحاز . وأحاز ولد حزقيا . وحزقيا ولد منسى . ومنسى ولد آمون . وآمون ولد يوشيا . ويوشيا ولد يكنيا واخوته عند سبى بابل . وبعد سبى بابل يكنيا ولد شألتيئيل . وشألتيئيل ولد زربابل . وزربابل ولد أبيهود . وأبيهود ولد ألياقيم . وألياقيم ولد عازور . وعازور ولد صادوق . وصادوق ولد أخيم . وأخيم ولد أليود . وأليود ولد أليعازر . وأليعازر ولد متان . ومتان ولد يعقوب . ويعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح فجميع الأجيال من ابراهيم الى داود أربعة عشر جيلاً . ومن داود الى سبى بابل أربعة عشر جيلاً . ومن سبى بابل الى المسيح أربعة عشر جيلاً » (ع ١ــ١٧)

لا يخفى أن البشيرين الأربعة كتبوا مسوقين من الروح القدس . فكتاباتهم

بإلهام إلهى كسائر أسفار الكتاب المقدس . وفى الحقيقة المؤلف واحد ، هو الروح القدس . وقد ألهم متى ليكتب عن حياة سيدنا وربنا كابن داود ابن ابراهيم حاضراً فى وسط شعبه ، لذلك يتتبع نسبته البشرية ، الى داود وابراهيم .

« كتاب ميلاد » . اصطلاح عبرى قديم معناه سلسلة نسب أو سجل المواليد (تك ٥:١) . ولم يرد هذا الاصطلاح ولم يسجل إلا مرة فى أول التوراة بالارتباط مع آدم الأول ومرة ثانية فى أول العهد الجديد بالارتباط مع آدم الأخير . ولم يسجل فى العهد الجديد سوى هذه السلسلة لأنه بمجىء المسيح وموته انتهى تاريخ الانسان الأول من أمام الله .

« يسوع » . كلمة عبرية معناها « يهوه المخلص » وهو لقب السيد كانسان .

« المسيح » . اللقب الرسمى للرب . معناه الممسوح ، أى المقام من الله بالمسحة (مز ٢:٢ و٦) ومرادف لكلمة « مسيا » اليونانية (يو ٤١:١ ، ٢٥:٤) .

« ابن داود » . أى نسل داود والوارث الشرعى لعرشه (٢صم ٨:٧—١٥، هو ٥:٣) .

« ابن ابراهيم » . أى نسل ابراهيم الذى فيه تتبارك جميع قبائل الارض (تك ١٨:٢٢ ، غلا ١٦:٣) .

تأتى بعد ذلك سلسلة النسب وفيها نرى :

أولا — هذه النسبة ، المدوّنة فى متى ، هى ليوسف وهى الرسمية . والأسماء فيها مقسمة الى ثلاثة أقسام . يحتوى كل قسم منها على أربعة عشر اسماً . فالقسم الأول من ابراهيم مستودع المواعيد الخاصة بالمسيا الملك الى إقامة الملكوت على يد داود ، والثانى من داود الى سبى بابل عندما أطفىء سراج داود فى المدينة المختارة ، وأخذت من عائلته السلطة السياسية (٢صم ١٧:٢١ ، ١ مل ٣٦:١١ ، ١ أى ١٨: ٥و٦) . والثالث من سبى بابل الى يوسف رجل مريم الذى كان رسمياً هو الوارث الشرعى لكرسى داود .

ثانيا — لم يذكر من أولاد يعقوب الاثنى عشر إلا يهوذا (غ ٢) لأن منه جاء المسيح (تك ٤٩ : ١٠) .

ثالثا — لا يذكر متى أسماء النساء الشهيرات كسارة وغيرها من اللواتى افتخر بهن جميع اليهود ولكنه يذكر أسماء نساء لم يقدر اليهود أن يفتخروا بهن : الاولى « ثامار » (ع ٣) . وقد ذكرت للدلالة على أن خلاص الله هو للخطاة (تك ٣٨ : ١١ — ١٤ ، مت ٩ : ١٣ ، ١ تى ١ : ١٥) . والثانية « راحاب » (ع ٥) التى ذكرت للدلالة على أن الخلاص للخطاة بالايمان (يش ٢ ، عب ١١ : ٣١ ، أع ١٦ : ٣١) . والثالثة « راعوث » (ع ٥) . وقد ذكرت للدلالة على أن هذا الخلاص هو بالنعمة بدون الناموس (تث ٢٣ : ٣ ، رو ٣ : ٢١ — ٣٠ ، أف ٢ : ٨ و ٩) والرابعة « بثشبع » (ع ٦) . أو « التى لأوريا » وقد ذكرت للدلالة على أن خلاص الله للمؤمنين هو بالنعمة وأبدى (٢ صم ١١ و ١٢ ، مز ٣٢ : ٣ ، عب ١٠ : ٣٨ و ٣٩) .

رابعا — فى (ع ٨) جاء القول « يورام ولد عزيا » ولا يقصد بذلك أن يورام هو أبو عزيا ، ولكن المقصود أن عزيا سليل يورام ، لأن ما بين يورام وعزيا لا يذكر ثلاثة ملوك واردة أسماؤهم فى السلسلة الواردة فى (١ أى ٣ : ١١ و ١٢) وهم أخزيا ويوآش وأمصيا . وحذف هؤلاء الملوك الثلاثة كان قضاء إلهيا عليهم حسب الوعيد الوارد فى (خر ٢٠ : ٣ - ٥ ، تث ٢٩ : ١٨ - ٢٠) ومن ثم لم يعترف الشعب بملكهم عليه إذ ثار عليهم وقتلهم ولم يدفنهم فى قبور الملوك (٢ أى ٢٢ : ٨ و ٩ ، ٢٤ : ٢٥ ، ٢٥ : ٢٧ و ٢٨) وأسقطهم من جدول النسب الملكى . وقد راعى متى ذلك فى كتابة انجيله لانه كان مقدماً لليهود . ومهما كان السبب فعدم ذكرهم لا يخل بصحة النسبة . ولم يقدر اليهود أن يعترضوا عليها بشىء وحذف بعض الأسماء من جداول الأنساب لبعض الأسباب كان أمراً مألوفاً لدى اليهود كما هو واضح من مقابلة (عز ٧ : ١ — ٥ مع ١ أى ٦ : ٣ — ١٥) .

خامساً — فى(ع ١١) لم يذكر ثلاثة ملوك وارد تاريخهم فى(٢ أى٣٦) ومشار اليهم فى السلسلة المدونة فى (١ أى ١١:٣ و١٢)، وهم يهو آحاز ويهو ياقيم وصدقيا. والسبب هو أولاً ـ ان يهوآحاز وصدقيا ابنى يوشيا ليسا داخلين فى سلسلة نسب المسيح . ثانياً ـ لأن يهو ياقيم أخاهما و إن كان هو الذى منه التسلسل لأنه أبو يكنيا المنسوب ليوشيا جده ، إلا انه كان غير مرضى عنه من الشعب ليكون ملكاً . بدليل أنه عند موت يوشيا أبيه كان عمره ٢٥ سنة وعمر أخيه يهوآحاز ٢٣ سنة . فكان هو الأحق بالعرش لأنه الأكبر . ولكن شعب الارض ملكوا يهوآحاز الأصغر . غير ان ملك مصر عزل يهوآحاز وملك يهوياقيم رغم إرادة الشعب . فزاد هذا من كراهية الشعب له (٢ أى ٢٥:٢٧). فلم يعترفوا به ملكاً وأسقطوه من جداول أنسابهم . .

سادساً — فى (ع ١١) ورد القول « يكنيا واخوته » والمقصود باخوته هنا أعمامه ، الذين منهم « متنيا » أو « صدقيا » الذى جلس على العرش بعده (٢ مل ١٧:٢٤) ويدعى فى (٢ أى ١٠:٣٦) « أخاه » كما هو وارد هنا .

سابعاً — فى (ع ١٢) قيل ان « يكنيا ولد شألتئيل » وهذا لا يتعارض مع ما قيل فى ار ٣٠:٢٢ « اكتبوا هذا الرجل عقيماً » لأن هذا العقم هو من جهة العرش لا من جهة النسل كما قيل بعد ذلك « لأنه لا ينجح من نسله أحد جالساً على كرسى داود » ولم يكن شألتئيل ولا أحد من نسله جالساً على العرش حتى جاء المسيح صاحب العرش الأصلى .

ثامناً — فى(ع ١٢) جاء القول أيضاً «شألتئيل ولد زربابل» والواضح من (١ أى ١٩:٣) ان زربابل هو ابن فداى بن شألتئيل . وقد حذف اسم فداى من الجدول لسبب ما كعادة اليهود فى الحذف كما سبقت الاشارة .

تاسعاً — فى(ع ١٣) جاء القول «زربابل ولد أبيهود» وفى (لو ٢٧:٣) ورد

ان زربابل ولد ريسا وريسا ولد يوحنا. وبالرجوع الى (١ أى ٣:١٩) نجد أن زربابل كان له ابنان ، مشلام وحنانيا . وعلى ذلك يكون مشلام اسم آخر لأبيهود جد يوسف، وحنانيا اسم آخر ليوحنا جد العذراء ، إذ كان من المألوف أن يكون للشخص اسمان (قابل دا ١:٦ و٧ ، ٢ صم ٣:٣ مع ١ أى ٣:١) أما ريسا فمحذوف لسبب ما حسب عادتهم فى جداولهم . ومن هنا يتبين لنا ان زربابل هو الجد المتوسط لعائلتى يوسف ومريم . كما ان داود هو الجد الأول لهما .

عاشراً — الأسماء المذكورة فى الاعداد من ١٣ — ١٥ غير موجودة فى أسفار العهد القديم ، لأن الجزء الاكبر منها وُجد أصحابها بعد اختتام أسفار العهد القديم فى فترة توقف الوحى بين ملاخى والمعمدان ومما لا شك فيه ان هذه الاسماء تطابق ما جاء فى السجلات العامة أو العائلية التي كان يعنى بها اليهود عناية تامة لحفظ أنسابهم (أنظر عز ٢:٦٢) .

حادى عشر — أعيد ذكر اسم داود الملك فى فاتحة المجموعة الثانية من مجموعة الاسماء لأنه المورث الاصلى والاول للعرش ، ورأس العائلة المالكة ، وبذلك تكون هذه المجموعة أربعة عشر اسماً كسابقتها . وأصبحت المجموعة الثالثة أيضاً كسابقتيها باضافة اسم ربنا يسوع المسيح فى ختامها كالوارث الحقيقى والاخير للعرش ، كما قيل « يسوع المسيح ابن داود » (ع ١) . وكما قيل أيضاً « ويعطيه الرب الاله كرسى داود أبيه » (لو ١:٣٢) .

ثانى عشر — فى (ع ١٦) يقال « يعقوب ولد يوسف رجل مريم التى ولد منها يسوع الذى يدعى المسيح » ويلاحظ هنا أمران : (الاول) ان سلسلة النسب خاصة بيوسف رجل مريم الأب الشرعى للمسيح كابن داود . (الثاني) انه لا يقال هنا ان يوسف ولد يسوع كما مر فى الانساب السابقة ، حاشا لانه انما وُلد من العذراء وحدها بقوة الروح القدس . فليس « يسوع » ابناً ليوسف إلا شرعاً

فقط بالتبنى ليكون عن طريق الانتساب اليه هـــو الوارث الشرعى لعرش داود .

ثالث عشر — فى (ع ١٧) كلمة «جيل» معناها دور من حياة العائلة بمعدل حياة الشخص أو مدة حكم الملك . وتأتى بمعان أخرى ، منها جملة الناس العائشين معاً فى وقت واحد (تك ٧ : ١) أو مدة من الزمن تساوى مائة سنة (تك ١٥ : ١٣ مع ١٦) ، أو صنف من الناس (تث ٣٢ : ٥) ، أو وقت من الاوقات (لو ١ : ٥٠) .

رابع عشر — لا يجب ان يفوتنـــا الفرق بين سلسلة النسب الواردة فى (مت ١ : ١ — ١٧) وتلك الواردة فى (لو ٣ : ٢٣ — ٣٨) .

ا — فالاولى هى سلســلة نسب يوسف بن سليمان بن داود . والثانية سلسلة نسب العذراء بنت ناثان بن داود .

ب — متى يكتب لليهود عن مسياهم فيبدأ بابراهيم أب اليهود . أما لوقا فيكتب للبشر جميعاً عن مخلصهم فيبدأ بآدم أبى الجنس البشرى .

جـ — جدول متى يسير من ابراهيم الى يوسف ليعلن وصول العرش الى المسيح شرعياً عن طريق يوسف . أما جدول لوقا فيعلن انتساب المسيح لآدم كابن الانسان عن طريق الولادة من العذراء .

د — جاء فى متى ان « شألتئيل » هو ابن « يكنيا » (ع ١٢) بينما يرد فى لوقا انه ابن نيرى . (لو ٣ : ٢٧) . ولا تعارض بين القولين . فان شألتئيل هو ابن يكنيا فعلاً ، وابن نيرى شرعاً لأنه أخذ ابنته زوجة ، فوضع اسمه محـــل اسمها ، كعادة اليهود .

هـ — ورد فى متى ان يوسف هو ابن يعقوب . بينما ورد فى (لو ٣ : ٢٣) انه ابن هالى ولا تعارض أيضاً فى ذلك لأن يوسف هو ابن يعقوب فعلاً وابن هالى (أبى مريم) شرعاً إذ أخذ (يوسف) العذراء ابنة هالى فوضع اسمه محـــل اسمها فى جدول نسبها على نفس القاعدة السابقة . ويعتقد كثير من المفسرين أن (لو ٣ : ٢٣) يقرأ هكذا « ولما ابتدأ يسوع كان له نحو ثلاثين سنة وهو (على ما كان

يظن ابن يوسف) ابن هالى » أى ان بدء السلسلة هو هالى أبو أمه مريم فواضح مما سلف ان يوسف ومريم كانا من العائلة المالكة . ولكن تلك العائلة كانت قد انحطت لأن يوسف الوارث الحقيقى لكرسى داود ، عوضاً عن أن يكون ملكاً ، كان نجاراً ، غير معروف حتى لم يكن هيرودس المختلس لكرسى داود يسمع به . ولكن الوحى يصفه كانسان بار .

ولادة المسيح (ع ١٨ — ٢٥ ولو ٢ : ١ — ٧)

« أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا . لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا وجدت حبلى من الروح القدس . فيوسف رجلها إذ كان باراً ولم يشأ أن يشهرها أراد تخليتها سراً . ولكن فيما هو متفكر فى هذه الأمور إذا ملاك الرب قد ظهر له فى حلم قائلاً ، يا يوسف ابن داود ، لا تخف أن تأخذ مريم امرأتك . لأن الذى حبل به فيها هو من الروح القدس . فستلد ابناً وتدعو اسمه يسوع . لأنه يخلص شعبه من خطاياهم » (ع ١٨ — ٢١) .

حقاً ان طرق الله ليست كطرق الانسان . فلم يشأ أن يتجسد ابنه ويولد من بيت داود فى أيام سليمان الشهير ويكون محاطاً بأمجاد عالية من صغر السن ، بل تأنى الى أن وجد وارث لداود لا اسم له ولا ذكر فى العالم ، ولكنه متصف بالبر ، حينئذ ولد المسيح . ان طرق الله تجرى دائماً لامتحان الايمان مع انه تعالى يتنازل من لطفه ويزيل الشكوك التى قد تنشأ عن سمو طرقه التى لا تستقصى (اش ٥٥ : ٨ و ٩ ، رو ١١ : ٣٣) . فلما صار يوسف البار فى شك وحيرة لم يستعجل الى عمل شىء ، بل بدأ يفكر فى هذه الأمور الخارقة للعادة . وحينئذ تداخل الله وأكد لعبده انه هو نفسه القائم بالعمل ليكمل مقاصده ومواعيده ومن ثم فلا سبب لخوفه وشكه بتة . وإذ ذاك زالت جميع شكوكه .

« مخطوبة ليوسف قبل أن يجتمعا » (ع ١٨) كانت الخطبة عند بنى اسرائيل

زواجاً بغير اجتماع . و بعد فترة قصيرة كانت تقام حفلة العرس لتتميم الزواج (أنظر تك ٢٤: ٥٥ ، قض ١٤: ٨).

« يشهرها » أى يفضح أمرها، و يعرضها لقصاص الرجم (تث ٢٢: ٢٠و٢١)

« وتدعو اسمه يسوع لانه يخلص شعبه من خطاياهم » (ع ٢١) معنى « يسوع » « يهوه المخلص » وهـذا ليس مجرد اسم يعرف به ، بل هو اعلان عن حقيقة شخصه ، انه إله الشعب وليس ملـكه فقط ، لأن الذى يخلص الشعب من خطاياهم ، هو الله وليس الملك (مز ٥١) فيخلصهم ، لا من أعدائهم البشريين ، كما عمل داود وغيره قديماً، بل من خطاياهم. دون أن يذكر هنا الكيفية التى بها يخلصهم.

« وهذا كله كان لكى يتم ماقيل من الرب بالنبى القائل « هوذا العذراء تحبل وتلد ابناً و يدعون اسمه عمانوئيل الذى تفسيره الله معنا » (ع ٢٢و٢٣)

فاسمه بحسب هذه النبوة (عمانوئيل) يدل على شخصه العجيب من حيث انه انسان مولود من امرأة ليس بالطريق الاعتيادية. ومع ذلك فهو الله أيضاً حاضراً فى وسط شعبه المختار .

وترد هذه النبوة فى (أش ٧: ١٤). كان آحاز ملك يهوذا فى خطر من ملكى دمشق والسامرة اللذين قصدا استئصال بيت داود و إقامة ملك أجنبي على كرسيه فى أورشليم . راجع (أش ٧: ١-١٦). فأرسل الرب النبى الى آحاز ليقول له « أطلب لنفسك آية من الرب إلهك . عمق طلبك أو رفعه الى فوق » أى اطلب أية آية كانت لتؤكد لك أن الرب يخلصك من أعدائك . ولما لم يكن لآحاز ايمان ، أبى أن يطلب قائلاً « لا أطلب ولا أجرب الرب » . ولم يكن جوابه هـذا ناشئاً عن تقوى بل عن عدم ايمان لانه كان يتحتم عليه أن يطلب حسب قول الرب. ثم قال النبى « اسمعوا، يا بيت داود، هل هو قليل عليكم أن تضجروا الناس حتى تضجروا إلهى أيضاً ؟ ولـكن يعطيكم السيد نفسه آية . ها العذراء تحبل وتلد ابناً وتدعو اسمه

عمانوئيل ». فولادة ابن عجيب الوصف كهذا من عذراء هي آية إلهية معطاة لتدل على تداخل الله في أمور شعبه ليخلصهم .

ثم يعود النبي ويذكر آية أو علامة أخرى يعطيها الرب لتدل على أنه يخلص أورشليم وملكها آحاز من الخطر المحيط به وقتئذ رغماً عن عدم ايمانه إذ قال «زبداً وعسلاً يأكل متى عرف أن يرفض الشر ويختار الخير لانه قبل أن يعرف الصبي أن يرفض الشر ويختار الخير تخلى الارض التي أنت خاش من ملكيها » فهذان العددان ١٥و١٦ يقومان وحدهما ويتعلقان بالصبي المذكور ، أي صبي النبي أشعياء الذي كان واقفاً معه (أنظر ع ٣) وليس لهما أدنى علاقة بابن العذراء المتنبأ عنه في ع ١٤. لأن الآية الإلهية هي ولادة ابن العذراء . أما كلامه عن الصبي ، أي ابنه الواقف معه أمام الملك فمعناه أنه يستمر في أمن في مدينة أورشليم يأكل زبداً وعسلاً الى أن يبلغ سن الرشد . وبالتبعية لا تكون المدينة محاصرة (١مل ١٦: ٥) . فاذن الملكان اللذان كان آحاز خائفاً منهما لا يقدران أن يستمرا محاصرين أورشليم لمنع دخول الزبد والعسل اليها من الخارج، لا بل وقبل أن يبلغ الصبي سن الرشد يبادان كلاهما . وقد تم هذا الكلام فيهما بعد ذلك بمدة وجيزة (أش ٨ : ٣و٤) وأما الكلام الوارد في ع ١٤ فنبوة صريحة عن ولادة المسيح وليس له علاقة بالكلام الوارد في عددي ١٥و١٦ عن ابن النبي .

« فلما استيقظ يوسف من النوم فعل كما أمره ملاك الرب وأخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر ودعا اسمه يسوع » (ع ٢٤و٢٥)

لا يجوز لنا أن نطيل الشرح على الحوادث المتعلقة بولادة ربنا يسوع المسيح لأن الرسول متى الذي أُلهم بكتابتها قد اختصر جداً في كلامه. فلا داعي لإطالة الشرح عليها أيضاً لئلا نضعف نور الوحي. لا شك أنه دوّن هذه الحوادث خصيصاً لإفادة اليهود ولكن لها أهمية غير محدودة أبدية لنا نحن أيضاً لانها أساس ايماننا فانه بها قد تنازل الله أن يقرن نفسه ومجده بالانسان . لأن الذي ولد هو الله .. عمانوئيل .

فصار مولوداً من امرأة، مولوداً تحت الناموس، ووارثاً لحقوق داود حسب الجسد، بينما هو ابن الله ايضاً ، فمن يستطيع ان يدرك هذا السر العظيم المتعلق بطبيعة ذاك الذى صدقت عليه هذه الأسماء والألقاب وتمت فيه جميع النبوات والمواعيد السابقة؟ وسنرى عندما نتتبع حياته على الارض انه أظهر الطاعة لله كما يليق به كالانسان الكامل ، كما أظهر ايضاً صفاته الذاتية كالله القادر .

قيل عن يوسف انه «أخذ امرأته ولم يعرفها حتى ولدت ابنها البكر» ولايخفى انه بمناسبة هذه العبارة قد طالت المجادلات من جهة أ كان لمريم أولاد من يوسف بعدذلك أم لا؟ غير انى لست أرى انه من المفيد أن أبحث فى هذا الموضوع. لان الامر الجوهرى المقصود من تلك العبارة هو أن مريم بقيت عذراء حتى ولدت ابنها البكر. على ان الذى حمل كثيرين الى نفى اقتران مريم بيوسف هو الزعم بأن الزواج المحلل هو نوع من النجاسة. ولما كان قصدهم أن يعظموا شأن أم الرب فوق البشر، قبح فى أعينهم القول بأنها عاشت مع رجلها فى حالة الزواج بعد ولادة المسيح، ولكن هذا افتراء شنيع على الزواج الذى رتبه الله للانسان حتى قبل سقوطه (تك ١: ٢٧ و ٢٨) لان هذا معناه انه لا يمكن للمتزوج أن يكون مقدساً كغير المتزوج، مع أن الحال ليس كذلك لان أشهر القديسين ، ومنهم رسل المسيح أنفسهم (ما عدا الرسول بولس) ، قد عاشوا مع الله فى حالة الزواج (١ كو ٩ : ٥) .

الاصحاح الثانى

زيارة المجوس (ع ١-١٢)

« ولما ولد يسوع فى بيت لحم اليهودية فى أيام هيرودس الملك اذا مجوس من المشرق قد جاءوا الى أورشليم قائلين أين هو المولود ملك اليهود ، فاننا قد رأينا نجمه فى المشرق وأتينا لنسجد له . فلما سمع هيرودس الملك اضطرب وجميع اورشليم معه ، فجمع كل رؤساء الكهنة وكتبة الشعب وسألهم أين يولد المسيح . فقالوا له ، فى بيت لحم اليهودية . لأنه هكذا مكتوب بالنبى وأنت يا بيت لحم ، أرض يهوذا ، لست الصغرى بين رؤساء يهوذا لأن منك يخرج مدبر يرعى شعبى اسرائيل » (ع ١-٦)

المجوس ، علماء أو حكماء ، عكفوا على دراسة الفلك والطب وأسرار الطبيعة وتفسير الأحلام (دا ٢:٢) . وقد اطلق هذا الاسم على كل العلماء والفلاسفة فى الشرق . واتخذ الملوك منهم مشيرين وعيّن نبوخذ نصر ملك بابل دانيال كبيراً للمجوس (دا ٥:١١)

ولا نعرف شيئاً عن هؤلاء المجوس المذكورين هنا ، إلا أنهم أتوا من المشرق الى أورشليم ، لكى يسجدوا للمولود ملك اليهود . فان جانباً كبيراً من المعرفة الحقيقية عن ولادة المسيا ، ملك اليهود كان قد انتشر بين الأمم منذ زمان طويل لا سيما من وقت سبى بابل وانتشار اليهود بتوراتهم ومجامعهم فى كل الارض.

كما لا نعرف من أى بلاد فى المشرق أتى هؤلاء المجوس ، ولا كم كان عددهم. وقد شاء الوحى ان يسكت عن هذا الأمر ، فمن الغباوة أن ندّعى أننا قادرون على إيضاحه . ولكن الذى نعلمه هو أن المشرق يقع شرق الأرض المقدسة (قابل أش ٢:٦ حاشية) وان الله قد ألهمهم بالنجم بان يحضروا لكى يعترفوا بالمسيح كملك

اليهود ، و بالنبصية أنه الشخص المظيم المتنبأ عنه انه يأتى ليملك ، لا على اليهود فقط، بل وعلى جميع الأمم أيضاً (مز ٧٢)

ولكن كيف كانت حالة اليهود وقت ولادة ملكهم الحقيقى ؟ كانت عائلتهم الملكية قد انحطت كما رأينا فى (ص ١). وكان ملك أجنبى ، أدومى الجنس، متسلطاً عليهم من قبل الرومان وكان رؤساؤهم على ارتباط وثيق بالملك الكذاب المغتصب، وخاضعين لأمره .

حصل اضطراب للملك ولأهل أورشليم جميعاً عند ما بلغهم الخبر بولادة مسيحهم . فان الله كان قد أجرى عمله بدون معرفتهم ، ثم استخدم أناساً أجنبيين لتبليغهم الخبر . فجمع هيرودس كل رؤساء الكهنة وهم رئيس الكهنة المقام فى ذلك الوقت، ومعه رؤساء الفرق الكهنوتية الأربع والعشرين (١ أى ٢٤ :١-١٩ و ٢ أى ٨:٢٣ قابل لو ١ :٨) وكتبة الشعب أيضاً . ومع أن الكهنة والكتبة قد عرفوا كتبهم حرفياً إلا أنهم لم يعرفوا ذاك الذى شهدت عنه تلك الكتب . فأجابوا سؤال الملك حالاً عن الموضع الذى يولد فيه المسيح ، أما ذاك الذى ولد فلم يعرفوه. دلّوا الآخرين عليه ، دون أن يذهبوا هم اليه . وهكذا نكون نحن أيضاً إن كنا نعلّم الآخرين بكلمة الله ونحن غير سالكين فيها .

« وأنت ، يا بيت لحم أرض يهوذا الخ » بيت لحم مدينة صغيرة فى الجنوب الغربى من أورشليم ، على بعد ستة أميال ، معناها « بيت الخبز » وسميت مدينة داود (لو ٢ :٤) لأنها كانت وطنه الأصلى (١ صم ١٦ :١ و ١٨) ، وسميت « بيت لحم اليهودية » و « بيت لحم يهوذا » (قض ١٧ :٧) تمييزاً لها عن مدينة أخرى بنفس الإسم فى الجليل (يش ١٩ :١٥) وسميت كذلك « افراته » و « بيت لحم افراته » (تك ٣٥ :١٩ و مى ٥ :٢)

هذه النبوة واردة فى (مى ٥ :٢) وهى مقتبسة لا بحروفها بل بمعناها وهو أن بيت لحم ، مع أنها صغيرة بالنسبة الى مدن يهوذا ، ولكن يعظم شأنها ، لأن منها

بخرج المدبر الذى يرعى شعب الله . ولو كان الكهنة والكتبة قد لاحظوا قرائن النبوة لرأوا أن الملك المولود ليس هو إلا القديم الأيام « الذى مخارجه منذ القديم . منذ أيام الأزل » وان اسرائيل مزمعون أن يضربوا قاضيهم هذا بقضيب على خده (ميخا ٥:١) ولكنهم اكتفوا من النبوة بما جاء فيها جواباً على سؤال هيرودس ، واستمروا فى طريقهم يأكلون بيوت الأرامل » ولعلة يطيلون صلواتهم (ص ٢٣) وأما المجوس الأتقياء فذهبوا فى طريقهم ، وفازوا بمرغوبهم .

« حينئذ دعا هيرودس المجوس سراً وتحقق منهم زمان النجم الذى ظهر . ثم أرسلهم الى بيت لحم وقال ، اذهبوا وافحصوا بالتدقيق عن الصبى ، ومتى وجدتموه فاخبرونى لكى آتى أنا أيضاً واسجد له . فلما سمعوا من الملك ذهبوا واذا النجم الذى رأوه فى المشرق يتقدمهم حتى جاء ووقف فوق حيث كان الصبي . فلما رأوا النجم فرحوا فرحاً عظيماً جـــداً ، وأتوا الى البيت ورأوا الصبى مع مريم أمه . فخروا وسجدوا له . ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً ، ثم إذ اوحى اليهم فى حلم أن لا يرجعوا الى هيرودس انصرفوا فى طريق أخرى الى كورتهم » (ع ٧ــ١٢)

لم تكن أفكار الملك مطمئنة ، واذ كان قاصداً إهلاك الصبى، استدعى المجوس سراً ، وتحقق منهم متى ظهر لهم النجم ، وبذلك عرف زمان ولادة المسيح ، كما كان قد عرف من الكهنة والكتبة مكان ولادته ، ويتبين من ع ١٦ أن النجم كان قد ظهر لهم قبل اتيانهم الى أورشليم بنحو سنتين، لا شك أنه ظهر لهم وقت ولادة المسيح واستنتجوا بحسب معرفتهم أنه علامة لولادة ملك اليهود ، ثم بعد أن صرفوا وقتاً فى الاستعداد للسفر ، وفى الرحلة نفسها ، أتوا الى اورشليم متوقعين أن يجدوا الملك المولود فى قصر الملك . ثم بعد أن خرجوا من عند الملك إذا النجم الذى كانوا قد رأوه وهم فى وطنهم ظهر لهم ثانية . لم يكن قد رافقهم الى أورشليم ، ولـكنه

تقدمهم منها لهدايتهم الى البيت الذى كان الصبي فيه ، فان جميع العناصر تحت أمره و يقدر ان يستخدمها كما يشاء .

« ثم فتحوا كنوزهم وقدموا له هدايا ذهباً ولباناً ومراً » . الذهب واللبان والمر من الهدايا التى كانت تقدم عادة للملوك (١ مل ١٠ : ٢ ، أش ٦٠ : ٦) . وقد ظن البعض أن المجوس فهموا ما لتلك الهدايا من مدلولات روحية ، ولكنى لست أرى أساساً لهذا الظن لأن الكتاب يذكر بصريح اللفظ انهم انما استدلوا عليه فقط كملك اليهود . يحتمل أن الله عاد وأعطاهم نوراً أكثر فيما بعد بحسب مبدئه الإلهى الجليل ان كل من له يعطى فيزداد (مت ٢٥ : ٢٩) ، ولكن الكتاب سكت عن هذا الموضوع ومن ثم يجب أن نسكت نحن أيضاً .

ولكن بالرجوع الى رموز الكتاب المقدس ، يمكننا نحن أن نستدل على ما تضمنته تلك الهدايا من معان. ومدلولات نبوية فزيارة هؤلاء المجوس (الأمم) ترينا ان ملك المسيح سيكون، ليس على اليهود فقط ، بل على الأمم أيضاً. وهذا ما سيتم فى المستقبل ، فى الملك الألفى . أما هداياهم (الذهب واللبان والمر) ففيها رمز جميل الى المستقبل الذى فيه سيقدم ملوك الأمم هداياهم للرب وقت الملكوت (مز ٧٢: ١٠ ، أش ٦٠ : ٦)

كما أن الذهب فيه الدلالة على مجده الإلهى (قابل خر٢٥:١٧ مع عب ٩:٥). واللبان على كماله الأنسانى (قابل لا ٢ :١ مع أف ٥ : ٢ ، ٢ كو ٢:١٥) . والمر على ألمه الكفارى (قابل مز ٦٩:٢١ ، مت ٢٧:٣٣ مع يو ١٩ :٢٨—٣٠و ٣٩) .

ومن ناحية أخرى ، يمكن القول ان فى هذه التقدمات الثلاث ، ما يشير الى وظائفه الرسمية الثلاث : كالملك (قابل دا ٢ : ٣٧و ٣٨ مع نش ٣ : ١١ ، ٥:١١) . والكاهن (قابل لا ١٦:١٢و١٣ مع عب ٩:٢٤ ، رؤ ٨:٣و٤) . والنبى (رؤ ١٠: ١٠ ، حز ٢:١٠ ، ٣:١٤ قابل مز ٦٤:٣ مع أع ٢:٣٧، أم ١٤:١٠ ، لو ٢٢:٦٢).

و بعد أن قدم المجوس هداياهم ، انصرفوا الى وطنهم فى طريق أخرى . ولم

يرجعوا الى هيرودس حسب طلبه . وكان ذلك بوحى لهم من الله الذى قيل عنه « المبطل أفكار المحتالين فلا تجرى أيديهم قصداً ، الآخذ الحكماء بحيلتهم فتتهور مشورة الماكرين » (أى ٥: ١٢و١٣) .

الهرب الى مصر وقتل الصبيان في بيت لحم وتخومها

(ع ١٣ — ١٨)

« و بعد ما انصرفوا إذا ملاك الرب قد ظهر ليوسف فى حلم قائلاً . قم وخذ الصبى وأمه واهرب الى مصر وكن هناك حتى أقول لك . لان هيرودس مزمع أن يطلب الصبى ليهلكه . فقام وأخذ الصبي وأمه ليلاً وانصرف الى مصر وكان هناك الى وفاة هيرودس لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى » (ع ١٣ — ١٥) .

عرف الله أفكار ذلك الملك الماكر الظالم . وعمل على حفظ حياة ابنه . كان يعقوب قد نزل الى مصر بأمر الله بسبب الجوع الذى حصل فى أرض كنعان (تك ٤٦: ١—٤) وهكذا صار شعب الله فى أرض غريبة . ثم دعاهم الله حاسباً إياهم بكره بين الأمم (خر ٤: ٢٢و٢٣) . وأما من جهة تاريخهم وحالتهم زمان ولادة المسيح فكانوا قد خانوا وسقطوا كما رأينا، فقصد الله ان يبدأ تاريخهم من جديد فى المسيح ، فصدق على المسيح قول الله « من مصر دعوت ابنى » لأن هذا هو البكر الحقيقى الذى به يتمجد الله فى كل الارض (أش ٤٩: ١—١٣) .

كان اسرائيل كرمة ايضاً كقوله « كرمة من مصر نقلت . طردت أمما وغرستها . . الخ » (مز ٨٠: ٨—١٣) ولكن الكرمة الاسرائيلية لم تأت بالثمر المطلوب فصار كل عابرى الطريق يقطفونها و يفسدها الخنزير من الوعر و يرعاها وحش البرية كما كانت حالتها زمان المسيح ، و إذ ذاك صار هو الكرمة الحقيقية التى تأتى بثمر لله (انظر يو ١٥: ١ قابل ايضاً مز ٨٠: ١٤ و ١٥) حيث ترى أن

الان للتجسد صار هو الكرمة أو الغرس أمام إله الجنود الذى اطلع من السماء ونظر حالة شعبه ليتعهدهم .

وكان اسرائيل ايضاً عبد الله فى الأول (أش ٤٤: ٢١) و بعد ما خانوا وسقطوا صار المسيح هو العبد الحقيقى الأمين ليتمم مشيئة الله كما لا يخفى (أش ٤٩: ١-١٣) فانه لا يتم ولا يثبت شىء من مقاصد الله إلا فى المسيح (٢ كو ١: ٢٠) لأن الانسان الأول انما هو خائن وعديم النفع على أى حال، وفى أى وضع .

ولنلاحظ قول الكتاب عن هروب المسيح الى مصر ورجوعه أيضاً من هناك بموجب دعوة إلهية «لكى يتم ما قيل من الرب بالنبى القائل من مصر دعوت ابنى» وردت هذه النبوة فى (هو ١١: ٢) ولفظة « لكى » تفيد أن مقصد النبوة الأصلى هو المسيح .

فكل مركز أعطى لإسرائيل وفشلوا فيه سلم فى النهاية للمسيح فتمجد الله فيه.

« حينئذ لما رأى هيرودس ان المجوس سخروا به غضب جداً . فارسل وقتل جميع الصبيان الذين فى بيت لحم وفى كل تخومها من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس . حينئذ تم ما قيل بأرميا النبى القائل: صوت سمع فى الرامة نوح و بكاء وعويل كثير راحيل تبكى على أولادها ولا تريد أن تتعزى لأنهم ليسوا بموجودين » (ع ١٦-١٨)

يتضح مما عمل هيرودس أن النجم ظهر للمجوس قبل ذلك بنحو سنتين لأنه قتل جميع الصبيان من ابن سنتين فما دون بحسب الزمان الذى تحققه من المجوس . فاذن كان عمر المسيح نحو سنتين وقت هرب به الى مصر . ونفهم من ذلك أن الحوادث المذكورة فى لو ص ٢ صارت قبل الهرب لا بعده . إذ حضر يوسف ومريم الى الهيكل بعد ولادة المسيح بأربعين يوماً (لا ١٢: ١-٥ ، لو ٢: ٢٢-٢٤). ولما أكملا كل شىء حسب ناموس الرب رجعا ، لا الى بيت لحم من حيث أتيا ، بل الى الناصرة (لو ٢: ٣٩) ، ولكنهما كانا معتادين ، كيهوديين تقيين ، أن يصعدا الى

أورشليم كل سنة (لو ٢: ٤١) . ولا عجب من زيارتهما بيت لحم فى هذه المناسبة كل سنة لأنها كانت مدينة داود أبيهما (لو ٢: ٤ و ٥)، وكانت قريبة من أورشليم، فكانا هناك وقت زيارة المجوس الذين وجدوا الصبى مع أمه فى البيت الذى دلهم عليه النجم.

لا يخفى ان بعض الملحدين قد اعترضوا على الحوادث المدونة من جهة ولادة المسيح زاعمين أن هناك تناقضاً بين متى ولوقا ، إذ بدا لهم ان المسيح حسب ماذكر فى متى هرب الى مصر بعد ولادته وحسب ما ذكر فى لوقا أنه رجع الى الناصرة . ولكن ليس لاعتراضهم أدنى أساس . لأن البشير متى لا يقول انه هرب الى مصر عقب ولادته ، بل عقب زيارة المجوس . وقد رأينا أن هذه الزيارة صارت لما كان للمسيح نحو سنتين من العمر .

(ع ١٧) « حينئذ تم ما قيل بأرميا النبى القائل ، صوت سمع فى الرامة . . . الخ » .

هذه النبوة واردة فى (أر ٣١: ١٥) ولنلاحظ أن الوحى لا يقول هنا « لكى يتم » بل يقول « حينئذ تم » ، ولاختلاف العبارتين أهمية كبرى . لأنه اذا قيل عن حادثة أنها صارت «لكى يتم ما قيل» فيكون المعنى أن هذه الحادثة هى المقصد الأصلى للنبوة المذكورة وأما اذا قيل «حينئذ تم » كما هو مذكور هنا فيكون المعنى ان الحادثة ليست هى المقصد الاصلى، بل هى من جملة حوادث تصدق عليها النبوة. فالنبوة المقتبسة هنا صدقت أولاً على حالة اسرائيل وقت سبى بابل لما كانت الأرض قد أثكلت ، وتكلم النبى عن ذلك الخراب العظيم مصوراً راحيل ، امرأة يعقوب المحبوبة ، والتى كانت مدفونة بالقرب من بيت لحم (تك ٣٥: ١٩) كأنها قد قامت من الأموات وسألت عن أولادها ولما لم تجدهم أبت التعزية لأنهم ليسوا بموجودين فى أرضهم بل مشتتين بسبب ظلم أعدائهم ، كذلك كانت حالتهم فى زمان ولادة المسيح لأن الوارث الحقيقى نفسه كان هارباً من وجه الظلم ، والملك الكذاب يسطو كذئب خاطف على الذين بقوا فى الأرض

المظلم، بل فى الناصرة المحتقرة . والخلاصة ، أن ابن داود ، ابن ابرهيم، يهوه المخلص وعمانوئيل ، لما حضر فى وسط شعبه المحبوب ، لم يتجه إلى كرسى داود أبيه حسب الجسد ، لأن الملك الأجنبى الكذاب المغتصب كان جالساً عليه بمساعدة الرومانيين ، بل سكن متوارياً فى مدينة من الجليل ، بين اذل الغنم حسب نبوة زكريا (ص ١١) . وكان الكهنة ورؤساء الشعب على ارتباط بهذا الملك وخاضعين له ولأسياده الرومانيين المتعظمين . وكان اليهود قد انحطوا هذا الانحطاط المظلم المهين بسبب خياناتهم لله . ومع أنهم أبغضوا الأمم وأنوا تحت نيرهم القاسى الموضوع عليهم ، فإنهم من جهة لم يقدروا أن يتخلصوا منه ومن جهة أخرى لم يخضعوا له كقصاص عليهم من الله . تمنوا أن يتحرروا من يد الأمم دون أن يعترفوا بخطاياهم لله ويقبلوا الوارث الحقيقى لكرسى داود ، القادر أن يخلصهم ، لا من يد أعدائهم فقط ، بل ومن خطاياهم أيضاً . ولكن على قدر ما انحطوا ازدادت كبرياؤهم ورياؤهم . وعلى قدر مافقدوا امتيازاتهم القديمة افتخروا بها افتخاراً فارغاً جسدياً . وهكذا كانت حالتهم حين ظهور يوحنا المعمدان بينهم ليدعوهم إلى التوبة ويهيء الطريق أمام وجه الرب يسوع ، يهوه المخلص .

الاصحاح الثالث

كرازة يوحنا ع ١ — ١٢

قابل مرقس ١ : ١ — ٨ ، لوقا ٣ : ١ — ١٨

« وفى تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية قائلاً توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات . فإن هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى القائل صوت صارخ فى البرية اعدوا طريق الرب . اصنعوا سبله مستقيمة . ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل وعلى حقويه منطقة من جلد . وكان طعامه جراداً وعسلا برياً . حينئذ خرج إليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن . واعتمدوا منه فى الأردن معترفين بخطاياهم » . (ع ١ — ٦) .

فى تلك الأيام التى كان المسيح فيها ساكناً فى الناصرة (ص ٢ : ٢٣) .

« جاء يوحنا المعمدان يكرز فى برية اليهودية » . وهى الكورة المحيطة بالأردن (لوقا ٣ : ٣) . وكرازة يوحنا المعمدان فيها ، لها دلالتها فى فكر الله . فهى كبرية ، تذكر الأمة بمحبتها الأولى يوم اتبعوا الرب إلى البرية (ارميا ٢ : ٢) فكانت أنسب مكان لدعوة الأمة إلى التوبة ، أو الرجوع إلى تلك المحبة الأولى (هو ٢ : ١٤) . كذلك هى مكان تمييز التائبين عن غير التائبين . وعزل التائبين لله عن غيرهم . اقرأ (حز ٢٠ : ٣٥ — ٣٨) . « قائلا ، توبوا » (ع ٢) التوبة واجب حتمى على الإنسان الساقط ، ولا يمكن له أن يحصل على بركة من الله بدونها (اش ٥٥ : ٧) ولا يزال الله يعمل بكلمته وبروحه القدوس ليأتى بالإنسان إلى التوبة ، كما أنه يخلق فيه كل شىء صالح ، ولكن عمل الله هذا لا ينقض واجب الإنسان من نحو التوبة . ويصدق هذا على حالة البشر جميعاً . وعليه إن كان لله

شعب كاليهود ، لهم امتيازات منه ، دون غيرهم ، وحالتهم الروحية لا تطابق امتيازاتهم ، فالتوبة هي أول واجباتهم ، لأنه لو باركهم ، لمجرد كونهم شعبه بغض النظر عن حالتهم الروحية ، لكان بذلك مصادقاً على شرورهم ، وحاشا له !

وكان اليهود وقتئذ كالمسيحيين بالإسم الآن ، مبتعدين عن الله . وعوضاً عن أن تكون حالتهم شهادة حسنة لاسمه ، جلبت عليه الإهانة . «لأن اسم الله يجدف عليه بسببكم بين الأمم ، كما هو مكتوب» (رو٢ : ٢٤) . كانوا يضجرون من نير الظلم ، ومع ذلك افتخروا بنسبتهم الجسدية لإبرهيم ظانين أن الله مضطر أن يباركهم بحسب مواعيده وهم رافضون أقواله الأخرى التي من شأنها أن تنخس ضمائرهم وتظهر لهم إلى أي حد قد اختلفت حالتهم الروحية عن مقامهم كشعب خاص لله في العالم . يمكن لله أن ينظر إلى شعبه وقت انحرافهم عنه ويخاطبهم باعتبار مركزهم الذي وضعهم فيه في بداءة معاملاته الخصوصية معهم ، ويذكرهم بابتعادهم عنه كقوله «وأنا غرستك كرمة سورق* زرع حق كلها . فكيف تحولت لي سروغ جفنة (أي أغصان كرمة) غريبة ؟» (ارميا ٢ : ٢١ وانظر أيضاً أشعياء ٥ : ١-٧) . ويمكنه أيضاً أن يخاطبهم بالنظر إلى بركة موعود بها ، وإلى عدم استعدادهم لامتلاكها بسبب سوء حالتهم . وبناء على ذلك يوبخهم على خطاياهم ويدعوهم إلى التوبة استعداداً لنوال البركة . ويمكنه أن يستعمل الطريقتين معاً .

نرى أنه في الأنبياء غالباً يستعمل الطريقة الأولى . وأما في كرازة يوحنا المعمدان فإنه يستعمل الثانية . فإن الملكوت المنتظر الموعود به قد اقترب ، ولكن ما هي حالة الذين انتظروه ؟ هل هم مستعدون له أم لا ؟ وأما في حالة المسيحيين بالاسم فيجب أن نستعمل الطريقتين . بحيث أننا نذكرهم بحالة كنيسة الله في البداءة ، وإلى أي حد قد انحطت . ثم ننادي لهم بقرب مجيء الرب ، كقوله «هوذا العريس مقبل

* مكان مشهور بجودة كرومه .

فأخرجن للقائه » (مت ٢٥ : ٩) لأن هذا مما ينبههم إلى سوء حالتهم وعدم موافقتها لحضور الرب . فعلى أى حال لا يتغاضى الرب عن شرور شعبه .

« لأنه قد اقترب ملكوت السموات » . أى اقترب ظهور المسيا لأخذ الملك . فيذكر ملكوت السموات كشيء معروف ومنتظر . وقد كان كذلك لأن الله سبق فتكلم بفم جميع الأنبياء منذ الدهر عن أوقات الفرج وأزمنة رد كل شيء (اع ٣ : ١٩ - ٢١) وقد وردت فى سفر دانيال ألفاظ نظير التى استعملها هنا يوحنا المعمدان ولا شك أن الملكوت الذى تنبأ عنه دانيال ونادى باقترابه يوحنا المعمدان ، هو واحد إلا أننا سنرى أنه على هيئات مختلفة . والبشير متى هو وحده الذى يسميه « ملكوت السموات » ، وهذا فى تمام الموافقة مع قصد الوحى فى إنجيله ، بحيث أنه يخبرنا عن حياة المسيح ، الملك ، باعتبار كونه ابن داود بن ابرهيم ، حاضراً فى وسط إسرائيل ليقيم لهم مملكة السماء على الأرض ، إذا هم تابوا .

لا يوجد ذكر لملوك وممالك فى العالم القديم قبل الطوفان ولا بعد الطوفان إلى وقت تبلبل لسان البشر وتشتتهم . بعد ذلك سمح الله بتنظيم ممالك وإقامة ملوك ، ولكن الملوك ورعاياهم سرعان ما نسوا الإله الواحد الحقيقى واستعبدوا للأوثان . ثم اختار الله رجلا واحداً هو ابرهيم ودعاه لكى يكون شاهداً لوحدته (تك ١٢ : ١ ، أع ٧ : ٢ و ٣) ، وأعطاه المواعيد بالبركة لنسله ولجميع الأمم أيضاً (تك ٢٢ : ١٧ و ١٨) ولكن بدون إشارة ، لرياسة سياسية إلا بأن نسله يمتلكون أبواب أعدائهم . ثم أصبح نسل ابرهيم فى عبودية قاسية فى أرض مصر (تك ٤٦ ، خر ١ - ٣) . وبعد زمان افتقدهم الله وخلصهم من مصر وأسكنهم فى أرض كنعان بحسب وعده لابرهيم (تك ١٥ : ١٢ - ٢١) وصار الله ملكهم وبعد أن ضجروا من سياسته (١ صم ٨) أعطاهم ملكا وجعل عبده داود مصدراً للحقوق الملكية (٢ صم ٥ : ٧) . وقيل عن سليمان أنه جلس على كرسى الرب ملكا مكان داود أبيه (١ أى ٢٩ : ١٢) . كان كرسى داود للرب ومع هذا فإلى ذلك الوقت لم يوجد ذكر لملكوت السموات .

ثم من جهة الجالسين على عرش داود فقد أساءوا التصرف فنقل الرب عرشه الذى أجلسهم عليه من أورشليم وقد رآه النبي حزقيال خارجاً من أورشليم (حزص ١) . إننا لا نقول أن الله سلم عرشه للأمم بل ما نقوله هو أنه فقط سلمهم السلطان السياسى على الأرض (مز ٧٨ : ٦١) وكان نبوخذ ناصر أول من استلمه . وقيل عن مدة بقاء هذا السلطان فى أيدى ملوك الأمم « أزمنة الأمم » (لو ٢١ : ٢٤) ، وسوء تصرفهم فى سياسة العالم معلوم ، على أن الله لا يأخذ هذا السلطان منهم إلى أن تكمل أزمنتهم عند مجىء الرب يسوع ثانية بقوة .

ولم تعط النبوات الصريحة من جهة ملكوت السموات إلا وقت دانيال بعد نقل عرش الرب من أورشليم وخراب بيت داود حسب ترتيبه الاول . على أن دانيال لم يذكر أن هذا الملكوت سيقام فعلا إلا عند انتهاء أزمنة الأمم واسترداد السلطان من أيديهم إلى صاحب الحق فيه وهو المسيح فى مجيئه الثانى (أنظر دا ٢ : ٤٤ و ٤٥ ، ٧ : ١٨) . أما من جهة المسيح فى مجيئه الأول فلم يذكر دانيال شيئاً سوى أنه « يقطع وليس له » (ص ٩ : ٢٦) ، أى أنه لا يأخذ الملكوت فى ذلك الوقت .

وإن قيل كيف يمكن أن يكون الملكوت الذى تنبأ عنه دانيال قد اقترب وقت كرازة يوحنا المعمدان ، مع أنه كان ضرورياً أن المسيح يقطع ولا يأخذ الملكوت ؟ أقول إن أفكار الله وطرقه ليست كأفكارنا وطرقنا ويجب أن نتعلم منه ولا نعلّمه ماذا أو كيف يتكلم . لقد رتب أقواله أحسن ترتيب فلنلاحظ طريق الوحى من الأول . مثلا لما نطق الله بالحكم على الحية الذى تضمن الوعد من جهة نسل المرأة لا يتضح من ظاهر الكلام أنه لا بد من مرور أجيال عديدة قبل تتميمه . وربما ظنت حواء أن قايين هو النسل الموعود به (أنظر تك ٤ : ١) وهكذا الحال مع جانب كبير من المواعيد والنبوات .

لا يظن القارىء أن الله يخدع المؤمنين بإظهاره الشىء المرجو كأنه قريب بينما

هو بعيد ، ولكنه يعطي إعلاناته لهم بالطريقة المناسبة بحسب فكره لتقوية إيمانهم وامتحان صبرهم . هكذا عمل في النبوات المتعلقة بمجيء المسيح الأول . وأيضاً في الوعد برجوعه ثانية . والرسول بطرس يجاوب كل معترض جواباً قاطعاً في قوله « ولكن لا يخف عليكم هذا الشيء الواحد أيها الأحباء ، أن يوماً واحداً عند الرب كألف سنة وألف سنة كيوم واحد. لا يتباطأ الرب من وعده كما يحسب قوم التباطؤ » (٢بط٣: ٨و٩) . نعم . ان ألف سنة عند الرب كيوم واحد عندنا نحن . ولا يمكن للكائن منذ الأزل والى الأبد أن يقيم وزناً لمرور الزمن . نحن ننظر الى حوادث العالم ونحسبها مهمة جداً ، ولكنها ليست هكذا عند « الجالس على كرة الأرض وسكانها كالجندب . الذي ينشر السموات كسرادق ويبسطها كخيمة للسكن . الذي يجعل العظماء لا شيئاً ويصير قضاة الأرض كالباطل » (أش ٤٠: ٢٢و٢٣) .

ثم إننا لو أمعنا النظر في كلام دانيال لرأينا أنه يشير إلى وجود مدة بين قطع المسيح وبين إقامة الملكوت بالفعل وقت سحق التمثال العظيم المكنى به عن نظام السياسة في يد الأمم ، لأنه يترك زماناً غير محدود بين قطع المسيح وبداءة الأسبوع الأخير الذي ينتهي بإقامة الملكوت . وهذا الأسبوع كناية عن سبع سنين ، أنظر ص٩: ٢٠—٢٧ . فبعد التسعة والستين أسبوعاً يقطع المسيح . ثم بعد الأسبوع الأخير الباقي من السبعين سيؤتى بالبركة لشعب دانيال . ولكنه لا يذكر وقتاً معيناً لبداءة هذا الأسبوع الأخير . وهكذا يترك مدة غير محدودة بين قطع المسيح وبداءة الأسبوع الأخير ، ولا توجد إشارة إلى طول هذه المدة ، لأن الله قد أبقاها في سلطانه ، كما أبقى سائر الأزمنة والأوقات في سلطانه (أع١: ٧) : إنه من الأمور الواضحة أن الرسول بطرس أنبأ اليهود بعد يوم الخمسين أن الله سيرسل لهم يسوع المسيح . ولكن كلامه في ذلك الشأن ليس وعداً مطلقاً لأنه علقه بشرط توبتهم (أع٣: ١٧—٢٤) .

ينبغي أن نميز بين المواعيد المطلقة ، والمواعيد الشرطية . ولكن في كلتا الحالتين ، فان الموعود به حقيقي ، ويجوز لنا أن نقول إن كان الله يعطي شعبه وعداً شرطياً فهو

يستطيع أن يجد طريقاً لإتمامه لو كل الشرط الموضوع عليهم دون أن يخالف شيئاً مما هو قاصد أن يجريه . كان ممكناً لأرميا النبي أن يقول لسكان أورشليم أنه إن تابوا يبقيهم الله في مدينتهم مع أن سبيهم إلى بابل تنبىء عنه قبل ذلك بزمان طويل (عا ٥ : ٢٧) .

الإنسان يدّعي الفلسفة في دائرة أفكاره القاصرة ويقيم اعتراضات على معاملات إلهية كهذه كأنه يقدر أن يحرمه سبحانه وتعالى حرية العمل ولكن الله ليس محصوراً في طريق واحدة ، وإن كان الله يسلك طريقاً ما ، لا يجوز لنا أن نقول أنه لم يكن ممكناً له ، لو شاء أن يسلك طريقاً أخرى . أنظر إلى وعده المطلق لنا بإرسال يسوع المسيح ثانية . فإننا نعرف أنه قد أعطى للكنيسة من البداءة ، ولم يكن هناك أي مانع لإتمامه سوى أناة الله على الخطاة المساكين من يوم إلى آخر (٢ بط ٣ : ٨ و ٩) فكم بالأحرى لا يوجد مانع لإتمام النبوات من جهة ممالك العالم ، فإن الله قادر أن يتممها بأسرع وقت ، أو يتأنى اذا شاء

أخيراً ، لم يقل يوحنا المعمدان أن ملكوت السموات قد حضر ، بل انه «قد اقترب» فقط ، ودعا اسرائيل الى التوبة ، استعداداً له . ولم يقل الرسول بطرس ان أوقات الفرج قد أتت ، بل انها ستأتي اذا هم تابوا (أع ٣ : ١٩) . ويجوز لنا أن نقول انهم لو تابوا لكان الله قادراً أن يتمم وعده لهم ، ولا يخالف شيئاً من نبوات دانيال .

ثم من جهة معنى ملكوت السموات ، فنلاحظ أن كلام يوحنا عام ولا يوضح كيفية الملكوت . سنرى أنه اتخذ هيئة سرية بعد رفض المسيح ، ولكن ذلك متعلق باعلانات أخرى ، ولا دخل له في الكلام الذي نحن في صدده الآن . ليس معنى ملكوت السموات ، نظاماً سياسياً في العالم ، كالممالك العالمية ، بل يقصد به سلطة السموات على الأرض .

صرح يوحنا المعمدان أن الوقت لابتداء سلطة السموات قد اقتربت ، وقد

تعلمنا من مواضع أخرى أنه لابد أن السموات تملك ملكاً منتظراً ظاهراً (دا ٢ : ٤٤)، ولكن يوحنا انما نادى بقرب زمان تسلط السموات، بدون ذكر كيفيته وتفاصيله. لأن الذى كان يهمه أكثر فى خدمته هو أولا تقديم الشهادة لحضور الملك الحقيقى، ابن داود، وابن ابرهيم. وثانياً تهيئة الطريق له بتوبة شعبه.

« فإن هذا هو الذى قيل عنه بأشعياء النبى . . . الخ » (ع ٣) هذه شهادة الوحى عن يوحنا، لا شهادة يوحنا لنفسه. غير أنه اقتبس هذا الكلام (يو ١ : ٢٣)، وخصصه لنفسه إجابة للذين سألوه قائلين « فماذا تقول عن نفسك ؟ » فليس هو، حسب إنجيل متى، سوى « صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب اصنعوا سبله مستقيمة » . هذه النبوة واردة فى (أش ٤٠ : ٣) حيث ورد القول « صوت صارخ فى البرية أعدوا طريق الرب. قوموا فى القفر سبيلا لإلهنا » . ونلاحظ هنا أن متى يترك لفظة « لإلهنا » ، وله قصد فى ذلك لأن كلام النبى أشعياء انما يتم تماماً عند مجىء المسيح ثانية فى مجده، لما تكون أورشليم قد قبلت من يد الرب ضعفين عن كل خطاياها، ويكون أولادها التائبون مستعدين لقبوله كإلههم (أش ٤٠ : ١ و ٢) فيقولون « هوذا هذا إلهنا انتظرناه فخلصنا. هذا هو الرب انتظرناه نبتهج ونفرح بخلاصه » (أش ٢٥ : ٩).

« ويوحنا هذا كان لباسه من وبر الإبل ... الخ » (ع ٤). ثم من جهة عيشة يوحنا المعمدان نرى أن لباسه كان كباقى الأنبياء، وقد عاش فى البرارى، منفصلا عن الشعب، للشهادة ضد سوء حالتهم وأكل الجراد وهو ما وجدته يده فى البرية، وصرحت بأكله الشريعة (لا ١١ : ٢٢) وكسكان البادية لبس الوبر لا الثياب الناعمة كالساكنين فى بيوت الملوك (ص ١١ : ٧ و ٨) لأن عيشة الترف كانت لرعاة إسرائيل الذين كانوا يرعون أنفسهم تاركين الغنم.

« حينئذ خرج اليه أورشليم وكل اليهودية وجميع الكورة المحيطة بالأردن » (ع ٥) كانت لكرازة المعمدان فاعلية عظيمة، لأنها أنهضت كثيرين فخرجوا اليه

« معترفين بخطاياهم » (ع ٦) فأفرزهم عن الآخرين بمعموديته ، إذ كانت الديونة مقبلة على الأمة الخائنة (أش ١:٤ ، أر ٣: ٢٠) .

« فلما رأى كثيرين من الفريسيين والصدوقيين يأتون الى معموديته قال لهم يا أولاد الأفاعى من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتى؟ فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أباً . لأنى أقول لكم أن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لابرهيم والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر . فكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار » (ع ٧ — ١٠) .

يتضح من مواضع أخرى أن هؤلاء لم يحضروا بقصد الاستفادة لأنهم رفضوا معمودية يوحنا للتوبة (لو ٧: ٢٩ و ٣٠) ومنهم من قبلها قبولا صوريًا ظناً منهم أن ذلك يكفى لأن ينجيهم من الغضب فلما رآهم يوحنا هكذا لم يقرهم على أنهم أولاد ابرهيم بل لقبهم بـ « أولاد الأفاعى » بسبب شرهم ، وتعاليمهم السامة ، وتحايلهم على الهرب من الغضب الآتى بقبولهم معموديته بغير توبة ، وسألهم من أراهم أن يهربوا من الغضب الآتى ، وهو الغضب الذى كانوا يعلمون من التوراة أنه يأتى على الأشرار عند ظهور المسيح (قابل ملا ٣: ١ — ٥ ، ٤: ١ و ٥) والذى تخوفوا من وقوعه عليهم قد وقع عليهم فعلا كأمة . أنظر قول بولس « ولكن قد أدركهم الغضب إلى النهاية » (١ تس ٢: ١٦) .

« ولا تفتكروا أن تقولوا فى أنفسكم لنا ابراهيم أباً » أى أنه عند إتيان هذا الغضب لا ينفعهم انتسابهم لابرهيم ، لأنه لو احتاج الله أولاداً لابراهيم ، يتمم معهم مواعيده ، لاستطاع أن يقطع أولئك المدعين الثمر ويقيم آخرين من الحجارة يأتون له بثمر . والقصد من هذا الكلام هو إيضاح عدم مسرة الله بهم وقدرته على أن يتمم مواعيده بطرق بعيدة عن أفكار المتكلين على امتيازاتهم مع رفضهم للتوبة وأثمارها . وليس فى كلامه إشارة إلى دعوة الأمم بالإنجيل وقبولهم الإيمان المسيحى ، لأن هذا الموضوع لا يتعلق بكرازة يوحنا المعمدان .

« والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر » (ع ١٠) هذا كلام مجازى يفيد التهديد بالقطع . ما أعظم لطف الله وطول أناته ! انه لا يجرى القصاص إن لم ينبه المذنبين أولا . وهكذا الحال مع جمهور المسيحيين بالاسم الآن ، لأن آلات القطع موضوعة على أصل الشجر ، مع أن أناة الله لا زالت تنتظر ، وكل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار . هذا هو حكم الله غير المتغير عندما يدين شعبه (أنظر رؤ ٢ : ١ — ١٠) .

« أنا أعمدكم بماء للتوبة . ولكن الذى يأتى بعدى هو أقوى منى الذى لست أهلا أن أحمل حذاءه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار . الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره ويجمع قمحه الى المخزن . وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (ع ١١ و ١٢) . من قول الرسول عن الشعب قديماً « اعتمدوا لموسى فى السحابة وفى البحر » (١ كو ١٠ : ٢) . ومن قول الفريسيين للمعمدان « فما بالك تعمد إن كنت لست المسيح ولا إيليا ولا النبى ؟ » (يو ١ : ٢٥) ومن قول اليهود عن الرب يسوع انه « يصير ويعمد تلاميذ أكثر من يوحنا » (يو ٤ : ١) ، يبدو أن اليهود كانوا يعرفون المعمودية كعلامة تخصص المعمدين كأتباع وتلاميذ للقادة والمعلمين .

واللفظة اليونانية المترجمة « عماد » معان أوسع من العماد لأنها تفيد التغطيس والصبغ ، إلى غير ذلك . غير أن لفظة « عماد » إصطلاح قد اصطلح عليه المسيحيون للدلالة على العلامة التى توضع على من أقر بإيمانه المسيحى جهاراً فلذلك لا نقدر أن نتوسع فيها الى معان مجازية كالأصلية وأما المقابلة هنا فليست بين معمودية يوحنا ، وبين المعمودية المسيحية باسم الآب والابن والروح القدس ، بل هى بين معمودية التوبة الجارية على يد يوحنا وبين ما سيجرى على يد الذى هو أقوى وأكثر أهلية منه . كان يوحنا يعمد بماء للتوبة ، أى أنه عمدهم لكونهم تائبين ، أو نظراً إلى توبتهم . وأما يسوع فيستطيع أن يعمد لا بالماء فقط ، بل أيضاً بالروح القدس ونار ، فيعمد بشيئين ، أو يجرى عملين ، وهذا برهان على أفضلية شخصه .

فأولاً ــ يعمد بالروح القدس ، أى يمنحه للمؤمنين به ، مخصصاً إياهم بنواله كجسد واحد له . وهذا ماصار بعد صعوده إلى السماء (أنظر يو ٧ : ٣٧ ــ ٣٩ ، ١٦ : ٧ ، أع ١ : ٤ و ٥ ، ٢ : ٤و١٨و٣٨، ٥ : ٣٢ ، ١ كو ١٢ : ١٣) . هذه وشهادات أخرى تصرح بأن هذه المعمودية ، أو العطية ، هى للمؤمنين فقط . وتعطى لهم من المسيح بعد تمجيده . وإن كان للروح القدس عمل أيضاً فى غير المؤمنين إذ يبكتهم على الخطية (يو ١٦ : ٨ ــ ١١) ولكن هذا لايقال عنه معمودية .

ثانياً ــ يعمد بنار أيضاً . أى أنه يجرى الدينونة « الآب لايدين أحداً بل قد أعطى كل الدينونة للابن » (يو ٥ : ٢٢) . والنار كناية عن إجراء الغضب أو الدينونة . راجع الكلام الذى نحن بصدده ، فترى أنها مذكورة ثلاث مرات ، متصفة فيها بصفات تؤكد أن معناها الدينونة فإنها تأكل كل شجرة لاتصنع ثمراً جيداً (ع ١٠) ، وتحرق التبن ، ولاتطفأ (ع ١١) . فإذن ، معناها واضح من القرائن[1] .

(١) الألسنة المنقسمة التى كانت كأنها من نار واستقرت على كل واحد من التلاميذ يوم الخمسين (أع ٢ : ٣) كانت حادثة فريدة لم تتكرر ، وتلك الألسنة التى كأنها من نار لم تكن إلا للتعبير عن قوة تأثير كلمة الله التى كانوا سيبشرون بها كل أمة بلسانها (أع ٢ : ٤ ــ ١١ ، ١٠ : ٤٦) فهذه الألسنة لم يكن تأثيرها النارى على المعتمدين بالروح بل على السامعين لاقتيادهم لإدانة ذواتهم (انظر أع ٢ : ٣٧ ، ار ٢٣ : ٢٩) . هذا فضلا عن أن إرسالية المعمدان وخدمته لإسرائيل ليس لها أدنى علاقة بالتبشير بالإنجيل للأمم بألسنتهم . فالنار المذكورة فى كرازته لاتمت بصلة إلى الألسنة ولا إلى معمودية الروح بل هى معمودية الدينونة أو الحرق للتبن وهذا بالمباينة مع معموديته هو بالماء للتوبة ومعمودية الروح لجمع القمح إلى المخزن . ولذلك لما كان المسيح يعد المؤمنين بنوال الروح القدس لم يعدهم قط بنار إذ قال « وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزياً آخر ... روح الحق » (يو ١٤ : ١٦ و ١٧) » إن لم

« الذى رفشه فى يده وسينقى بيدره » الرفش هو المذراة) . ويكنى بالبيدر هنا عن إسرائيل . وتنقيته تجرى استعداداً لعملين آخرين هما جمع القمح إلى المخزن ، وإحراق التبن بنار لا تطفأ . فاذن معمودية الروح القدس هى لأبناء الملكوت (مت ١٣ : ٣٨) أو المؤمنين ، المكنى عنهم بالقمح ، وقد تم ذلك من يوم الخمسين فصاعداً ، حين أعطاهم المسيح المجد الروح القدس وضمهم معاً ككنيسة له ، مفرزاً إياهم عن الأمة غير التائبة ، السائرة بخطوات سريعة الى الدينونة (أع ٢ : ٤٠ ــ ٤٧) .

وقد جرت تلك التنقية أولا بخدمة المسيح ، ثم بخدمة رسله وخدامه ، فى وسط اسرائيل ، لأنها كانت تهيىء البقية التائبة لقبول الروح القدس ، وتترك الآخرين بلا

انطلق لا يأتيكم المعزى » (١٦ : ١٧) « وأما متى جاء ذاك روح الحق » (ع ١٣) « يوحنا عمد بالماء أما أنتم فستعمدون بالروح القدس » (أع ١ : ٥) « ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم » (ع ٨) . والرسول بطرس أيضاً لم يعد الذين يؤمنون إلا بالروح القدس ولم يعدهم قط بنار إذ قال « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس » (٢ : ٣٨) أما يوحنا المعمدان فى أقواله عن الروح القدس والنار فلم يكن موجهاً خطابه للمؤمنين بل للأمة الاسرائيلية جمعاء داعياً إياها للتوبة واعداً التائبين بمعمودية الروح ومهدداً غير التائبين بمعمودية النار . ولذلك يقول « والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر » أى كل أفراد الامة « كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار » (ص ٣ : ١٠) وهكذا خاطب الرسول بطرس الأمة الاسرائيلية يوم الخمسين واعداً الذين يتوبون ويؤمنون بمعمودية الروح القدس فى قوله « وهذا ما قيل بيوئيل النبى . يقول الله ، ويكون فى الأيام الأخيرة انى أسكب من روحى على كل بشر » (أع ٢ : ١٦ و ١٧) ومهدداً الذين لا يؤمنون بمعمودية النار أو بالدينونة فى قوله « واعطى عجائب فى السماء من فوق وآيات على الأرض من أسفل دما وناراً وبخار دخان تتحول الشمس الى ظلمة والقمر الى دم قبل أن يجىء يوم الرب العظيم الشهير » (ع ١٩ و ٢٠) .

عذر ، للقصاص الذى استوجبته خطاياهم . لا أقول أن الحزن بحصر اللفظ كناية عن الكنيسة ، أو عن السماء ، أو عن الملك ، إنما يكنى به عن حفظ القمح على وجه الإطلاق بأى شكل وفى أى زمان .

معمودية المسيح

(ع ١٣ ـ ١٥ ، مرقس ١ : ٩ ـ ١١ ، لوقا ٣ : ٢١ ـ ٢٣)

« حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن إلى يوحنا ليعتمد منه ولكن يوحنا منعه قائلا أنا محتاج أن أعتمد منك وأنت تأتى إلى ؟ فأجاب يسوع وقال له اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر . حينئذ سمح له » . (ع ١٣ ـ ١٥) .

كانت معمودية يوحنا للتوبة فلما حضر المسيح ليعتمد منه منعه إقراراً بعظمة شخصه قائلا « أنا محتاج أن أعتمد منك » . لنلاحظ الفرق بين ماجاء فى أنجيل متى وما جاء فى انجيل يوحنا . فإن متى لا يذكر شهادة يوحنا المعمدان المسيح كحمل الله . وابن الله انظر يو ١ : ٢٩ ـ ٣٤ حيث يقال أيضاً « وأنا لم أكن أعرفه لكن الذى أرسلنى لأعمد بالماء ذاك قال لى الذى ترى الروح نازلا ومستقراً عليه فهذا هو الذى يعمد بالروح القدس . وأنا رأيت وشهدت أن هذا هو ابن الله » . وأما فى متى فنرى أن يوحنا عرفه قبل حلول الروح القدس عليه واعترف بأفضلية شخصه . فيوجد فرق بينهما ، ولكن ليست هناك مضادة أو اختلاف . كان يوحنا المعمدان قد عرف المسيح من قبل ولكن ليس فى صفته كالمسيح أو كابن الله ، بل كالإنسان البار ، وامتنع عن أن يعمده بالنظر إلى أفضلية شخصه عليه . وهذا قبلما رأى الروح نازلا ومستقراً عليه ، لكنه عاد وخضع لقول الرب « اسمح الآن لأنه هكذا يليق بنا أن نكمل كل بر » أى كل ما فرض على كل منهما فى خدمته . كانت الخطية هى السبب فى تعميد الآخرين ، أما هو فلتكميل كل بر . لأنه طلب المعمودية خضوعاً لإرادة الذى أرسله كما عمل جميع أعماله الأخرى . فنرى الرب هنا آخذاً

مقامه الجهارى بين الناس ، أو بالحرى بين التائبين فى إسرائيل . كان ابن داود ، ابن ابرهيم ، ولكنه لم يطالب بحقوقه الملكية أولا ، بل اتخذ مقاماً وضيعاً فى وسط الذين اعتمدوا بمعمودية التوبة . صار هؤلاء أشجاراً جيدة ، وأول ثمر ظهر فيهم هو توبتهم ، واعترافهم باعتمادهم بأنهم يستحقون القطع ويلتمسون الحياة . لقد عملت فيهم نعمة الله ، وصادق المسيح على هذا العمل ، إذ رافقهم كممثل لهم فى الطريق التى قادهم الروح القدس فيها . انظر كلامه بروح النبوة فى مز ١٦ حيث يتكلم كانسان خاضع لله ومتوكل عليه « احفظنى يا الله لأنى عليك توكلت . قلت للرب أنت سيدى خيرى لا شيء غيرك . القديسون الذين فى الأرض والأفاضل كل مسرتى بهم » (ع ١ و ٢) . فقد كان القديسون هم التائبين المرتعدين من كلام الله . والذين نظر إليهم الله بعين المسرة (اشعيا ٦٦ : ٢) . وهكذا نظر إليهم يسوع وانضم إليهم وأخذ مقامه فى وسطهم ليقودهم ويعتنى بهم كالراعى الصالح الذى دخل من باب الخراف . وإذ كمل كل ما فرض عليه أخذ البواب يفتح له . ونبّه الخراف لكى تسمع له (يو ١٠ : ٢ و ٣) كان هو الرب يهوه . صاحب البيدر . والعتيد أن ينقيه . ولكنه أظهر لطفاً لا يوصف نحو التائبين ، وطول أناة نحو الآخرين . كان يوحنا قد حضر طالباً ثمراً من إسرائيل تلك التينة المكتسية ورقاً ، ولكنها عديمة الثمر (ص ٢١ : ١٩) وعاش منفصلا عنهم لسوء حالتهم . ولم يختلط معهم ، لئلا يظهر كأنه مثلهم . وأما يسوع فكان يستطيع أن يمس الأبرص . وعوضاً عن أن يتنجس به ، يطهره (ص ٨ : ٣) .

« فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء وإذا السموات قد انفتحت له فرأى روح الله نازلا مثل حمامة وآتياً عليه وصوت من السماء(*) قائلا هذا هو ابنى

(*) سمع صوت الآب مرة أخرى على جبل التجلى (ص ١٧ : ٥) . وفى أورشليم قبل الصليب (يو ١٢ : ٢٨ و ٣٠) .

الحبيب الذى به سررت »[1] (ع ١٦ و ١٧) .

لما اعتمد يسوع انفتحت له السموات ، شهادة لرضاها عنه . لم تكن قد انفتحت قبل ذلك لإنسان على الأرض ، لأنه لم يوجد أحد من البشر ، أمكن لله أن ينظر إليه بالرضى التام ، إلى أن وقف أمامه ابنه الحبيب ، إنساناً وديعاً مطيعاً ، وبلا خطية «الرب من السماء أشرف على بنى البشر لينظر هل من فاهم طالب الله » وشهد ان «الكل قد زاغوا معاً وفسدوا . ليس من يعمل صلاحاً ، ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ١ — ٣) . صحيح ان نعمته قد عملت فى البعض وأنتجت أثماراً نفيسة ، ولكن الفضل لها ، وليس لهم . وأما انفتاح السموات ليسوع ، فهو شهادة لكمال شخصه وللنسبة الفريدة التى له مع الآب كابنه الحبيب . لم تصيره السموات كاملاً

(١) هذه العبارة وردت فى مز ٢ : ٧ « انت ابنى » وهى كذلك فى (مرقس ١ : ١١ ، لو ٣ : ٢٢) وتدل على بنوته الالهية منذ الأزل . وهى فى المزمور متبوعة بالقول « أنا اليوم ولدتك » ، وفى انجيل متى متبوعة بالقول « الحبيب الذى بك سررت » . وهما كتفسيرتين لبعضهما الشهادة لكماله كالانسان الوحيد المولود فى الزمان بنوة الروح القدس ، هذا الكمال الذى هو أساس مسحته بالروح هنا لكهنوته فى موته كفارة على رتبة هرون مقدم الكفارة . (عب ٥ : ١ — ٥ ، ٢ : ١٤ — ١٧) ولكهنوته فى مجده شفيعاً على رتبة ملكى صادق (عب ٧ : ١٤ — ١٧ و ٢٥ و ٢٦) . فكالانسان الكامل هو الذبيحة الكاملة (لا ٢٢ : ٢٠ — ٢٢ ، ١ بط ١ : ١٩ ، عب ٩ : ٢٦ ، يو ١ : ٢٩ — ٣٦) والكاهن الكامل (لا ٢١ : ١٦ — ٢٣ ، عب ٧ : ٢٦) . على أن ربنا يسوع لم يمسح ككاهن فقط ، وهذا طبقاً لانجيل لوقا بل أيضاً كنبي ، وهذا طبقاً لانجيل مرقس . وكملك . وهذا طبقاً لانجيل متى . ولأنه فى انجيل متى ملك اليهود قيل عنه « يخلص شعبه من خطاياهم » (ص ١ : ٢١) . لأنهم عند ما يتوبون اليه فى نهاية الأيام يكون لهم على عرشه ملكاً وكاهناً للبر والسلام (زك ٦ : ١٢ — ١٤ ، مز ٨٥ : ٨ — ١٣) وهذا بسبب دم ذبيحته المرشوش على عرش الله (لا ١٦ : ٢ و ١٤ و ١٥ ، عب ١ : ٣ ، ١٠ - ١٢) .

ولم ترفعه إلى هذه النسبة ، بل وجدته هكذا . فصادقت عليه . كانت هناك شهادات له من قبل الله عندما حبل به ، ثم بعد ولادته أيضاً . وأما الشهادة المذكورة هنا . فصارت له لما أخذ مقامه علانية بين التائبين فى إسرائيل وهو ابن الله الوحيد القدوس تمييزاً له عن أولاد آدم الخطاة .

حل عليه الروح القدس بهيئة ظاهرة . للدلالة على كيفية خدمته . لقد مسحه الله مسحة خصوصية استعداداً لهذه الخدمة (اع ١٠ : ٣٨) لأنه لم يفعل شيئاً من نفسه كانسان . بل استمد كل قوته من الآب (انظر يو ٦ : ٢٧) .

يسمى حلول الروح القدس عليه « مسحة » بالنظر إلى خدمته . ويسمى أيضاً « ختماً » باعتبار كونه مصادقة الله عليه كابنه .

ونحن أيضاً نعتمد بالروح القدس . ولكنه إنما يسكن فينا إكراماً لعمل الفداء بدم المسيح . وليس شهادة لصلاحنا بتة . ويقال لسكناه فينا « مسحة » « وختم » أيضاً فيصير فينا المسحة الثابتة . لتعلمنا كل شيء . وتقوينا لكل عمل صالح (١ يو ٢ : ٢٧ ، ٢ كو ١ : ٢١) . وختماً أيضاً باعتباره مصادقة الله علينا كأبنائه (٢ كو ١ : ٢٢) ، وعربوناً لتغيير أجسادنا ودخولنا الميراث (اف ١ : ١٣ و ١٤ ، ٤ : ٣٠ ، ٢ كو ٥ : ٥) .

واضح أننا نصير أولاد الله بالولادة الثانية من فوق انظر يو ١ : ١٣ ، ٣ : ١ - ٨ وشهادات أخرى كثيرة . وعند صيرورتنا أولاداً ، يضع الله فى الحال ختمه علينا ، ليكون فينا « روح البنوة » . ولكى يميزنا عن العالم « ثم بما أنكم أبناء أرسل الله روح ابنه إلى قلوبكم صارخاً يا أبا الآب » (غل ٤ : ٦ ، أف ١ : ١٣ و ٤ : ٣٠) لم يكن الروح القدس فى سيدنا المبارك كروح البنوة . لأنه كان بذاته الابن الوحيد للآب منذ الأزل . وكان على علم تام بنسبته للآب قبل حلول الروح القدس عليه كانسان (انظر لو ٢ : ٤٩) . أما نحن فكنا أبناء الغضب

بالطبيعة ، وعندما نصير أولاد الله بالميلاد الثانى تُعطى الروح القدس فى الحال ليؤكد لنا نسبتنا الجديدة مع الله (غلا ٤ : ١ - ٧) .

لم يقبل الكتاب أيضاً أن الروح القدس حل على المسيح « كعربون » ، لأنه عرف أن المجد والميراث له . وأما نحن فنحتاج إليه كعربون لكى يحقق لنا أن المجد والميراث محفوظان لنا ونحن محفوظون لهما . (أف ١ : ١٤ ، رو ٨ : ١٦ و ١٧) .

وأيضاً ، لما حل على المسيح ، اتخذ هيئة جسمية ، مثل حمامة للدلالة على طهارته ومحبته ووداعته ، ووصفاً لخدمته وذبيحته ولكن لما حل على التلاميذ يوم الخمسين ظهرت لهم ألسنة منقسمة كأنها من نار . وهذا ، كان دلالة على وظيفته فيهم لنشر بشارة الخلاص لكل إنسان بلغته ، وبطريقة تبكته على خطاياه (اع ٢ : ٣٧ ، ار ٢٣ : ٢٨ و ٢٩) .

« وإذا السموات قد انفتحت له » انفتاح السموات مذكور أربع مرات .

أولا : عند معمودية يسوع المسيح ، حيث نراه كابن الله ، إنساناً على الأرض آخذاً مقامه بين التائبين فى إسرائيل . انفتحت له لأنه موضوع مسرتها . لم تقدم له غرضاً لكى ينظر إليه كأنه يحتاج إلى غرض سماوى لكى يتمثل به . أما نحن ، إذا نظرنا إلى السماء ، فلأننا نحتاج إلى منظر ، أو غرض ، ننظر إليه فيها ، ونسعى وراءه ، ونتمثل به (٢ كو ٣ : ١٨ ، فى ٣ : ٢٠) . فالسموات إنما تنفتح لنظر إيماننا ، لكى تريناً هناك ما ينظر إليه . وأما يسوع فانفتحت له لكى تنظر هى إليه كمنظر عجيب فريد على الأرض تجد فيه سرورها .

ثانياً : كانت السموات مفتوحة عليه كابن الإنسان صاحب كل السلطان فى السماء والأرض ، والملائكة والسلاطين مخضعة له (يو ١ : ٥١ قابل أيضاً عب ١ : ١٤ ، ١ بط ٣ : ٢٢) لأن الملائكة إنما يمارسون خدمتهم إطاعة لأمره . ويعرف ذلك بالإيمان كقوله « الحق الحق أقول لكم من الآن ترون السماء مفتوحة وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان » .

ثالثاً : قال استفانوس وهو ممتلىء من الروح القدس «ها أنا انظر السموات مفتوحة وابن الإنسان قائماً عن يمين الله » (اع ٧ : ٥٦) فلم تكن السموات مفتوحة لتشهد شهادة لاستفانوس ، أو لتراه ، بل لكي تريه الرب يسوع فى المجد كالغرض الوحيد لنظر إيمان قديسيه وهم على الأرض .

رابعاً : نرى الرب يسوع فى (رؤ ١٩: ١١ — ١٦) خارجاً من السماء المفتوحة كملك الملوك ورب الأرباب لكى يدين ويصنع حرباً مع عظماء الأرض الذين رفضوا سلطانه .

صحيح أنه قيل فى (حز ١ : ١) أن « السموات انفتحت » ولكن كان ذلك فى « رؤى الله » فقط ، كما يوضح لنا ذلك النبي نفسه . فهو قد رأى الله فى صفاته كإله القضاء . وعلى ذلك فلانفتاح السموات كشهادة لشخص المسيح ، وأمجاده ، معنى هام حسب كلمة الله .

لقد انفتحت السموات لإيماننا ، لا بل قد صرنا بالروح القدس ، المعطى لنا ، متحدين مع ذلك الذين اجتاز السموات (عب ٤ : ١٤ ، ٧ : ٢٦ ، أف ٤ : ١٠) وجلس عن يمين الله (أف ١ : ٢٠ ، ٢ : ٦) ، وبينما هو هناك ، ونحن على الأرض ننظر إليه بوجه مكشوف ، ونتغير إلى تلك الصورة عينها (٢ كو ٣ : ١٨) ، لأنه هو غرضنا الوحيد الذى ننظر إليه ونتمثل به . وله الفضل والتقدم فى كل شيء .

أخيرا أقول أن تثليث الاقانيم الإلهية لم يعلن اعلانا كاملا واضحاً قبل معمودية ربنا يسوع المسيح . لاننا نرى هنا ، الآب ، والابن ، والروح القدس ؛ مذكورين معاً ، ومنتسبين بعضهم لبعض ، ولكل منهم عمل . كان الابن على الارض ، الله ظاهرا فى الجسد . والآب يشهد له بصوت مسموع من السماء ، وروح الله نازلا بهيئة جسمية ليستقر عليه .

لاشك ان الروح القدس مذكور كثيرا فى العهد القديم . ولكن ليس فى علاقته بالتثليث ، لان القصد الاول للوحى حينذاك هو أن يعلن وحدة الله . وهذا

ذلك لم يعلن الله نفسه قبل التجسد إعلاناً تاماً . بل جزئياً فقط ، لأنه لم يكن فى الإمكان أن يعلن الله إعلاناً تاماً قبل أن يصير الكلمة جسداً . لقد صار الحق والنعمة أيضاً ، بيسوع المسيح (يو ١ : ١٧) والحق هو النور الكامل الذى يعلن لنا الله فى حقيقته كالمثلث الأقانيم . ويظهر أيضاً حالة الإنسان كما هى . فنقدر أن نقول أن أول مرة أعلن الله فيها نفسه إعلاناً تاماً كانت هذه المرة التى أعلن فيها ذاته كالمثلث الأقانيم .

لقد أعلن الله نفسه قبل ذلك من حيث الوحدة بالمباينة مع الآلهة الكاذبة الكثيرة . وأما الثالوث ، الكائن فى الوحدة ، فلم يكن ليعرف إلا بحضور الإبن وإذ أعلن الله لنا ثالوثه الأقدس فى الكتاب المقدس ، وهو جوهر المعتقد المسيحى . فنحن نقبله بالإيمان ، لا بالعقل ولا نبحث فيه ، كأننا نقدر أن ندركه . لأنه يفوق إدراكنا (قابل أى ٣٦ : ٢٦ ، ٣٧ : ٢٣ ، أم ٣٠ : ٤ ، مت ١١ : ٢٥ - ٢٧) .

الاصحاح الرابع

تجربة المسيح فى البرية (ع ١ — ١١)

(قابل مرقس ١ : ١٢ و ١٣ ، لوقا ٤ : ١ — ١٣)

« ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح القدس ليجرب من إبليس . فبعد ما صام أربعين نهاراً وأربعين ليلة جاع أخيرا » (ع ١ و ٢)

لما اتخذ الرب يسوع مكانه علانية كانسان فى وسط إسرائيل ، حل عليه الروح القدس ليمسحه مسحة خصوصية لأجل خدمته وكان مفروضاً عليه أن يواجه إبليس كالمجرب ، لأنه كان قد جرب الإنسان الأول وأسقطه فهل يا ترى يستطيع أن يسقط الإنسان الثانى ؟ فقاده روح الله إلى البرية ، كان آدم الأول وقت تجربته فى جنة عدن ، محاطا ببركات الله التى من شأنها أن تذكره بخالقه الحنان. وأما آدم الأخير فكان وقت تجربته فى البرية مع الوحوش ، حيث كانت ظروفه تذكره بخطية الانسان الاول وعواقبها المحزنة .

كان كل من موسى وإيليا قد صام مدة أربعين يوماً (خر ٣٤ : ٢٨ ، ١ مل ١٩ : ٨) . ولكن يوجد فرق عظيم جدا بين صومهما وصوم ربنا المبارك لانهما كانا بشراً مثلنا ، لا يمكنهما ان يعيشا دائماً قريبين إلى الله بسبب الضعف البشرى ومعطلات الشركة الناتجة من تموجات الفساد الداخلى . فلما قصدا ، والحالة هذه ، ان يقتربا الى الله ، صاما لكى ينفرزا عن الناس من جهة ، وعن ما يلهيهما عن الشركة مع الله ، من جهة أخرى ، حتى يكونا معه تعالى على نوع فوق العادة . وأما ربنا يسوع ، فكان مع الله دائماً ، ولا يوجد شىء من الداخل أو من الخارج يستطيع أن يعيقه عن الشركة . انما انفرز فقط عن الناس مدة صومه لكى يواجه المجرب فى ظروف تجعل أمامه باباً مفتوحاً لتجربته كانسان ، ذلك المجرب ، الذى هو عدوه

وعدونا ، والذي يمكنه أن يحاربنا ويغوينا في أية حالة ، سواء كنا صائمين أو غير صائمين . وأما تجربة الرب فكانت جزءاً من الخدمة المفروضة عليه لإظهار كماله كإنسان . ومهما اجتهد المجرب ضده ، فقد ظل الشر شيئاً خارجاً عنه بحيث لم يوجد داخله ، له المجد ، ما يتجاوب مع الشر ، أما نحن فعلى خلاف ذلك إذ أنه يوجد داخلنا ما يتجاوب مع الشر ، فكان ينبغي أنه يمتحن امتحاناً تاماً لكي يظهر ماهو في حقيقة شخصه كالقدوس ، وأنه يستمر مطيعاً لله ، ولا يطلب إلا مشيئته مهما كانت هذه الطاعة من نتائج . وذلك أيضاً في وسط وحشة البرية والمشقات التي من شأنها أن تجعل الإنسان يطلب لنفسه سبيلا أيسر من مشيئة الله .

« جاع أخيراً » (ع ٢) وليس الجوع خطية ، غير أنه صار فرصة للمجرب .

« فتقدم إليه المجرب » (ع ٣) . كانت التجارب مستمرة كل مدة الصوم (مر ١ : ١٣ ، لو ٤ : ٢) ، ولكن الجوع في نهاية المدة صار فرصة لتجربة عنيفة ظن العدو أنها ستكون الموقعة الفاصلة .

« إن كنت ابن الله فقل أن تصير هذه الحجارة خبزاً » . لما كان الله قد أعلن عن المسيح أنه ابنه الحبيب أتاه المجرب من هذا الباب ليحمله ، إن أمكن ، على أن يستعمل حقوقه أو قدرته الشخصية للتخلص من الجوع ، بدون أمر من الله ، ولكنه لم يأت ليفعل مشيئة نفسه ، بل مشيئة الذي أرسله .

« فأجاب وقال مكتوب ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » (ع ٤) . طلب منه المجرب أن يأمر ، فأجابه السيد بما معناه ، أنا لست هنا لآمر ، بل لأطيع (عب ٥ : ٨) ، وليس لدى من الله أمر لأصير الحجارة خبزاً ، وليست المسألة ، ما أستطيع أن أفعله ، بل ما يريدني الله أن أفعله . إن المأكل الحقيقي ليس هو الخبز ، بل العمل بحسب مشيئة الله . (يو ٤ : ٣٤) .

نرى هنا ما هي الطاعة الكاملة ، كيف أنها تقوم بعدم تحرك الإرادة إلا بموجب أمر من الله . إن كانت تتحرك الإرادة الذاتية في ولد مثلا ، ويحاول أن يعمل عملا

ما، ثم نهاه أبوه عن ذلك، فامتنع امتثالا لأمر أبيه، فتحسب ذلك طاعة، وهو كذلك. أما طاعة سيدنا فلم تكن من هذا القبيل لأن إرادته لم يكن فيها شيء مضاد لإرادة الله يحتاج إلى أمر من الله لردعها.

« ثم أخذه إبليس إلى المدينة المقدسة، وأوقفه على جناح الهيكل. وقال له إن كنت ابن الله فاطرح نفسك إلى أسفل. لأنه مكتوب أنه يوصي ملائكته بك. فعلى أياديهم يحملونك لكي لا تصدم بحجر رجلك. قال له يسوع مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك » (ع ٥ — ٧).

جرى هذا العمل حقيقة، إذ سمح الرب يسوع لإبليس أن يأخذه من البرية « موضع التجربة الأولى إلى جناح الهيكل في أورشليم. وكان قصد المجرب من قوله « اطرح نفسك إلى أسفل » أن ينوي الرب يسوع على أن يمتحن صدق كلمة الله » ليرى هل الله صادق أم لا. واقتبس لذلك شهادة جميلة من الكتاب في شأن محافظة الله على المتكل عليه (مز ٩١: ١١ و١٢). قال العدو « إن كنت ابن الله اطرح نفسك إلى أسفل » وبذلك تتحقق أن الله معك. ولكن يسوع كان متحققاً أن الله معه وأن أقواله صادقة، دون أن يجرب ذلك بطرحه نفسه إلى أسفل. فأجاب وقال «مكتوب أيضاً لا تجرب الرب إلهك». فالرب إنما اقتبس هذا الكلام باعتبار القانون أو الدستور له كإنسان متكل على الله وخاضع له، وغير مرتاب في حقيقة كونه معه. لأن التردد في تصديق الله، أو الشك في صدق كلمته، ينتج من عدم الإيمان. كان بنو إسرائيل قد جربوا الله في البرية إذ قالوا « أفي وسطنا الرب أم لا ؟ » (خر ١٧: ٧) لأنه كان في وسطهم ليعتني بهم ولم يصدقوا. ولكون نحن مثلهم إذا كنا نرتاب في حضور إلهنا معنا واعتنائه التام بنا.

لنلاحظ أيضاً خبث الشيطان الظاهر من سوء اقتباسه كلام الله، فإنه اقتبس جزءاً من هذه العبارة، وترك جزءاً آخر، فإن أصل الوعد «لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك»، فقد حذف المجرب الجزء الأخير «لكي يحفظوك

فى كل طرقك » لأن لنا طرقاً معينة من الله ، وما دمنا نسلك فيها يمكننا بضمير صالح أن نتكل عليه كل الاتكال . ولكن إذا حدنا عنها واخترعنا لأنفسنا طرقاً أخرى ، فلا يكون الله معنا فيها (٢أى ١٥: ٢) . لقد طرح دانيال مثلا فى جب الأسود حسب إرادة الله فحفظه ، ولكنه لم يكن من الأمور الجائزة أن يطرح هو نفسه إلى هناك ليجرب الله أيحفظه أم لا .

« ثم أخذه أيضاً إبليس إلى جبل عال جداً وأراه جميع ممالك العالم ومجدها وقال له أعطيك هذه جميعها . إن خررت وسجدت لى . حينئذ قال له يسوع اذهب ياشيطان لأنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد . ثم تركه إبليس وإذا ملائكة جاءت فصارت تخدمه » (ع ٨ — ١١) .

فى التجربتين السابقتين لم يظهر إبليس كخصم مضاد لله مضادة علنية أو مكشوفة . بل ظهر أولا كأنه يطلب فقط من المسيح برهاناً على كونه ابن الله . وثانياً ، كأنه يحمله إلى إثبات صدق الله . أما فى هذه التجربة الثالثة ، فقد انكشف أنه العدو ، طالباً ، إن أمكنه ، أن يفسد الإنسان الثانى ، إذ أنه بكيفية عجيبة لا ندركها أراه فى لحظة ممالك العالم ومجدها (لو ٤: ٥) وعرض عليه أن يملكه عليها ، اذا سجد له . فعند ذلك طرده المسيح حالاً قائلا « اذهب ياشيطان » ثم اقتبس شهادة على وجوب تقديم السجود لله وحده . فان بين الله والعالم مضادة كاملة ، ومن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله (يع ٤: ٤) وأكبر تجربة يمكن لإبليس أن يجرب الإنسان بها ، هى العالم . ومعلوم أننا بكل سرعة معرضون إلى السقوط فى هذا الفخ . فلما لم يقدر إبليس أن يغوى المسيح بالتجربتين السابقتين باستعماله له كلمة الله ، استعمالا سيئاً ، مستتراً بهذا الستر الجميل لإغواء القلب المطيع ، خلع ستره وقدم له العالم ولكن المسيح لم يشأ أن يقبله منه بتة . لاشك أنه وعد به من الآب (مز ٢: ٧ — ٩) ، وسيمتلكه فى الوقت المعين (رؤ ١١: ١٥) ، لأنه كابن الإنسان ، وآدم الأخير ، سيرث كل شىء (مز ٨ ، عب ٢ :٥ — ٩) ولكنه سيمتلكه بالحق ، جزاء له من الله على

طاعته الكاملة ، حتى الموت موت الصليب (أنظر فى ٢ : ٥ — ١١) ولم يخطر على باله ، ولو الى لحظة ، أن يلبس إكليل المجد بدون أن يلبس أولاً إكليل الشوك . كان العدو قد أغوى ملوك الأرض أن يسجدوا له لأجل جزء صغير من العالم . ولكنه عرض على يسوع الكل . كان قلب الرب يسوع متعلقاً بالآب وحده ، لا بالعطايا مهما كانت . كثيراً ما نتمنى نحن البركات دون أن نفتكر فى شخصه المبارك ، ونود أن نتمتع بعطايا المعطى ، بينما هو نفسه بعيد عن أفكارنا ، بخلاف سيدنا الذى كان يجعل الله نصيبه ، حاسباً أن سروره الأعظم هو أن يرضيه (مز ٤٠ : ٦ — ٨ ، عب ١٢ : ٢) عدا ذلك فانه كان قد اتخذ مكانه بين التائبين من إسرائيل ، شعبه الذين وجدوا وقتئذ فى الظروف المرة الناتجة عن خطاياهم . فلم يمتنع عن أن يعيش بينهم فى تلك الظروف . التزم أن يهرب الى مصر بسبب ظلم ملكهم الكاذب ، ومع ذلك استمر فى صبر . اسرائيلياً حقاً ، لا يعبد إلا الرب إلهه وحده .

إن سلامتنا من تجارب إبليس تتوقف على انشغالنا بكلمة الله وخضوعنا لها . إن كنا لا نقصد إلا مجد الله ونحن سالكون فى طرق الله ، لا يقدر علينا العدو ، لأنه إنما يعرض علينا أن نعمل ما يؤول إلى إشباع الشهوات ، أو تعظيم الذات . « لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة . ليس من الآب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته . وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد » (١ يو ٢ : ١٦ و ١٧) إن كنا فى شك من جهة عمل ما ، فكثيراً ما تنكشف لنا حقيقته بهذا السؤال ، أهذا العمل من الآب أم لا ؟ إن انتصار إبليس على الإنسان الأول كان بطريق إغوائه أن يشتهى شيئاً خلاف مشيئة الله ، فلما أغويت المرأة « رأت أن الشجرة جيدة للأكل وانها بهجة للعيون وأن الشجرة شهية للنظر فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل » (تك ٣ : ٦) . لقد نسيا كلمة الله واشتهيا المنهى عنه فتعديا ومثلهما مثلهما إذا رغبنا شيئاً لذواتنا لكونه يناسب شهواتنا بغض النظر عن مشيئة الله المعلنة فى كتابه المقدس . فإن الفساد دخل الى العالم بالشهوة (٢ بط

٢ : ٤) ولا يزال إبليس يتسلط على الناس بهذه الواسطة نفسها ، لأنه يعرض عليهم كل ما يظهر أنه يؤول إلى تعظيمهم فيستمرون مستعبدين له . فقصد الله ، بعمل نعمته فينا ، أن ينقي قلوبنا ، حتى لا نرغب أو نشتهي إلا مشيئته الصالحة المرضية الكاملة (رو ١٢ : ١ و ٢) « من جهة أعمال الناس فبكلام شفتيك أنا تحفظت من طرق المتعنف » (مز ١٧ : ٤) * .

لنلاحظ أيضاً أن الرب يسوع لم يرفض تجارب إبليس باعتباره الله ، أو كأنه ليس على حالة البشر ، ومن ثم لا يخصه شيء منها ، بل بالعكس حافظ على مركزه كانسان في الظروف التي من شأنها أن تجعله بغيا ويطلب النجاة من الضيق بأسرع ما يمكن . فكم بالحرى لا يليق بنا نحن أن نحاول رفض التجارب كأننا أرفع منها وهي أبعد من أن تنالنا ، أو كأننا في درجة من الصلاح تجعلها لا تمسنا . الحقيقة أنها تمسنا ونحن موضوعون لها لامتحاننا ولا يوجد لنا سبيل للنجاة منها إلا بكلمة الله . وقد تنازل ربنا يسوع المسيح ليكون قدوتنا في ذلك . وإن كانت قلوبنا مطهرة بالكلمة ينكشف لنا أشد فخاخ العدو خداعاً ، العدو الذي يسعى جهده لكي لا يدعنا أن نطلب الله وحده .

لا يخفى أننا لا نحصل على بساطة العين ونقاوة القلب إلا بالنعمة فقط . بخلاف ربنا يسوع المسيح الذي كان بذاته طاهراً ، وقدوساً ، ليس فيه أدنى ميل إلى شيء يخالف إرادة الذي أرسله فعبثاً حاول المجرب أن يجعله يستعمل حقه وقوته كابن الله ليصير الحجارة خبزا للتخلص من جوعه كابن الإنسان . وعبثاً حاول أن يحمله على أن يجرب الله ليتحقق هل هو معه أم لا . لأن اتكاله عليه كان كاملا ، وثقته فيه تامة ، بدون حاجة الى تجربة . وعبثاً عرض عليه ممالك العالم ومجدهن ، لأنه ، تبارك اسمه ، عرف انها ستكون له في الوقت المعين ، حين يملك كابن الإنسان ملكا مجيداً على الكل ، مع أنه التزم أن يصبر ويتمم كل ما يعين له حتى يأتي ذلك الوقت .

* المتعنف هو من يعامل الآخرين بالعنف والقسوة .

أخيراً، لغلاحظاهمية وكفاية كلمة الله وقوتها . لأن ربنا يسوع المسيح ، مع أنه كان الله ظاهراً فى الجسد ، وكان فى استطاعته أن يجيب بأجوبة جديدة وسديدة من عنده فى مصارعته مع إبليس كالمجرب، لم يمتنع عن استعمال كلمة الله المكتوبة للانسان وكانت شهادة واحدة منها كافية لإخراس العدو وردعه. وهكذا الأمر معنا فى هذا الجهاد . على أنه ينبغى لنا أن نستعمل الكلمة فى محلها ، وبالاتكال التام عليها ككلمة الله ، وبعين بسيطة وقلب نقى ، وليس لغايات ذاتية ، أو لأجل الافتخار والتظاهر بالغلبة وقت مماحكة الكلام .

انصراف المسيح من اليهودية الى الجليل وخدمته فى كفر ناحوم

(ع ١٢ — ٢٥ قابل مر ١ : ١٤ — ٣٠ ، لو ٤ : ١٤ و ١٥)

« ولما سمع يسوع أن يوحنا أسلم انصرف الى الجليل . وترك الناصرة وأتى فسكن فى كفر ناحوم التى عند البحر فى تخوم زبولون ونفتاليم . لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل . أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نوراً عظيماً . والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور . من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقول توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السموات » (ع ١٢ - ١٧) .

لم يبدأ المسيح كرازته بالملكوت فى الجليل إلا بعد أن انتهت كرازة يوحنا بسجنه (أع ١٠ : ٣٧) ولكن كان للمسيح خدمات أخرى ، من نوع آخر ، قام بها أثناء خدمة يوحنا ، ولم يذكرها متى . منها حضوره عرس قانا الجليل، وتحويله هناك الماء خمرا (يو ٢ : ١ — ١١) ، وانحداره الى كفر ناحوم (يو ٢ : ١٢) ، وحضوره الى أورشليم فى عيد الفصح، وتطهيره الهيكل (يو ٢ : ١٣ الخ) وحديثه مع نيقوديموس فى أورشليم (يو ٣ : ١ — ٢١) ، وتعميده فى اليهودية الذين قبلوه، بينما كان يوحنا يعمد فى عين نون (يو ٣ : ٢٢ الخ) ، وحديثه مع السامرية (يو ٤ : ١ — ٤٢) ، وشفاء ابن خادم الملك فى قانا الجليل (يو ٤ : ٤٣ — ٥٤) .

كان يوحنا قد أرسل من الله ارسالية غير عادية لكى يهيء الطريق للمسيح . ولكن كيف قابل شعب الله كرازة عبده يوحنا ؟ ابتهجوا بنوره إلى حين (يو ٥ : ٣٥) ، ثم رفضوه وألقوه فى الحبس (لوقا ٣ : ١٩ و ٢٠) . واضح أن بعض العامة قد استفادوا من خدمته ، ثم انضموا إلى المسيح (يو١ : ٣٥ — ٣٧) . وأما الرؤساء ، مع جانب عظيم من الشعب ، فاستمروا على عصيانهم ولم يتوبوا . وعلى وجه الإجمال لم يكن هناك قبول لخدمته من إسرائيل ، لأنهم لم يحتملوا شهادته الصادقة على سوء حالتهم . وجرى القول بينهم أن به شيطاناً (يو ٨ : ٤٨) . ثم قبض عليه واحد من رؤسائهم وأودعه الحبس . فمنذ ذلك ترك يسوع الناصرة وأتى فسكن فى كفر ناحوم ، التى بسبب سكناه فيها صارت بحسب معناها « مدينة التعزية » طبقاً لنبوة اشعياء ، « أرض زبولون وأرض نفتاليم طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم . الشعب الجالس فى ظلمة أبصر نوراً عظيماً والجالسون فى كورة الموت وظلاله أشرق عليهم نور » . أصل هذه النبوة وارد فى (اشعيا ٩ : ١ و ٢) حيث يشير النبى بقوله « كما أهان الزمان الأول أرض زبولون وأرض نفتالى يكرم الأخير طريق البحر عبر الأردن جليل الأمم » إلى الضيق الشديد الذى حصل للتخوم المذكورة فى زمان ملك أشور . ثم يقابل ذلك الضيق مع الضيق الحاصل بواسطة الرومانيين فى زمان ولادة المسيح (اشعياء ٨ : ١٧ — ٢٢) . ولكنه يقول أن الضيق الثانى سيختلف عن الأول بشروق نور عظيم على الشعب الإسرائيلى الساكن فى تلك التخوم . وهذا النور العظيم يخفف الضيق .

كان اليهود الساكنون هناك فقراء ومختلطين مع الأمم القاطنين هناك . ولذلك احتقرهم اخوتهم القاطنون فى اليهودية . (انظر يو ٧ : ٥٢) . وشهادات أخرى تظهر أن سكان أورشليم واليهودية افتخروا على الجليليين ، بينما كان هؤلاء أقرب إلى قبول نعمة الله منهم . لقد كان جميع إسرائيل كغنم الذبح حين ظهر فى وسطهم

الراعى الصالح (زك ١١ : ٤ و ٧ و ١١) وأما الجليليون ، فكانوا أذل الغنم *

دعوة بطرس واندراوس ويعقوب ويوحنا ع ١٨ — ٢٢

قابل مر ١ : ١٦ - ٢٠ ، لو ٥ : ١ - ١١

« واذا كان يسوع ماشياً عند بحر الجليل ابصر اخوين سمعان الذى يقال له بطرس واندراوس اخاه يلقيان شبكة فى البحر فانهما كانا صيادين، فقال لهما هلم ورائى فاجعلكما صيادى الناس. فللوقت تركا الشباك وتبعاه. ثم اجتاز من هناك فرأى أخوين آخرين يعقوب بن زبدى ويوحنا أخاه فى السفينة مع زبدى أبيهما يصلحان شبهاكهما فدعاهما . فللوقت تركا السفينة وأباهما وتبعاه » . (ع ١٨ — ٢٢) .

يذكر هنا أربعة من رسل الرب أو تلاميذه بحصر اللفظ ، تعرف بهم فى (يو ١ : ٣٥ — ٤٢) ، ودعاهم هنا ، ولكنه لم يعينهم فى وظيفتهم الرسولية (قابل اع

(*) إن صيرورة « أرض زبولون وأرض نفتاليم » ، « جليل الأمم » ، دليل على ما وصل إليه الشعب من ذل وهوان . « زبولون » معناه « ساكن » (تك ٣٠ : ٢٠) ، وعند ساحل البحر مسكنه (تك ٤٩ : ١٣) وكان صورة لشعب الرب الذى كان يسكن وحده « وبين الشعوب (المرموز إليهم فى الكتاب بالبحر) لا يحسب » (عدد ٢٣ : ٩) . ولكنه اختلط بالشعوب وانغمس فى نجاساتهم (مز ١٠٦ : ٣٥ ، هو ٧ : ٨) .

أما نفتالى « فمعناه » « مصارعتى » (تك ٣٠ : ٨) . وكان صورة لشعب الرب فى تمتعه بالحرية بسبب تشدده بالرب إلهه فى مصارعاته (تك ٤٩ : ٢١) أما الآن فقد ترك أمر المصارعات وصار جالساً ، فاستبد به الأعداء .

قال أشعياء عن الشعب « السالك فى الظلمة » (ص ٦ : ٢) ، أما متى ، وقد اقتبس النص من الترجمة السبعينية ، فيقول عنه « الجالس فى ظلمة » (أشعياء ٩ : ٣ حاشية) ، بمعنى أنه أحبها فاستقر فيها (يو ٣ : ١٩) أما النور الذى أشرق عليهم فهو ظهور المسيح لهم كنور الحياة (يو ١ : ٤ و ٩ ، ٨ : ١٢) .

١ : ٢٠و٢٥) وقت دعوتهم وسيذكر تعيينهم مع شركائهم الآخرين فى ص ١٠ .
نرى فى دعوته لهم أمراً خاصاً به وحده ، أى حقه فى أن يجمع أناساً إليه
كرئيسهم ومركزهم فإنه ليس لغيره قط حق فى أن يفصل الناس عن أشغالهم و
بيوتهم ، وأقربائهم ، ليتبعوه . ولم يجمعهم بالإكراه ، بل بكلمته الفعالة فقط .
ولم يزل للآن يدعو خداماً وتلاميذ على هذا المنوال نفسه .

أول جولاته فى الجليل وذيوع شهرته (ع ٢٣ — ٢٥)

قابل مر ١ : ٣٥ — ٣٩و٤٥ : ٧ — ١٢ ، لو ٤ : ٤٢ — ٤٤و٥ : ١٢ — ١٦ ، ٦ : ١٧ — ١٩ .

« وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم فى مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . فذاع خبره فى جميع سوريا . فأحضروا إليه جميع السقماء المصابين بأمراض وأوجاع مختلفة . والمجانين والمصروعين والمفلوجين فشفاهم . فتبعته جموع كثيرة من الجليل . والعشر المدن وأورشليم واليهودية ومن عبر الأردن » (ع ٢٣ — ٢٥) .

ينبغى أن نلاحظ جيداً أن البشير متى يذكر هنا جانباً كبيراً من خدمة الرب بصفة إجمالية بدون التعرض إلى تفاصيلها .

صرف الرب زماناً يجول فى نواحى الجليل يعلم فى مجامعهم ويشفى أمراض الشعب إلى أن ذاع خبره فى جميع سورية ، فعقب ذلك تبعته جموع كثيرة من أماكن مختلفة منتظرين إقامة الملكوت فى الحال بقوة ، فانتهز الفرصة ليخبرهم بالصفات اللازمة لأجل دخول الملكوت . كان يوحنا المعمدان قد أخبرهم أن انتسابهم لإبرهيم لا يؤهلهم للدخول ، بل التوبة القلبية الصحيحة التى تبرهن عليها الأثمار التى تليق بها .
لم يصنع يوحنا آية واحدة (يو ١٠ : ٤٠و٤١) بل كرز فقط . وأما يسوع فقد أظهر مع كرازته قوة إلهية لم يظهر نظيرها من إنسان قبله (يو ١٥ : ٢٤) . لو توقفت

إقامة الملكوت على إجراء القوة فقط لكانت إقامته ممكنة في أية ساعة كانت بحسب انتظار الشعب . ولكنه شدّد على وجوب التوبة (ص ٤: ١٧، مر ١: ١٥ ، لو ١٣ : ١ - ٥) كما فعل يوحنا . ثم أوضح لهم الصفات التي يجب أن يتصفوا بها لكي يمكنهم دخول ملكوته كما سنرى في ص ٥ .

قد ذُكرت إلى الآن ثلاث حوادث رئيسية عظيمة الأهمية وهي : أولاً - اتخاذ ابن الله جسداً . ثانياً - عماده عند ظهوره لإسرائيل . ثالثاً - انتصاره على المجرب الذي به تبرهن على أنه أقوى منه ومن ثم أخذ يسلب أمتعة بيته .

الاصحاح الخامس

الموعظة على الجبل (ص ٥ و ٦ و ٧ مع ٨ : ١)

(قابل لو ٦ : ٢٠—٤٩)

(المقدمة ص ٥ : ١ و ٢)

« ولما رأى يسوع الجموع صعد إلى الجبل . فلما جلس تقدم إليه تلاميذه . ففتح فاه وعلمهم قائلا » (ع ١ و ٢) .

قد سمي كلام سيدنا المتضمن فى الاصحاحات ٥و٦و٧ « الموعظة على الجبل » . ولا بأس فى ذلك ، ولو أن الأفضل تسميتها « مبادىء الملكوت » غير أنه علينا أن نبقى فى بالنا أولا : أنه لم ينطق بها فى بداءة خدمته كما قد رأينا فى آخر الاصحاح الرابع حيث يذكر البشير جزءاً كبيراً من خدمة الرب فى نواحى الجليل . ثانياً : أنه ليس من مقاصد الوحى هنا أن يحدد لنا وقت النطق بهذه الموعظة ، ولكنه فقط يذكر الظروف المتعلقة بالنطق بها . فالأهمية لظروفها لا لتاريخها . ربما نطق بها بعد انتخاب الاثنى عشر رسولا ، المذكور فى ص ١٠ . قابل ذلك مع لو ٦ : ١٣

كانت قد تبعته جموع كثيرة (ص ٤ : ٢٥) متوقعة إقامة الملكوت (قابل لو ١٩ : ١١) . وكان البعض قد صاروا تلاميذ له . وفى ذات يوم ، والحالة هذه ، صعد إلى الجبل ، فلما جلس للتعليم أخذ يعلم تلاميذه من جهة الملكوت المنتظر على مسمع من الجموع . (أنظر ص ٧ : ٢٨ و ٢٩) حيث نرى أن الجموع قد سمعت تعليمه وبهتت منه .

التطويبات أو البر اللازم لدخول الملكوت

(ع ٣ — ٢٩ قابل لو ٦ : ٢٠ و ٢١)

« طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات » (ع ٣) مسكنة

الروح هي الوداعة والتواضع . لأنها عبارة عن شعور النفس بحاجتها وافتقارها إلى الله كغناها الروحي الحقيقي مهما كان غناها حسب الجسد .

السموات كرسي الله ، والأرض موطىء قدميه ، ولكنه ينظر إلى المسكين والمنسحق الروح (أش ٦٦ : ٢ أنظر أيضاً ٥٧ : ١٥) . إن الإنسان الساقط معتد بنفسه ولاسيما إذا كانت له بعض امتيازات دينية تميزه عن غيره . لأنه يحب أن يعتمد على الصورة الخارجية ، بغض النظر عن حالته الداخلية (ص ١٥ : ٨) . فيفتخر بنفسه وبامتيازاته افتخاراً زائداً ويحتقر الآخرين . ولا يخفى أن اليهود على وجه الإجمال كانوا على هذه الحالة وقت ظهور المسيح في وسطهم . فصرّح أن ملكوت السموات ليس لهم بل هو للمساكين بالروح . لأن هؤلاء عرفوا عدم استحقاقهم ، واستمدوا لقبول الملكوت من مجرد نعمة الله ، وليس لانتسابهم لابرهيم حسب الجسد فهؤلاء هم الذين لهم الطوبى أي الغبطة والبركة .

« طوبى للحزانى لأنهم يتعزون » (ع) كان البعض ، وهم المساكين بالروح في حالة الحزن والنوح على سوء حالة شعب الله المختار * ، فلهؤلاء تكون تعزية الملكوت (أش ٦١ : ١ — ٣) ، وليس للمتكبرين (عا ٦ : ٦) .

« طوبى للودعاء لأنهم يرثون الأرض » (ع ٥) . الوداعة هي الحلم نحو المعتدين علينا . هكذا كان المسيح (أش ٥٣ : ٧) ، وهكذا يجب أن نكون نحن ، ووداعتنا وحلمنا مع الآخرين هما نتيجة ضرورية للمسكنة بالروح الناشئة عن شعورنا بحالتنا وحالة الآخرين ، والحزن على أنفسنا والرثاء لهم . هذا هو الروح الوديع الهادىء الذي هو قدام الله كثير الثمن (١ بط ٣ : ٤) .

« يرثون الأرض » . الأرض هنا هي أرض كنعان . لما دخل بنو إسرائيل

* كما حزن عليهم الأنبيا والأتقياء قديماً (أر ٩ : ١ ، حز ٩ : ٤ ، دا ٩ : ٤ — ٦ ، ١٠ : ٢ و٣) . وكما حزن عليهم المسيح وهو معهم بالجسد (لو ١٩ : ٤١) . وكما حزن عليهم بولس (أخير أرو ٩ : ١ و٢) .

أرض كنعان قديماً تحت قيادة يشوع ، لم يتوقف امتلاكهم إياها على وداعتهم أو على إحدى صفاتهم الأخرى، بل على كونهم من نسل ابراهيم (تك ١٥ : ١٨ـ٢٠، تث ٩ : ٣ ـ ٦). ثم بعد انحطاطهم استولى عليهم الأجانب. وحينئذ أخذ الله يعطيهم مواعيد من جهة إقامتهم فى الأرض ، ولكنها اتجهت الى الذين اتصفوا بالصفات المرضية لله (مز ٣٧ : ٩ ــ ٣٤ ، صف ٢ : ٣) ومن وقت سبى بابل، بل ومن قبل ذلك لم يكن بنو اسرائيل ممتلكين أرض كنعان امتلاكاً حقيقياً، فعرفوا ذلك، وشعروا بمرارته ، وانتظروا مسيحهم لكى يملكهم إياها تماماً ، ويمتعهم بخيراتها. ثم لما حضر الوارث الحقيقي لكرسى داود فى وسطهم، كان أعظم سؤال حينئذ هو، مَن هم الذين سيرثون الأرض؟ وظن الفريسيون انها لابد أن تكون لهم، ولكن لم يكن فيهم شىء من الوداعة أو من الصفات الأخرى التى تجعلهم أهلاً لدخول الملكوت . ولو أن المسيح أقام الملكوت بالقوة فى ذلك الوقت لقطع أولئك الذين لقبهم المعمدان « بأولاد الأفاعى » ووصفهم بشجر عديم الثمر. قال داود النبى « لأن عاملى الشر يقطعون . والذين ينتظرون الرب هم يرثون الأرض . بعد قليل لا يكون الشرير . تطلع فى مكانه فلا يكون. أما الودعاء فيرثون الأرض ويتلذذون فى كثرة السلامة» (مز ٣٧ : ٩ ــ ١١) .

لا حاجة الى القول أن المواعيد من هذا القبيل ليست لنا كمسيحيين ، بل هى لليهود . لأنه من الامور المعروفة جيداً عندنا أن المسيح بعد رفضه لم يسكن الودعاء فى أرض كنعان لكى يتلذذوا بكثرة السلامة إلا أنه عيَّن لهم نصيباً أفضل ، أى سماوياً (أف ١ : ٣ ، ١ بط ١ : ٤) . أما بالنسبة للارض ، فقد وعدهم فيها بالضيق والاضطهاد (يو ١٦ : ٣٣) وطلب منهم أن يعيشوا فيها كغرباء ونزلاء (١ بط ٢ : ١١).

« طوبى للجياع والعطاش الى البر لأنهم يشبعون » (ع ٦) . البر هنا، عبارة عن الصلاح الالهى . هذا البر لم يكن موجوداً فى وسط اسرائيل (هو ٨ : ٣) . أما الاتقياء بينهم ، فرغم أنهم حافظوا كل المحافظة على الفرائض التى ترتبت لهم من

قبل الله،لم يقدروا أن يكتفوا بذلك،وانما كانوا مشتاقين الى شيء أفضل (مز ٥١: ١٦و١٧ ، مى ٦:٦—٨) ، فلما أعلن لهم المسيح شبعوا به . لما رأى سمعان الشيخ البار التقى الصبى يسوع وعرف بالروح القدس من هو،أخذه على ذراعيه و بارك الله وقال «الآن تطلق عبدك ياسيد حسب قولك بسلام. لان عينى قد أبصرتا خلاصك الذى أعددته قدام وجه جميع الشعوب. نور اعلان للأمم ومجداً لشعبك اسرائيل» (لو ٢ : ٢٥—٣٢) . لقد اشتاق هو وأمثاله الى البر ، ووجدوه فى المسيح فشبعوا .

« طوبى للرحماء لانهم يرحمون » (ع ٧). قال داود النبى للرب « مع الرحيم تكون رحيماً . مع الرجل الكامل تكون كاملاً . مع الطاهر تكون طاهراً ومع الأعوج تكون ملتوياً. لانك أنت تخلص الشعب البائس والأعين المرتفعة تضعها» (مز ١٨: ٢٥—٢٧). ومعنى ذلك أن الله فى معاملاته السياسية مع شعبه (كحاكم) يعامل كل واحد بحسب أعماله (قابل ١ بط ١: ١٧). فيرحم الرحيم أما الأعوج فيقلب طرقه على رأسه (ص ١٨: ٢٣—٣٥) .

والرحيم هو الذى اختبر تقصيراته،وانسحق حزناً عليها،شاعراً بحاجته الشديدة لرحمة الله . ولذلك فهو يظهر الرحمة للآخرين . أما الناموسى المعتد ببره الذاتى فلا يعرف الرحمة ، ويبادر بالحكم على الآخرين بمقتضى الشريعة، ناسياً انه لو جرت الشريعة مجراها الخاص ، لأدانته قبل الكل (أنظر يو ٨: ١—١١)

لنلاحظ أن قصد الوحى هنا ، ليس هو أن يشرح طريق الخلاص ، بل أن يفصح عن الصفات اللازمة لمن أراد أن يدخل الملكوت، بغض النظر عن الواسطة التى بها يحصل على هذه الصفات،التى هى الميلاد الثانى ونوال الحياة الابدية بقبول المسيح (يو ١: ١٢و١٣).

« طوبى للأنقياء القلب لانهم يعاينون الله » (ع ٨). سأل داود النبى « من يصعد الى جبل الله؟ ومن يقوم فى موضع قدسه ؟» (مز ٢٤: ٣)،وقد ألهم بالجواب فى نفس المزمور بقوله « الطاهر اليدين والنقى القلب» (ع ٤) . فالقلب النقى هو

القلب الذى قد تطهر من الشهوات (١ بط ١ : ٢٢) التى تفسد العواطف وتعدمنا التمييز الروحى أو البصيرة الروحية .

ومعاينة الله هنا كناية عن معرفة الله للمعرفة الحقيقية والتمتع به . وواضح من الكتاب المقدس أن الله من حيث جوهر طبيعته أو اللاهوت، لم ير ولن يرى (يو ١: ١٨ ، ١ تى ٦ : ١٦) . ولكنه قد أعلن نفسه بينبوع المسيح الذى هو بالحقيقة الله ظاهراً فى الجسد (١ تى ٣ :١٦) . ومن رآه فقد رأى الآب (يو ١٤ :٩).

وأما من جهة وقت معاينة الله فأقول، أن النقى القلب يعاين الله الآن (مز ١٧: ١٥) ، أى أنه يعرفه ، ويتمتع به بحسب الاعلان الكامل الذى صار لنا فى ربنا يسوع المسيح. على أنه يزداد فى ذلك على قدر ما ينمو فى القداسة العملية (٢ كو ٣: ١٨) الى أن يصير كاملاً فيه بعد صيرورته على صورة جسد مجد الرب (١ كو ١٣: ١٢ ، ١ يو ٣ : ٢ ، رؤ ٢٢ : ٤) .

« طوبى لصانعى السلام لأنهم أبناء الله يدعون » (ع ٩) . الله هو « إله السلام » (١ تس ٥ :٢٣ ، فى ٤ :٩) . أما البشر ، فلا سلام لهم ولا استقرار ، بل هم دائماً فى حالة الاضطراب والكدر ، كالبحر المضطرب الذى لا يستطيع ان يهدأ بل تقذف مياهه حمأة وطيناً (اش ٥٧ :٢٠ و٢١) . يظلمون بعضهم بعضاً . والظالم والمظلوم عديما السلام . وقلوبهم الممتلئة بالشهوات لا تدعهم يستريحون ولا يكتفون بما عندهم . فالله وحده ، هو مصدر السلام ، وهو أول صانعى السلام ، لأنه صنعه بدم ابنه الحبيب[1] فالذين قد شربوا من هذا الينبوع يتمثلون بإلههم ،

(١) انه جعل لكل من اليهودى والأممى سلاماً معه ، وسلاماً مع بعضهما ، ومع الجميع ، بل وجعلهم مبشرين بالسلام (أف ٢ :١٣ــ١٨ ، كو ١ : ١٩ــ٢٢ ؛ ٢ كو ٥ :١٩ و٢٠ ، رو ٥: ١ ، أف ٦ :١٥ ، عب ١٢ :١٤ ، رو ١٠ :١٥) .

إله السلام ، ويدعون أبناءه[1] ، ليس بالنظر الى ولادتهم الولادة الثانية منه ، بل بالنظر الى تصرفهم على هذا النحو تمثلاً بأبيهم . لا شك انه ينبغي أولاً ان نولد من فوق ، ونصير أولاد الله بالحقيقة ، لكي يمكننا أن نتمثل به كأولاد أحباء (أف ٥: ١) . ولكن الكلام الذي نحن بصدده الآن خاص بالصفات الحسنة الظاهرة في السلوك ، لا بالولادة الجديدة التي هي مصدرها .

* * *

ليلاحظ القارىء أن المسيح نفسه ، كانسان ، اتصف بجميع هذه الصفات المبينة هنا ، لأنها ظهرت فيه كاملة ، كانسان قد سلك في هذا العالم . والذين قبلوه ، صاروا هم أيضاً متصفين بهـا ، ولكن جزئياً ، و بدرجات متفاوتة ، فهي ليست موجودة في أحد منهم في كمالها المطلق الذي ظهرت به في المسيح .

* * *

ثم اذا راجعنا هذه التطويبات ، نراها مقترنة معاً ، ومترتبة على بعضها . لأن المسكين بالروح لا يطلب أشياء عظيمة لنفسه ، بل يرضى لنفسه بأي مقام مهما كان حقيراً في هذا المشهد المبتعد عن الله ، والذي فيه كل الامور مضادة لله وله . ومن ثم فهو يتصف بالحزن ثم بالوداعة ، بحيث انه لا يرفع إرادته على إرادة الله ، ولا يتخاصم مع الآخرين ، ولا يدافع عن حقوقه الارضية ، بل يشتاق الى البر ، ولا يجده في العالم ، ومن ثم لا يقدر أن يروي ظمأه إلا بذاك الذي هو ينبوع الصلاح . ويترتب على كل ذلك انه يكون شفوقاً ولطيفاً نحو الآخرين ، ولا سيا للمتضايقين ، ويتطهر قلبه من محبة العالم التي تمنعه من معرفة الله ، ومن العطف على الآخرين ،

(١) فصنع السلام إذن ، هو صفة مميزة لورثة الملكوت ، وليس الحرب والقتال ، كما كان يظن اليهود . وصاحب القلب النقي هو وحده صانع السلام لان الحكمة التي من فوق هي « أولا طاهرة ثم مسالمة » (يع ٣: ١٧) وصانع السلام هو من لا يخاصم (٢ تي ٢: ٢٣-٢٥) ولا يصنع الشقاقات (رو ١٦: ١٧) بل يطلب السلام ويجد في أثره (١ بط ٣: ١١) .

وإذ ذاك يتمتع بالسلام ، لا فى أرض كنعان بل فى قلبه ، ويصنع السلام مع الآخرين ، متمثلاً بالله .

* * *

وكنا نظن أن المتصفين بهذه الصفات يحظون برضى الناس . ولكن ليس الأمر كذلك ، بل عندما يشاهدهم العالم تهيج بغضته لهم بسبب بغضته لمسيحهم (مز ٣٨: ٢٠ ، ١٢٠: ٦ و٧) ولذلك فالتطويب الثامن يعلن وقوف العالم فى وجههم لظهور الصفات الشاهدة للمسيح فيهم .

العالم فى مقاومته لأبناء الملكوت (ع ١٠—١٢)

(قابل لو ٦: ٢٢ و٢٣)

« طوبى للمطرودين لأجل البر لأن لهم ملكوت السموات . طوبى لكم إذا عيروكم وطردوكم وقالوا عليكم كل كلمة شريرة من أجلى كاذبين . افرحوا وتهللوا لأن أجركم عظيم فى السموات فإنهم هكذا طردوا الأنبياء الذين قبلكم » (ع ١٠-١٢).

يذكر هنا سببان للاضطهاد، وهما، البر، واسم المسيح : لا يخفى ان العالم ، غير المنتسب للمسيح ، يهيج علينا اوقاتاً كثيرة ، لمجرد بغضه لاسم سيدنا . واما الذين قد انتسبوا له ، ولهم فقط صورة التقوى بدون قوتها، فلا يضطهدوننا لاجل اعترافنا باسم المسيح ، لانهم هم ايضاً معترفون به ، ولكنهم يضطهدوننا لاجل الحق والسلوك الناتج عنه . لان ذلك شهادة صريحة عليهم ، فلا يطيقونها . وقد وقع الاضطهاد على تلاميذ المسيح لهذين السببين . لان اليهود ، غير المؤمنين ، ابغضوا الاعتراف باسم المسيح (اع ٥ : ٢٨) كما ابغضوا البر* ايضاً (يو ٣ : ٢٠ ، ٧ : ٧).

* ان عيشة البر فى ذاتها ، ان لم تحمل شهادة صريحة للمسيح ، فقد لا تؤدى الى الاضطهاد ، بل الى مدح الشخص والاعجاب به . بل ويلاحظ من عبارة المسيح ان الاضطهاد لاجله أقسى وأعم من الاضطهاد لاجل البر. من اجل ذلك جعل للمضطهدين

يفترض الرب بكلامه هذا وجود تلاميذه فى وسط اسرائيل الذين اشتهروا من الزمان القديم باضطهادهم للانبياء ولكن الحال واحدمع البشر فى كل زمان ومكان. (يو ١٥ : ١٩) .

« لان أجركم عظيم فى السموات». هذا تلميح الى ان جزاءهم سوف لا يكون فى الملكوت على الارض ، وتنبيه سابق بأن رؤساء الأمة سيرفضون مبادىء الملكوت . لو اقام المسيح ملكوته بالقوة فى ذلك الوقت ، لقطع غير التائبين جميعاً وأبادهم من الارض ، ثم جازى تلاميذه ايضاً على الارض (مز ١٠١ : ٨ ، مت ١٣ : ٤١) . ولا يخفى ان تلاميذه استمروا منتظرين ذلك حتى وقت موته ، ثم انقطع رجاؤهم واصبحوا فى حيرة لا توصف (لو ٢٤ : ٢١) .

مركز بني الملكوت ومسئوليتهم (عدد ١٣ — ١٦)

(قابل مر ٩ : ٥٠ مع لو ١٤ : ٣٤ و ٣٥ و مر ٤ : ٢١ و ٢٥ مع لو ٨ : ١٦-١٨ ، ١١ : ٣٣) .

« انتم ملح الارض . ولكن اذا فسد الملح فبماذا يملح ؟ لا يصلح بعد لشيء إلا لان يطرح خارجاً ويداس من الناس » (عدد ١٣) .

لاجله اجراً اعظم ، وهو . اولا : ان هذا الاجر ليس فى ملكوت السموات على الارض بل فى السموات عينها . ثانياً : انه يخاطب قلوبهم مطيباً اذ يتكلم معهم بصيغة المخاطب قائلا لهم « طوبى لكم » و « افرحوا وتهللوا » ويستمر موجهاً الخطاب لهم حتى النهاية بعد ان كان يتكلم بصيغة الغائب قائلا « طوبى للمطرودين . . . الخ » . ثالثاً : انه ايضاً يجعل لهم فى عهدهم منزلة انبياء العهد القديم الذين استشهدوا بسبب الشهادة للحق ولشخصه (اع ٧ : ٥٢) . والرسول بطرس تكلم ايضاً عن الاضطهاد لاجل البر (١ بط ٣ : ١٤) . ولاجل المسيح (١ بط ٤ : ١٤) . ولكنه فى جزاء الاول يقول فقط « طوباكم » ، اما فى جزاء الثانى فيضيف « لان روح المجد والله يحل عليكم » .

« انتم ملح الارض » . الارض هنا ايضاً هي أرض كنعان . انه لا يزال يفترض وجود التلاميذ في وسط اسرائيل. والملح كناية عن القوة التي تنشئ القداسة العملية، أو كناية عما من شأنه يحفظنا من الفساد. وهذا من الحقائق المطلقة في كل عهد.

كان يجب على اسرائيل جميعاً ان يكونوا ملح الارض ، ولكنهم فسدوا ولم يعودوا يصلحون لشيء إلا لان يطرحوا خارجاً ، خارج ارض اسرائيل، ويداسوا من الامم . وهذا ما صار فعلا . ثم قام تلاميذ المسيح مقامهم ، فحذرهم من الفساد لأنهم إن لم يحتفظوا بالقداسة في سلوكهم فانهم يرفضون ايضاً من هذا المركز *

لا نقدر ان نقول إن الكنيسة هي ملح الارض ، لانه بعد موت المسيح ، وتكوين الكنيسة ، لم يبق رجاء بعد لان تحفظ الارض من الفساد ، لا ارض كنعان بصفة خاصة ، ولا كل الارض بصفة عامة لان البشر جميعاً ، يهوداً و امماً اظهروا الرداءة التامة برفضهم ابن الله ، وصلبهم اياه ، فصارت الدينونة مؤكدة . على انه من واجباتنا ، الدائمة والمعروفة . ان نحافظ على السلوك التقوى كقول الرب « ليكن لكم في انفسكم ملح . وسالموا بعضكم بعضاً » (مر ٩ : ٥٠).

ولنلاحظ ايضاً انه ليس من خصوصيات الملح ان يصلح الفاسد ، بل ان يحفظ الجيد في حالة الجودة كقول الرسول « . . . قدرته الالهية قد وهبت لنا كل

---

* ان وقوف العالم منا موقف العداء المزدوج «لاجل البر » و «لاجل المسيح» ، يبين ان موقفنا من قبل الله ازاء العالم ، هو ايضاً موقف مزدوج ، كملح ، وكنور. ان الملح ، الذي يقاوم عوامل الفساد ، يعتبر كناية عن فعل كلمة الله داخل النفس كقوة مقاومة ضد عوامل الفساد فيها وفي العالم (مز ١١٩ : ١١ ، عب ٤ : ١٢) وهذا هو البر . اما النور فيعتبر كناية عن كلمة الله في اتجاه تأثيرها للخارج للاضاءة للآخرين . وهذه هي الشهادة للمسيح (٢ كو ٣ : ٢ و ٣) . ولا غنى للواحد عن الآخر ، اذ لا قيمة للشهادة للمسيح مالم يقم البر في الحياة دليلا على صدقها . ولا قيمة للبر في الحياة ما لم يقترن بالشهادة للمسيح .

ما هو للحياة والتقوى . . لسكى تصيروا بها شركاء الطبيعة الالهية هاربين من الفساد الذى فى العالم بالشهوة » (٢ بط ١ : ٣ و ٤) .

« انتم نور العالم . لا يمكن ان تخفى مدينة موضوعة على جبل . ولا يوقدون سراجاً ويضعونه تحت المكيال بل على المنارة فيضيء لجميع الذين فى البيت . فليضيء نوركم هكذا قدام الناس لسكى يروا اعمالسكم الحسنة ويمجدوا اباكم الذى فى السموات » (عدد ١٤ — ١٦).

ان قول الرب لتلاميذه « انتم نور العالم » اعم من قوله « انتم ملح الارض » ويصدق عليهم ليس فى وسط اسرائيل فى ارض كنعان فقط ، بل وفى العالم كله ايضاً.

قيل عن المؤمنين ، من وقت غياب الرب عنهم بالجسد فى السماء ، انهم «ابنـاء نور» (لو ١٦ : ٨ ، يو ١٢ : ٣٦ ، اف ٥ : ٨ ، ١ تس ٥ : ٥) . لا بل وانهم « نور فى الرب » ايضاً ، لا فى ذواتهم ، لان الرب فيهم هو نورهم (مز ٢٧ : ١) ، وحياتهم (يو ١ : ٤ ، ٨ : ١٢) . كان المسيح هو النور الحقيقى الذى اشرق على الظلام الدامس فى العالم للظلم لينير كل انسان ، وبعد غيـابه أقام التلاميذ مقامه (فى ٢ : ١٥)

ولنلاحظ أن النور شيء ، والأعمال الحسنة شيء آخر لأن النور هو الأصل فى الداخل والأعمال الحسنة هى ضياؤه فى الخارج . فهو المسيح فى القلب ، وهى صفات المسيح فى التصرفات . قيل عنا أننا « نور فى الرب » لأن انجيل مجد المسيح الذى هو صورة الله ، قد أشرق فى قلوبنا (٢ كو ٤ : ٤ــ٦) . فموضع النور هو القلب لا العقل وان كان فتح كلام الله ينير ويعقل الجهال (مز ١١٩ : ١٣٠) ، فذلك لأنه يفصل فى أفكار القلب ونياته (عب ٤ : ١٢ و١٣) . وينتج عن ذلك أننا نصنع أعمالنا باسم المسيح ، ولارضاء الله الذى معه أمرنا ، فنراعى ما يليق بنسبتنا له كأولاده ، باعتباره أبينا ، وللمسيح ، كعبيده ومفدييه ، باعتباره ربنا وفادينا ، فى تصرفاتنا اليومية الدقيقة ، حتى فى الأكل والشرب . إن بواعث العمل داخلية. أما كيفيته فظاهرة.

ومن رأى العمل،استدل منه على بواعثه ، الإلهية الداخلية و يعرف أن أبانا السماوى هو العامل فينا بنعمته الفعالة .

والرب لا يقول « لتضىء أعمالكم الحسنة قدام الناس » بل يقول « ليضىء نوركم » أى ليظهر المسيح فيكم . فان كل عمل يتصف ، ليس بحسنه أو برداءته فى ذاته فقط ، بل أيضاً بما يظهر فيه من نية العامل ومقاصده . فانه يمكن لشخصين أن يشتركا فى عمل واحد ، و يمدح الواحد و يلام الآخر ، لكون الواحد قاصداً مجد الله طاعة لمشيئته والآخر قاصداً مصلحة نفسه .

والأعمال الحسنة المقصودة هنا ليست هى المألوفة والمعروفة بين الناس الآن بهذا الاسم ، بل هى جميع تصرفات المسيح كتعلمين منه اياها ، ومقتدين به فيها .

وفى قوله « لكى يروا أعمالكم الحسنة و يمجدوا أباكم الذى فى السموات » يفترض أن البعض يستفيدون من مشاهدتها ، و ينسبونها للذى هو مصدرها الحقيقى ولا ينسبونها لنا. حتى أن الرجل غير المؤمن يمكن أن يربح للايمان المسيحى بمشاهدة سيرة امرأته التقية أنظر (١ بط ٣ : ١و٢) . وقد رأينا فى سياق الكلام الذى نحن بصدده أن الجانب الأكبر من الناس يستمرون فى بغضهم للنور و يعيرون و يطردون أولاد النور . ان كنا نعمل أعمالاً حسنة لافادة الناس ، بقطع النظر عن اسم المسيح ومجد الله ، فانهم يُسرون بنا و يمدحوننا ، لأنهم يقبلون الأعمال الحسنة ان كانت غير مقترنة مع النور ، ولا صادرة عنه .

سلطان الناموس والأنبياء (ع ١٧ — ٢٠)

« لا تظنوا انى جئت لأنقض الناموس والأنبياء . ماجئت لأنقض بل لأكمل. فانى الحق أقول لكم إلى أن تزول السماء والأرض لا يزول حرف واحد ولا نقطة واحدة من الناموس حتى يكون الكل » (ع ١٧و١٨)

كان الناموس نيراً لم يستطع اسرائيل أن يحمله (أع ١٥: ١٠) . وطالما وبخهم الأنبياء على مخالفتهم اياه. ولكن بدون نتيجة حسنة. ولم يزل الناموس حاكماً عليهم (غلا ٣ : ١٠) . وأما الآن فقد حضر المسيح بينهم ليعلمهم . فهل يا ترى ينسخ الناموس ؟ أو يخفف مطاليبه عنهم ؟ انه لايعمل هذا ولا ذاك ، لأن الناموس صالح ومقدس وعادل (رو٧: ١٢)، وليس اللوم عليه ، بل عليهم . فاذن ، لم يأت المسيح لينقض شيئاً من الناموس أو الأنبياء .

أما قوله « لأكمل » فمعناه ، أولاً — انه لايبطل سلطان الناموس والأنبياء بل يبقيه فى وضعه الالهى . ثانياً — انه هو بذاته تكميل الناموس والأنبيـاء .

يجب أن نلاحظ أن الرب لايتكلم هنا من جهة حفظه هو للناموس. لقد حفظه بلاشك حفظاً تاماً (أش ٤٢: ٢١ ، مز ٤٠: ٨) ، بل وعمل ماهو أكثر من ذلك لأنه أحب أعداءه ومات لأجلهم . ولـكنه يتكلم هنا عن مكانه كخاتمة أو كآلة معاملات الله مع اسرائيل ، اذ أرسله اليهم كالمسيح ابن داود، ابن ابراهيم، وعمانوئيل، ملك اسرائيل الحقيقى ، والمعـــلم الذى كان يجب على الجميع أن يصغوا لأقواله (تث ١٨: ١٨و١٩ ، أع ٣: ٢٢و٢٦) . فقد كان لهم أولاً الناموس ثم الأنبياء ، ثم يوحنـا المعمدان ثم المسيح (أنظر ص ١١: ١١-١٣) فـكان حضوره تكملة ، أو خاتمة طرق الله ومعاملاته مع اسرائيل. أنظر أيضاً المثل الوارد فى (ص٢١: ٣٣-٤٤) حيث نرى أن الوارث قد حضر اليهم ، واذا رفضوه فليس لهم بعد إلا الدينونة .

ولـكن ، وان كان المسيح فى كلامه لتلاميذه هنا ، لا يشير إلى تتميم النبوات فيه ، ولا إلى حفظه الناموس ، وحمله لعنته ، إلا أن هذا ما تم فعلاً . و بذلك أيضاً أكمل الناموس والأنبياء . لأنهما كان يجب أن يبقيا ليكملا حسب قوله هنا « حتى يكون الـــكل » (ع ١٨) ، و بعد أن يكملا يجب أن يبقيا أيضاً (رو ٣ : ٣١) شهادة للمسيح انه هو الذى احتمل عنا لعنة الناموس المكسوز ، فأكمل بذلك كل مطاليبه ورموزه ، كما أكمل ضمناً نبوات الأنبياء عنه (يو١٩: ٢٨-٣٠) وهكذا

أكمل هو كل المكتوب عنه فى الناموس والأنبياء (مت ٢٦ : ٥٦) . فلم يكن بالناموس والأنبياء نقص يحتاج للتكميل ، بل كان فيها كل الكفاية اللازمة فى وقتها والتى من شأنها أن تقود الى المسيح (غلا ٣: ٢٤). ولكننا بعد موت المسيح ، لسنا بعد تحت الناموس، الوصايا أوالطقوس ، بل تحت النعمة . لأننا متنا بموت المسيح ، للناموس كله ، لنحيا لله بحياة المسيح ، وطبقاً لقدوته ، و بقوة روح الحياة فى شخصه المقام من بين الأموات .

« فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى وعلم الناس هكذا يدعى أصغر فى ملكوت السموات . وأما من عمل وعلّم يدعى عظيماً فى ملكوت السموات . فإنى أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (ع ١٩ و٢٠) .

يبدو من قوله « هذه الوصايا الصغرى » ، انه يستعمل لفظة « الناموس » بمعنى أوسع من الوصايا العشر . لأنه من المستحيل ان الرب يسمى شيئاً منها صغيراً . أنظر (ص٢٢: ٣٦— ٤٠) حيث سأله واحد « أية وصية هى العظمى فى الناموس؟» فالمسيح بجوابه نسب الأهمية العظمى للناموس كله إذ قال ان جزءه الأول الخاص بواجب المحبة لله عظيم . والثانى ، الخاص بواجب المحبة للقريب ، عظيم مثله .

« فمن نقض إحدى هذه الوصايا الصغرى » ، أى أبطلها معتبراً إياها عديمة الأهمية . وهذا يتناسب بحسب وجهة نظره هو ، لا فى ذاتها ، إذ ليس فى وصايا الله ما لا أهمية له .

« وعلّم الناس هكذا » ، أى واتخذ لنفسه وظيفة معلم ، وأخذ يعلم الآخرين بطلانها ، و يشجعهم على عدم التقيد بها . فليس هذا إلا إمتهان لسلطان من وضع الناموس لإرشاد شعبه ، بل واختلاس لحقوقه . والذى يفعل ذلك لا يكون خاضعاً للملك صاحب السلطان بل عدواً له ومقاوماً لسلطانه . ولا يخفى أن الكتبة والفريسيين أبطلوا ، بتقاليدهم وتعاليمهم ، ناموس الله ، وعلموا الناموس هكذا ،

أبطلوا ، ليس ما اعتبروه بحسب وجهة نظرهم وصاياه الصغرى فقط ، بل وأثقله أيضاً (ص ١٥ : ١—٩ ، ٢٣ : ١٣—٢٣) .

« يدعى أصغر فى ملكوت السموات » ، لفظة «أصغر» الواقعة هنا هي نعت للذى نقض شيئاً من الوصايا ، تقابل لفظة « الصغرى » الواقعة نعتاً للوصايا . فكما عمل مع وصايا الله ، هكذا يعامله الله . فى هذه العبارة يتكلم الرب عن الكتبة والفريسيين الذين يشغلون مركز المعلمين ، بينما كانوا أكبر المقاومين له من الأول الى الآخر .

« وأما من عمل وعلم فهذا يدعى عظيماً فى ملكوت السموات » أى من آمن بما لكل وصية فى الناموس من العظمة والأهمية ، وعمل وعلم بها ، على هذا الاعتبار ، فيعامله الله كما عامل هو وصاياه فيجعله عظيماً فى ملكوته .

ثم يوجه الخطاب لتلاميذه قائلاً « فانى أقول لكم إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » . لم يكن الكتبة والفريسيون سوى مرائين ، حتى عندما كانوا يعلمون تعليماً صحيحاً من الكتاب ، لأنهم كانوا « يقولون ولا يفعلون » (ص ٢٣ : ١—٤) ، والرياء ليس مما يؤهل الناس لدخول الملكوت .

لا يوضح الرب هنا ، ما هو البر ، ولا كيفية الحصول عليه ، إذ ليست هذه الموعظة إلا بمثابة نداء ملكى يدعو الى وليمة ملكية مثلاً . ويصف بالتفصيل نوع الثياب التى يجب على الضيوف أن يحضروا بهيا ، دون أن يقول لهم من أين ، ولا كيف يحصلون عليها . على أنه واضح ان زيادة البر المطلوبة هى من جهة النوع ، وليس من جهة الكمية .

مقارنة بين تعليم الناموس وتعليم المسيح
(ع ٢١—٤٨)

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء ، لا تقتل ، ومن قتل يكون مستوجب الحكم وأما أنا فأقول لكم ان من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم . ومن

قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع . ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم » (ع ٢١ و٢٢) .

قال البعض أن غاية الرب العظمى من هذه الموعظة أن يفسر الناموس روحياً ، أى تفسيراً يناسب مقام المسيحيين . ولكن الأمر ليس كذلك ، لأنه لا يتناول شرح الناموس المسمى « الأدبى » بل قصد أن يضع المبادىء السامية التى تليق بملكوته . ولا شك أن جميع أقوال الرب نافعة ومقبولة ، سواء شاء أن يشرح مواضيع من التوراة ، أو أن ينطق بتعاليم جديدة من عنده ، لأنه هو المصدر الإلهى للكل .

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل . ومن قتل يكون مستوجب الحكم . وأما أنا فأقول لكم .. » ربما يبدو للقارىء لأول وهلة ، عند قراءته للفقرة الأخيرة ، « أما أنا فأقول لكم » ، ان هناك مضادة بين تعليم المسيح ، والناموس . ولكن لا يمكن للرب أن يعلم شيئاً مضاداً لأقوال الله . بعد أن أيد سلطانها ، وأكد دوامها فى الأعداد من ١٧—١٩ . على أن له فى الوقت نفسه ، أن يوضح حقيقتها أكثر بحسب النور الذى سطع بحضوره .

« قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تقتل » ، هذه هى الوصية ، « ومن قتل يكون مستوجب الحكم » أى الحكم بالموت على كل قاتل نفس ، وهذا صحيح « وأما أنا فأقول لكم ان من يغضب على أخيه باطلاً يكون مستوجب الحكم » . المرجح ان ليس للفظة « باطلاً » أصل فى أصح النسخ وأقدمها . و بفرض وجودها ، فمعناها بدون أن يكون ذلك الغضب لأجل مجد الله . بل لحقد فى النفس مبعثه البغضة التى هى روح القتل نفسه فى الباطن (١ يو ٣ : ١٥) . فيوضح الرب ان وصية الله هذه ، لا تطلق على القتل الفعلى فقط ، بل وأيضاً على حاسيات وانفعالات الغضب التى تحمل عليه .

ثم يذكر ثلاث درجات من الغضب . أولاً — مجرد تحرك الغضب فى قلب

الانسان على أخيه الانسان . ثانياً ــ التعبير عنه بقوله لأخيه « رقا » ، أى فارغ ، أو عديم النفع ، أو « باطل » (وهى نفس الكلمة المترجمة فى ٢ صم ٢٠:٦ « أحد السفهاء » ، التى عبرت بها ميكال عن احتقارها لداود) . ثالثاً ــ غضباً أشد يحمله على أن يقول لأخيه « يا أحمق » ، (أى يا غبى أو يا جاهل . وهى كلمة تنم عن الاحتقار ، وهى نفس الكلمة ، المترجمة « مردة » فى عد ٢٠ : ١٠ ، و بسببها منع موسى وهرون من الدخول الى أرض الموعد) .

بعد ذلك، يذكر ثلاث درجات من القصاص، معروفة لليهود، تقابل الثلاث الدرجات من الغضب. أولا ــ مَن تحرك الغضب فى قلبه يستوجب الحكم، أى الادانة من فم القاضى فى المحاكم اليهودية الموجودة فى المدن طبقاً لما جاء فى تث ١٦:١٨ــ٢٠. ثانياً ــ مَن نطق بأقل كلمة، تعبيراً عن غضبه، يستوجب الحكم من المجمع[1]، وهو حرمانه من حقوقه الدينية كيهودى (أنظر يو ١٢ : ٤٢) . ثالثاً ــ مَن حمل بفيض غضبه ونطق بكلام أشد من ذلك نظير القول يا أحمق «يستوجب نار جهنم»، اذ يستحق أن يقطع بلا رجاء ويلقى فى القصاص المؤبد .

وعليه، فلا ينتج من قول الرب ان خطية الغضب، أو القول « رقا » ، أو أى خطية أخرى لا تستوجب القصاص المؤبد ، كـكلمة « يا أحمق » ، بل اذا مات الخاطىء بلا توبة ، فمهما كان نوع خطيته ، بالقلب، أو بالفم، أو بالفعل ، فلا بد من هلاكه الابدى .

« فان قدمت قربانك الى المذبح وهناك تذكرت أن لأخيك شيئاً عليك . فاترك هناك قربانك قدام المذبح واذهب أولا اصطلح مع أخيك . وحينئذ تعال وقدم قربانك » (ع ٢٣و٢٤) .

يتابع الرب أقواله بخصوص وجود حاسيات الغضب والنفور بين أخوة. ولايخفى

(١) أنظر المقدمة

أنه يشير هنا الى العبادة اليهودية . ولنلاحظ أنه لا يقول « وهناك تذكرت أن لك شيئاً على أخيك »، بل «أن لأخيك شيئاً عليك»، لان الله لا يرضى بعبادة والحالة هذه . وتصدق هذه الحقيقة على تلاميذ المسيح فى كل وقت . لان وجود حاسيات الغضب والنفور بين الاخوة لا يتفق بالمرة مع الاقتراب الى الله لاجل العبادة..

يظن البعض أن هذه الاقوال تصدق علينا فقط عند الاقتراب الى مائدة الرب. ولكن هذا الظن خطأ عظيم جداً، اذ أنه يوهم الناس أنه لا بأس من أن يتغافلوا عن حالتهم من هذا القبيل فى الأوقات الاخرى. وهكذا قد صار الحال مع الكثيرين. فى حين أنه يجب علينا كتلاميذ المسيح أن نراعى حالتنا الروحية وعلاقتنا مع أخوتنا ، ليس بالنسبة الى مائدة الرب فقط ، بل وفى كل حين ، بالنسبة أيضاً الى قراءة كلمة الله ، والصلاة الانفرادية ، لأنه حتى اذا صار تنافر بين الرجل المسيحى وامرأته أعيقت صلواتهما (١ بط ٣:٧) .

ولا توجد مشابهة بين المذبح اليهودى ، ومائدة الرب . فقول الكتاب « لنا مذبح لا سلطان للذين يخدمون المسكن ان يأكلوا منه » (عب ١٣ : ١٠) ، ليس هو عن مائدة الرب ، التى لا يكنى عنها بمذبح . بل عن المسيح ، وجميع البركات المسيحية التى لنا فيه التى يتمتع بها المؤمنون بالمقابلة مع كهنة اليهود الذين تعين لطعامهم ما فضل من تقدمات الرب على مذبحه . (انظر ١ بط ٢ : ٥ و ٩) عدا ذلك كله . فان المسيحى لا يقترب الى مائدة الرب ليقدم قرباناً بتة لان المسيح « بقربان واحد قد أكمل الى الابد المقدسين » (عب ١٠ : ١٤) . فالله هو الذى اعد القربان الذى هو ابنه ، (عب ١٠ : ٥) . والله هو الذى قدمه (رو ٣ : ٢٥) ، كما قدمه ابنه ايضاً (عب ٩ : ١٤) ولا يمكن تقديمه مرة ثانية (عب ١٠ : ١ — ٢٢) . فلا يجوز لنا مطلقاً ان نتكلم عن اشتراكنا فى عشاء الرب كأننا نقدم قرباناً لله . وذلك ايضاً لان القربان قديماً كان يقدم من الانسان للرب اما عشاء الرب الآن فهو مقدم من الرب لنا كما قيل « اعطى التلاميذ

وقال، خذوا كلوا » وعن الكأس « اشربوا منها كلكم » (مت ٢٦:٢٦ و٢٧)

انه من الامور المسلم بها انه يجب علينا ان نمتحن انفسنا ثم نأكل بضمير صالح . ولكن هذا الامتحان هو من جهة جميع طرقنا واعمالنا لتقويمها . وان لم نحكم على انفسنا يحكم الرب علينا بالتأديب ، لكي يلزمنا باصلاح حالتنا .(١ كو ١١ : ٢٨ ـ ٣٣) .

إن كثيرين من المسيحيين قد تهودوا تماماً ، واقاموا انفسهم مقام اليهود ، فليست مائدة الرب عندهم سوى مذبح يهودى ، ويسمونها المذبح بالفعل . ولكن هذا خطأ نتجت عنه اخطاء ونتائج رديئة للغاية .

« كن مراضياً لخصمك سريعاً ما دمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم الى القاضى ويسلمك القاضى الى الشرطى . فتلقى فى السجن . الحق اقول لك لا تخرج من هناك حتى توفى الفلس الاخير » . (عدد ٢٥ و ٢٦).

يتكلم الرب هنا عن معاملات الله مع اسرائيل . كان الناموس خصماً شاكياً عليهم (يو ٥ : ٤٥) وباصرارهم على الخصومة جعلوا الرب خصماً قاضياً عليهم (اش ٦٣ : ١٠) كان هو معهم كخصمهم فى الطريق الى القضاء كقول يوحنا المعمدان « من اراكم ان تهربوا من الغضب الآتى ؟ والآن قد وضعت الفأس على أصل الشجر »، وقوله ايضاً عن الرب انه بنفسه مزمع ان ينقى بيدره ويحرق التبن (ص ٣ : ١٠ و ١٢) ولكن لم يزل الرب فى الطريق معهم ويمكنهم أن يراضوه بالتوبة . واذا تابوا لا يسلمهم الى القاضى ، المكنى به عن العدل الالهى . لذلك لم يستعجل بهم الى القضاء بل استخدم اولا كل الوسائط ليأتى بهم الى التوبة . وحتى لما نادى العدل عن الامة الاسرائيلية غير المثمرة قائلا « اقطعها ، لماذا تبطل (أو تعطل) الارض ايضاً ؟ » (لو ١٣ : ٦ ــ ٩) ، عاد الرب يتوسل لاجلها قائلا « اتركها هذه السنة ايضاً » ولكن مع كل صبره عليهم وتعبه معهم ، لم يتوبو كأمة ، فأدركهم الغضب الى النهاية (١ تس ٢ : ١٤ ــ ١٦)

٢ : ١٤ — ١٦) . فكلام الرب هذا يطلق على اسرائيل من جهة سياسة الله معهم كأمته المختارة.

ولا يكنى بالسجن عن نار جهنم ، بل عن تأديبات الله لاسرائيل (لو ١٩: ٤١ — ٤٤ ، ٢١ : ٢٠ — ٢٤) ، ولم يزالوا للآن فى سجن التأديب ، لكنهم سيخرجون منه فيما بعد (انظر اش ٤٠: ١ و ٢، زك ٩: ١١و١٢)، وشهادات اخرى كثيرة جداً من التوراة والانجيل تصرح جميعها ان زمان تأديب اسرائيل كأمة سينتهى فى المستقبل ثم يخرجهم الله من سجنهم.ومن لطفه معهم ، لايحسب أنهم وفوا الفلس الاخير فقط، بل أنهم أيضاً ، نالوا من يده ضعفين عن كل خطاياهم . راجع الشهادتين المشار اليهما فى اشعياء وزكريا ، حيث يعبر فى الاخيرة عن حالتهم كأسرى فى جب بلا ماء، ولكنهم أسرى الرجاء لأن الله سيطلقهم منه ، ويرد عليهم ضعفين من التأديب عن خطاياهم وأما بحسب الثانية ، فسينالون ضعفين من البركة من يد الله

لا يصدق هذا الكلام مطلقاً على معاملات الله مع الناس افراداً . لأنه من الحقائق المؤكدة كل التأكيد ، ان كل من مات غير تائب ، يهلك هلاكاً ابدياً لان ما يجريه الله من تأديبات على أسرائيل، أو على المؤمن ، يوفى الغرض الالهى منها ، وهو الرجوع الى الصواب . اما الحقوق الالهية فلا يوفيها إلا موت المسيح . ولو قال الرب ، تلقى فى نار جهنم . ولا تخرج منها ، حتى توفى الفلس الاخير لكان هناك محل للظن بامكانية الخروج منها بطريقة ما .

ولا يوجد أساس بالمرة للقول بوجود مكان يقال له المطهر ، بين جهنم والنعيم يمكن الخلاص منه . لان موضعاً كهذا ليس مذكوراً ، ولا معروفاً فى كلمة الله .

« قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن واما انا فأقول لكم ، ان كل من ينظر الى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها فى قلبه » (ع ٢٧ و ٢٨)

الانسان الساقط متصف بانحراف العواطف وعصيان الارادة ولايجوز للمخلوق

ان يعمل بحسب ارادته مطلقاً أما العواطف الطبيعية التى جعلها الله له فى خلقه فيجوز له العمل بها انما بحسب ترتيب الله. فقد رتب الله الزواج للانسان لخيره حتى قبل السقوط ، اذ قال « ليس جيداً ان يكون آدم وحده . فأصنع له معيناً نظيره (تك ٢ : ١٨) ثم أباح الزواج لكل ذرية آدم بقوله « لذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكونان جسداً واحداً » (تكوين ٢ : ٢٤) . ولكن الانسان لم يحافظ على ترتيب الخالق الحنان هذا ، بل كثيراً ما خالفه كسائر الترتيبات التى وضعت له . ويحكم الرب هنا ، ليس على الزنى بالفعل فقط ، كما كان يحكم معلمو اليهود ، بل ايضاً على النظرة بالعين ، وتحرك الشهوة فى القلب كقول الرسول بطرس « عيونهم مملوءة فسقاً لا تكف عن الخطية » (٢بط ٢ : ١٤) ولا يخفى ان هذه النظرة الأثمة كانت هى أول خطوة فى سقوط داود وخطيته الشنيعة (٢ صم ١١ : ٢)[1] .

« فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك . لانه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم . وان كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها والقها عنك . لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يلقى جسدك كله فى جهنم » (ع ٢٩ و ٣٠) .

العين كناية عن النظر ، واليد عن إجراء الفعل . ويكنى بالأعضاء عموماً عن الشهوات المحرمة ، فيتكلم الرب عن وجوب نكران الذات وإماتة الشهوات كقول الرسول « فأميتوا أعضاءكم التى على الأرض ، الزنى النجاسة الهوى الشهوة الردية ... الخ » (كو ٣ : ٥ و ٦) فلا حاجة لى أن أقول أن معنى كلام الرب ليس هو قلع العين وقطع اليد حرفياً . لأن ذلك لايمنع ولايخفف حركات القلب . وإن سأل أحد ، فكيف إذن نميت الشهوات الردية فى قلوبنا ؟ فأقول :

---

(١) قابل تك ٣٤ : ٢ ، ام ٦ : ٢٥ ، اى ٣١ : ١

أولاً — يجب أن نراعى ترتيب الله من جهة حقيقة الزواج . قال الرسول «ولكن بسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته. وليكن لكل واحدة رجلها . ليوف الرجل المرأة حقها الواجب ، وكذلك المرأة أيضاً الرجل » (١ كو ٧ : ٢ و ٣) . من عاش فى الزواج المحلل بمخافة الرب يسلم من تجارب عديدة . وكلام الرسول هنا عن وفاء الحق الواجب ، الواحد للآخر ، يوجب على المتزوج القيام بالواجبات المتبادلة من هذا القبيل . لا يجوز للرجل أن يهمل امرأته و يعرضها للتجربة بغيابه عنها ، بل عليه أن يعيش معها بفطنة (١بط٣:٧) وكذلك المرأة أيضاً مع رجلها (١كو٧:١٠) لا يستطيع إلا العدد القليل من البشر أن يعيش بطهارة بلا زواج. وان استطاع أحد أن يعيش هكذا ، فيجوز له (١ كو٧:٣٧) ، ولكن لا يجب أن ينسى قول الكتاب « ليكن الزواج مكرماً عند كل واحد والمضجع غير نجس »(عب ١٣ : ٤) اذ قد امتنع كثيرون عن الزواج على أساس الزعم الفاسد بأن الزواج نوع من النجاسة ، فتجنبوه طلباً للقداسة . ولكن ذلك من تعاليم الشياطين (١ تى ٤ : ١ — ٥) ، لأن الترتيب الذى رآه الله حسناً جداً للانسان (تك ١:٢٧ـ٣١) حسبوه هم شيئاً نجساً وقد أثر هذا الزعم الردىء فى أفكار جانب كبير من المتزوجين حتى أنه يخيل اليهم أن المضجع نجس إلى درجة ما ولو حافظ كل منهم على قوانين الزواج . فلينتبه القارىء المسيحى إذن لئلا يكون من المفترين على ترتيب الله ، لأنه ليس للشهوة المحرمة مدخل فيما يختص بالعلاقة الكائنة بين الرجل وامرأته فى قيامهما بما عليهما لبعضهما من الواجبات الزوجية المتبادلة. لأن الزواج من الوسائط التى تحفظ المسيحيين فى العفة والطهارة .

ثانياً — اننا نحتاج فى أمر الطهارة الواجبة ، كما فى سائر واجباتنا ، إلى عمل الروح القدس فينا ليقوينا على انكار الذات وإماتة الشهوات. قال الرسول « ولكن ان كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون ... الخ » (رو ٨ : ١٣) . فان كنا لا نحزنه يكون فينا قوة الحياة الجديدة و يساعدنا على المعيشة التقوية أمام نظر الله فى

الباطن كما فى الظاهر أيضاً . ان كل من عاش فى الزنى ومات غير تائب لابد وأن يلقى فى نار جهنم كما قيل « وأما العاهرون والزناة فسيدينهم الله »(عب١٣:٤) [١] وكثيراً مايحاول ابليس أن يخدعنا، موهماً ايانا، بأن مجرد نظر العين وتحرك الشهوة ليسا محرمين ان لم نرتكب القباحة بالفعل. ولاشك أن القلب أيضاً يجب أن يلهج بالشر ولو امتنع عن العمل به . ولـكن النور الصافى المضىء فى كلام الرب يكشف لنا خداع ابليس من جهة واختلاجات قلوبنا الردية من جهة أخرى(عب٤:٢ و١٣) والغرض من ذلك النور اقتيادنا إلى نقاوة القلب (ع٨، اف ٥:٩ حاشية) و بساطة العين (ص ٦:٢٢و٢٣)

« وقيل ، من طلق امرأته ، فليعطها كتاب طلاق ، وأما أنا فأقول لـكم أن من طلق امرأته إلا لعلة الزنى يجعلها تزنى. ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى »(٣١و٣٢)

الزنى يحل عقد الزواج و يفسخه أمام الله. ولا يجوز الطلاق لعلة أخرى مطلقاً. لقد سمح موسى بمجرد سماح لرجال اسرائيل أن يطلقوا نساءهم لأسباب أخرى [٢].

ولم يكن ذلك السماح منه بحسب ترتيب الله الأصلي للانسان. ولذلك لما حضر النور الحقيقي رجع الزواج الى أصله بموجب هذا الحكم المطلق الذى نطق به السيد هنا. وكان الطلاق مكروهاً عند الرب من الأول (أنظر ملا ٢:١٤ـ١٦) حيث يوبخهم على سوء تصرفهم فى هذا الأمر و يشير الى ترتيبه الأصلى للانسان قائلاً « ان الرب هو الشاهد بينك و بين امرأة شبابك التى أنت غدرت بها وهى قرينتك وامرأة عهدك... لأنه يكره الطلاق. قال الرب » .

(١) قابل أيضاً رؤ ٢١ : ٨ ، ٢٢ : ١٥

(٢) اذ كانوا لقساوة قلوبهم يطلقون نساءهم، فحتم أن لايتم الطلاق بمجرد كلمة ، بل بكتابة كتاب (تث ٢٤: ١ ، مت ١٩: ٧) حتى يكون الـكتاب بيد المطلقة شهادة لعفتها وطهارتها حتى لا تتعرض للرجم الذى تستحقه الزوجة الزانية (عد ٥ : ٣١)

« من طلق امرأته الا لعلة الزنى يجعلها تزنى . ومن يتزوج مطلقة فانه يزنى » المقصود من هذا القول أن هذه المطلقة عندما تصير لرجل آخر تكون زانية . لأن علاقتها مع رجلها الأول لم تقطع (رو ٧ : ٣) . على أن الذي طلقها هو المسئول الأول عن ذلك . وهو نفسه أيضاً اذا تزوج بأخرى يكون زانياً . فحالة طلاق واحدة قد توجد أربعة أشخاص فى حالة زنى . أما المرأة العفيفة اذا طلقت ظلماً من رجلها فتقعد فى بيت أهلها مستوحشة . على انها لا تزال فى تجربة . ولم يتكلم الرب هنا عن زواج التى تطلق بسبب علة الزنى . ولكن واضح من أقوال الوحي أن « من التصق بزانية هو جسد واحد » أي يكون معها زانياً «لأنه يقول ، يكون الاثنان جسداً واحداً» (١ كو ٦ : ١٦)

« أيضاً سمعتم انه قيل للقدماء ، لا تحنث بل اوف للرب أقسامك . وأما أنا فأقول لكم ، لا تحلفوا البتة . لا بالسماء لأنها كرسى الله . ولا بالأرض لأنها موطىء قدميه ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم . ولا تحلف برأسك ، لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء ، أو سوداء . بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا . وما زاد على ذلك فهو من الشرير » (ع ٣٣—٣٧) .

يوجد ثلاثة أنواع من الحلف : أولاً — الحلف باطلاً أو بخفة أو بغير داع . وهو ما ينهى عنه الرب هنا نهياً مطلقاً، سواء كان باسم الله أو بأشياء أخرى كالسماء أو الارض (يع ٥:١٢) . أو أورشليم أو خلافها مما يحسب ان له أهمية لنسبته لله ، حتى اذا حلف به أحد يلتزم به ، فلا يجوز ذلك . لأن قصد الحالف ، مهما كان نوع حلفه ، هو أن يستشهد الله على نفسه : والحقيقة انه لولا نسبة اورشليم اليه تعالى مثلاً كمدينته (مز ٤٨:٣) والارض كموطىء قدميه والسماء ككرسيه (اش ٦٦:١) ، لما كان للحلف بها أهمية عند الحالف . راجع مت ٢٣:١٦—٢٢ . ثم لا يجوز أيضاً ان تحلف بعضو من أعضائك كرأسك مهما كان عزيزاً عندك لأنه انما هو جزء منك كمخلوق ضعيف أيضاً لا تقدر ان تصنع أدنى عمل من أعمال الخالق . فبحلفك بأحد

أعضائك أنت فى حقيقة الامر تقيم ذاتك مقام الله الذى خلقه وله ملكيته . وكان هذا النوع من الحلف ممنوعاً فى شريعة موسى كما لا يخفى . على ان اليهود خالفوها كالجانب الأكبر من المسيحيين بالاسم فى الوقت الحاضر .

ثانياً — النذور ، وعليها كلام آخر ، لأنه كان مسموحاً بها لليهود (تث ٢٣: ٢١ — ٢٣ ، عد ٦: ٢ — ٢٠ ، ٣٠: ٢) . ولكن لم يحتم الله على الاسرائيلى ان ينذر نذراً وانما اذا نذر بمحض اختياره ، فكان ملزماً بأن يفى بعهده . وواضح أنه يشار بالقول الوارد هنا « بل اوف للرب اقسامك » الى (تث ٢٣: ٢١ — ٢٣ ، عد ٣٠: ٢) حيث يتكلم موسى عن النذور ، كأمر مسموح به ، فكيف يبطل الرب هنا ما سمح به قبلاً ؟ فأقول أنه بحضور ابن الله ، تبرهنت حقيقة الانسان ، أنه ضعيف وعاجز . فى حين ان النذر يفرض وجود قوة فى الانسان ، لأن أخذه على نفسه عهداً بأن يعمل لله شيئاً فوق واجباته الاعتيادية تبرعاً منه معناه أنه يأنس فى نفسه القوة لذلك . ولم يكن قد اتضح تماماً قبل رفض المسيح وموته أن الانسان عديم القوة ، كما أنه منحرف الى الشر أيضاً .

وكان الله يعامل اسرائيل بحسب المبادىء الناموسية الى وقت مجيء المسيح . وأما بعد ذلك فلا يعاملنا هكذا ، اذ قد ظهرت حقيقة حالنا . وأيضاً قد فدانا فداء تاماً بدم المسيح فصرنا له بجملتنا نحن وكل ما عندنا[١] . ومن ثم لم يبق محل للنذور . فاذا حاولنا ان ننذر له قسماً من مالنا مثلاً ، فهو كله له ، ومن أين لنا الحق بأن ننذر له جزءاً من شيء هو كله له ؟

ثالثاً — الحلف أمام القاضى لأجل تثبيت الشهادة قانونياً . وهذا ليس داخلاً ضمن تحريم الرب هنا . ومما يثبت ذلك أن الرب نفسه جاوب رئيس الكهنة

(١) رو ١٤: ٧ — ٩ ، ٢ كو ٥: ١٥ .

تحت اليمين حين كان واقفاً أمامه للقضاء (مت ٢٦: ٦٣ و٦٤)[١] .

« بل ليكن كلامكم نعم نعم لا لا وما زاد على ذلك فهو من الشرير » (ع ٣٧) هذا هو القانون الإيجابى لنا فى معاملة الآخرين. فيجب ان نجاوب بكلام الصدق، سواء صدقوا أو لم يصدقوا . أما ان زدنا بنطق الأقسام لأجل تثبيت كلامنا فالذى يحركنا الى هـذا النوع من الإفراط فى الكلام.إنمـا هو إبليس . فما أكثر الذين يتكلمون بإلهام منه !

« سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن » (ع ٣٨) . وضعت هذه الشريعة للقضاة فى حكمهم[٢] على المعتدين لتأديبهم ومنع المعتدى عليه من الأخذ بالثأر ، لأن لله النقمة (رو ١٢: ١٩). وقد يستخدم الله الحاكم للانتقام (رو ١٣: ٤) ولكن اليهود اتخذوها علة أو وسيلة للانتقام الشخصى من الذين تعدوا عليهم. ولم يكن ذلك جائزاً فى العهد القديم . انظر أم ٢٠: ٢٢ ، ٢٤: ٢٩ ، فكم بالحرى لا يجوز لتلاميذ المسيح فى العهد الجديد !

« وأما أنا فأقول لكم، لا تقاوموا الشر. بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً . ومن أراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً . ومن سخرك ميلاً واحـداً فاذهب معه اثنين . من سألك فاعطه . ومن أراد أن يقترض منك فلا ترده » (ع ٣٩—٤٢) .

« لا تقاوموا الشر » الشر هنا بمعنى الظلم أو التعدى علينا من الآخرين (مز ٣٧: ١٢ و١٤ ، رو ١٢: ١٧—٢١) .

« من لطمك على خدك الأيمن .. الخ » اللطم على الخـد هو أشنع أساليب

(١) هـذا الحلف أمام القاضى كان يحتم به الناموس ، سواء كان شرعيـاً لتبرئة ساحة المتهمة بالزنى (عد ٥: ١٩) ، أو مدنياً لتبرئة ساحة المتهم بالسرقة مثلا (خر ٢٢: ١١).

(٢) (خر ٢١: ٢٣—٢٥ ، لا ٢٤: ١٩ و٢٠ ، تث ١٩: ٢١)

الإهانة والتحقير[١] . ويجب ان نحتمله بالصبر . وان كان الظالم لم يكتف بلطمة واحدة فليلطم الثانية . انظر ما عمل الرب نفسه فترى انه يقصد بكلامه هذا ان يعلمنا احتمال الظلم بالصبر[٢] .

« ومن أراد ان يخاصمك ويأخذ ثوبك فاترك له الرداء ايضاً » (ع ٤٠) . هذا من جهة محاولة اغتصاب ما لنا ظلماً، أو من اراد ان يقيم علينا دعوى كاذبة، فلا نستميت في الدفاع[٣] عن اموالنا كأولاد العالم الذين نصيبهم هنا (مزمور ١٧ : ١٤) ولكن لا ينتج من ذلك انه لا يجوز لنا ان نخبر القاضي بالحق لاننا نرى ان الرب نفسه له المجد اخبر الحاكم بالحق في دعواه لما اشتكوا عليه ظلماً[٤]، وكذلك فعل بولس الرسول[٥]. فعلينا ان نخبر بالحق، ثم نترك النتيجة لله. وكيفما انتهت المسألة نقبل.

وان قيل ان التصرف على هذا النحو من المستحيل . وإن عرف الاشرار اننا على مبدأ كهذا ، فانهم يسلبوننا سلباً ويقتلعوننا من الارض. فاقول ، ان التصرف بحسب تعليم سيدنا ليس مستحيلا لانه موجود ليعيننا وليحفظنا في جميع طرقنا . وهو أمين لا يدعنا نجرب فوق طاقتنا، ومع التجربة يدبر منفذاً بحسب وعده (٢ بط ٢ : ٩) وليس أدل على ذلك من استمرار وجودنا في العالم رغم ظلم الظالمين في كل حين . اذ لو كانت حياتنا متوقفة على ارادتهم لاهلكونا من زمان بعيد .

« ومن سخرك ميلا واحداً فاذهب معه اثنين » (ع ٤١) التسخير هو من الامور الصعبة[٦] ، ولكن يجب ان نقبله بصبر ملقين رجاءنا على الذي يعين المظلومين[٧] وعوضاً عن ان نقاوم ، يجب ان نطاوع (تي ٣ : ١ و ٣) . بل يكون

(١) ١ مل ٢٢ : ٢٤ ، ١ كو ٤ : ١١ ،

(٢) اش ٥٠ : ٦ ، مت ٢٦ : ٦٧ ، ١ بط ٢ : ١٩ - ٢٣ . (٣) فخسارتنا للثوب أو الرداء أو أية خسارة مالية اخرى لامثال هؤلاء القساة هي أهون من خسارتنا القدوة المسيح ومن فقدان السلام (٤) يو ١٨ : ٣٦ . (٥) اع ٢٣ : ١٢ - ٢٤ ، ٢٥ : ٦ - ١٢ (٦) مر ١٥ : ١٦ و ٢٠ و ٢١ . (٧) مز ١٠٣ : ٦ ، ١٤٦ : ٧

لنا الاستعداد لنعمل اكثر مما يطلب منا بعمل نعمة الله فينا .

ليس لاهل العالم عزاء فى مثل هذه الاحوال لانهم لايعرفون سيرة ربنا يسوع المسيح قدوتنا الذى قيل عنه « ظلم اما هو فتذلل ولم يفتح فاه » (اش ٥٣ : ٧) .

«من سألك فاعطه» . (ع ٤٢) . هذا من جهة عمل الاحسان (لا ٢٥ :٣٥). وأظن انه مفروض ان السائل محتاج، وانه من واجباتنا ان نتحقق ذلك قبل ان نعطيه (انظر اف ٤ : ٢٨ ، ١ يو ٣ : ١٧) حيث نرى ان الذين من واجبنا ان نساعدهم هم المحتاجون . وانه يجب علينا ان نميز اهل الايمان عن الآخرين (غل ٦: ١٠). انظر ايضاً (٢تس ٣ : ٦-١٥) حيث يعلم الرسول بوجوب الشغل ، وانه ان كان أحد لا يريد ان يشتغل فلا يأكل ايضاً. وانظر ايضاً اع ٢٠ :٣٥ حيث يوضح هذا الموضوع نفسه لشيوخ كنيسة افسس ذاكراً بصريح اللفظ وجوب الاحسان الى الضعفاء . وهم العاجزون عن تحصيل قوتهم.

لا يخفى ان كثيرين يقتبسون من اقوال الرب قولاً مثل هذا الذى نحن بصدده ، ليس بقصد الاستفادة منه ، بل ليدللوا منه على عدم امكانية العمل بمثل هذه الوصايا زاعمين اننا اذا حاولنا ان نسلك بموجبها فلا بد ان نفرق كل ما عندنا من المال فى اقرب وقت ، اذ سيجتمع علينا المحتاجون حالاً ، بل والمحتالون ايضاً ، ويأخذون كل اموالنا بموجب امر الرب . فاقول ، طوبى للعبد الذى قد عرف انه هو وماله للرب الذى اشتراه ، والذى لو امره سيده بتفريق ماله لا يسوء ذلك فى عينيه . لان الفقر الناتج عن ذلك منبوط (٢ كو ٨ : ٩) . ولان وصايا الرب فى شأن العطاء كسائر وصاياه ليست ثقيلة إلا على قليل المحبة له [1] .

على انه لم يأمرنا بالتصرف الاعمى فى هذا أو خلافه . فانه يريد ان يملأنا من معرفة مشيئته فى كل حكمة وفهم روحى لنسلك كما يحق له فى كل رضى مثمرين

(١) ١ يو ٥ : ٣ ، يو ١٤ : ١٥ و ٢٣ و ٢٤ .

فى كل عمل صالح (كو ١ : ٩ و ١٠) لاننا لا نقدر ان نقوم بشىء من واجباتنا المسيحية ان لم نكن روحيين ولنا التمييز اللازم لاجل التصرف اللائق بنا كتلاميذه.

« ومن اراد ان يقترض منك فلا ترده » قابل هذا مع (لو ٦ : ٣٤ و ٣٥) فترى ان معناه ان نقرض المحتاجين ولو كان الامل ضعيفاً فى قدرتهم على رد ما يقترضون . وهذا ايضاً من باب الاحسان . (تث ١٥ : ٧ ـ ١١)[١] .

«سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك. واما انا فاقول لكم، احبوا اعداءكم باركوا لاعنيكم. احسنوا الى مبغضيكم . وصلوا لاجل الذين يسيئون اليكم ويطردونكم، لكي تكونوا ابناء ابيكم الذى فى السموات. فانه يشرق شمسه على الاشرار والصالحين ويمطر على الابرار والظالمين. لانه ان احببتم الذين يحبونكم فأي اجر لكم ؟ اليس العشارون ايضاً يفعلون ذلك ؟ وان سلمتم على اخوتكم فقط فأى فضل تصنعون ؟ اليس العشارون ايضاً يفعلون هكذا؟ فكونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذى فى السموات هو كامل » . (ع ٤٣ ـ ٤٨) .

« سمعتم انه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك » . هذا قولهم، اما قول الله فهو « تحب قريبك كنفسك » : (لا ١٩ : ١٨) ، ولم يقل « وتبغض عدوك »[٢] فان هذا مما أضافه معلمو اليهود كما حذفوا كلمة « كنفسك » .

---

(١) وليس لاجل الربا أو المرابحة لانهما محرمان (خر ٢٢: ٢٥، لا ٢٥: ٣٦ و ٣٧ ؛ نح ٥ : ٢ و ٧) .

(٢) وان كان هناك عدو عليهم ان يبغضوه ، فلم يكن هو من يعاديهم معاداة شخصية . لان الناموس أمرهم ان يحسنوا معاملة مثل هذا (خر ٢٣ : ٤ و ٥ ، ام ٢٤ : ١٧ و ١٨ ، ٢٥ : ٢١ و ٢٢) ، بل كان هو من يعادى الله ويتحداه ، فيعاديه الله ويأمرهم كحكومته على الارض ان يقضوا عليه بلا شفقة (تث ٢٣ : ٣ - ٧ ، يش ٦ : ٢ و ٢٠ و ٢١) . فلما كان لهم كحكومة الهية ، انتهى امرها ، حوله معلمو اليهود الى قانون للانتقامات الشخصية . وهذا ما كان المسيح ينقضه .

« احبوا اعداءكم . باركوا لاعنيكم . الخ » . لم يتسع تعليم كهذا من الشريعة ولا نقدر ان نعمل به إلا بنعمة الله الفعالة العاملة فينا لانها وحدها القادرة ان تجعلنا ان نتمثل بسيدنا وربنا الذى مات عن اعدائه[1] وبأبينا السماوى ايضاً الذى لا يزال بأعمال عنايته يصنع خيراً مع الاشرار[2] .

« لـكى تكونوا ابناء ابيكم » . أى لـكى تظهروا كأبنائه، أو لـكى تبرهنوا عملياً انكم ابناؤه . لاننا أننا نصير اولاده بالولادة الثانية ، ثم نظهر حقيقة ولادتنا بتمثلنا به كمن ولدنا (اف ٥ : ١) .

يوجد نوعان من المحبة، محبة الشركة، ومحبة الشفقة . فنحن نحب اخوتنا محبة من النوع الاول . وبها نقاد لممارسة الشركة معهم . واما محبة الشفقة فيمكننا ان نظهرها نحو اعدائنا ، اذ ننظر اليهم ، ليس من حيث عداوتهم لنا ، بل من حيث حالتهم كخطاة امام الله ومستعبدين لابليس، فنشفق عليهم ونصنع معهم خيراً بحسب اقتضاء الاحوال . واما الشركة معهم فليست ممكنة (٢ كو ٦: ١٤ و ٧: ١ و ١ كو ١٥ : ٣٣ و ٣٤) ما داموا ليسوا فى شركة مع ابينا السماوي (اف ٤ : ١٨) على انه لا يمتنع عن ان يجرى لهم اعمال الرحمة كل يوم ، لانه يجود على الجميع نظراً الى احتياجهم، لا الى سوء معاملتهم له . فينتفعون من ألطافه ولا يفرقون عن الحيوانات البكم التى تأكل مما أعد لها بعناية الله بدون ان تعرفه (مز ٤٩ : ١١ و يه ١٠) ، لا بل الاشرار اردأ منها لانهم كثيراً ما يسبون الله (اش ٨: ٢١) ويلعنون اولاده ويسيئون اليهم . ولـكن ، مع ذلك كله هم بشر قد مات المسيح لاجلهم . وكنا نحن ايضاً جميعاً مثلهم (اف ٢: ٣ ورو ٣: ٩) . فيجب ان

(١) ٢ تى ٢ : ١ وعب ٤ : ١٥ و ١٦ ، اف ٥ : ٢ ، ورو ٥ : ٦ — ١٠ .

(٢) وقد اختار المسيح الشمس والمطر من بين علامات التسامح الالهى مع الاشرار لانهما يشملان كل البشر ولانهما قوام الحياة كلها سواء كانت بشرية أو نباتية أو حيوانية (مز ١٠٤ : ٣ — ٢٣ ، ١٩ : ٤ — ٦ ، ملا ٤ : ٢) .

نرتفع فوق الحاسيات والانفعالات البشرية ، ونعطيهم على الاقل قدوة حسنة لعلهم ينتبهون ويتوبون (٢ تى ٢ : ٢٥ و٢٦) . إنه من السهل ان نحب احباءنا ولكنه امر ضد طبيعتنا على خط مستقيم ان نصنع معروفاً مع اعدائنا . ومع ذلك فبسبب الولادة الجديدة وسكنى الروح القدس فينا ، الذى من اول اثماره المحبة (غل٥: ٢٢) نستطيع ان نحب اعداءنا .

« لانه ان احببتم الذين يحبونكم فأى اجر لكم؟» . اليس العشارون ايضاً يفعلون ذلك؟ . . . الخ » . كان العشارون اسرائيليين واستخدموا عند الاجانب المتسلطين على أمتهم . فكانوا مكروهين عند كل يهودى بقى فيه شىء من حب الوطن والاعتبار لديانته . وبلا شك كانوا مستحقين البغض من بنى جنسهم لانهم تخلوا عن الدين وفسدوا من جراء معاشرتهم لاسيادهم الرومان . واما نعمة الله التى ظهرت بيسوع المسيح فارتفعت فوق الشرور البشرية ولم تكن طالبة صلاحاً فى الانسان، بل اعلنت ماهو الله . فان كان العشارون والخطاة، الذين كان يقترن اسمهم باسم الوثنيين والزناة (مت ١٨: ١٧ و ٢١ : ٣١) يحبون الذين يحبونهم ، فماذا يفضل عنهم تلاميذ المسيح ؟انهم مطالبون لا ان يزيد برهم عن العشارين، بل عن الكتبة والفريسيين ويبلغ الى مستوى نعمة ابيهم السماوي فى معاملة الآخرين .

« فكونوا انتم كاملين كما ان اباكم الذى فى السموات هو كامل » . الكمال المطلوب هنا عبارة عن التصرف بحسب القانون الموضوع لارشادنا . فهو كمال نسبى . قيل عن نوح انه وجد كاملا امام الله (تك ٦ : ٩) لانه تحفظ من الظلم والفساد اللذين امتلأت الارض منهما فى ايامه . وكذلك قيل عن ابراهيم (تكوين ١٧ : ٢) لانه كان مطلوباً منه ان يسلك بالايمان ويستوطن أرض الموعد كغريب ، فعمل كذلك . وهكذا يمكن لتلاميذ المسيح ان يتصفوا هم ايضاً بالكمال اذ اقتدوا بأبيهم السماوى فى انعامه على اعدائه وتسامحه معهم .

فالكمال المقصود اذن ، ليس هو الكمال المطلق ، لان هذا لا يوجد إلا فى الله وحده كما لا يخفى .

تكون الممارسة لكل من الصدقة والصلاة والصوم ، محذراً إياهم من الرياء.

لقد وردت شهادات كثيرة جداً فى العهد القديم من جهة عمل الصدقة، كقول الحكيم « من يرحم الفقير يقرض الرب وعن معروفه يجازيه » و « الصالح العين هو يبارك لانه يعطى من خبزه للفقير » و « من يعطى الفقير لا يحتاج ولمن يحجب عنه عينيه لعنات كثيرة » (أم ١٩ : ١٧ ، ٢٢ : ٩ ، ٢٨ : ٢٧) . ولكونها من الاعمال الحسنة كثيراً ما يصنعها الناس ليس عن نية مخلصة، بل لاكتساب المدح من الآخرين.

« فلا تصوِّت قدامك بالبوق » وهو تعبير مجازى يدل على التنبيه والاشهار ولفت الأنظار .

« كما يفعل المراؤون »، المراؤون هم المتظاهرون بخلاف ما هم عليه .

« فى المجامع وفى الأزقة »، المجامع هى أماكن الازدحام الدينية . والأزقة هى أماكن الازدحام الدنيوية .

« لكى يمجدوا من الناس» إذ ليس غرضهم مجد الله ، بل للمدح من الناس. (قارن يو ١٢ : ٤٣ مع يو ٥ : ٤٤).

« انهم قد استوفوا أجرهم » . أى المدح من الناس وهو ما طلبوه ، فنالوه ، وليس لهم اكثر من ذلك . لأن الله لا يحسب صدقتهم عبادة له.

فالقانون لتلاميذ المسيح هو أن يحترزوا من صنع صدقتهم قدام الناس لكى ينظروهم ، كقوله « فلا تعرف شمالك ما تفعل يمينك » أى لا تفكر أنت فيما تفعل لئلا يأخذك العجب بنفسك .

«فأبوك الذى يرى فى الخفاء». أى الذى ينظر عطيتك الخفية ويعرف ما هى نية قلبك الداخلية « هو يجازيك (علانية) » . ولكن ليس على سبيل الاستحقاق (لو ١٧ : ٧ — ١٠) بل على سبيل النعمة.

كان الله معتاداً فى الايام القديمة أن يجازى المحسنين فى الارض، كما يتضح من

الشهادات التى اقتبست آنفاً . راجع أيضاً مز ١١٢ . فأنه يتعلق كله بغبطة المعطاء ومجازاة الرب للمعطى ، من حيث انه يكثر له الخيرات الزمنية . ولكن لما اقتبس الرسول بولس من هذا المزمور عبارة فى ٢ كو ٩: ٩ ليثبت بها وجوب العطاء، لم يذكر المواعيد المتضمنة فيه بالمجازاة، بل اقتصر على ما يصف عمل الخير كمبوط ومرضى عند الله . اذا شاء الرب، يمكنه أن يجازينا الآن على احساناتنا، ولكن الوعد الخاص هو المجازاة عند مجىء الرب وقيامة الابرار (ص ١٠: ٤٢، لو ١٤: ١٤) . لذلك قيل « ولكن ليشارك الذى يتعلم الكلمة المعلم فى جميع الخيرات . لا تضلوا، الله لا يشمخ عليه. فان الذى يزرعه الانسان إياه يحصد أيضاً. لان من يزرع لجسده فمن الجسد يحصد فساداً . ومن يزرع للروح فمن الروح يحصد حياة أبدية . فلا نفشل فى عمل الخير لاننا سنحصد فى وقته إن كنا لا نكل . فاذا حسبما لنا فرصة فلنعمل الخير للجميع ولا سيما لأهل الايمان» (غل ٦: ٦ ـ ١٠) .

اننا لو حصلنا فى الحال على بركات أرضية جزاء على عمل الخير، لما كنا فى تجربة أن نكل . ولكننا قد دعينا أن نتمثل بأبينا الذى سيجازينا فى وقته وبالطريقة التى تؤول لمجده، ولزيادة تمتعنا به الى الابد.

يلاحظ أنه قيل هنا أن الآب هو الذى يجازينا . وفى مواضع أخرى قيل أن الرب يسوع المسيح هو الذى يجازينا (ص ١٩: ٢٧) وهذا كله صحيح. فان الآب السماوي سيصادق علينا كأولاده ويمدح كل واحد منا لأجل أمانته فى سلوكه هنا كابن له . والرب يسوع أيضاً سيصادق علينا كعبيده فى خدمتنا له ، ويمدح كل واحد منا على حسب أمانته كعبد له .

« ومتى صليت فلا تكن كالمرائين . فأنهم يحبون أن يصلوا قائمين فى المجامع وفى زوايا الشوارع لكى يظهروا للناس. الحق أقول لكم انهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صليت فادخل الى مخدعك واغلق بابك وصلِّ الى أبيك الذى فى الخفاء . فأبوك الذى يرى فى الخفاء يجازيك (علانية) » (ع ٥ و ٦) .

الكلام هنا عن الصلاة الانفرادية ، لا العائلية ، ولا الاجتماعية . فالمشار اليهم عوضاً عن أن يصلوا صلاتهم الانفرادية فى الخفاء ، منفردين بالله ، طلبوا الشهرة ، وصلوها ظاهرين ، لكى ينظرهم الناس ويمدحوهم. فليس لهم أجر سوى ذلك . أما الذى يواظب على الصلاة الانفرادية، فينال جزاء، لان الآب ينظر اليه بسرور فى اختلائه به ويقبل طلباته.

« وحينما تصلون لا تكرروا الكلام باطلاً كالأمم . فانهم يظنون أنه بكثرة كلامهم يستجاب لهم . فلا تتشبهوا بهم . لان أباكم يعلم ما تحتاجون اليه قبل أن تسألوه » (ع ٧ و ٨).

كثرة الكلام مكرهة عند الرب فى كل الأحوال (أم ١٠:١٩) ولا سيما فى الصلاة (جا ٥:٢و٣) والممنوع هنا تكرار الكلام باطلاً، وهو التكرار الصادر عن عدم الثقة. لان الله يسمح لنا أن نكرر طلبة واحده مرة بعد أخرى، أى فى أوقات متفاوتة إن كنا نعمل ذلك بثقة . وقيل عن ربنا يسوع نفسه أنه صلى للآب من جهة الكأس ثلاث مرات « قائلاً ذلك الكلام بعينه » (ص ٢٦ : ٣٩ - ٤٤). وبولس أيضاً طلب من الرب ثلاث مرات أن تنزع منه الشوكة (٢ كو ١٢:٧-٩)، لان هذه لجاجة وليست تكراراً. واللجاجة فى الصلاة ممدوحة ومطلوبة (لو ١١:٨ ، ١٨:٥ ، أع ١٢:٥) . وأما الأمم ، فاذ ليست لهم الثقة ، يكررون الكلام ، بدون ذهن، وبغير وعى، كشىء مفروض عليهم، ظانين أنهم إذا أكثروه يجيئهم الجواب. أنظر ما فعله كهنة البعل فى ١ مل ١٨:٢٦ - ١٨ ، ولكن الله ليس بمتغافل عن احتياجاتنا، لانه يعلمها قبل أن نسأله .

ولنلاحظ ان المسيح لا يقول ان الآب يعطينا احتياجاتنا دون ان نسأله ، بل يعلمها قبل ان نسأله . فهو يريد ان يربى فينا الثقة فى الصلاة ، لا ان يمنع الصلاة .

ربما يقول قائل ، ولماذا لا يعطينا بغير صلاة ؟ فأقول ، انه قد عين هذه الطريقة لكى يمنحنا بها ، ويربى فينا العواطف الناتجة عن روح البنوة ، وهى الدالة والثقة ،

ويحقق لنا انه يحبنا ويعتني بنا فى كل أحوالنا . لأننا عندما نرى أجوبة مؤكدة من عنده ، نزداد ثقة فيه . لكن لو باركنا بغير صلاة ، لكنا نتمتع بخيراته بدون ان نعرفه .

« فصلوا أنتم هكذا . . أبانا الذى فى السموات . . الخ » (ع ٩)

قد وصلنا الى صورة الصلاة المعروفة عند جميع المسيحيين « بالصلاة الربانية » . وقد ظن الكثيرون انها توافق حالة المسيحيين فى كل حين . وقد درجت عندهم ان يعلموها لأولادهم ، وأمنيتهم أنهم يحفظونها عن ظهر قلب ، ويصلونها ، لتميزهم كمسيحيين عن الآخرين حتى ولو عاشوا فى جهل لكل ما عداها من الحقائق المسيحية . كما كثر استعمالها كفرض فى بعض الكنائس المسيحية ، بل وكثيراً ما يكررها البعض كعقوبة دينية ، يحكم عليهم بها لأجل زلة ما ، أو يكررونها عدة مرات كخدمة نافلة ، ظانين أنه يكون لهم فضل عند الله لأجل ذلك . ولا أريد ، من سرد هذه الحالات ، ان أندد بغيرة المسيحيين ، وتمسكهم بعقائدهم ، ولا بغيرتهم فى تربية أولادهم تربية مسيحية ، فانه من ألزم واجباتنا ان نعلم أولادنا التعاليم المسيحية وان نربيهم فى مخافة الرب ، بتأديبه وانذاره (أف ٦ : ٤) وان لم تظهر نتائج حسنة فى الحال فلنا رجاء فى انهم ينتبهون فيما بعد الى حقيقة الايمان . على انني رغم ذلك أقول :

أولاً — ان تكرار هذه الصلاة ، كفرض ، لا ينفع الكبار ولا الصغار . لأن ذلك وتكرار الكلام باطلاً ، شيء واحد .

ثانياً — الاقتصار على هذه الصلاة ، دون غيرها من الصلوات المدونة فى العهد الجديد ، ليس من الأمور اللائقة . ولا شك عندى أنه قد صدر عن الافكار اليهودية التى استولت على كثيرين من المسيحيين ، منذ القديم .

ثالثاً — الطلبات التى تتكون منها هذه الصلاة صيغت بكيفية توافق حالة تلاميذ المسيح زمان وجوده بالجسد معهم على الارض ، أو قبل موته وقيامته ،

وصعوده الى السماء وإرساله الروح القدس يوم الخمسين ، أو بعبارة أخرى فى زمان الكرازة ببشارة الملكوت ، أو بالمسيح ملكاً لليهود . أما المسيحية فلم تبدأ إلا بعد أن رفض المسيح ، كملك اليهود ، وصلب ، وصنع الخلاص بموته لكل البشر . ثم قام وصعد وأرسل الروح القدس يوم الخمسين ، ليسكن فى قلوب الذين يؤمنون ، وفى ذلك اليوم فقط بدأت المسيحية . أما فى وقت ان علمهم المسيح هذه الصلاة فقد كانوا كيهود أتقياء متعودين على الصلوات المناسبة للعهد القديم . ولكن لما حضر المسيح وانقادوا الى تعليمه ، أخذوا يشعرون باحتياجهم الى طلبات أخرى ، تناسب أحوالهم الجديدة . انظر لو ١١ : ١ـ٤ فترى انهم طلبوا من الرب ان يعلمهم ان يصلوا ، كما علم يوحنا المعمدان تلاميذه . لقد كان الرب معتاداً ان يصلى وحده (لو ٩ : ١٨ ، ٢٢ : ٤١) ، لأنه لم يمكن ان يصلى مع الآخرين ، كأنه يتقدمهم ، إذ ان له نسبة فريدة مع الآب تقتضى انه يصلى بموجبها وحده . علاوة على انه لم يكن يصلى كخاطىء ، كما نصلى نحن .

« فصلوا أنتم هكذا . . » ، أى على هذا الاسلوب ، أو على هذا المنوال . فهذه الصلاة إذن لم يقصد الرب منها ان يقتصروا على كلماتها . ولا ينتج عنها انها توافقهم فى كل حين ، لأن طلباتهم تتغير بتغير أحوالهم . وهذا ما صار فعلاً بعد موت المسيح ، وتمجيده ، لأنه حينئذ حلّ عليهم الروح القدس ليعينهم فى الصلاة (رو ٨ : ٢٦ و٢٧)[1] . كما فى سائر واجباتهم . وأما قبل ذلك فلم يكن المسيح قد

(١) لو كانت هذه الصلاة هى الصلاة التى يجب علينا كمؤمنين بالمسيح ان تتقدم بها الى الله لما ساغ للرسول أن يقول لنا « لأننا لسنا نعلم ما نصلى لأجله كما ينبغى ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها ولكن الذى يفحص القلوب يعلم ما هو اهتمام الروح لأنه بحسب مشيئة الله يشفع فى القديسين » (رو ٨ : ٢٦ و٢٧) فهذه الاقوال ترينا اننا الآن يجب علينا أن نسلم قيادة حياتنا للروح القدس الساكن فينا المعطى لنا من الله لكي يقودنا الى طلب ما هو حسب مشيئة الله فى حياتنا الجديدة بما يطابق دعوتنا ونسبتنا اليه .

مات ولا قام ولا تمجد فى الاعالى ولا أرسل روحه . و بالتبعية لم يكن لهم معرفة باتحادهم معه بالروح القدس كرأسهم وهو عن يمين الله ولا بالحقائق الاخرى التى إن كنا نحن الآن لا نعرفها فاننا لا نستحق ان نسمى مسيحيين . وليقابل القارىء العزيز هذه الصلاة مع كثير من الطلبات الواردة فى سفر الأعمال وفى الرسائل (١) ، فيرى حقيقة كلامى فى شأن هـذا الموضوع ويتأكد من صحته . ومع ذلك فانى لا أشاء ان أنطق بكلمة واحدة تحط من شأن أو قدر هذه الصلاة لأنها جزء من أقوال المسيح الثمينة . ولا يزال جزء كبير من طلباتها يناسب أحوالنا ، كما سنرى . ولا بأس من استعمال هذا الجانب ، إن قادنا الروح القدس الى ذلك . وأما الصلاة بجملتها فلا يمكن للمسيحى المتمكن فى أصول ايمانه ان يمارسها .

تتكون هذه الصلاة من سبع طلبات ، ثلاث منها خاصة بالله ، وأربع خاصة بالانسان . وابتداؤها بما يخص الله يوضح قول الرب فى ع ٣٣ « أطلبوا أولاً ملكوت الله و بره وهذه كلها تزاد لكم » . فلنلاحظ فى صلواتنا أن لا نقدم احتياجاتنا على مطاليب الله .

« أبانا الذى فى السموات » . ينبغى أن تكون صلواتنا بحسب النسبة التى أوجدنا الله فيها معه . كان المؤمنون القدماء ، أى فى زمان قيام الديانة اليهودية ، يخاطبونه كإله اسرائيل (١مل٨:٢٣) ، ورب الجنود (٢صم٧:٢٧) ، والجالس على الكروبيم (مز ٨٠:١) ، الى غير ذلك من الألقاب الدالة على نسبتهم اليه . وأما اسم « الآب » فلم يذكروه فى صلواتهم ، لأن البنوة لم تعرف قبل حضور الابن الوحيد فى الجسد . فلما شرع يعلم تلاميذه أن يقولوا « أبانا الذى فى السموات » أعلن لهم هذه النسبة الجديدة . على أنهم لم يدركوا معنى البنوة تماماً قبل حلول الروح القدس وسكناه فيهم . كان المسيح يعلن لهم اسم الآب و يعرفهم به ، أثناء خدمته

---

(١) راجع أع ١ : ٢٠ و٢٥ ، ٤ : ٢٤ — ٣٠ ، ٩ : ٥ و٦ و١٢ و١٤ ، أف ١ : ١٦ و١٧ ، ٣ : ١٤ — ١٧ ، فى ١ : ٣ — ٥ .

ووجوده معهم بالجسد على الأرض (يو ١٧ : ٦ و٢٦) . على أن هذا مع غيره من الحقائق الجديدة ، لم يدركوها الى أن أتاهم المعزى ليعلمهم بكل شيء[1] . فان المقام المسيحي يتميز بشيئين : هما سكنى الروح القدس فى قلوبنا[2] ومعرفتنا لمغفرة خطايانا (١يو ٢ : ١٢) ، و بنوتنا لله (١يو ٣ : ٢) . لأن الروح القدس الذى سكن فى قلوبنا هو الذي يشهد فينا لحصولنا على تينك البركتين و بالتبعية على كل مايترتب على نوالنا اياهما فنتحقق أن الله أبونا ، كما هو الهنا أيضاً حسب قول الرب يسوع بعد قيامته « انى أصعد الى أبى وأبيكم والهى والهكم » (يو ٢٠ : ١٧) .

ووصف الآب بأنه « الذى فى السموات » هو للمباينة بينه و بين آباء أجسادنا الذين على الأرض، وقد أمرنا الرب قائلاً « ولا تدعوا لكم أباً على الأرض لأن أباكم واحد الذى فى السموات » (مت ٢٣ : ٩) .

« ليتقدس اسمك » أي اسم الله كالآب . لقد وردت شهادات كثيرة جداً عن تقديس اسم الله ، لايخفى أن اسمه قدوس أو بالحري ان الله قدوس باعتبار جميع أسمائه أو صفاته التى أعلنها للبشر ، لأن الله باسمه يعلن ذاته ، فمعنى تقديس اسم الله هو افرازه تعالى من بين الكائنات ، واظهاره على أساليب تليق بجلاله . ومعنى هذه الطلبة أن اسم الله كالآب يتعالى و يتمجد و يصير معروفاً كما يجب . وليس معناها أن جميع الناس يصيرون أولاداً لله ، مع أننا نرغب فى ذلك بحسب محبتنا لله ولهم ، بل المعنى أن يُعرف الله فى هذه الصفة ، وأن تعرف نسبة البنوة المبنية عليها . ولأن العالم نفسه والشياطين سيعرفون ذلك وقت القضاء مع أنه ليس لهم نصيب فى النسبة المذكورة .

وقد تم تقديس أو تمجيد اسم الآب على نوع ما عند تمجيد الابن الوحيد (فى ٢ : ٩و١١) وحلول الروح القدس على المؤمنين ، وسيتم أيضاً ، فى دائرة أوسع

(١) أنظر يو ١٤ : ٢٦ (٢) غل ٣ : ١٤ ، أف ١ : ١٣ ، غل ٤ : ٦

فى زمان ملك الألف السنة وسيتم وعلى الوجه الأكمل فى وقت أجراء القضاء وتسليم الملك لله الآب (١ كو ١٥ : ٢٤ـ٢٨) . ولا يزال ذلك كله مما يليق بنا أن نرغب فيه ونطلبه .

« ليأت ملكوتك لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » (ع ١٠).

يُنسب الملكوت هنا إلى الآب ، فهو ملكوت الآب ، كما هو ملكوت الابن أيضاً (مت ١٣ : ٤١) . وهو الملكوت الذى سيقام بالقوة فى المستقبل لاسرائيل وتشمل بركته كل العالم ، والذى فيه ستكون مشيئة الله « كما فى السماء كذلك على الأرض » .

« لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » . يتصف جنود السماء بالطاعة الكاملة أما سكان الأرض فبالعصيان . فيليق بنا كأولاد الله ، الذين تعلموا الطاعة وذاقوا لذتها ، أن نطلب سرعة مجيء الوقت الذى فيه تتصف هذه الأرض العاصية بالطاعة ، كما تتصف بها السماء الآن . لقد كان من الأمور الواجبة أن البشر يخضعون لكلام الله ، واذ ذاك يحصلون على الراحة والبركة ، ولكن لا يخفى أنهم الآن متصفون بأنهم أبناء المعصية (أف ٢ : ٣) ولن يتعلموا البر إلا بضربات الله « لأنه حينما تكون أحكامك (أو دينوناتك) فى الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل (أو البر) ، يرحم المنافق ولا يتعلم العدل . فى أرض الاستقامة يصنع شراً ، ولا يرى جلال الرب . يارب ، ارتفعت يدك ولا يرون . يرون ويخزون من الغيرة على الشعب ، وتأكلهم نار أعدائك » (أش ٢٦ : ٩ ـ ١١) . فكلما طلبنا سرعة مجيء يوم الرب ، نكون قد طلبنا تتميم طلبة « لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك على الأرض » .

« خبزنا كفافنا أعطنا اليوم » (ع ١١).

« خبزنا » يكنى بالخبز هنا عن كل احتياجات اليوم . وقد أختير الخبز للتعبير عن لوازم الحياة لأنه قوامها .

« كفافنا » اذ ليس المقصود حياة التنعم والترفه (لو١٦:١٩ ، ١تى ٥ : ٦) ، بل مجرد القوت اليومى (١تى ٦:٨) ، أو خبز الفريضة (أم ٣٠:٨) . أما القوت الروحى ، أو الطعام الباقى للحياة الأبدية ، فلا يصح أن يُكتفى منه بالكفاف .

« أعطنا اليوم » . لأنه لايصح الاهتمام للغد (مت ٦:٣٤)، لذلك لم يعط الله المن إلا « حاجة اليوم بيومها » (خر ١٦ : ٤) ، لكى نحيا بالايمان والاتكال على الله أبينا .

ومن الأمور المعلومة أن تلاميذ المسيح كانوا فى الأحوال التى اقتضت هذه الطلبة ، لأنه دعاهم من أشغالهم الزمنية ليتبعوه . ثم أرسلهم ارسالية خصوصية لاسرائيل بلا كيس و بلا مزود (ص ١٠) ، ومن ثم كان يدربهم على الاتكال التام على أبيهم السماوى . ولما سألهم أخيراً ، هل احتاجوا إلى شىء ، قالوا ، لا (لو ٢٢ : ٣٥) . ثم عاد وأرسلهم بعد القيامة ارسالية جديدة للعالم أجمع ، وظل الآب يعتنى بهم فى هذه الارسالية الأخيرة ، كما كان فى الأولى ، كما انه الآن يعتنى بنا نحن أيضاً ، حتى فى احتياجاتنا اليومية .

على انى لا أظن أن الروح القدس يقودنا لنقدم هذه الطلبة عينها ، حينما يكون عندنا الكثير من خيرات الله . فانه يليق بنا ، والحالة هذه أن نقدم له الشكر القلبى ، وإن طلبنا منه ، فانما نطلب نعمة لئلا تصير بركاته فخاً لنا وتبعد أنفسنا عنه . ثم نجود على المحتاجين ، متخذين عمل أبينا معنا قدوة لنا (١تى ٦:١٧-١٩) . وأما إن كنا من المجتازين للقوت اليومى ، فلنا ثقة فى أبينا الحنان انه لا يمنعه عنا إن طلبناه منه . لأنه يعنى حتى بالعصفور الواحد (ع ٢٦) ، ولا يدعه يسقط على الأرض مائتاً بدون إذنه (ص ١٠:٢٩)

« واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضاً للمذنبين الينا » (ع ١٢) .

كان الله يعامل اسرائيل بحسب مبادئه السياسية ، بمعنى انه كلما أحسن الانسان طريقه ، أحسن الله اليه . ولم يكن للخلاص الأبدى مدخل فى ذلك . لأن خلاص

النفس يتوقف على مجرد الرحمة فى كل زمان . وكل من آمن بالله بحسب الحق الذى وضع فى زمانه للايمان به تبرر . الله كان يبرر الفاجر بالإيمان حينئذ ، كما يعمل ذلك الآن. ولكن لم يعلن التبرير ويصير واضحاً إلا بعد موت المسيح وقيامته، ومن ثم قد أصبح التبرير من الحقائق الأولية، والمسيحى الذى لم يتحققه ، كأنه لم يتعلم بعد حروف الهجاء فى الإيمان المسيحى .

لقد كانت لتلاميذ المسيح الحياة الأبدية كغيرهم من المؤمنين القدماء، ولكن كانت معرفتهم دون المعرفة التى أشرقت على أصغر المؤمنين من بعد صعود المسيح وجلوسه عن يمين الله . فطلبهم الغفران على أساس مغفرتهم هم للآخرين ، كان مراعاة للمبدأ القديم .

وإن قال قائل ، لماذا لم يعلمهم الرب حقيقة التبرير ؟ فأقول ، إنه كان بحسب حكمته الكاملة يعلمهم بالتدريج على قدر استطاعتهم . وبقيت عنده أمور كثيرة لم يعلمهم اياها مدة اقامته معهم ، لأنهم كانوا غير قادرين على احتمالها (يو ١٦ : ١٢) فان الراعى الخبير لايستكد الغنم . ومن يطلب منا أن نصلى بهذه الطلبة ، يريد أن يرجعنا إلى حالة التلاميذ قبل موت المسيح .

ربما يقول قائل ، ألا يكون تصلفاً منا أن ندعى بمعرفة أكثر مما كان للتلاميذ وقت مشاهدتهم لشخص الرب ، وسمعهم لأقواله الصافية من فمه ؟ فأقول ، ليحفظنا الرب من التصلف وكل ما شاكله . ولكن حصولنا على المعرفة المسيحية ليس تصلفاً بالمرة ، بل امتناعنا عنه هو التصلف بعينه ، لأنه من الاكتفاء بالذات والتنكر للحق ، والجحود للمعروف الذى أسدى الينا فى اشراق نور الانجيل (٢ كو ٤ : ١ - ٦) .

كانت هناك أثناء حياة المسيح مع تلاميذه على الأرض ثلاث حوادث عظيمة جداً لم تتم بعد ، وبالتبعية كانت مجهولة عند التلاميذ . وهى موت المسيح ، وارتفاعه إلى السماء ، وحلول الروح القدس . علاوة على حقائق أخرى عظيمة مقترنة بها ، ومترتبة عليها . فالمسيحى الذى يطلب الآن حلول الروح القدس ، أو غفران خطاياه

على أساس غفرانه هو للآخرين ، فهو لم يزل قاصراً فى المعرفة . وإن أبى أن يتعلم فهو متصلف . فليس الغفران التام من البركات الممنوحة لنا والحقائق المعلومة عندنا فقط ، بل هو أيضاً القانون الجميل لنا لمسامحتنا للآخرين (أف ٤ : ٣٢ ، كو ٣ : ٣١) .

على انى أقول أيضاً ، أن لله الآب فى الوقت نفسه سياسة معنا أو حكماً يحكم به علينا ، ويعاملنا به فى هذه الحياة كأولاده ، حسب طرقنا (١) فيؤدبنا هنا على الأرض لكى نشترك فى قداسته عملياً . وسيأتى الكلام على ذلك فى موضعه .

« ولا تدخلنا فى تجربة لكن نجنا من الشرير لأن لك الملك والقوة والمجد الى الأبد . آمين» (ع ١٣)

« ولا تدخلنا فى تجربة » . لكل تجربة بعض ظروف تتصل بها وتجعلها مناسبة لطباعنا وشهواتنا وضعفاتنا أيضاً . فاذا اشتبكنا بهذه الظروف ، فلابد أن تغلبنا التجربة ، فنكون قد دخلنا فى التجربة ، عن طريق دخولنا فى سبلها المؤدية اليها .

« لكن نجنا من الشرير » لابليس صفة خصوصية كمجرب اذ أن له يداً قوية فى ظروفنا التى تتصل بالتجربة . فينصب لنا منها فخاخاً ليصطادنا بها ويسقطنا فى الشر . فغاية هذه الطلبة هى أن يحفظنا الله بعيدين عن كل ماله علاقة بالتجربة ، من قريب أو بعيد ، لئلا نشتبك بها فنسقط .. وقد وردت فى سفر الأمثال عبارات

---

(١) يوجد فرق بين الغفران المقصود به الخلاص من عقاب الخطية الأبدى الذى احتمله المسيح عنا فوق الصليب والممنوح لنا بالنعمة بالايمان ، وعلى أساسه صرنا فى نسبة ومقام ثابتين ، وبين الغفران الذى نحتاج اليه كأولاد الله لاسترداد شركتنا مع الآب ومع الابن ومع القديسين اخوتنا كلما زلت أقدامنا فى الطريق ـ ذلك الغفران أو الصفح الذى نناله عندما نأتى الى الله أبينا معترفين بزلاتنا فنستعيد الشركة معه (١ يو ١ : ٩) وفى هذه الحالة لايمكننا أن ننال الغفران الذى نحتاج نحن اليه من أبينا إلا اذا كنا غافرين لاخوتنا زلاتهم الينا .

كثيرة ومفيدة فى شأن ابتعادنا عن ظروف التجارب[1]. أما الجاهل، الواثق بذاته، فيلاعب المجرب، ومتى أمسك فى الشبكة، يصبح كالذبابة التى أمسكت فى نسيج العنكبوت، فلا يمكن أن يخلص منها. على أننا قد اختبرنا ضعفنا، وميلنا للشر، وعرفنا أننا لا نقدر أن نحفظ أنفسنا. ومن ثم نطلب من أبينا الكلى الحكمة والقوة أن يحفظنا بعيدين كل البعد عن أسباب التجربة. على أننا من جهة أخرى علينا أن نطلب أيضاً النجاة من الشرير وحملاته علينا بأوسع ما تعنيه هذه النجاة. ويصدق هذا الطلب على حفظنا من كل مسالك الشرير وأساليبه، سواء حار بنا بحيله، أو بقوته. فعلينا إذن بالصحو والسهر والصلاة (مر ١٤: ٣٨، ١بط ٥: ٨و٩). لأن الغفلة والاستخفاف بهذا العدو المجرب، ليسا من العلامات الدالة على كوننا أولاد الله.

« فانه ان غفرتم للناس زلاتهم يغفر لكم أيضاً أبوكم السماوى. وان لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضاً زلاتكم » (ع ١٤و١٥).

قد ألحق هذا الكلام بالعدد الثانى عشر ايضاحاً له، وهذا مما يظهر لنا أهمية المبدأ السياسى المذكور آنفاً فى معاملة الله لشعبه. لانه لا يمكن أن يكون له شعب خاص ان لم يسامحهم بذنوبهم الكثيرة، ومن ثم يكون من أول واجباتهم أنهم هم أيضاً يسامحون بعضهم بعضاً، بل ويسامحون جميع الناس (رو ١٢: ١٧و١٨) وسنرى فيما بعد، بأى وجه يصدق هذا المبدأ السياسى نفسه علينا نحن أيضاً فى المسيحية بعد صيرورتنا أولاداً لله، وحصولنا إلى الأبد على التبرير التام. ولذلك أكتفى هنا بالاشارة اليه.

« ومتى صمتم فلا تكونوا عابسين كالمرائين. فانهم يغيرون وجوههم لكى يظهروا للناس صائمين. الحق أقول لكم، أنهم قد استوفوا أجرهم. وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكى لا تظهر للناس صائماً، بل لأبيك الذى فى الخفاء. فأبوك الذي يرى فى الخفاء يجازيك» (علانية) (ع ١٦ – ١٨).

(١) أم ٣: ٧، ٤: ١٤و١٥، ٧: ٢٥، ١٤: ١٦، ٢٢: ٣. أنظر أيضاً مز ١: ١، ٢تى ٢: ٢٢

الصدقة تحسب من المزايا الحميدة التى تظهر فيض عواطف النفس فى إحسانها للآخرين . والصلاة تتعلق بضعفنا واحتياجنا إلى الله . وأما الصوم ، فينتج عن الذل والضيق .

والصدقة والصلاة هما من واجباتنا الاعتيادية الدائمة (لو ١٨ : ١) بخلاف الصوم الذى يمارس عند حدوث أسباب تقتضيه [١] ومن مراجعة الشواهد المذكورة فى الحاشية يتبين أن الصوم هو :

أولاً — الامتناع عن الأكل والشرب إلى حين [٢] للتذلل أمام الله . ثانياً — يجب أن يقترن بالصلاة . ثالثاً — يقترن بالتوبة متى كانت يد الله علينا بالتأديب (أش ٥٨ : ٣ — ٧) . أما السرية التى يطلب الرب توفرها فى الصوم ، فسببها أن كلامه هنا هو عن الصوم الفردى . ولكن من الشواهد المذكورة فى الحاشية نرى انه مع الاحتفاظ بروح السرية فى عدم التظاهر وعدم التفاخر ، يجوز الصوم الاجتماعى أيضاً عند وجود أسباب تدعو اليه ، واذ ذاك يصوم الاخوة معاً برأى واحد (أنظر أع ١٣ : ٢ و٣) . ولا يوجد أدنى أساس فى الكتاب لتعيين أصوام سنوية بصفة رسمية ينبغى ممارستها فى أوقاتها كفرض . فان الصوم على هذا المنوال ليس مرضياً عند الله اذ أن اليهود بعد خراب أورشليم على يد ملك بابل ، و بعد كل المصائب التى ألمت بهم وقتئذ ، رتبوا لأنفسهم أصواماً سنوية فى بعض الأيام ، ومارسوها بحسب تعصبهم المعهود . ولكنها لم تقع موقع القبول لدى الله . فوبخهم على ريائهم ، وأعلن أن رضاه هو فى ممارستهم للعدل والرحمة . (أنظر زك ٧ : ١ — ١٠) ؛ ثم أبطل تلك

---

(١) ٢ صم ١٢ : ١٦ ، يؤ ١ : ١٤ ، يون ٣ : ٣ — ١٠ ، أس ٤ : ١٣ — ١٧ ، عز ٨ : ٢١ — ٢٣

(٢) ان اقتصار دانيال والفتية على أكل القطانى وامتناعهم عن التنجس بأطايب الملك وخمر مشروبه لم يكن صوماً بل لأن أطايب الملك الوثنى كانت مذبوحة لوثن وخمره مسكوبة لوثن (قابل دا ١ : ٤ ، ٥) والذى يتناول منها يتنجس عن طريقها بعبادة الوثن (١ كو ١٠ : ١٩ — ٢٢)

الأصوام بقوله « أن صوم الشهر الرابع وصوم الخامس وصوم السابع وصوم العاشر يكون لبيت يهوذا ابتهاجاً وفرحاً وأعياداً طيبة. فأحبوا الحق والسلام» (زك ٨: ١٩).

« وأما أنت فمتى صمت فادهن رأسك واغسل وجهك لكي لا تظهر للناس صائماً بل لأبيك الذي في الخفاء » . ان الآب يجتمع مع أولاده في الخفاء . والمرائي لا يعرف الآب لأنه ينظر الى الناس على الأرض فقط ، لا الى الآب في السماء . ولذلك يمارس الصوم كشيء مفروض عليه، ويتظاهر به، وبه يتفاخر على الآخرين حاسباً نفسه أفضل منهم (لو ١٨ : ١٠ — ١٢)

« فأبوك الذي يرى في الخفاء يجازيك » . لا يذكر ما هو الجزاء. وأراه لزاماً على أن أنبه القارىء العزيز هنا الى أن جزاء الآب على الصدقة والصلاة والصوم ، لا يعني شيئاً في خلاص النفس. لأنه من الحقائق المؤكدة غاية التأكيد، ان خلاص أنفسنا ، انما يصير من مجرد النعمة وليس بواسطة أعمالنا الحسنة بتة (تي ٢: ١١ ، ٣: ٤و٥ ، أف ٢: ٤ — ١٠ ، رو ٣: ٢٤و٢٧). وعلاوة على ذلك أقول، ان تعليم الرب هنا في شأن هذه الأمور انما يختص بتصرفات أولاد الله ، وهم الذين قد حصلوا على الخلاص مجاناً وانما هم يمارسون الأعمال الحسنة التي سبق الله فأعدها لكي يسلكوا فيها، لانهم بنعمة الله قد صاروا بالميلاد الثاني وتجديد الروح القدس أشجاراً جيدة ، فيأتون بالثمر الجيد (ص ١٢: ٣٣و٣٥) . ولكن لا يخفى أن أفكار بعض المسيحيين قد ابتعدت عن كلمة الله الى حد أنهم إذا سمعوا شيئاً عن الاعمال الصالحة يخيل اليهم حالاً أن الغاية العظمى من ممارستها هي الحصول على الخلاص .

« فأبوك . . . يجازيك » . يمكن للآب أن يجازينا مجازاة متنوعة. منها ما يتم في الوقت الحاضر (لو ١٨: ٢٨ — ٣٠). ومنها ما سيتم عند وقوفنا أمام كرسي المسيح (٢ كو ٥: ١٠) لأنه « موجود و يجازي الذين يطلبونه » (عب ١١: ٦) « عالمين أن مهما عمل كل واحد من الخير فذلك يناله من الرب عبداً كان أم حراً» (أف ٦: ٨). و بغض النظر عن المجازاة عن أعمالنا الصالحة ، فيكفينا أن الآب يرضى علينا الآن

ويصادق على نسبتنا اليه كأولاده الأحباء، إذ يمتعنا بالشركة معه فى الخفاء و ينمينا روحياً.

« لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض حيث يفسد السوس والصدأ وحيث ينقب السارقون و يسرقون. بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء حيث لا يفسد سوس ولا صدأ وحيث لا ينقب سارقون ولا يسرقون . لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً » (ع ١٩ — ٢١) .

كانت للمؤمنين القدماء مواعيد كثيرة بخصوص الخيرات الزمنية جزاء على أماناتهم فقيل لهم مثلاً « اكرم الرب من مالك ومن كل باكورات غلتك ، فتمتلىء خزائنك شبعاً وتفيض معاصرك مسطاراً » (أم ٣: ٩) أما فى موعظة الرب هذه فنرى غير ذلك، إذ أنه يحث تلاميذه على الأعمال الصالحة، ثم يلمح لهم أن لا ينتظروا جزاءهم على الأرض بحسب القانون القديم ، بل فى السماء (ص ٥: ١٢). والسبب فى ذلك أنه عتيد أن يُرفض و يرتفع الى السماء. ومن ثم يلزم أن يكون شعبه أناساً سماويين يتصفون بأنهم يتألمون عاملين الخير فيصبرون (١ بط ٢: ١٨ — ٢٥).

« لا تكنزوا لكم كنوزاً على الأرض » يتعلق القلب بالكنوز الأرضية بكل سرعة. نعم. ويمكن للانسان أن يتقى الله إن كان يجازيه على تقواه هنا على الأرض كما افترى الشيطان على أيوب إذ قال « هل مجاناً يتقى أيوب الله؟ أليس أنك سيجت حوله وحول بيته وحول كل ما له من كل ناحية؟ باركت أعمال يديه، فانتشرت مواشيه فى الأرض ولكن ابسط يدك الآن ومس كل ما له فانه فى وجهك يجدف عليك » (أى ١ : ٩ — ١١) . وسمح الله للشيطان بأن يجرده من كل شىء امتحاناً له ، فثبت وصار مثالاً لنا كأتباع المسيح وقت رفضه من العالم .

« بل اكنزوا لكم كنوزاً فى السماء ... لأنه حيث يكون كنزك هناك يكون قلبك أيضاً ». لا يقول الرب، يجب أن يكون هناك قلبك، لأنه هو هناك بالضرورة لأنه إن كان لنا على الارض أشياء مادية ، كالفضة والذهب، أو أشياء تشبع كبرياء القلب البشرى، كالشرف العالى ، فاننا نحب أن نحافظ عليها، ولأنها ثمينة عندنا

وعزيزة، تتمسك بها قلوبنا الخائنة غاية التمسك، لأن القلب يلحق كنزه حيثما يوجد. أما إن كنا قد حسبنا ذواتنا وكل ما عندنا للرب فاننا نطلب ما فوق حيث المسيح جالس، ونهتم بما فوق، لا بما على الارض (كو ٣: ١ و ٢)، وندبر كل أمورنا بحسب هـذا المبدأ، وفى هذه الحالة يمكننا أن نحول حتى المال الأرضى الى كنوز سماوية (لو ١٢ : ٣٢ — ٣٤). ونعم التحويل.

« سراج الجسد هو العين. فان كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. وإن كانت عينك شريرة فجسدك كله يكون مظلماً . فان كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون ؟ » (ع ٢٢ و ٢٣).

العين عضو النظر، ونحن نتأثر بما ننظره . ويصدق هذا القول طبيعياً وروحياً. والعين البسيطة كناية عن التمييز الروحى، أو الاهتمام بما فوق حيث المسيح جالس، واتخاذه الغرض الأوحد للقلب (كو ٣: ١ و ٢) ومَن تعلق قلبه بهذا الكنز السماوى، صار له غرض سماوى ينظر اليه روحياً فينطبع على قلبه، ويتجسم فى حياته، ويصبح به، روحياً وسماوياً وإذ ذاك يبصر جيداً، ويدرك أفكار الله (قابل ١ كو ٢: ١٠ ، أف ١: ١٧ — ٢٣ ، فى ١: ١٠) ولا يخفى أن الجسد موضع الشهوات التى من شأنها أن تغشى البصر الروحى وتمنعنا عن معرفة الله على حقيقته لان نقى القلب هو الذى يعاين الله (ص ٥ : ٨).

والعين الشريرة، كناية عن الاهتمام بما على الأرض، ومن نظر الى الارض كنصيبه يمتلىء من الشهوات العالمية، فلا يقدر أن يميز بين السماء والارض. ومهما تكلم عن السماء، فانه يظل متمسكاً بالأرض بكلتا يديه، لانه قصير البصر، يحكم بحسب العيان أو بحسب نظره البشرى القاصر، فينظر السماء بعيدة، والارض قريبة (قابل ٢ بط ١: ٩ — ١١) حيث الكلام عن الانسان الذى قصر بصره الروحى، ونسى دعوته السماوية وتحول عن المسيح فى المجد كغرض قلبه، وصار مهتماً بما على الارض.

« فان كان النور الذى فيك ظلاماً فالظلام كم يكون ؟» من الأمور الممكنة لنا أن نحصل على مقدار من النور ، به ندرك ما هو مقام المسيحى ودعوته . ومع ذلك نستصعب السلوك بموجبه،فنختار الارض نصيباً لنا،وحينئذ نفقد النور الذى عندنا، لا بل نستعمله كحجة لنبرر به أنفسنا فى عيشتنا العالمية فيزداد ظلامنا ظلاماً. وهذه ، بكل أسف،هى حالة جميع الذين يقال لهم المسيحيون العالميون،أو المسيحيون بالاسم، لانهم ينتسبون الى السيد السماوى ، وهم مستعبدون للأرض فيفقدون النور الذى عندهم ويزيد ظلامهم .

« لا يقدر أحد أن يخدم سيدين. لأنه إما أن يبغض الواحد و يحب الآخر أو يلازم الواحد و يحتقر الآخر . لا تقدرون أن تخدموا الله والمال » (ع ٢٤).

ان البغضة والمحبة ضدان،وكذلك الملازمة والاحتقار. فالذى يحب الرب يسوع، يلازمه أى يتبعه،و يسير معه والذى يحب العالم لا بد أن يستعبد له،و إذ ذاك يبغض المسيح و يحتقر وصاياه . وكانت محبة العالم أعظم فخ لليهودى ، ولا زالت كذلك للمسيحى « أيها الزناة والزوانى ، أما تعلمون أن محبة العالم عداوة لله ؟ فمن أراد أن يكون محباً للعالم فقد صار عدواً لله» (يع ٤:٤). يستعبد الانسان للذى يحبه. فخدمة سيدين مستحيلة ، وصليب المسيح يمتحن حالة قلو بنا لان القلب الذى يملك عليه المسيح ، يكون العالم مصلوباً له (غل ٦:١٤) . أما القلب الذى يملك عليه العالم ، فلا يكون للمسيح مكان فيه .

« لذلك أقول لكم ، لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون ، ولا لأجسادكم بماتلبسون . أليست الحياة أفضل من الطعام؟ والجسد أفضل من اللباس ؟ أنظروا إلى طيور السماء انها لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع إلى مخازن ، وأبوكم السماوى يقوتها . ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟ » (ع ٢٥ و٢٦) .

لا يوجد شىء يحفظنا من محبة المال إلا الثقة بالله . فان الذى خلق أجسادنا ، ومنحنا الحياة ، هو خالق حنان . ولما خلقها لم يغض نظره عن القوت والكسوة

اللازمين لها. وان كان قد أعطانا الهبة العظمى أى الحياة والجسد ، ألا يعطينا الصغرى أيضاً ؟ أى الطعام واللباس . صحيح انه يوجد فرق بين البشر والطيور فعلينا أن نشتغل منتظرين منه أن يبارك على أتعابنا. خلافاً للطيور التى يقوتها بدون أن تتعب لعجزها الطبيعى عن الزرع والحصاد والجمع ، وعجز فراخها أيضاً حتى عن السعى وراء القوت (أى ٣٨ : ٤١ ، مز ١٤٧ : ٩) . فليس قصد الرب من هذا الكلام أن يعلمنا أن نترك أشغالنا ، وننتظر القوت مثل الطيور ، لأن ذلك ينقض الترتيب الأصلى « بعرق وجهك تأكل خبزاً » (تك ٣ : ١٩ قابل ٢ تس ٣ : ١٠) . وفى حقيقة الأمر ، ان الشغل نافع ، ليس من هذه الناحية فقط ، بل ومن الناحية الروحية أيضاً . لانه يلهينا عن شرور كثيرة . أما الشبع والكسل فيفتحان الباب لتجارب عديدة .

« ألستم أنتم بالحرى أفضل منها ؟ » أفضل منها لاننا بخلافها مخلوقون على صورة الله بأرواح عاقلة ناطقة خالدة وكذلك أننا نعرف خالقنا ، ونثق فيه كإلهنا محافظين على كل ما وضعه لارشادنا . ونحن أفضل منها أيضاً لأننا أبناء الله فى الخليقة الجديدة ، وثقتنا التامة فيه كأبينا تبعد عنا الاهتمامات (فى ٤ : ٦ و ٧)

« ومن منكم إذا اهتم يقدر أن يزيد على قامته ذراعاً واحدة » (ع ٢٧)

كلمة « قامته » فى الاصل يمكن أن تترجم أيضاً « عمره » ولكن المعنى واحد ، سواء ترجمت « قامته » أو « عمره » لأن قصد الرب أن يرينا عدم نفع الاهتمام . فانه مهما حملنا أنفسنا بالهموم من جهة الأمور المستقبلة فاننا لانقدر أن نغيرها أدنى تغيير . لأن الله وحده هو القادر على ذلك . فالأليق بنا اذن أن نتكل عليه ، تاركين الأمر بين يديه عالمين انه ليس عدواً لنا .

« ولماذا تهتمون باللباس ؟ تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو . لاتتعب ولا تغزل ولكن أقول لكم ، انه ولا سليمان فى كل مجده كان يلبس كواحدة منها . فان كان عشب الحقل الذى يوجد اليوم ويطرح غداً فى التنور يلبسه الله هكذا ، أفليس بالحرى جداً يلبسكم أنتم ، ياقليلى الايمان ؟ » (ع ٢٨-٣٠)

ينبغي للانسان أن يتعب و يغزل لكي يصنع الثياب . ولكن لايجوز له الاهتمام بذلك . يوجد فرق بين الاهتمام والتفكير . اذ انه من الأمور الواجبة والضرورية أن نرتب أشغالنا ونفكر في اجرائها (يع ٤ : ١٥) . و يمكننا أن نستعمل عقولنا في ذلك ، بينما تكون قلوبنا متعلقة بما فوق ، ولنا في محبة إلهنا ثقة تامة . ان التفكير ينسب إلى العقل ، وأما الاهتمام فيتعلق بالقلب . ولكننا لا نزال في تجربة أن تكثر أفكارنا وتقوى على قلوبنا ، وحينئذ نتعب ونرى كأننا أيتام ، بلا أب يعتني بنا . وهذا هو الهم الممنوع منعاً باتاً لأنه ناتج عن عدم الايمان ولذلك يقول الرب للمهمومين من المؤمنين « ياقليلي الايمان » (مت ١٦ : ٨)

« فلا تهتموا قائلين ، ماذا نأكل؟ أو ماذا نشرب ؟ أو ماذا نلبس ؟ فان هذه كلها تطلبها الامم . لان أباكم السماوي يعلم أنكم تحتاجون إلى هذه كلها » (ع ٣١ و ٣٢) .

إن تحصيل نفقات المعيشة أكبر هم عند الذين لا يعرفون الله ، ولا عنايته بهم . فلا يليق بنا أن نتشبه بهم . و يكفينا أن ندرك أن الآب يعلم اليوم مانحتاج اليه غداً ، كما أكد لنا انه لا يتركنا ولا يهملنا « لا تهتموا بشيء ، بل في كل شيء بالصلاة والدعاء مع الشكر لتعلم طلباتكم لدى الله . وسلام الله الذي يفوق كل عقل يحفظ قلوبكم وأفكاركم في المسيح يسوع » (في ٤: ٦ و ٧)

« لكن اطلبوا أولاً ملكوت الله و بره وهذه كلها تزاد لكم » (ع ٣٣)

كان ملكوت الله حاضراً بحضور شخص المسيح كالملك الحقيقي . وكان يجب أن يهتموا بقبوله . ولنلاحظ تسمية الملكوت هنا « ملكوت الله » ، الذي كان يمكنهم أن يطلبوه ويقبلوه أو ينالوه في الحال .

« و بره » . أي بر الله ، لان ضمير الهاء هنا يعود على الله ، لا على الملكوت . سبق قول الرب « ان لم يزد بركم على الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السموات » (ص ٥ : ٢٠) على انه لم يذكر هناك ماهو البر المطلوب . وأما هنا فيسميه

« بر الله » . . ويعنى به الصفات اللازمة للذين يريدون النصيب فى الملكوت وهى الصفات الناتجة عن التعليم الصحيح حسب أقوال الرب فى (ص ٥) مع عدم محاولة الظهور ، بل فى الشركة الخفية مع الآب كما فى (ص٦) وهذا خلاف بر الكتبة والفريسيين الذى لم يؤهلهم لدخول الملكوت .

فالاشارة هنا ، إذن ، ليست إلى بر الله المعلن من السماء (رو ١ :١٦و١٧) . والمذكور المرة بعد الأخرى فى رسالة الرسول بولس إلى أهل رومية ، والذى نعمة الله هى بلاشك الواسطة الوحيدة للحصول عليه ، كما على سائر البركات

« فلا تهتموا للغد . لأن الغد يهتم بما لنفسه . يكفى اليوم شره »(ع ٣٤)

الشر هنا ، بمعنى المتاعب والبلايا . فلا يجوز لنا أن نحمّل قلوبنا اليوم أثقال الغد . يكفينا أن نقضى كل يوم محتملين مقدار المشقات الذى تعين له من الله .

بهذا التعليم يفرض الرب وجود تلاميذه فى الظروف المتعبة ، وليس فى ظروف راحة المُلك ، فانه لا يكون هناك داع لانذارات كهذه فى تلك الأزمنة ، أزمنة رد كل شىء (أع٣:٢١)، حين يجلس شعبه في ذلك الوقت « كل واحد تحت كرمته وتحت تينته » وليس من يسىء ولا من يرعب (مى ٤:٤ ، أش ١١ :٩) .

وهذه كلها أى الأكل والشرب واللبس « تُزاد لكم » . أى تعطى لكم علاوة على ملكوت الله وبره دون أن تركض وراءها (قابل٢ أى١ :١١و١٢).

الاصحاح السابع

نهي الفرد عن ادانة الآخرين في هفواتهم (عدد ١ — ٥)

« لا تدينوا لكى لا تدانوا لأنكم بالدينونة التى بها تدينون تدانون . وبالكيل الذى به تكيلون يكال لكم » (عدد ١و٢)

«لا تدينوا ». يوجد فينا جميعاً الروح الناموسى والتعصب. ونحتد عندما نشاهد تقصيرات الآخرين ونتهكم عليهم ناسين زلاتنا نحن كقوله « لأنك فى ما تدين غيرك تحكم على نفسك . لأنك أنت الذى تدين تفعل تلك الأمور بعينها » (رو ١:٢ قابل أيضاً يو ٨ : ٧). نقيم أنفسنا فى مقام قضاة وبكل سرعة نحكم أحكاماً صارمة . ولو أمكن لنا تنفيذها لكنا قد أبدنا بعضنا بعضاً من زمان طويل ناسين قول الكتاب « من أنت الذى تدين عبد غيرك ؟ هو لمولاه ، يثبت أو يسقط. ولكنه سيثبت لأن الله قادر أن يثبته » (رو ١٤:٤)

« لكى لا تدانوا . لأنكم بالدينونة ...الخ » (عدد١و٢). يشير إلى معاملات الله التأديبية لنا فى سياسته معنا هنا على الارض فان كنا ندين بعضنا بعضاً فلا بد أن يديننا (قابل عدد ١٢) لكن لا ينتج من هذا ضرورة افلاتنا من التأديب لمجرد عدم ادانتنا لبعضنا لانه توجد خطايا أخرى غير الادانة للغير تجلب علينا التأديب أيضاً . لكن خطية الادانة تغضب الله بنوع خاص . اذ ليس لنا قبول عنده إلا بالنعمة ، ومن ثم لا يجب أن نعامل اخوتنا إلا بالنعمة. أنظر أقوال يعقوب فى هذا الموضوع « لا يذم بعضكم بعضاً أيها الاخوة . الذى يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس . وان كنت تدين الناموس فلست عاملاً بالناموس بل دياناً له . واحد هو واضع الناموس القادر أن يخلص ويهلك. فمن أنت يامن تدين غيرك ؟ » (يع ٤:١١و١٢) . وأيضاً « لا يئن بعضكم على بعض أيها الاخوة لئلا

تدانوا . هوذا الديان واقف قدام الباب » (يع٥:٩). ويقول أيضاً الرسول بطرس « فاطرحوا كل خبث وكل مكر والرياء والحسد وكل مذمة »(١بط ٢:١). لانه يوجد فينا ينبوع من الخبث والمكر والرياء والحسد وكل مذمة . لذلك نسرع إلى سوء الظن فى اخوتنا وربما ننسب اليهم ما ليس فيهم . وكثيراً ما يحكم علينا الرب بنفس الحكم الذى حكمنا به على الآخرين .

ولا حاجة لى أن أقول أن هذا الكلام خاص بمعاملاتنا الاعتيادية بعضنا لبعض ولا ينفى حق الكنيسة فى اجراء تأديباتها التى قال عنها الرسول «ألستم أنتم تدينون الذين من داخل » (١كو٥:١٢) [١]

« ولماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك وأما الخشبة التى فى عينك فلا تفطن لها ؟ أم كيف تقول لأخيك ، دعنى أخرج القذى من عينك ، وها الخشبة فى عينك؟ يامرائى ، أخرج أولاً الخشبة من عينك وحينئذ تبصر جيداً أن تخرج القذى من عين أخيك » (ع ٣ ـ ٥)

---

(١) ليس المقصود أن لايكون لنا فى أذهاننا الحكم العادل والسليم فى نور كلمة الله من جهة الأشخاص أو الاعمال أو التعاليم كقوله مثلا « امتحنوا الارواح » (١ يو ٤ : ١ قابل أيضاً ١ تس ٥ : ٢١) والا فيكون عندنا عدم تمييز ، أو عدم مبالاة بأمور الله . وليس هذا من البساطة فى شيء . لان البساطة ليست هى البلاهة ولا التساهل . وعليه فروح التمييز أو الحكم الكتابى الصحيح الذى لا يترتب عليه اكثر من تجنب الاثم والاثيم فردياً وكنسياً ، هو بخلاف الحكم على النوايا (١كو٤: ٥)، أو على ما لا شأن لنا به (تى ٣ : ١و٢ ، ١ بط ٤ : ١٥)، أو التشهير بزلات القديسين (تك ٩ : ٢٢)، فنحن لسنا حكاماً على بعضنا . ولا يحركنا لاعتلاء كرسى القضاء الا الذات فى طلبها لمجدها ومصالحها . أما النية الصادقة لاصلاح المخطىء فلا تكون الا من روحانى وبروح الوداعة وفى السر (١ كو ١٠ : ١٢ ، غلا ٦ :١ ، ١بط ٤ :٨).

لكى يصوب الرب سهمه إلى قلب كل فرد ليقتاده إلى ادانة ذاته، تحول الرب من مخاطبة الجمع إلى مخاطبة الفرد .

و« القذى » عبارة عن الزلة الطفيفة التى تصدر من الآخرين . و« الخشبة » عبارة عن الزلة الكبيرة منا. ونقدر أن نقول أيضاً أن زلتنا وان تكن طفيفة بالمقابلة مع زلات الآخرين فانها تكون كبيرة جداً إذا حاولنا اصلاح الآخرين بدون أن نصلح أنفسنا أولاً . قابل رو ٢ : ١-٣ و٢١-٢٣ ولاسيا القول « فأنت إذن الذى تعلم غيرك ألست تعلم نفسك؟ »

قد يطرأ شىء على عين أخينا فيعثر فى سلوكه . ولكننا لا نقدر أن نساعده ما لم نفطن نحن لحالتنا قبل ذلك . لأنه يمكن لأقل شىء أن يغشى بصرنا الروحى ويبعدنا عن الشركة مع الله . وإذ ذاك نعمى روحياً . والاعمى لا يستطيع أن يخرج ولو قذى من عين أخيه .

ولنلاحظ ان العين هنا كناية عن البصر والسلوك معاً . لانهما مقترنان معاً اقتراناً متبادلاً أو مترتبان على بعضهما إذ يكون نظرك بحسب سلوكك ، وسلوكك بحسب نظرك . فان فسد الواحد فسد الآخر أيضاً . وإن صلح الواحد صلح الآخر أيضاً. ومن الملاحظ أن المنتبه إلى الآخرين وعيوبهم ، يكون بطبيعة الحال منصرفاً عن نفسه وعيوبها .

التمييز بين الطاهر والنجس (عدد ٦)

« لا تعطوا القدس للكلاب ولا تطرحوا درركم قدام الخنازير لئلا تدوسها بأرجلها وتلتفت فتمزقكم » (ع ٦) .

تقدم كلام الرب من جهة ضرورة البصر الجيد المقترن بالسلوك الجيد . وأما هنا فيذكر أمراً آخر مما يلزمنا لأجل السلوك فى وسط الناس ، وهو الحكمة اللازمة لتمييز ما يناسب الاحوال والاشخاص .

« لا تعطوا القدس للكلاب » الكلاب كناية عن الذين يقاومون الحق بلا

ضمير ولا حياء . أنظر (مز ٢٢:١٦ ، فى ٣:٢) . والقدس حرفيــاً هو شىء من تقدمات الرب الخاصة بعبادته وشركة كهنته معه اقرأ (لا ٦:٢٩) . فكما أنه لم يكن من الامور اللائقة أن يعطى شىء منهـا للـكلاب (قابل ص ١٥ : ٢٦) ، هكذا لا يليق بنا أن نقدم الحقائق والامتيازات الخاصة بالمؤمنين لأناس يكنى عنهم بالـكلاب لأنهـا لا تخصهم وهم لا يريدونها ، فقد كان لتلاميذ المسيح شىء ثمين كالقدس ، وكالدرر ، وكان عليهم أن يحفظوه من الذين لم يريدوه ولم يقـدروا أن يميزوا قيمته حتى لا يعرضوه للدوس من جهة ،وحتى لا يعرضوا أنفسهم للنهش بغير اقتضاء من جهة أخرى .

توجد بعض حقائق عامة كالتوبة والايمان ينبغى أن تنادى بها «فى وقت مناسب وغير مناسب» (٢تى ٤:٢) وأما البعض الآخر فيجب أن نميز الوقت المناسب قبل أن نتكلم بها . ولكن ليس ذلك لأنها سر ، بل بالنظر لحالة السامعين فقط . مثلاً نرى أن الرب أوصى الذين شاهدوا التجلى أن لا يقولوا لأحد فى ذلك الوقت عما رأوه (ص ٩:١٧) . فـكم نحتاج ، إذن ، الى الحـكمة لكى نعطى اللبن للأطفال والطعام القوى للبالغين ، ولكى نتكلم أمام المقاومين بما لا يمكنهم من أن يحوّلوا كلامنا الى خلاف معناه . انظر (٢ تى ٢:٢٣ — ٢٦ ، تى ٢:٨) .

قلنا سابقاً أنه يكنى بالـكلاب عن الذين يقاومون الحق و يمزقون الذين ينادون به كما قيل « فصاحوا بصوت عظيم وهجموا عليه بنفس واحدة وسدوا آذانهم » (راجع أع ٧:٥١) وأما الخنازير فعبارة عن المحتقرين للحق « فى أذنى جاهـل لا تتكلم . لأنه يحتقر حكمة كلامك » (أم ٢٣:٩)، المتوغلين فى الشهوات الدنيئة وهم لا يحسبون حساباً إلا لما يتعلق بها ، كالخنازير التى تلتمس طعامها فى الأقذار . و إن طرحت الدرر قدامها تدوسهـا وتمضى فى طريقها إذ أنهـا لا تبغض الدرر ، ولكنها تدوسها لأنها لا تعرف قيمتها . ولا يخفى أنه يوجد كثيرون من البشر يصدق عليهم هذا التشبيه تماماً . لذلك لا نقدر أن نقول عنهم أنهم يظهرون بغضاً

للحق ، و إنما هم فقط يهملونه ولا يقبلونه ، لأنه لا يوجد عندهم أى تمييز أو قابلية له . وأما المكنى عنهم بالكلاب فلهم التمييز الى درجة ما . ويتأثرون بسمع بعض الحقائق الثمينة ولكنهم لا يخضعون لها . و إذ ذاك يتهيج البغض فيهم ضد الذى يكلمهم و يحاولون تمزيقه .

لقد كان الناس على الحالين فى زمان المسيح ، ولا زالوا هكذا الى الآن . فكان العالم على وجه العموم كالخنازير ، لأن الخالق حضر الى العالم والعالم لم يعرفه ، كما كان شعبه بصفة خاصة كالكلاب ، لأنه أظهر نفسه الى خاصته بأدلة فعالة وخاصته لم تقبله (يو ١ : ١٠ و١١) ، لا بل قامت عليه ومزقته. ان الذين لهم غيرة بشرية على صورة التقوى وهم منكرون قوتها لا يقبلون الحقائق التى من شأنها أن تحط من شرفهم الكاذب وتكشف حالتهم الحقيقية أمام الله . وليس ذلك فقط ، بل يضطهدون كل من تكلم بها .

ويجب أن نلاحظ أيضاً اننا اذا فحصنا قلوبنا وتحققنا رداءة طبيعتنا ، فاننا نرى أن الحالتين فينا ، أى طبيعة الكلب وطبيعة الخنزير . فاننا نقدر أن نميز فى أنفسنا طبيعة المقاومة للحقائق التى تؤلمنا وتذلنا ، وأيضاً طبيعة عدم الاكتراث ببعض الحقائق الثمينة متى سمعناها ، إذ ليست لها قيمة عندنا لعدم معرفتنا أهميتها . ويظهر لنا هذا الأمر اذا راجعنا اختباراتنا الماضية . لأننا نرى أن البغضة كثيراً ما تحركت فينا ضد حقائق تعلمنا فيما بعد أنهـــا من الله . وكذلك أيضاً قد سمعنا حقائق ثمينة و بقينا غير متأثرين بها وقت السمع بسبب غلاظة قلوبنا . ثم بعد ذلك انتبهنا لها بنعمة الله وعرفنا أنها أثمن من الدرر . حقاً أن قلب الانسان بسبب سقوطه مشحون من العداوة لله ومستعبد للشهوات الدنيئة . فالشكر للنعمة الإلهية التى تشرق بالقوة على قلوب كهذه وتخترق ظلامها الدامس بالأشعة السماوية وتخضعها لله .

توفر المعونة اللازمة لنا (ع ٧—١١)

« اسألوا تعطوا . اطلبوا تجدوا . اقرعوا يُفتح لكم . لأن كل من يسأل يأخذ ،

ومن يطلب يجد، ومن يقرع يُفتح له . أم أي انسان منكم اذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً . وان سأله سمكة يعطيه حية ؟ فإن كنتم وأنتم أشرار تعرفون أن تعطوا أولادكم عطايا جيدة ، فكم بالحرى أبوكم الذى فى السموات يهب خيرات للذين يسألونه ؟ » (ع ٧ — ١١) .

« اسألوا تعطوا الخ » ما أجمل كلام الرب ! وما أوضح معناه . انه لا يحتاج الى شرح ، ولا يلزمنا لفهمه سوى الثقة القلبية فى الله الذى هو للانسان المسكين الضعيف مصدر لكل خير يلزم له سواء من الناحية الروحية أو الجسدية .

قد سبق الرب وعلم تلاميذه كثيراً من جهة الصلاة فى (ص ٦ : ٥ — ١٥) . ثم عاد فى هذا الفصل وتكلم أكثر عن هذا الموضوع . وهو هنا يدعوهم الى الاتكال الكامل على الله نظراً الى جودته غير المحدودة وحنوه الأبوى من نحوهم كأولاده . أيوجد حنو فى قلوب الوالدين البشريين على أولادهم ومعرفة بما يوافقهم ؟ فالله أحن منهم ، وأكثر معرفة بحاجات أولاده . نعم هو شفوق على الجميع ، ولكن بنوع أخص على المؤمنين بابنه يسوع المسيح فانه يهبهم خيرات روحية وجسدية ولكن إجابة للصلاة ، لأنه قد رتب الصلاة باللجاجة وسيلة لحصولنا على كل ما يعوزنا من يده الكريمة . ويعبِّر الرب عن الصلاة باللجاجة ، بالسؤال والطلب والقرع ، مؤكداً لتلاميذه أنه ليس عبثاً أن يصلُّوا بلجاجة . ويجب أن نلاحظ جيداً أن هذا التعليم لهم كأولاد وليس للخطاة الذين لم يحصلوا بعد على البنوة والقبول عند الله ، لأن خلاص النفس يتوقف على الإيمان بالرب يسوع . ولكن بعد حصولنا على الخلاص لا نلبث أن تلاقينا صعوبات متنوعة تدعونا إلى الصلاة بلا انقطاع .

لا يخفى أن الخاطىء المسكين التائب ، عندما يأتى إلى الله بواسطة الرب يسوع المسيح لا يجد أمامه باباً مغلقاً ، بل يجد باب بيت الآب مفتوحاً ، لا بل يجد الآب نفسه قد خرج مرحِّباً به . (أنظر لو ١٥ : ٢٠) . وأما بعد دخولنا إلى البيت

وصيرورتنا بنين ، فاننا نجد أبواباً كثيرة مغلقة قدامنا ، ولا تفتح لنا إلا إجابة للصلاة ، والصلاة بلجاجة .

« أم أى انسان منكم .. الخ ؟ » (ع ٩ و ١٠) من حقنا أن نلجأ إلى أبينا بالصلاة لأجل كل أمورنا واثقين أنه يسمع . على أنه يعمل بحسب حكمته الكاملة فى أجوبته لصلواتنا كما يستفاد من بعض التشبيهات الجميلة التى استعملها المسيح فى هذا الفصل ، كقوله مثلاً أم أى انسان منكم إذا سأله ابنه خبزاً يعطيه حجراً ؟ وان سأله سمكة يعطيه حيّة ؟ فان الحجر غير نافع لتفريج أزمة الجوع ، والحية ضارة . لا يخفى أننا أوقاتاً كثيرة نطلب ما نظنه جيداً . ولكن الآب يجاوبنا بحسب معرفته الكاملة ولا يعطينا شيئاً غير نافع ولا ما يضرنا . لقد طلب بولس الرسول ثلاث مرات إلى الرب أن ينزع عنه الشوكة (٢ كو ١٢ : ٧ - ٩) . ولكن لو نزعها الرب عنه بحسب طلبه لصار له ضرر ، لذلك أبقاها . على انه عمل بالنظر الى حاجة عبده وجعل نعمته تكفيه .

« فإن كنتم وأنتم أشرار .. » (ع ١١) إن الآب الذى فى السموات إذن ، يهب خيرات للذين يسألونه . ولكنه يعطيهم إياها بحسب معرفته الكاملة وليس بحسب معرفتهم القاصرة . والخلاصة أنه ينبغى أن تكون للمؤمنين ثقة فى الله أبيهم تحملهم على الصلاة إليه بلجاجة فى كل أحوالهم المتعبة مع تأكدهم التام بأن أباهم السماوى أحن عليهم من والديهم البشريين . ومن ثم فهو لا بد أن يجيبهم بأحسن الأجوبة[1] .

---

(١) قد يتوهم الطبيعى أن الصلاة عبث لأن الطبيعة مقيدة بنواميس لا تتغير . ولكن المسيح أكد لنا أن خالق الطبيعة وواضع نواميسها هو أبونا . إذن فهو بحكم محبة قلبه الابوى لنا يتحكم فى كل النواميس لتعمل معاً لخيرنا ولو على غير أوضاعها . فقد جعل بطرس يمشى على الماء (مت ١٤ : ٢٨ و ٢٩) وأوقف الشمس فى كبد السماء (يش ١٠ : ١٣) بل وأرجعها إلى الوراء (٢ مل ٢٠ : ١١) . وهذا كله خلافاً للنواميس الطبيعية .

القانون الذهبي (عدد ١٢)

« فكل ما تريدون أن يفعل الناس بكم افعلوا هكذا أنتم ايضاً بهم لأن هذا هو الناموس والانبياء » (ع ١٢)

قد سُمي هذا العدد الجميل «القانون الذهبي» نظراً الى اتساعه و بساطته ومناسبته لإرشادنا فى السلوك. وهو فعلاً قانون ذهبي. فانه من الامور السهلة علينا ان نحكم فيما يجب أن يفعله بنا الآخرون، إذ أننا نريد منهم ان يتصرفوا معنا بالحق والأمانة. فعلينا نحن، إذن، ان نتصرف هكذا معهم وكانت الشريعة قد طلبت المحبة للقريب كالنفس (لا ١٩ : ١٨) وصادق على ذلك جميع الانبياء مستذنبين اسرائيل لمخالفتهم هذا القانون (قابل أر ٧ : ٤—١٠) . وقد صادق عليه المسيح نفسه ، لانه لم يأت لينقض الناموس أو الانبياء، ولم يزل هذا القانون واجباً علينا من جهة تصرفنا نحو الآخرين بالحق والأمانة .

على انى أقول انه يوجد الآن قانون أعلى من هذا. لان هذا القانون لا يطلب منا ان نموت لأجل أحد وأما المسيح فمات لأجل أعدائه . ومن ثم دعانا ان نتمثل به ونسلك فى المحبة الإلهية مقتفين آثاره (أف ٥ : ١و٢) . ربما يتعجب القارىء المسيحى عندما يسمع عن قانون أعلى من ذلك الذى نحن بصدده الآن . ولكنى متأكد انه سيرى قولى هذا صحيحاً إن كان يراجع تعليم العهد الجديد فى شأن هذا الموضوع فان ذلك القانون الذهبي انما يقيس واجباتنا على ما نريد أن يفعل الناس بنا. وأما قدوة المسيح فتقتضى منا ان نحب أعداءنا (ص ٥ : ٤٤، رو ١٢ : ٢٠و٢١). ونضع نفوسنا لأجل اخوتنا كشيء مطلوب منا بموجب نسبتنا لهم (١ يو ٣ : ١٦). وهذا يفوق ما يُطلب منا بحسب القانون المذكور . اننا نريد أن يفعل الناس بنا بالحق والامانة، ولكنه ليس من الامور التى ننتظرها منهم ان يموتوا لأجلنا. ولا يوجد انسان عاقل ينتظر ذلك . واذا اتفق ان واحداً وضع حياته لاجل آخر ، فذلك من

النوادر (رو ٥: ٧).لا شك أننا جميعاً مقصرون، لا عن القيام بقدوة المسيح فقط، بل وعن القيام بالقانون الذهبي ايضاً . فلنقر بذلك ونطلب نعمة لا لـكي نسلك بحسب القانون الذهبي فقط ، بل لنتبع قدوة المسيح أيضاً .

البابان والطريقان (عدد ١٣ و ١٤)

« ادخلوا من الباب الضيق . لانه واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى الى الهلاك وكثيرون هم الذين يدخلون منه.ما أضيق الباب وأكرب الطريق الذى يؤدى الى الحياة . وقليلون هم الذين يجدونه » (ع ١٣و١٤)

« واسع الباب ورحب الطريق الذى يؤدى الى الهلاك » (ع ١٣). الباب الواسع كناية عن حالة الانسان المبتعد عن الله . أو بالحرى هو كناية عن الأديان العالمية المؤسسة لا على المسيح لاجل الحياة والخلاص بل على أعمال الانسان كما كانت ديانة الـكتبة والفريسيين . والطريق الرحب هو السلوك بحسب هـذه المبادىء الضالة الفاسـدة . وليس لذلك من نهاية سوى الموت والهلاك . لان بدايته الموت الروحى ونهايته الهلاك الابدى . ولم يزل الجانب الأكبر من البشر للآن فى هذه الطريق مفتخرين ببرهم الذاتى .

« ما أضيق الباب » (ع ١٤).معلوم ان للمسيح نفسه هو الباب كما قال « أنا هو الباب . إن دخل بى أحـد فيخلص » (يو ١٠ : ٩) . ويقال له هنا « الباب الضيق » نظراً الى الموانع الـكثيرة التى كانت تمنع الناس من قبـوله . نعم كان هو الواسطة الوحيدة لدخولهم الى الحياة ولـكنه لم يكن باباً واسعاً يمكن لجميع اليهود أن يدخلوا منه لمجرد كونهم من نسل ابرهيم فانه كان يجب عليهم ان يتوبوا ولـكن ما أقل عدد الذين تابوا وميزوا شخصه كالمسيح الحقيقى مستتراً تحت صورة يسوع الناصرى الوديع ثم اعترفوا به وتبعوه،لانه كان قد ظهر فى وسطهم كمن لا صورة له ولا جمال (أش ٥٣: ٢). وكان جميع الرؤساء يرفضونه ويقاومونه، ويطردون كل من قبله واعترف به. فلم يكن من سبيل لمن أراد ان يدخل الحياة إلا انـكار الذات

وحمل الصليب . فما أضيقه باباً ! ونلاحظ ايضاً ان الكلام هنا عن دخول الحياة وليس عن دخول الملكوت .

«وأكرب الطريق !». إن كل من قبل المسيح، كالباب للحياة، يحتاج طريقاً ايضاً . والمسيح كما هو الباب كذلك هو الطريق للحياة بل هو « الطريق والحق والحياة» الذى ليس أحد يأتى الى الآب إلا به (يو ١٤: ٦).لذلك يقول لنا عنه الرسول بولس«فكما قبلتم المسيح يسوع الرب (أى كالباب)، اسلكوا فيه (أى كالطريق)» (كو ٢: ٦) ولكنه ليس طريقاً رحباً يمكننا ان نسلك فيه متساهلين مع الشهوات العالمية أو مع الذات . حاشا وكلا ! « لان الذين هم للمسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات » (غلا ٥ : ٢٤ قابل فى ٣ : ٣).

ان جميع الأديان الكاذبة مرتبة حسب ذوق الانسان الساقط حتى يمكنه أن يمارس فرائضها بدون نكران الذات ، فان ضاقت عليه من جهة ، اتسعت له من جهات. وأما المسيحية فليست هكذا، لانها تطلب منا ان نحسب أنفسنا أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء لله بالمسيح يسوع ربنا . وأن لا نقدم أعضاءنا « آلات إثم للخطية » بل نقدم ذواتنا « لله كأحياء من الاموات » وأعضاءنا « آلات بر لله » (رو ٦: ١١-١٣) .

« الذى يؤدى الى الحياة ». لا يخفى أن المؤمن يحصل على الحياة الآن بالميلاد الثانى لأن له الحياة الابدية (يو ٣: ١٦) و « قد انتقل من الموت الى الحياة » (يو ٥: ٢٤) . ولكنه لا يزال منتظراً الحياة أيضاً كقول الرب هنا عن الطريق الصعب انه يؤدى الى الحياة ، فانه يعتبر الحياة هنا كشيء نصل اليه عند نهاية مسيرنا . وهذا حق أيضاً كما قيل « والنهاية حياة أبدية » (رو ٦: ٢٨). انظر ايضاً (رو ٢: ٧ ، يع ١: ١٢ ، رؤ ٢: ١٠) .

يوجد طريق فى هذا العالم ينتهى الى الحياة . والذين يسلكون فيه يصلون الى

حيث يتمتعون بالحياة الى الأبد ، ولكن الذين يسلكون فيه هم الذين حصلوا على الحياة الروحية .

« وقليلون هم الذين يجدونه » ، مع انه كان قائماً أمام عيونهم (يو ١:٢٦) . ولكن لأنهم قصدوا باب البر الذاتى عميت عنه بصائرهم (ص ١٣ : ١٣ ـ ٢٥) . « لأنهم إذ كانوا يجهلون بر الله و يطلبون أن يثبتوا بر أنفسهم لم يخضعوا لبر الله. لأن غاية الناموس هى المسيح للبر لكل من يؤمن» (رو ١٠:٣و٤) فكان يجب أن يتو بوا اليه و يؤمنوا به . ولكن ما أقل الذين فعلوا ذلك . ولذلك قال لهم « ولا تريدون أن تأتوا إلى « لتكون لكم حياة » (يو ٥: ٤٠).

الأنبياء الكذبة (ع ١٥ـ ٢٠)

« احترزوا من الانبياء الكذبة الذين يأتونكم بثياب الحملان ولكنهم من داخل ذئاب خاطفة . من ثمارهم تعرفونهم . هل يجتنون من الشوك عنباً أو من الحسك تيناً ؟ هكذا كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة . وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية . لا تقدر شجرة جيدة أن تصنع أثماراً ردية . ولا شجرة ردية تصنع أثماراً جيدة . كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار . فاذن من ثمارهم تعرفونهم» (ع ١٥ـ ٢٠)

« احترزوا من الانبياء الكذبة » . الانبياء الكذبة هم الذين لم يرسلهم الرب برسالة الحق بل أرسلوا أنفسهم وأرسلهم الشيطان برسالة الكذب ، الذين يوهمون الجماهير بأن الباب الواسع والطريق الرحب هو الذى يؤدى الى الحياة فيهلكون معاً (حز ١٣:١ـ ١٦)

« الذين يأتونكم بثياب الحملان » . «ولا عجب لأن الشيطان نفسه يغير شكله الى شبه ملاك نور . فليس عظيماً إن كان خدامه أيضاً يغيرون شكلهم كخدام للبر. الذين نهايتهم تكون حسب أعمالهم» (٢ كو ١١: ١٤ و ١٥ قابل ع ٣)

يتكلم الرب هنا عن رؤساء اليهود الدينيين الذين يسميهم « الانبياء الكذبة » ويشبههم بذئاب خاطفة (قابل أع ٢٠ : ٢٩ و ٣٠) . لأنهم يتظاهرون بالتقوى والغيرة على الحق وهم لا يقصدون سوى مصالحهم الشخصية . ويوجد أمثال هؤلاء في المسيحية الإسمية إذ قيل « لأن مثل هؤلاء لا يخدمون ربنا يسوع المسيح بل بطونهم . وبالكلام الطيب والاقوال الحسنة يخدعون قلوب السلماء » (رو ١٦ : ١٨) فيصرفون مسامعهم عن الحق الخاص بالمسيح للخلاص به كالباب والطريق الوحيد الذي يؤدي الى الحياة وينحرفون بهم الى الخرافات (٢ تي ٤ : ٤)

وعند مراجعتنا لأسفار الوحي في العهدين ، القديم والجديد نتعجب من كثرة الكلام وصرامته عن أولئك الأردياء المزورين . لأن الروح القدس لا يشفق على الذين يخدعون شعب الله .

« من ثمارهم تعرفونهم » . هذا هو القانون البسيط الذي وضعه الرب لامتحان الذين يتخذون مقام معلمين ومرشدين . لان من أراد ان يعلم الآخرين أقوال الله ينبغي أنه هو أولاً يسلك بموجبها لكي يكون قدوة لمن يعلمهم . وإلا فهو قائد كاذب بل وأكبر إهانة للحق الذي ينادي به كما قيل « الذين بسببهم يجدف على طريق الحق » (٢ بط ٢ : ٢ قابل تي ٢ : ٥) . لذلك قال الرسول بولس « كونوا متمثلين بي معاً أيها الاخوة . ولاحظوا الذين يسيرون هكذا كما نحن عندكم قدوة » (في ٣ : ١٧) وقال لتيموثاوس « لا يستهن أحد بحداثتك . بل كن قدوة المؤمنين ، في الكلام ، في التصرف ، في المحبة ، في الروح ، في الايمان ، في الطهارة » (١ تي ٤ : ١٢) . وقال ايضاً لتيطس « مقدماً نفسك في كل شيء قدوة للأعمال الحسنة ومقدماً في التعليم نقاوة ووقاراً وإخلاصاً وكلاماً صحيحاً غير ملوم . لكي يخزى المضاد إذ ليس له شيء ردىء يقوله عنكم » (تي ٢ : ٧ و ٨) . فلا يكفي المعلم بالحق ان يكون عنده الحق بل مطلوب منه ايضاً ان يجعل سلوكه مطابقاً له . ومن ثم يتبين أنه شجرة جيدة . إن العبد

الذى يمدحه الرب هو صالح اولاً فى عيشته،ثم أمين فى خدمته كقوله له « نعما أيها العبد الصالح والامين » (ص ٢٥: ٢١).

« كل شجرة جيدة تصنع أثماراً جيدة.وأما الشجرة الردية فتصنع أثماراً ردية».

لا شك اننا جميعاً أشجار ردية بحسب طبيعتنا. ولا نقدر ان نأتى بأقل ثمر جيد إن لم نولد ثانية. على ان المسئولية العظمى هى على الذين هم فى منصب الإرشاد والتعليم « لا تكونوا معلمين كثيرين يا اخوتى عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم » (يع ٣: ١). لان الرب سيحاسبنا بحسب المركز الذى نشغله فى الكنيسة.

« لا تقدر شجرة جيدة ان تصنع أثماراً ردية » لان « كل من هو مولود من الله لا يفعل خطية » أى انه ليس من شأنه ولا من عادته فعل الخطية « لان زرعه — أى زرع الله — يثبت فيه ، ولا يستطيع ان يخطىء لانه مولود من الله » (١ يو ٣: ٩).

«ولا شجرة ردية ان تصنع اثماراً جيدة» لان « المولود من الجسد جسد هو » (يو ٣: ٦) و « لان اهتمام الجسد هو عداوة لله ، إذ ليس هو خاضعاً لناموس الله لانه ايضاً لا يستطيع . فالذين هم فى الجسد لا يستطيعون أن يرضوا الله » (رو ٨: ٧و٨).

« كل شجرة لا تصنع ثمراً جيداً تقطع وتلقى فى النار» يصدق هذا الحكم على المعلمين قبل غيرهم وقد سبق المعمدان ونادى ايضاً بهذا الحكم (ص ٣: ١٠).

انكشاف حقيقة كل معلم (عدد ٢١ — ٢٣)

« ليس كل من يقول لى يا رب يا رب يدخل ملكوت السموات. بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السموات. كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم يارب يارب أليس باسمك تنبأنا، وباسمك أخرجنا شياطين، وباسمك صنعنا قوات كثيرة ؟ فحينئذ أصرح لهم انى لم أعرفكم قط . اذهبوا عنى يا فاعلى الإثم » (ع ٢١— ٢٣).

«ليس كل من يقول ... يدخل». الاعتراف الشفوى لا يؤهل أحداً لدخول الملكوت لأن الدينونة مقبلة ، والديان هو المسيح .

«بل الذى يفعل إرادة أبى الخ». إرادة الآب هى التوبة اليه (أع ١٧: ٣٠)، والايمان بابنه للخلاص (يو ٦: ٢٩ ، أع ١٦: ٣١)، ومايترتب على ذلك من حياة الطاعة.

« كثيرون سيقولون لى فى ذلك اليوم أليس باسمك تنبأنا ؟ الخ » (ع ٢٢). ان تلاميذ المسيح الذين هم بالاسم فقط سيعاملون كسائر فاعلى الإثم . وهنا يقولون له وقت الدينونة انهم استعملوا اسمه لإجراء أعمال معجزية فانه كان من الأمور الممكنة فى ذلك الوقت ان انساناً غير متجدد ، كيهوذا الأسخريوطى مثلاً ، يخرج شياطين ويصنع قوات باسم المسيح . كما هو ممكن الآن أيضاً لانسان غير متجدد أن يقوم بخدمة التعليم والكرازة . ولكن مهما عمل الانسان من العجائب أو تعب فى خدمة الانجيل فذلك لا يغنيه عن الولادة الثانية . لأن الرب يسأل أولاً عن جنس الشجرة . فان إجراء القوات وممارسة التعليم ليس من العلامات التى تدل على الولادة الثانية .

انكشاف حقيقة كل تلميذ (عدد ٢٤—٢٧)

« فكل من يسمع أقوالى هذه ويعمل بها أشبهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط. لأنه كان مؤسساً على الصخر. وكل من يسمع أقوالى هذه ولا يعمل بها يشبه برجل جاهل بنى بيته على الرمل . فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح وصدمت ذلك البيت فسقط . وكان سقوطه عظيماً » (ع ٢٤—٢٧) .

« . . رجل عاقل بنى بيته على الصخر » . المسيح نفسه كما هو معلن فى كلامه هو الصخر وكل ما عداه رمال (أش ٢٨: ١٦) . ولا يوجد أساس غيره لإيماننا .

« فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبت الرياح الخ » . ان هذه العناصر العنيفة

المذكورة، كناية عن الوسائط التى بها يمتحن الله ايماننا، ويظهر نوع أعمالنا. ويكون أعظمها استعلان يوم الرب بنار الفحص والتمحيص (١ كو ٣: ١١ — ١٥).

الرجل العاقل إذاً هو من لا يهتم فقط بمصالحه الحاضرة، بل ويستعد أيضاً للمستقبل. لانه يعلم أن العناصر لاتبقى هادئة الى النهاية، وإن تكن غير مضطربة الآن.

«.. رجل جاهل بنى بيته على الرمل الخ». إن الجاهل يغتر بالأمن الحاضر، ويكتفى من الديانة بالشكل الظاهر ولا يريد أن يكلف نفسه تعباً لأجل المستقبل لانه غير متنبه للغضب الآتى (أش ٥٦: ١٢). فالرمل يناسبه لانه يقدر أن يبنى عليه بغير تعب (أى بغير التوبة التى تحرمه من الشهوات، وبغير الايمان بالمسيح الذى يحمّله الاضطهادات). هكذا كل من يسمع أقوال المسيح ولا يعمل بها.

لقد سبق الرب وأخبرهم فى هذه الموعظة بالصفات اللازمة لهم لدخول ملكوته، وأنه إن لم يزد برهم على الكتبة والفريسيين فلن يدخلوه. على أن المعتد ببره الذاتى لا يفتش على بر أفضل بل يكتفى بما عنده.

لا يقول الرب هنا ان السامع يرفض أقواله، بل أنه لا يعمل بها فقد يتظاهر بأنه يقبلها، وقد يرفضها. ولكن الحالتين على حد سواء. فان كل من لا يوجد فى المسيح يهلك. وكم من النظامات الدينية قد ظهرت فى العالم تحت اسم المسيح واتقنت اتقاناً تاماً بحسب الحكمة البشرية، بينما ليس لها أساس فى أقواله. ولكن سيول الدينونة لا بد آتية، وستمتحن كل شىء.

المشابهة بين الموعظة على الجبل ورسالة يعقوب

توجد مشابهة بين هذه الموعظة وبين رسالة يعقوب كما قد اتضح للقارىء من الشهادات التى اقتبست منها فى هذا الشرح. فانه ليس من مقاصد الوحى فى هذه الموعظة ولا فى الرسالة المذكورة أن يوضح طريق الخلاص بالايمان، بل مبادىء السلوك الذى لا بد منه كقوله «ولكن كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط

خادمين نفوسكم» (يع ١ : ٢٢) . وهذا هو فحوى تعليم سيدنا فى هذه الموعظة . لأن انتسابنا له بالاسم فقط لا ينفعنا أكثر من انتساب اليهود لإبرهيم حسب الجسد . فإن الله يطلب ثمراً جيداً . والإيمان القلبى هو الذى يأتى بالثمر الجيد ، قليل أو كثير .

ظهور حقيقة المسيح للقلوب (عدد ٢٨ و ٢٩)

« فلما أكمل يسوع هذه الأقوال بهتت الجموع من تعليمه . لأنه كان يعلمهم كمن له سلطان وليس كالكتبة » (عدد ٢٨ و ٢٩)

كان لتعاليم الرب فاعلية فى السامعين فإنهم تأثروا بأقواله وميزوا بكل سهولة أنها تختلف عما كانوا معتادين أن يسمعوه من الكتبة . لأنه كان يتكلم كصاحب الحق وحده فى الكلام كسابق قوله مراراً « وأما أنا فأقول لكم » (ص ٥ : ٢٢ و ٢٨ و ٣٢ و ٣٩ و ٤٤) وكان كلامه واضحاً قاطعاً .

الفرق بين العظة فى متى والعظة فى لوقا

الاصحاحات ٥ و ٦ و ٧ مع لو ٦ : ١٧ — ٤٩

خطاب الرب هنا ، الذى يقال له « موعظته على الجبل » ، وارد أيضاً فى لوقا ٦ : ١٧ - ٤٩ . ولكنه يختلف عن الموجود هنا اختلافات بينة . وربما نطق به فى وقت آخر . فانه من الأمور المحتملة أن الرب كان يكرر تعاليمه فى أوقات وظروف مختلفة بحسب حاجة السامعين . على أنى لا أجزم بذلك . ولكن مما يدعو إلى ترجيح فكرة كونهما خطابين مختلفين ما يأتى :

أولا — قد قيل فى متى ٥ : ١ عن الرب يسوع إنه « صعد إلى الجبل » ، بينما فى لو ٦ : ١٧ قيل عنه إنه « نزل إلى موضع سهل » .

ثانياً — فى متى أدرجت الموعظة قبل انتخاب الرسل . لأن الموعظة مذكورة فى الاصحاحات ٥ و٦ و٧ بينما إرسالية الرسل المفروض فيها انتخابهم مذكورة فى

أصحاح ١٠ . أما فى لوقا فقد أدرجت الموعظة بعد انتخاب الرسل . لأن انتخابهم مذكور فى أصحاح ٦ : ١٢ — ١٦ . أما الموعظة فواردة فى الأعداد ١٧ — ٤٩

* * *

من الأمور الواضحة لكل من طالع الأربعة الأناجيل أن الوحى لا يعطينا تاريخ حياة المسيح فيها على أسلوب التواريخ البشرية . وإنى متأكد كل التأكيد أننا نخسر فوائد عظيمة جداً إذا حاولنا أن نعمل مالم يقصد الروح القدس أن يعمله.

على أنه ليس من العسير أن نبرهن على عدم وجود مضادة بينها . لقد ألهم الروح القدس كلاً من الأربعة البشيرين بأن يدون من أعمال سيدنا وأقواله ما يتفق مع غاية الوحى من بشارته . فكل الأخبار الواردة فى متى مثلا هى من ناحية تدبيرية ، بمعنى أنها تتعلق بطرق الله وسياسته ومعاملاته الرسمية مع اسرائيل كشعبه الرسمى . فكأنها أخبار رسمية خاصة بأمة . وأما أخبار لوقا فلكى تظهر نعمة الله التى لا توصف ولا تحصر . ومن ثم دوّن لوقا من أقوال المسيح ما لم يدونه غيره من البشيرين كالمثل ذى الأجزاء الثلاثة المذكور فى أصحاح ١٥ ، وغير ذلك أيضاً مما يوافق إعلان نعمة الله ، ليس لليهود فقط ، بل لكل خاطىء من أى جنس .

الأصحاح الثامن

تجواله فى الجليـــــل

(ع ١ ، ص ٤ : ٢٣ ، مر ١ : ٣٥ ـ ٣٩ ، لو ٤ : ٤٢ ـ ٤٤)

« ولما نزل من الجبل تبعته جموع كثيرة » (ع ١)

قد وصلنا إلى فصل جديد من حياة المسيح بحسب إنجيل متى . وكل ما دوّن قبله هو بمثابة مقدمة له . لأنه إنما أعد الطريق لأن يظهر المسيح نفسه لإسرائيل كملكهم إظهاراً رسمياً لكى يقبلوه أو يرفضوه .

قيل فى خاتمة أصحاح ٧ « فلما أكمل يسوع هذه الأقوال » . لأنه فى هذه الأقوال علم التلاميذ التعاليم الخاصة بمبادىء الملكوت كما سبق ورأينا . وكان هذا استعداداً لمشاهدتهم الأعمال الآتى ذكرها والتى من شأنها أن تظهره وتبرهنه باعتباره « يهوه » .

لا شك أنه مع القيام بالأعمال استمر يعلم أيضاً . ولكننا سنرى أنه بصفة خاصة أخذ من الآن فصاعداً يجرى أعمالا فى وسط اسرائيل على كيفية تؤكد لهم أنه المسيح ابن الله ملكهم حتى لا يكون لهم عذر إذا رفضوه (يو ١٥ : ٢٢ ـ ٢٥) ولذلك أيضاً نراه فى أصحاح ١٠ يرسل تلاميذه لإسرائيل ليكرزوا إليهم به كملكهم مؤيداً كرازتهم بالمعجزات . ولكننا بكل أسف نراهم رغم كل هذا يرفضونه رسمياً (ص ١٢) ومن ثم يبتدىء من (ص ١٢) فصل آخر من خدمته .

كانت أعماله المذكورة فى (ص ٤ : ٢٣ ـ ٢٥) كافية لتبرهن لهم على أنه نبى . فاجتمع كثيرون وراءه لكى يتعلموا وينالوا الشفاء . وأما فى هذا الفصل فيقوم البرهان على أنه الملك ، ومن ثم صارت المسألة العظمى الآن هى هذه : هل يقبلونه كعمانوئيل ملكهم ، ابن داود الموعود به أم لا ؟ ؟

شفاء الأبرص

(ع ٢ — ٤ ؛ مر ١ : ٤٠ — ٤٥ ؛ لو ٥ : ١٢ — ١٦)

« وإذا أبرص قد جاء وسجد له قائلا ياسيد ، إن أردت تقدر أن تطهرنى . فمدّ يسوع يده ولمسه قائلا أريد فاطهر ، وللوقت طهر برصه . فقال له يسوع انظر أن لا تقول لأحد ، بل اذهب أرِ نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى شهادة لهم » (ع ٢ — ٤)

« وإذا أبرص » معلوم أن البرص المذكور فى الكتاب المقدس ، مرض ردىء جداً ، غير قابل للشفاء بالوسائط التى فى متناول أيدى البشر ، ومن ضُرب به حسب نجساً ، وأخرج خارج محلة إسرائيل ، ومُنع عن معاشرة الناس . أولا ، لكونه مرضاً معدياً . وثانياً ، لكون المصاب به نجساً بحسب شريعة موسى . انظر شريعة البرص فى لا ١٣ و ١٤ . وكان الكاهن الإسرائيلى قادراً على أن يميز علاماته ويحكم على الأبرص بالعزل ويفصله عن الآخرين . ولكنه لم يقدر أن يشفيه . كما أن شريعة الله المقدسة (الناموس) تقدر أن تحكم على الخاطىء بالهلاك ، ولا تقدر أن تخلصه . وأما يسوع المسيح فكان قادراً أن يطهر الأبرص بكلمة واحدة كما هو قادر أن يخلص الخاطىء المسكين أيضاً بنفس النعمة ونفس القدرة .

« جاء وسجد له » : علامة إيمانه بالرب يسوع لشفائه ، وانكساره على حالته ، ورغبته الملحة فى الشفاء .

« إن أردت تقدر أن تطهرنى » ، كان هذا الأبرص المسكين متيقناً أن يسوع قادر على شفائه ، ولكنه تردد قليلا فى أفكاره من جهة أيريد شفاءه أم لا . ولما تقدم إليه أقر بإيمانه بقدرته ، وصرح بعدم تأكده من إرادته .

« فمد يسوع يده ولمسه قائلا ، أريد فاطهر . وللوقت طهر برصه » . جاوب

الرب على تشكك الرجل فى إرادته بقوله « أريد » ، وتنازل أيضاً ، من لطفه ، ومد يده ولمسه .

كان من لمس أبرص تنجس بحسب شريعة موسى (سفر العدد ٥ : ٢ و ١٩ : ١١) وأما سيدنا المبارك فلمس الأبرص ، وعوضاً عن أن يتنجس به ، طهره .

« وللوقت طهر برصه » ، وبذلك تبرهن أن يسوع هو « يهوه المخلص » . إله اسرائيل ، حاضراً فى وسطهم فى هيئة إنسان ، لأنه كان معلوماً أن الله وحده هو الذى يقدر أن يشفى الأبرص (٢ مل ٥ : ٧ و ع ٨ حسب الحاشية)

« انظر ، أن لاتقول لأحد » نهاه عن أن يخبر الآخرين لأنه قصد أن أعماله هى التى تشهد له (يو ٥ : ٣٦) .

« بل اذهب أر نفسك للكاهن وقدم القربان الذى أمر به موسى » لما كانت الشريعة قد حكمت على من طهر من البرص أن يرى نفسه للكاهن ، ثم يقدم قرباناً لله (انظر لا ١٤ : ٣ و ٤ و ١٠) أمر المسيح الابرص أن يفعل كذلك لأن المسيح لم يخالف الشريعة فى شىء ، ولا قاد الناس إلى مخالفتها ، فالعمل الذى أمر به كان من واجبات كل إسرائيلى فى حال كهذا .

« شهادة لهم » ، لانه إن كان الكاهن الذى قد حكم على الأبرص بأنه أبرص ، يراه طاهراً ويحكم أنه طاهر ، يكون بذلك قد صادق رسمياً على عمل المسيح المعجزى ويكون ذلك شهادة لهم ، أى لإسرائيل ، بأن إلههم حاضر فى وسطهم .

كان مرض البرص هذا رمزاً لائقاً للخطية باعتبارها نجسة ، والأبرص رمزاً مناسباً للخاطىء . ولذلك نرى فى يسوع هنا نعمة «يهوه» إله اسرائيل ، وقدرته أيضاً وقداسته غير القابلة للتدنس من لمس الادناس ، وقد اقتربت جميعها فى شخص يسوع إلى الخاطىء النجس لكى تطهره من دنس خطاياه . فإن المسيح يقدر أن ينزع الخطايا بالنعمة ولا ينزع الخاطىء بالدينونة ، بخلاف الناموس الذى يقدر على الثانى ولا يقدر على الأول .

شفاء غلام قائد المائة (ع ٥ - ١٣ ، لو ٧ : ١ - ١٠)

« ولما دخل يسوع كفر ناحوم جاء إليه قائد مائة يطلب إليه ويقول يا سيد غلامى مطروح فى البيت مفلوجاً متعذباً جداً . فقال له يسوع ، أنا آتى وأشفيه . فأجاب قائد المائه وقال ، ياسيد ، أنا لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى . لكن قل كلمة فقط فيبرأ غلامى . لأنى أنا أيضاً إنسان تحت سلطان . لى جند تحت يدى . أقول لهذا ، اذهب ، فيذهب . ولآخر ، إيت ، فيأتى . ولعبدى ، افعل هذا فيفعل » . (ع ٥ — ٩)

« قائد مائة » ، كان هـذا القائد أجنبى الجنس من رؤساء الفرق الرومانية المحتلة للبلاد ، ولم يكن له بحسب الطبيعة ، حق فى المسيح كابن داود . ولكن لما ظهرت الجودة الإلهية التامة فى العالم مصحوبة بالقوة لتفريج ضيقات البشر ، لم يكن ممكناً حصرها فى إسرائيل ، بل كان لا بد أن تتجاوز الحدود القديمة وتجرى مجرى يليق بحضور الله ، إله الكل .

« فقال له يسوع أنا آتى وأشفيه » (ع ٧) ، يتكلم الرب هنا كمن له كل السلطان ، وكل القدرة ليفعل ما يشاء .

« فأجاب قائد المائة وقال ياسيد لست مستحقاً أن تدخل تحت سقفى . لكن قل كلمة واحدة فيبرأ غلامى » (ع ٨) كان لهذا القائد الأممى إيمان فى قلبه ، بل وما ينتج عنه أيضاً من تواضع . ولذلك لم يقر بإيمانه بقدرة المسيح فقط ، كما فعل ذلك الأبرص الاسرائيلى ، بل وبعظمة شخصه أيضاً ، ثم طلب إليه أن يقول كلمة واحدة ، متأكداً أنها تكفى لشفاء غلامه .

« لأنى أنا أيضاً إنسان تحت سلطان . . الخ » ، يعنى أنه تحت سلطان من هو أعلى منه مرتبة ، ومن ثم يعرف أن يطيع أمره . كما أن له جنداً وخداماً تحت سلطانه أيضاً ، يأمرهم فيطيعونه طاعة كاملة . وهكذا أقر بإيمانه بأن الرب ذو سلطان

مطلق وقادر أن يصدر أوامره فيطيعه كل شيء ، حتى الأمراض أيضاً . فما أجمل إيمان هذا الرجل الغريب الجنس ! فانه لم يكن كاليهود محصوراً فى دائرة الأفكار اليهودية الضيقة . ومن ثم لم يستحق أن يوبخ مثلهم بالثور الذى يعرف قانيه ، وبالحمار الذى يعرف معلف صاحبه بينما هم ، وهم شعب الله ، لا يعرفون خالقهم لأن إيمانه ، ميز الخالق للكل والضابط للكل فى شخص يسوع الوديع المتواضع ، الذى جعل نفسه خادماً للكل .

« فلما سمع يسوع تعجب وقال للذين يتبعونه ، الحق أقول لكم ، لم أجد ولا فى إسرائيل إيماناً بمقدار هذا . وأقول لكم أن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع ابرهيم واسحق ويعقوب فى ملكوت السموات ، وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك البكاء وصرير الاسنان » (ع ١٠ — ١٢) .

كان ابن الله قد أخلى نفسه واتخذ صورة ومركز عبد لتنفيذ مشيئة أبيه ، حيث يقبل جميع الذين يجتذبهم الآب إليه . ولطالما خدم فى إسرائيل ولم يجد فيهم إيماناً كهذا الذى وجده فى ذلك الأممى . وهذا لأول مرة فى هذه البشارة تلاقينا كلمة « إيمان » . كان كثيرون منهم قد انتفعوا بقدرته ، وقلما ميزوا جلال شخصه عندما حصلوا على الفرج من شدائدهم بواسطته وبهتوا من تعليمه ولكن بقوا مغلقاً عليهم فى تعصبهم . تعجب يسوع من قوة إيمان ذلك القائد الأممى ، وانتهز الفرصة ليصرح لأول مرة بانضمام كثيرين من الأمم إلى ملكوت السموات ليتمتعوا ببركات الله مع آباء الأمة الثلاثة المشهورين بإيمانهم ، حينما يكون بنو الملكوت (أى اليهود) مطرودين منه إلى موضع العذاب . وليس من قصده أن يوضح كيفية اشتراك الأمم فى بركات الملكوت ، بل يلمح فقط إلى رفض اليهود ، وقبول الأمم .

« ويتكئون مع ابراهيم .. الخ » هذا يدل على تمتعهم بالمجد السماوى لا على انضمامهم إلى الكنيسة على الأرض .

« ثم قال يسوع لقائد المائة ، اذهب . وكما آمنت ليكن لك . فبرأ الغلام فى

تلك الساعة » (ع ١٣) صار له بحسب إيمانه . لأنه ليس ممكناً للرب أن يخيب الايمان ، ولا أن يجعل اليد التى امتدت اليه للمعونة ترجع فارغة .

الفرق فى سرد الحادثة بين متى ولوقا

إذا قابلنا ماجاء هنا خاصاً بشفاء غلام قائد المائة مع مايقابله فى (لو ٧ : ١ - ١٠) ، نرى أن الحادثة فى لوقا مذكورة بالتفصيل . ويتضح منها أن قائد المائة لم يحضر بنفسه إلى المسيح ، بل أرسل وفداً من شيوخ اليهود يطلب إلى المسيح عن يدهم . ثم لما كان المسيح ذاهباً إلى بيت القائد ، أرسل القائد له أصدقاء يقر على فمهم بعدم استحقاقه . ولكن لا يوجد فى كلام متى ما يناقض ذلك لأنه يجوز القول أنه جاء بمعنى أنه جاء بالذين نابوا عنه . فالوحى فى متى يجعل الأهمية العظمى لإيمان الأجنبى الجنس ، ولقبول الأمم ورفض اليهود وأما فى لوقا ، فيوضح صفات الرجل الأخرى أيضاً ، كمحبته للأمة اليهودية ، واعتباره لديانتهم . كما يوضح محبتهم له أيضاً . ولكنه لا يذكر شيئاً عن « ملكوت السموات » لأن ذلك إنما يتعلق تعلقاً خاصاً بقصد الوحى فى انجيل متى .

ان كنا نتعب أنفسنا فى محاولات لتوفيق كلام الأربعة البشيرين مع بعضهم ، نصرف وقتاً كثيراً ولا نجنى سوى فوائد قليلة . ولكن إن كنا نميز قصد الوحى فى كلام كل منهم ، فإننا نستفيد أكثر لأننا نكون حينئذ تابعين قصد الروح القدس .

يوم آيات فى كفر ناحوم

شفاء حماة بطرس

(عدد ١٤ و ١٥ ، مرقس ١ : ٢١ — ٣١ ، لوقا ٤ : ٣١ — ٣٩)

« ولما جاء يسوع إلى بيت بطرس رأى حماته مطروحة ومحمومة . فلمس يدها فتركتها الحمى ، فقامت وخدمتهم » (عدد ١٤ و ١٥)

كان الايمان فى إسرائيل قليلا . ومع ذلك لم يزل الرب يخدمهم . دخل بيت بطرس وشفى حماته شفاء تاماً من الحمى التى كانت قد انتابتها حتى قامت فى الحال وصارت تخدمهم

شفاء جميع المرضى

(عدد ١٦و١٧ ، مرقس ١ : ٣٢ – ٣٤ ، لوقا ٤ : ٤٠و٤١)

« ولما صار المساء قدموا إليه مجانين كثيرين . فأخرج الأرواح بكلمة وجميع المرضى شفاهم . لكى يتم ما قيل بأشعياء النبى القائل « هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا » (عدد ١٦ و ١٧) .

انتظروا إلى المساء أو إلى ما بعد غروب شمس اليوم لان اليوم كان سبتاً . انظر مر ١ : ٢١و٣٢ ، لو ٤ : ٣١و٣٨و٤٠ . إذ لم يكن يجوز لهم حسب اعتقادهم أن يأتوا للاستشفاء فى السبت (لو ١٣ : ١٤) وقد أخرج الأرواح بكلمة وشفى جميع الأمراض طبقاً لما قيل عنه بالنبى « هو أخذ أسقامنا وحمل أمراضنا » وهذا من جهة خدمته الفائضة حناناً لاسرائيل لان أحوالهم وأحزانهم ثقلت على قلبه الشفوق « فى كل ضيقهم تضايق » ولم يكن يجرى أعمال القوة فقط بل كان يشعر شعوراً عميقاً إلهياً عندما كان يفرج ضيقات قلوب المتضايقين ولا يمكننا أن نتصور أو ندرك اختبارات الرب على حقيقتها لضيق قلوبنا وحبها لما هو لها . فكثيراً ما نتنحى نحن عن المصابين لمعرفتنا عدم قدرتنا على مساعدتهم . وربما لا نريد أن نراهم لان مجرد مشاهدة الضيق الذى لا نقوى على تفريجه يؤلمنا . وأما الرب فلم نسمع قط أنه امتنع عن المتضايقين أو ضجر من جموعهم التى أتت إليه . نعم كان قادراً أن يعينهم فأعانهم، ولكنه كان ينظر دائماً إلى أسباب مشقاتهم التى هى الخطية ويتأثر بسطوتها عليهم وعواقبها المحزنة .

انصرافه عن الجموع (عدد ١٨، لوقا ٩ : ٥٧)

« ولما رأى يسوع جموعاً كثيرة حوله أمر بالذهاب إلى العبر » (ع ١٨)

لما تمت خدمته لجميع الذين احتاجوا إليها فى كفرناحوم، لم تزل الجموع تتجمع حوله للاستطلاع لا للفائدة. فأمر بالذهاب إلى حيث يوجد موضع آخر يحتاج إلى خدمته لأنه لم يُخدع قط بمشاهدة الجماهير كأنهم يخضعون لله، بأنهم إنما تركوا رؤساءهم العالميين إلى حين، قاصدين المسيح ليفرج ضيقاتهم المتنوعة، ثم يرجعون إلى طرقهم القديمة خاضعين لسلطة رؤسائهم التى تناسبهم أكثر من سلطة المسيح ولم يزل هو فى أرض إسرائيل ليس له أين يسند رأسه.

الكاتب الذى اندفع للتطوع (عدد ١٩ و ٢٠، لوقا ٩ : ٥٧ و ٥٨)

« فتقدم كاتب وقال له، يامعلم، أتبعك أينما تمضى. فقال له يسوع للثعالب أوجرة ولطيور السماء أوكار. وأما ابن الانسان فليس له أين يسند رأسه » (ع ١٩ و ٢٠).

وإذ كان يبارح المدينة، تقدم إليه كاتب، وأبدى رغبته فى أن يتبعه أينما يمضى. فجاوبه الرب جواباً من شأنه أن يمتحن حقيقة إيمانه وما بدا عليه من غيرة، قائلا له، إنه يوجد موضع للثعالب والطيور فى الأرض، ولكن ليس فيها موضع لابن الإنسان. انه لم يكن بعد قد رفض رسمياً كما سنرى فى أصحاح ١٢، ولكنه كان لا يزال غير مقبول. فكأنه قال لذلك الكاتب، أتريد أن تتبع معلماً مرفوضاً ؟ ولا نعرف هل ثبت ذلك الكاتب بعد ذلك على عزمه أو عدل عنه. ربما كان من الذين تأثروا تأثراً وقتياً وحاولوا اتباعه لافكار أوغايات متنوعة. ولما ظهرت لهم حقيقة الأمر رجعوا إلى الوراء. وهذا هو حال الكثيرين حتى الآن. ومن ثم يجب على كل من يريد أن يتبع المسيح أن يحسب النفقة.

التلميذ المماطل وهو مدعو (عدد ٢١ و ٢٢ ، لوقا ١٣ : ٣٠ و ٣٨)

« وقال له آخر من تلاميذه ، ياسيد ، ائذن لى أن أمضى أولا وأدفن أبى. فقال له يسوع ، اتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم » (ع ٢١ و ٢٢)

كان هذا الشخص من تلاميذ المسيح ويتضح من كلامه أنه نظر إلى الصعوبات فى الطريق ، وطلب أن يرجع إلى بيته ، الى ما بعد وفاة أبيه على أن يعود بعد ذلك ويتبع المسيح . لم يكن أبوه قد مات ، والا لما منعه السيد عن إداء آخر واجب من ابن لأبيه ، ولاسيما أن الدفن كان يتم فى نفس يوم الوفاة ولذلك ألح عليه الرب أن تبعه فى الحال ، مهما كانت التكلفة تاركا للعالم أمر الاعتناء بموتاه منعاً من التعطل كما تعطل أبرام عن اتباع الرب الى كنعان إلى ما بعد وفاة أبيه فى حاران قابل تكوين ١١ : ٣١ و ٣٢ مع أعمال ٧ : ٤). أما يعقوب ويوحنا فلبيا الدعوة تاركين عملهما وأباهما (ص ٤ : ٢١ و ٢٢).

إن العناية بالوالدين واجب مقدس وفى محله ولكن يجب ألا يعيقنا ذلك عن اتباع المسيح . فإنه من المبادىء الأولية أن يكون الله هو الأول ، الله الذى تجب له كل الطاعة . وهذه اللفظة الصغيرة « أولا » التى فاه بها ذلك التلميذ المتردد فى قوله « أمضى أولا وأدفن أبى » هى قانون عظيم لامتحاننا . فإنه يجب أن نسأل أنفسنا ، هل المسيح هو الأول عندنا أم عندنا شىء آخر نضعه أولا ؟

« فقال له يسوع ، اتبعنى » نرى هنا أن الرب يسوع هو المركز الوحيد لتلاميذه ، ويجب أن يتبعوه أينما يمضى . وحالتهم فى أى وقت تتعلق بحالته هو فى ذلك الوقت . فلما كان على الأرض غير مقبول عند خاصته ، وليس له ما للثعالب والطيور من مكان وترحاب ، كانت حالتهم هم كذلك ، وكان ينبغى لمن أراد أن يتبعه أن يترك كل شىء ليكون فى رفقته كالسيد الذى لم يكن له أين يسند رأسه ، وأما الآن فهو ليس جائلا كغريب على الأرض ، بل جالس عن يمين الله فى السماء ، ومقامنا الآن

مرتبط به هناك . على أنه لا يزال غير مقبول، لا بل ومرفوض من العالم . ونحن كذلك كما قال «إن كانوا قد اضطهدونى فسيضطهدونكم» . وكما أن علاقاته مع العالم قد انقطعت ، كذلك نحن أيضاً قد انقطعت علاقتنا بالعالم فلم نعد منه كما أنه هو ليس منه (يو ١٧: ١٤و١٦) وصلبنا للعالم وصلب العالم لنا (غلا ٦: ١٤) . وصارت علاقتنا بالسموات وسيرتنا ، أو مملكتنا التى ننتمى إليها هى فى السموات التى منها ننتظره كالمخلص القدير الذى سينقذنا بجملتنا من العالم (فى ٣: ٢٠) وحينما يملك هو سنملك نحن أيضاً معه . وعليه فقد ارتبط التلاميذ مع سيدهم فى كل الأحوال . وإنه لمن أعظم العيوب التى تعيبهم أن يتخذوا مقاماً فى العالم الآن لا يوافق مقام سيدهم فيه .

لنلاحظ أيضاً أن الصعوبات المقترنة باتباعنا للرب لا تظهر لنا دفعة واحدة . فإنه إنما يرينا إياها شيئاً فشيئاً ونحن ذاهبون فى الطريق وراءه ولو رأينا ها كلها مرة واحدة لفشلنا من مشاهدتها وحاولنا الاستعفاء من اتباعه ، كما فعل ذلك التلميذ . وكثيراً ما تؤثر فينا رؤية جانب صغير منها ، فنئن مستثقلين الصليب . ولكن شكراً للذى قد شرفنا بحمل الصليب ولا يزال يطلب منا أن نثبت قائلا « اتبعنى ودع الموتى يدفنون موتاهم » ، فإن هذا المشهد متصف بالموت ولا يوجد فرق كبير بين الموتى روحياً والموتى حرفياً . ومعلوم أن أعز الأشياء عند موتى هذا العالم هى كلها للفناء ومع ذلك نراهم يبذلون قصارى جهدهم ليخفوا هذه الحقيقة المحزنة عن أعينهم فيكثرون الثروة لأجل تغذية الحياة الفانية التى لا يمكنهم أن يستبقوها دقيقة واحدة أكثر من الوقت الوجيز المعين لها . ثم عند حادثة الموت ينوحون ويتصرفون كأن عدوهم الأكبر قد اقتحمهم اقتحاماً . ثم يدفنون موتاهم، موارين إياهم عن نظرهم، ويزينون قبورهم ويرجعون الى عيشتهم العالمية كأن الموت قد استوفى حصته منهم، ولا يعود يطالبهم. فما أحلى نصيب الذين هم فى المسيح يسوع ! لأنهم قد انتقلوا من الموت إلى الحياة وصار لهم اليقين التام بأن ليس للموت أدنى حق عليهم بعد، فإنه قد

استوفى حقه مرة من فاديهم ولا بد أن يلحقوا بهذا الفادى حيث هو ، تاركين هذا المشهد المتصف بالموت .

تسكينه للرياح والبحر

(عدد ٢٣ — ٢٧ ، مرقس ٤ : ٣٥ — ٤١ . لوقا ٨ : ٢٢ — ٢٥)

« ولما دخل السفينة تبعه تلاميذه وإذا اضطراب عظيم قد حدث فى البحر[١] حتى غطت الأمواج السفينة، وكان هو نائماً . فتقدم تلاميذه وأيقظوه قائلين ، ياسيد . نجنا، فإننا نهلك . فقال لهم ، ما بالكم خائفين ، ياقليلى الإيمان ؟ ثم قام وانتهر الرياح والبحر فصار هدوء عظيم ، فتعجب الناس قائلين ، أى إنسان هذا فإن الرياح والبحر جميعاً تطيعه ؟ » (ع ٢٣ — ٢٧) .

فيما جرى للسفينة فى هذه الحادثة ، نرى صورة كاملة لحالة الذين قد تركوا العالم ليتبعوا المسيح ، فان العناصر لا تلبث أن تضطرب وتجعلهم فى أشد خطر . وفوق ذلك يرى سيدهم ، حسب الظاهر ، نائماً أو غير مبال . وهكذا قد يفهم معه أن الله سمح للعدو أن يهيج النوء عليهم . ولكن العدو بعمله هذا إنما قدم فرصة للرب يظهر فيها مجده ، كما هو الحال معنا نحن أيضاً فى الضيقات التى تصيبنا فى عبورنا بحر هذا العالم المضطرب . فان تهيجات العدو مهما اشتدت ، إنما تمهد سبيلا للرب ليظهر قوته فى إنقاذنا .

لقد كان الرب معهم فى السفينة . فهل كان يمكن للأمواج أن تغرق السفينة وتغرقهم والرب معهم فيها؟ حاشا .

إنى لا أقول أن السفينة رمز للكنيسة التى قد وعد المسيح أن يكون فى وسطها ،

---

(١) هو بحر طبرية ، وهو يقع فى غور عميق تحيط به سلسلة جبال مرتفعة من الشرق فى حين تتاخمه من الغرب تلال متقطعة تندفع من دروبها عليه رياح عاصفة هوجاء ما بين حين وآخر .

لانها ليست كذلك على أنها تذكرنا ببعض المواعيد الجليلة التى تؤكد حضور الرب مع شعبه فى أحوالهم المتعبة الخطرة . انظر قوله مثلا «من أصوات مياه كثيرة، من غمار أمواج البحر، الرب فى العلى أقدر» (مز ٩٣ : ٤) . وأيضاً «أنت متسلط على كبرياء البحر، عند ارتفاع لججه أنت تسكنها» (مز ٨٩ : ٩) .

«ما بالكم خائفين ، يا قليلى الإيمان؟» لو كانوا قد انتبهوا حق الانتباه لمن هو معهم فى السفينة، لما خطر ببالهم انها تغرق وهو فيها لأنه الشخص الوحيد الذى كان لابد أن تتم فيه جميع مقاصد ومواعيد الله . لا بل وهو أيضاً الله الذى خلق الرياح والبحر، فكيف تقوى عليه أعمال يديه وهاهو فى السفينة معه ؟ لقد ظنوا أنه إذا استيقظ يقدر أن يساعدهم، أوعلى الأقل يهتم بالأخطار المحيطة بهم ولكنهم أظهروا قلة إيمانهم بإيقاظهم إياه. فلما قام وبخهم أولا ، ثم انتهر العناصر المضطربة فصار هدوء عظيم . عرف البحر وعرفت الرياح والامواج صوت خالقها فهدأت حالا .

«فتعجب الناس قائلين ، أى إنسان هذا؟» كان إنساناً حقيقياً . وكان قبل ذلك نائماً بعد تعب النهار كمن لذ له النوم كإنسان ولكن أى إنسان هو؟ حقاً، ليس هو إلا الله ظاهراً فى الجسد .

شفاء المجنونين فى كورة الجرجسيين

(عدد ٢٨ — ٣٤ ، مرقس ٥ : ١ — ٢٠، لوقا ٨ : ٢٦ — ٣٩)

«ولما جاء الى العبر إلى كورة الجرجسيين استقبله مجنونان خارجان من القبور هائجان جداً حتى لم يكن أحد يقدر أن يجتاز من تلك الطريق . وإذا هما قد صرخا قائلين ، مالنا ولك يا يسوع ابن الله ؟ أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا ؟ وكان بعيداً منهم قطيع خنازير كثيرة ترعى . فالشياطين طلبوا إليه قائلين إن كنت تخرجنا فائذن لنا أن نذهب إلى قطيع الخنازير فقال لهم امضوا . فخرجوا ومضوا إلى قطيع الخنازير . واذا قطيع الخنازير كله قد اندفع من على الجرف إلى البحر ومات فى المياه . أما الرعاة

فهربوا ومضوا إلى المدينة وأخبروا عن كل شيء وعن أمر المجنونين. فإذا كل المدينة قد خرجت لملاقاة يسوع. ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم» (ع ٢٨-٣٤)

« كورة الجرجسيين » سميت كذلك نسبة الى « جرسة » مدينة على شاطىء بحر طبرية . والجرجسيين في الغالب هم بقايا الجرجاشيين الذين كانوا من أمم كنعان (تك ١٥: ٢١) . فمتى الذي يكتب لليهود سمى الكورة باسمها المعروف لهم من تاريخهم القديم (يش ٣ : ١٠) . أما مرقس ولوقا إذ أنهما يكتبان للأمم يسميانها « كورة الجدريين » نسبة الى « جدرة » عاصمة الكورة وهي إحدى مدن تلك الكورة العشرة وكان معظم سكانها من الأمم (مر ٥ : ٢٠) .

يتضح من هذه الحادثة أنه يمكن في بعض الأحوال للأرواح الشريرة أن تمتلك أجساد البشر امتلاكاً حقيقياً وتسودها سيادة هائلة . ويقال عن الشخصين المومأ إليهما إنهما كانا مجنونين . وكان سبب جنونهما وجود أرواح شيطانية فيهما ولكننا لا نقدر أن نقول عن جميع المجانين أن فيهم أرواحاً شريرة فانه توجد أسباب أخرى لاختلال العقل غير ذلك .

« أجئت إلى هنا قبل الوقت لتعذبنا؟» فلاحظ انهم عرفوا يسوع أنه ابن الله وبالتبعية انه ديانهم أيضاً وخافوا من أن يرسلهم إلى مكان العذاب ، لتعذيبهم هناك قبل الأوان. وهذا لأن ديونة إبليس وملائكته لم يحن أوانها بعد ، بل لا زالت مستقبلة (أنظر مت ٢٥ : ٤١ ، رؤ ٢٠ : ١٠)

« فالشياطين طلبوا اليه... ألخ» أجاب الرب طلب الشياطين أن يدخلوا الخنازير — وقد أثبت غرق الخنازير حقيقة وجود الشياطين في المجنونين وشدة قوتهم . فإنهم كانوا فعلا يمتلكون الرجلين المسكينين امتلاكاً تاماً. ولما خرجوا منهما بأمر الرب ودخلوا الخنازير ساقوا قطيع الخنازير إلى البحر . ونحن لا نعرف لماذا طلب الشياطين أن يدخلوا الخنازير ، على أن المحتمل كما ظهر من النتيجة ، أنهم كانوا يقصدون . إهلاكها لكي يهيجوا سكان البلاد ضد المسيح كما صار .

« ولما أبصروه طلبوا أن ينصرف عن تخومهم » إن البشر يقبلون المساعدة من الرب إلى حد ما ، أعنى أنهم يقبلون الشفاء وماشا كله إلى أن يتبينوا أن قوة الله ، التى يخدمهم بها، مضادة لقوة إبليس التى استساغوها واستسلموا لها، وأن المحاربة بينهما لابد متصلة حتى يطرد إبليس طرداً تاماً ونهائياً ، حينئذ يصبح حضور الله أمراً غير محتمل عندهم ، فيطلبون إليه أن يتركهم وشأنهم ، لأنهم مهما تعذبوا من الشياطين فإنهم يختارون إبليس دون المسيح .

قد عرفنا أنهم قاموا عليه فيما بعد وطردوه عنوة من العالم بصلبه . على أنهم هنا إنما طلبوا إليه فقط أن ينصرف عن تخومهم لانه قد وقعت عليهم هيبته. فسطوة إبليس التى تجعل الناس يرفضون المسيح ويطلبون ابتعاده عنهم ، حباً فى مصالحهم الزمنية ، لاتحرمهم فقط من قوته الظاهرة لخدمتهم ، بل وتحرمهم أيضاً من بركة حضوره معهم . وهذه هى الطامة الكبرى . لأن أعظم كارثة تحل بالإنسان أن يجيبه الله إلى طلبه فى الانصراف عنه، فقد قال الرب « ويل لهم أيضاً متى انصرفت عنهم » (هوشع ٩ : ١٢) . ولم تزل إلى الآن أرض أولئك الجرجسيين صورة محزنة للعالم أجمع . فإنه كان من الأمور الهينة أن تخرج ربوة من الشياطين من أجساد الناس . ولكن ما كان أصعب إخراجها من قلوبهم ! ! وهذا لتمسك قلوبهم بها . إن تسلط الشياطين على الجسد أمر محزن ويجب أن نرثى لمن وقع تحته ، أما تسلطهم على القلب فأدعى إلى الحزن والرثاء .

الفرق فى سرد الحادثة بين متى ومرقس

إذا راجعنا ما جاء هنا خاصاً بهذين المجنونين مع ما يقابله فى مرقس ٥ : ١ – ٢٠ فإننا نرى أن مرقس إنما يذكر واحداً من المجنونين فقط . ولعله أشهرهما، فيصفه بالتفصيل قائلا ، إنه قد ربط كثيراً بقيود وسلاسل فقطع السلاسل وكسر القيود فلم يقدر أحد ان يذلله فإن قصد الوحى فى مرقس أن يرينا قوة إبليس وعجز البشر

عن ضبطها . ثم يذكر خلاص المجنون المسكين وطلبه أن يكون مع المسيح . ولكن المسيح أرجعه ليخبر أهله كم صنع الرب به ورحمه . وفى ذلك فوائد جميلة لنا ، إذ أننا بعد خلاصنا من إبليس نرغب أن نكون مع مخلصنا فى المجد ، ولكنه يبقينا فى العالم لنخبر الآخرين كم صنع بنا ورحمنا .

وأما متى فلا يذكر ذلك ، لأن غاية الوحى الخاصة فيه هى إظهار قوة إبليس فى قلوب الناس وعدم قبولهم عمانوئيل ، يهوه المخلص ، الذى يقدر أن يخلصهم ، لا من قوة إبليس فقط ، بل أيضاً من خطاياهم التى بها يستولى إبليس عليهم .

الاصحاح التاسع

شفاء المفلوج (ع ١ ـ ٨ ، مر ٢ : ١ ـ ١٢ ، لو ٥ : ١٧ ـ ٢٦)

« فدخل السفينة . واجتاز وجاء إلى مدينته وإذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحاً على فراش . فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج ، ثق يا بنى مغفورة لك خطاياك . وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف . فعلم يسوع أفكارهم . فقال لماذا تفكرون بالشر فى قلوبكم أيما أيسر أن يقال مغفورة لك خطاياك . أم أن يقال قم وامش . ولكن لكى تعلموا أن لابن الانسان سلطاناً على الأرض أن يغفر الخطايا حينئذ قال للمفلوج قم واحمل فراشك . واذهب إلى بيتك . فقام ومضى إلى بيته . فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله الذى أعطى الناس سلطاناً مثل هذا » (ع ١ — ٨) .

« إلى مدينته » . رجع الرب إلى مدينته ، أى كفر ناحوم ، التى كان قد سكن فيها ، بعد تركه الناصرة حيث كان قد تربى (ص ٤ : ١٣) . والتى كانت من المدن التى صنع فيها أكثر قواته (ص ١١ : ٢٠ — ٢٣) فعاد من أرض الجرجسيين الأمم ليخدم إسرائيل شعبه فى أرضهم .

وقد قصد المسيح أن يبرهن لشعبه أنه يهوه إلههم المكتوب عنه أنه يغفر جميع ذنوبهم ويشفى كل أمراضهم (مز ١٠٣ : ٣) . فكان سيان عنده أن يقول مغفورة لك خطاياك أو قم وامش .

« وإذا قوم من الكتبة قد قالوا فى أنفسهم هذا يجدف » . لما قصد الرب أن يمتحن إيمان إسرائيل نطق فى سمعهم بقوله للمفلوج « مغفورة[1] لك خطاياك »

(١) قدم الرب ذكر غفران الخطايا على الشفاء من المرض لثلاثة أسباب . الأول لأن الخطية هى سبب المرض بل الأصل فى كل بلاء كما هى علة الموت والهلاك والثانى لكى يجعل من ثبوت سلطانه على غفران الخطايا الذى هو من سلطان الله وحده برهاناً على أنه الله الذى بكلمة أمره النافذة يغفر الخطايا ويشفى الأمراض .

فتذمر بعض الكتبة قائلين فى أنفسهم أنه يجدف . ولنلاحظ أن مقاومة رؤساء الدين للمسيح تذكر هنا لأول مرة . وسنرى أنها اشتدت أكثر فأكثر . ولم يزل الشعب أقرب إلى قبول المسيح من رؤسائهم لأنهم تأثروا جداً بمشاهدة سلطان كهذا ومجدوا الله .

دعوة متى وضيافته

(ع ٩ — ١٣ ، مر ٢ : ١٣ — ١٧ ، لو ٥ : ٢٧ — ٣٢)

« وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متى فقال له اتبعنى . فقام وتبعه . وبينما هو متكئ فى البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاءوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه . فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه . لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة . فلما سمع يسوع قال لهم لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى . فاذهبوا وتعلموا ما هو . إنى أريد رحمة لاذبيحة لأنى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة » (ع ٩-١٣)

واضح من (لو ٥:٢٩) أن متى نفسه صنع ضيافة كبيرة ليسوع وتلاميذه . ولكن لرغبته فى الاختفاء لم يذكر شيئاً من ذلك هنا . وإذ كان قد اختبر نعمة الرب يسوع نحوه كخاطئ دعا خطاة مثله ليحضروا مع يسوع ليستفيدوا منه كما استفاد هو . أغاظ ذلك الفريسيين المعتدين ببر أنفسهم فأخذوا يعترضون على الرب . فجاوبهم بهذا المثل الجليل « لايحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى » كان أولئك الضيوف المتكئون فى بيت متى مصابين بلا شك بمرض الخطية . ولكن يسوع قد حضر لأجل أناس مثلهم . ولو وُجد إنسان بار فلا يناسبه ذلك الذى أتى ليخلص الخطاة ، إذ ليس برنا هو الذى يعدنا للمسيح بل فجورنا (رو ٤ : ٥) كان الفريسيون أبراراً فى نظر أنفسهم فلم يشعروا باحتياجهم إلى تلك النعمة الإلهية التى تنازلت حتى تدعو متى العشار .

« فاذهبوا وتعلموا ماهو . إنى أريد رحمة لا ذبيحة » فنفس كتبهم التى افتخروا بها توبخهم لأن الله سبق فأوضح فيها الخدمة التى ترضيه إذ قال « إنى أريد رحمة لاذبيحة . ومعرفة الله أكثر من محرقات » (هو٦:٦) . فقد كان الفريسيون يدققون فى ممارسة الطقوس المتعلقة بالذبائح تاركين العدل والرحمة فى تصرفهم نحو الآخرين وإذ قال ميخا النبى « بم أتقدم إلى الرب ، وأنحنى للاله العلى ؟ هل أتقدم بمحرقات ، بعجول أبناء سنة ؟ » أجابه الوحى « قد أخبرك أيها الإنسان ، ما هو صالح ، وماذا يطلبه منك الرب . إلا أن تصنع الحق ، وتحب الرحمة ، وتسلك متواضعاً مع إلهك » (مى ٦ : ٦ و ٨) .

وقد عرف سيدنا ما هى الخدمة التى وافقته كعبد كامل لمشيئة الذى أرسله . فدخل بين الذين شعروا باحتياجهم إلى الرحمة .

« لأنى لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة » (إلى التوبة) . هذا يظهر حقيقة دعوته . لاشك أن المدعوين يتوبون . ولكن قصده هنا أن يوضح حقيقة إتيانه بالنعمة ، لا لكى يأخذ براً من يد الناس ، بل ليمنحهم براً . ولم يقع ذلك موقع القبول عند الذين يزعمون بأن عندهم براً دون الآخرين .

سؤال تلاميذ يوحنا عن الصوم

(عدد ١٤ — ١٧ ، مر ٢ : ١٨ — ٢٢ ، لو ٥ : ٣٣ — ٣٩)

« حينئذ أتى إليه تلاميذ يوحنا قائلين ، لماذا نصوم نحن والفريسيون كثيراً . وأما تلاميذك فلا يصومون ؟ فقال لهم يسوع ، هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا مادام العريس معهم ؟ ولكن ستأتى أيام حين يرفع العريس عنهم . فحينئذ يصومون . ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق . لأن الملء يأخذ من الثوب فيصير الخرق أردأ . ولا يجعلون خمراً جديدة

فى زقاق عتيقة لئلا ينشق الزقاق فالخمر ينصب والزقاق تتلف . بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً » (ع ١٤ — ١٧)

كان يوحنا يومئذ فى السجن (ص ٤ : ١٢و١٣) . وكانت غاية خدمته أن « يهيء للرب شعباً مستعداً » ولو استفاد الكل من تعليمه عن المسيح لصاروا جميعاً تلاميذ للمسيح ولما بقي ليوحنا تلاميذ ، ولكن قد انفرز بعض أشخاص للمسيح وأصبحوا معروفين كتلاميذه ، فأخذوا يتميزون عن الآخرين شيئاً فشيئاً فى عوائدهم . وقد لاحظ الآخرون ذلك واستنتجوا أنه لا بد أن يكون ذلك نتيجة فعل تعليم معلمهم فيهم .

معلوم أن الفريسيين حافظوا على جميع الطقوس والعوائد اليهودية غاية المحافظة وعمل كذلك تلاميذ يوحنا . وكانوا فى ذلك على اتفاق بينهم ، مع أن الفريسيين على وجه الإجمال رفضوا تعليم يوحنا ، وقد تعجب تلاميذ يوحنا من أن تلاميذ المسيح لم يكونوا يصومون . لأن الصوم كان يميز المتمسكين بديانتهم عن المتراخين .

« فقال لهم يسوع ، هل يستطيع بنو العرس أن ينوحوا ما دام العريس معهم ؟» بنو العرس ، هم كل من له نصيب فى أفراح العرس والعريس هو المسيح (ص٢٢ :٢) والعروس كان المنتظر أن تكون هى إسرائيل كأمة[1] فيجب إذن أن يكون حضور المسيح كالعريس ، وقت فرح للتلاميذ ، فلا يوافقهم الصوم الذى يقترن مع الحزن لا مع العرس وأفراحه وكان هذا الدفاع مقبولا عند تلاميذ يوحنا ، لأن معلمهم هو الذى سبق وعلمهم أن المسيح ، هو عريس إسرائيل (يو ٣ : ٢٥- ٣٠)

(١) ولكن بعد أن ارتفع المسيح إلى السماء ، شغل مركز العريس للكنيسة كعروسه السماوية ، وبعد اختطاف الكنيسة إلى السماء ، يعود الرب يسوع للأمة الإسرائيلية التائبة ليستردها لنفسه كعروسه الأرضية (هو ٢ : ١٩ — ٢٣ ، إش ٥٤ : ٥ — ٧ ، رؤ ١١ : ٢٥و٢٦) .

« حين يرفع العريس عنهم فحينئذ يصومون » . لأنهم إذ ذاك يكونون فى حالة تناسب الصوم . وقد حصل ذلك فعلاً فى كل المناسبات التى دعت إليه.

« ليس أحد يجعل رقعة من قطعة جديدة على ثوب عتيق . . الخ » كان النظام اليهودى مثل ثوب عتيق لم يصلح لشيء ، ولا يمكن ترقيعه، بل لابد من تغييره بثوب أو نظام أو عهد جديد (انظر عب ٧: ١٢و١٨و١٩) ولاسيما قوله « اكمل . . عهداً جديداً - فإذ قال جديداً عتق الأول . وأما ما عتق وشاخ فهو قريب من الاضمحلال » (عب ٨: ٨و١٣) . وبالتبعية كان أيضاً التصرف بحسب مبادىء العهد القديم، ثوباً عتيقاً وأما التصرف اللائق بحضور المسيح فمثل ثوب جديد . إن التشبيهات المستعارة من اللبس تتعلق غالباً بالسلوك فلم يقصد المسيح بتة أن يرقع الثوب اليهودى العتيق ، بل أن يأتى بثوب جديد . وللفظة « جديد » أهمية عظمى فى كل ما يتعلق بالمسيح . فقد جاء ليكون وسيطاً لعهد جديد (عب ٩: ٥) . وأعد لتلاميذه سلوكا جديداً . ولما مات وقام ، أوجد لهم مقاماً جديداً والخليقة التى أبدأها عند قيامته ، هى خليقة جديدة (أف ٢: ١٠، ٢كو ٥: ١٧) . وأخيراً عند اختطافنا سيجعل أجسادنا جديدة (فى ٣: ٢١). وسيفتتح الأبدية السعيدة بجعل السموات جديدة والأرض جديدة (رؤ ٢١: ١و٥)

« ولا يجعلون خمراً جديدة فى زقاق عتيقة . . الخ » . الخمر العتيقة كناية عن روح الديانة اليهودية الروح الناموسية ، روح العبودية للخوف (رو ٨: ١٥، عب ١٢: ٢١) . والزقاق العتيقة هى الطقوس والعوائد القديمة التى كانت تناسب ذلك الروح العتيق .

« بل يجعلون خمراً جديدة فى زقاق جديدة فتحفظ جميعاً » راجع موعظته على الجبل ، فترى كم يجب أن يختلف تلاميذه عن الآخرين فى الروح والسلوك . ويكنى عن ذلك بالخمر الجديدة والزقاق الجديدة .

فلا يليق خلط العتيق بالجديد ، بل يجب أن يحفظ كل منهما فى محله الخاص .

وان كان الأمر كذلك فى زمان وجود المسيح على الأرض ، فكم يجب أن يكون بالحرى بعد موته وقيامته وانشائه العهد الجديد ! فيجب أن نحترس احتراساً كلياً من أن نمزج العهدين مع بعضهما وقد فعل ذلك جميع الذين تهودوا من المسيحيين إذ رتبوا لأنفسهم، كالغلاطيين طقوساً يهودية، ليست هى إلا زقاقاً عتيقة ، لا تناسب الإيمان المسيحى وإن كنا نخلط النظامين معاً ، العتيق والجديد ، فإننا نخسر كليهما لأن خلطهما معاً ينتج عنه ديانة مشوشة ، لاهى المسيحية ولاهى اليهودية لأننا لسنا يهوداً . وإن أقمنا أنفسنا مقامهم ، نكذب (رؤ ٢ : ٩) ، وزقاقنا العتيقة لا تضبط خمر العهد الجديد .

إقامة ابنة يايرس وشفاء نازفة الدم

(عدد ١٨ - ٢٦ ، مر ٥ : ٢١ - ٤٣ ، لو ٨ : ٤٠ — ٥٦)

« وفيما هو يكلمهم بهذا اذا رئيس قد جاء فسجد له قائلا إن ابنتى الآن ماتت. لكن تعال وضع يدك عليها فتحيا. فقام يسوع وتبعه هو وتلاميذه. وإذا امرأة نازفة دم منذ اثنتى عشرة سنة. قد جاءت من ورائه ومست هدب ثوبه . لأنها قالت فى نفسها إن مسست ثوبه فقط شفيت .. فالتفت يسوع وأبصرها . فقال، ثقى يا ابنة ، ايمانك قد شفاك. فشفيت المرأة من تلك الساعة ولما جاء يسوع الى بيت الرئيس ، ونظر المزمرين والجمع يضجون، قال لهم، تنحوا فإن الصبية لم تمت. لكنها نائمة، فضحكوا عليه ، فلما أخرج الجمع دخل وأمسك بيدها. فقامت الصبية. فخرج ذلك الخبر الى تلك الأرض كلها » (ع ١٨ - ٢٦)

قد رأينا حالة إسرائيل أنهم كانوا أمواتاً. ومع ذلك حافظوا على طقوسهم العتيقة فاحتاجوا إلى خدمة من يستطيع أن يحييهم. فنرى هنا صورة جميلة لخدمة المسيح لهم. فانه يقدر أن يحيي الموتى . وكان للرئيس المذكور إيمان بأن يسوع قادر أن يحيي ابنته الميتة وكانت وحيدة (لو ٨ : ٤٢) .

و نتبين من مقابلة ما جاء هنا مع ما يقابله فى (مر ٥: ٢٢ ، لو ٨ : ٤١) أن ابنته

كانت على آخر نسمة لما خرج من بيته ليذهب إلى المسيح ليطلبه لأجلها. ثم جاءه واحد والمسيح ذاهب معه وأخبره أنها قد ماتت فلا داعى لأن يتعب المعلم بعد.

وهكذا كان الحال مع اسرائيل الذين أتى المسيح ليشفيهم ولكنه وجدهم أمواتاً وبحسب الظاهر انقطع الرجاء من جهتهم. وكم كان قد تعب فيهم قديماً حتى لم يوجد شفاء (٢أى٣٦ : ١٥و١٦) . كان هو « يهوه » شافيهم ولكنهم لم يعرفوا ذلك (هو ١١ : ٣). ثم عند حضوره انكشفت حالتهم أنهم أموات، فينبغى لهم أن يولدوا من فوق أى ينالوا حياة جديدة من الله. وسيتم ذلك لهم كأمة فى المستقبل. لأن اقتبالهم يكون كحياة من الأموات (رو ١١ : ١٥) :

ولكن توجد حقيقة أخرى من الناحية التدبيرية، فبينما المسيح فى الطريق الى بيت يايرس ليحقق إيمانه فى إقامة ابنته، لمست المرأة نازفة الدم هدب ثوبه وخلصت من مرضها الوبيل، هكذا أيضاً، بينما المسيح فى الطريق إلى إسرائيل ليحقق لهم فى المستقبل مواعيده للآباء، تتقدم إليه الآن كل نفس لها إيمان به ، فتنال الخلاص

لقد كانت تلك المرأة أيضاً مقطوعة الرجاء من جهة الوسائط البشرية فانها كانت قد أنفقت كل ما عندها بغير جدوى . وهكذا نحن، فإننا لا نأتى إلى المسيح ما دمنا نأمل فى الحصول على معونة من البشر أو من الجسد . ولكننا بعد أن نقطع الأمل من كليهما نتقدم اليه وننال منه ما نريد .

ولنلاحظ أن مرقس ولوقا يذكران تفاصيل جميلة جداً لم يذكرها متى. لأن قصد الوحى الخاص فى متى هو أن يعطينا ما يتعلق بخدمة المسيح لإسرائيل. أما مرقس ولوقا فيدرجان فوائد عامة لخدمته المطلقة .

وماذا نظر يسوع لما جاء الى بيت الرئيس؟ «نظر المزمرين والجمع يضجون» وهذا هو آخر ما يمكن للبشر أن يعملوه فى محضر الموت «يزمرون ويضجون» ساعة، ثم يدفنون موتاهم عن نظرهم ويرجعون الى طرقهم العادية، الى أن يقتحمهم عدوهم ثانية ، وكأنه يأتيهم بكل مرة بغتة .

«قال لهم، تنحوا، فإن الصبية لم تمت لكنها نائمة» (ع٢٤) : ما أجمل قول الرب «لكنها نائمة» . لأن موت القديسين ليس سوى رقاد بحسب تعليم الروح القدس . وسيأتي الرب عن قريب ليوقظهم ، يدعوهم فيجيبونه .

« فضحكوا عليه » . كانوا يصدقون قوة الموت ، وأما قوة المسيح فلم يكونوا يصدقونها ، فأخرجهم لأن ليس لأولئك العديمي الايمان أن يشاهدوا العمل الذى كان مزمعاً أن يعمله . لقد أقام غيرها من الأموات على مرأى من الناس ، لأنهم لم يكونوا قد ضحكوا عليه .

« وأمسك بيدها . فقامت الصبية » . وهكذا من الناحية التدبيرية فإنه فى المستقبل سيحيى الأمة الميتة وسيرى الذين لهم إيمان به خلاصه ومجده فى كل الأرض فى حين يقطع من الأرض جميع المستهزئين به .

الاعتراف به كابن داود . وشفاء الأعميين (عدد ٢٧—٣١)

« وفيما يسوع مجتاز من هناك[١] تبعه أعميان يصرخان ويقولان ارحمنا يا ابن داود[٢] . فلما جاء الى البيت تقدم اليه الأعميان : فقال لهما أتؤمنان أنى أقدر أن أفعل هذا ؟ قالا له نعم ياسيد . حينئذ لمس أعينهما قائلاً بحسب إيمانكما ليكن لكما . فانفتحت أعينهما . فانتهرهما يسوع قائلاً انظرا لا يعلم أحد . ولكنهما خرجا وأشاعاه فى تلك الأرض كلها » (ع٢٧—٣١)

اعترف الأعميان به كابن داود ، وآمنا بقدرته ، فنحهما البصر . لم يعمل هذا العمل أمام الناس ، بل فى البيت . ثم أوصاهما أن لا يخبرا أحداً : وإذا راجعنا عدة حوادث أخرى ، حيث أوصى الرب الذين انتفعوا من قدرته أن يكتموا الخبر بما جرى ، نرى

(١) أى من بيت الرئيس .
(٢) يعترف به هنا لأول مرة فى إنجيل متى أنه ابن داود .

أنه إنما عمل ذلك احتراساً من تهييج غيرة الرؤساء وحسدهم . فإنهم صاروا يراقبونه لكي يتخذوا فرصة ليتكلموا ضده ، ويمنعوا الشعب عن الاستماع له .

لما كان في أرض الجرجسيين ، لم يسمح للرجل الذي شفاه من جنونه أن يكون معه ، بل أرجعه الى بيته وأهله ليخبرهم كم صنع به الرب ورحمه ، لأنه لم يكن هناك رؤساء دينيون . وأما في اسرائيل فاقتضى الأمر أن يحترس من الذين لقبهم يوحنا المعمدان «بأولاد الأفاعي» ، وشبههم المسيح بالكلاب والذئاب الخاطفة . وأما الأعميان المذكوران فخالفا أمره ولاشك أنهما أخطآ في ذلك حتى ولو كان الذي حملهما على هذه المخالفة هو التعبير عن شكرهما للمسيح « لأن الاستماع أفضل من الذبيحة » (١ صم ١٥ : ٢٢) .

شفاء الأخرس المجنون (عدد ٣٢ — ٣٤)

«وفيما هما خارجان اذا انسان أخرس مجنون قدموه إليه. فلما أخرج الشيطان تكلم الأخرس. فتعجب الجموع قائلين ، لم يظهر قط مثل هذا في اسرائيل . أما الفريسيون فقالوا « برئيس الشياطين يخرج الشياطين » (ع ٣٢—٣٤)

وردت شهادة جميلة عن بركات ملك المسيح في إشعياء النبي حيث يقول «حينئذ تتفتح عيون العمي، وآذان الصم تتفتح . حينئذ يقفز الأعرج كالأيل ، ويترنم لسان الأخرس » (إش ٣٥ : ٥و٦) . ولما حضر المسيح وسط اسرائيل أظهر نفس القوة التي ستجري البركة التامة للأرض في المستقبل لذلك يقال لأعماله العجيبة التي عملها وقتئذ « قوات الدهر الآتي » (عب ٦ : ٥) ، لأنها متصفة بنفس القوة التي سيظهرها في زمن الملك . كانت خدمته مصحوبة بالقوة ولم يكن ممكناً أن تجري في المجاري القديمة .

« فتعجب الجموع قائلين لم يظهر قط مثل هذا في اسرائيل » كان الله قد افتقد شعبه، وعمل بينهم أعمالا برهنت حقيقة حضوره وسطهم، فقالوا «لم يظهر قط مثل

هذا فى اسرائيل » ، أى فى كل تاريخهم الماضى كأمة . فإنه لم يفعل مثله قط لا موسى ولا إيليا ولا اليشع ولا غيرهم . على أن أولئك الجوع الذين تعجبوا من عمل المسيح وشهدوا له هذه الشهادة الحسنة ، كان من عادتهم أن يتأثروا إلى حين فقط بمشاهدة عمل الله ، ويميلوا إلى الخضوع له . وتراهم فى بعض الأوقات ، كما فى هذه الحادثة وكأنهم قد تخلصوا من سطوة رؤسائهم . ولكن عندما جاء الامتحان الأعظم ، فى حادثة الصليب ، تراهم قد خضعوا فى الحال لرؤسائهم ، وقالوا لبيلاطس عن يسوع « ليس هذا بل باراباس » (ص ٢٧ : ١٥ — ٢٣) .

« أما الفريسيون فقالوا برئيس الشياطين يخرج الشياطين » (ع٣٤) . كانت مصالح هؤلاء الرؤساء الزمنية وشرفهم ومراكزهم مرتبطة بالطقوس والترتيبات العتيقة فقاوموه ، مع أنهم لو عرفوا حالتهم وحالة اسرائيل لفرحوا بهذا الافتقاد الإلهى ، وارتضوا أن يصنع الله خيراً بالطرق التى استنسبها هو . ولكنهم لم يعرفوا ذلك . وفى الواقع لم تهمهم حالة اسرائيل المنحطة ماداموا يحظون بمركزهم وشرفهم ، ويحصلون على معاشهم ، ولو بأكل بيوت الأرامل . فلم يريدوا أن يقبلوا تغييراً فى الترتيب القائم ، ما دام ذلك لا يؤول إلى رفعة شأنهم وسمو مقامهم بين الشعب . وهكذا الأمر دائماً مع بعض الرؤساء الدينيين .

ولكن إن كان الله ينظر بعين العطف إلى حالة شعبه ليفتقدهم ، فمن المستحيل أن عمله هذا يرضى الرؤساء ، لأنه إنما يراعى خير شعبه ، بينما يراعى الرؤساء خير أنفسهم . ومن هنا ينشأ الخلاف بينهم وبينه ، وتبدأ مقاومتهم له فيفترون على عمله ويقاومونه ، ولكنه يجرى عمله رغماً عنهم .

« برئيس الشياطين يخرج الشياطين » . لقد أقروا بالقوة ، ولكنهم نسبوها للشيطان ، ولكن الرب لم يرد عليهم ، بل استمر فى خدمته لخراف بيت اسرائيل الضالة .

استمرار التجوال والتمهيد لإرسالية الاثنى عشر

(عدد ٣٥ — ٣٨ ، مر ٦ : ٦)

« وكان يسوع يطوف المدن كلها والقرى يعلم فى مجامعها ويكرز ببشارة الملكوت . ويشفى كل مرض وكل ضعف فى الشعب . ولما رأى الجموع تحنن عليهم إذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها . حينئذ قال لتلاميذه ، الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون . فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » (ع ٣٥ — ٣٨) .

« منزعجين ومنطرحين » ، أى أنهم كانوا على أسوأ حال ، إذ تركهم رعاتهم وأهملوا أمرهم .

« كغنم لا راعى لها » كان هو الراعى الصالح الذى يرثى لحالة شعبه ويشفق على غنم مرعاه . ولم يدع مقاومة رعاتهم العالميين تبرد محبته ، أو قصده عن تكميل خدمته لهم . فإنه كثيراً ما كلّ الأنبياء الحقيقيون ، كايليا وارميا مثلا من خدمتهم ، وقطعوا الأمل من جهة اسرائيل بسبب مقاومة الأنبياء الكذبة . وأما يسوع فقد عرف محبة الله لشعبه ، وأفكاره الصالحة من نحوهم . لذلك . رغم مقاومة الرؤساء له ، اجتهد أكثر فى خدمته .

« حينئذ قال لتلاميذه ، الحصاد كثير ولكن الفعلة قليلون فاطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » . متى كان شعب الله على ذلك المنوال من الإهمال وسوء الحال ، فلا يلزمنا أن نيأس ، بل ينبغى أن نكون قريبين من الله ، واثقين به من جهتهم . فإننا نريد خيرهم ، ولكننا عرضة لأن ننظر إلى قوة العدو ، ونمتلىء خوفاً . انظر مثلا اهتمام الرسول بولس بالغلاطيين وهم واقعون تحت تأثير المعلمين الكذبة ، وبذله كل الجهد لإرجاعهم إلى حق الإنجيل بعد ما فقدوه . فانه بينما كان ينظر إلى قوة العدو وسطوة الشر عليهم ، خاف عليهم لئلا يكون

قد تعب فيهم عبثاً . ولكن لما تقوى ، بالنظر إلى الرب ، وصارت له شركة معه فى أفكاره من جهتهم ، صار يثق بهم « فى الرب » وتعزى .

وكذلك أيضاً فى حثه لتيموثاوس ، فى رسالته الثانية له . فإنه إذ كان يخاطبه عن سوء حالة الكنيسة ، أخذ فى الوقت نفسه يستبعد عنه روح الفشل ويشجعه على زيادة الاجتهاد فى خدمته (٢ تى ١ : ٦ و ٧) . هذا لأن الإيمان يعرف جيداً أن الله لا يرجع عن مقاصده من جهة شعبه . وإن اضطرب البحر اضطراباً عظيماً ، ولاطمتنا الأمواج ، فليس هذا صدفة بالنسبة إلى الله . لأنه لما قصد أن يباركنا ، عرف ماهى قوته ، وماهى قوة العدو أيضاً . وأنه لا يمكنه أن يبارك نفساً واحدة وينقذها من مخالب الأسد إلا عنوة . فيجب علينا إذن أن نبقى فى بالنا دائماً هذه المسألة البسيطة ، وهى أن المحاربة ليست بيننا وبين إبليس ، بل بين الله وإبليس « هل تسلب من الجبار غنيمته ؟ وهل يفلت سبي المنصور ؟ فإنه هكذا قال الرب ، حتى سبي الجبار يسلب ، وغنيمة العاتى تفلت » (إش ٤٩ : ٢٤ و ٢٥) .

ولما سكب الرسول بولس أحزانه فى قلب ابنه العزيز تيموثاوس ، وأخبره أن جميع الذين فى آسيا قد ارتدوا عنه ، عاد وقال له « فتقو أنت يا ابنى بالنعمة التى فى المسيح يسوع ، وما سمعته منى بشهود كثيرين أودعه أناساً أمناء يكونون أكفاء أن يعلموا آخرين أيضاً . فاشترك أنت فى احتمال المشقات كجندى صالح ليسوع المسيح » (٢ تى ٢ : ١ — ٣) . ثم لما أخبره بالأزمنة الصعبة (ص ٣) عاد وقال له « أنا أناشدك إذاً أمام الله والرب يسوع المسيح العتيد أن يدين الأحياء والأموات عند ظهوره وملكوته . اكرز بالكلمة . اعكف على ذلك فى وقت مناسب وغير مناسب . وبخ . انتهر . عظ . بكل أناة وتعليم » (ص ٤ : ١ و ٢) . وهذا الإيمان هو عين ما نراه فى الرب نفسه كانسان وقت خدمته لإسرائيل . وما كان أجمل لطفه لتلاميذه إذ أشركهم معه فى اهتمامه بحالة الشعب ، وأخبرهم باحتياج الحصاد إلى فعلة ، حين قال لهم « اطلبوا من رب الحصاد أن يرسل فعلة إلى حصاده » !

كان هو نفسه « رب الحصاد » ، أو المالك للحقل ، على أنه كان يشتغل كفاعل فيه . وقصد أن يقيم آخرين فعلة أيضاً ، ولكن إجابة للصلاة . ولنلاحظ أنه لم يقل اطلبوا من رب الحصاد أن يرسلكم أنتم إلى حصاده ، مع أنه كان مزمعاً أن يرسلهم . لأنه ليس من العلامات الحسنة فينا أن نقدم أنفسنا للخدمة الجهارية . وإذا تطوعنا لها بدون دعوة خصوصية لنا من الرب، ربما نجد صعوبات غير منتظرة ، نظير ذلك الكاتب المتسرع المذكور في ص ٨ : ١٩ و ٢٠

كما أنه إذا دعا الرب أحدنا لخدمته ، فلا يصح أن يتردد كما فعل ذلك التلميذ الذى دعاه الرب (ص ٨ : ٢١ و ٢٢) ، ولكنه رأى أن أباه لا يزال على قيـــد الحياة وطلب من الرب أن يعفيه من اتباعه ، حتى يدفن أباه أو بعبارة أخرى إلى أجل غير مسمى .

وإذا سأل القارىء العزيز ، إذن ، ما هى العلامات الحسنة التى ينتظر توفرها فينا إن كنا مدعوين حقاً من الرب للخدمة ؟ فأقول ، إن أحسن علامة تظهر فينا ، هى أن تكون لنا شركة مع الرب فى أفكاره من جهة شعبه ، وفى محبته لهم ، وفى عطفه أيضاً على النفوس الهالكة . ثم نواظب على الطلب اليه أن يقيم الفعلة لحصاده بحسب إرادته وحكمته . ومن ثم فلا بد من جواب مفرح من عنده . ولا فرق عندنا إن كان يرسلنا نحن أو يرسل غيرنا من إخوتنا . لأننا مسلمون الأمر لإرادته وراضون به . حتى مجرد اهتمامنا بهذه الحاجة يبرهن على أن الرب مزمع أن يفتقد حصاده ، إذ يكون قد سبق وافتكر فيه ، وإذ ذاك جعل فى قلوبنا أن نطلب إليه من جهته .

الاصحاح العاشر

إرسالية الإثنى عشر (ص ١٠ : ١ — ص ١١ : ١ ،

مر ٣ : ١٣ — ١٩ ، ٦ : ٧ — ١٣ ، لو ٦ : ١٢ — ١٦ ، ٩ : ١ — ٦)

« ثم دعا تلاميذه الاثنى عشر . وأعطاهم سلطاناً على أرواح نجسة حتى يخرجوها ، ويشفوا كل مرض وكل ضعف . وأما أسماء الإثنى عشر رسولا فهى : الأول سمعان الذى يقال له بطرس ، وإندراوس أخوه . يعقوب بن زبدى ويوحنا أخوه . فيلبس وبرثولماوس[1] توما ومتى العشار[2] يعقوب بن حلفى ولباوس الملقب تداوس[3] سمعان القانوى[4] ويهوذا الأسخريوطى الذى أسلمه » (ع ١ — ٤) .

« دعا تلاميذه الإثنى عشر » كان قد دعاهم قبل ذلك دعوة خصوصية لاتباعه والتتلمذ له . أما هنا فقد دعاهم اليه وأقامهم ليكونوا رسله الإثنى عشر . ومما تجدر ملاحظته أنه قبل إقامتهم قضى الليل كله فى الصلاة (لو ٦ : ١٢ - ١٦) .

« وأعطاهم سلطاناً » ، سلطاناً خصوصياً لم يعطوه من قبل . والسلطان يتضمن القوة ، ولكنه أوسع منها . إن للملائكة قدرة ، ولكن ليس لهم سلطان أى أنهم مقيدون فى حركاتهم بما يصدر لهم من أوامر . والرسل وان كانوا قد أعطوا السلطان أو حرية التصرف ، إلا أنهم منقادون فيه بإرشاد الروح القدس لما خلق الله الإنسان أعطاه سلطاناً (تك ١ : ٢٦ ، مز ٨ : ٤-٨) . ولكنه خان

(١) المرجح أنه نثنائيل (يو ١ : ٤٥ ، ٢١ : ٢) ولعل اسمه يقترن باسم فيلبس لأنه هو الذى أتى به إلى الرب يسوع . (٢) لم يوصف بهذا الوصف (العشار) إلا فى إنجيله . (٣) يبدو أنه « يهوذا أخو يعقوب » (لو ٦ : ١٦ ، يو ١٤ : ٢٢ ، أع ١ : ١٣) . (٤) القانوى هو « الغيور » كما سماه لوقا (لو ٦ : ١٥)

وسقط ، وصار مستعبداً لإبليس . ولكن ابن الله صار انساناً . ويقال له « الإنسان الثانى » . و« آدم الأخير » (١كو١٥: ٤٥و٤٧) وكان له سلطان على الأرض أن يخرج الأرواح الشريرة ، ويشفى الأمراض ، وينقض أعمال ابليس . وكان يستطيع أن يعطى سلطاناً للآخرين أيضاً . لقد عمل بعض الأنبياء عجائب ، ولكنهم لم يقدروا أن يمنحوا هذه القوة لغيرهم . فقد طلب أليشع الى إيليا قائلا « ليكن نصيب اثنين من روحك على فقال ، صعبت السؤال . فإن رأيتنى أؤخذ منك يكون لك كذلك ، وإلا فلا يكون » (٢ مل٢ : ٩و١٠) بمعنى انه ان كانت غيرة اليشع قوية إلى هذا المقدار ، حتى تحمله لان يتبع سيده إلى أن يؤخذ ، فيعطيه الله حسب طلبته . ولكن إيليا لم يقدر أن يعطيه شيئاً . وأما يسوع فأعطى رسله سلطاناً كما يليق بمجد شخصه .

« الأول سمعان ، الذى يقال له بطرس » (عدد٢) لفظة الأول نكرة فى الأصل اليونانى ، ولا تفيد إلا ترتيب ذكر أسمائهم فقط . قد ساد الاعتقاد عند البعض أن بطرس كان رئيس الرسل . ولكن ليس لهذا الاعتقاد أدنى أساس فى الإنجيل . وواضح كل الوضوح ، أن الرب أعطاهم جميعاً سلطاناً متساوياً . فكل ما كان الرسول بطرس يقدر أن يعمله ، كان الآخرون يقدرون أيضاً أن يعملوه . والرسول الذى كان يسوع يحبه محبة خصوصية ، كان هو يوحنا ، وليس بطرس . ومن جهة خدمتهم ، قد استخدم الرب كلا منهم كما شاء . فكان بطرس متقدماً فى الخدمة فى أول سفر الأعمال . ولكن فى آخره ، كان بولس هو المتقدم . ولو كان هناك محل للرياسة بينهم بالنظر إلى خدمتهم ، لكانت الرياسة لبولس بلا شك . لأنه تعب أكثر منهم جميعاً (١كو١٥ : ١٠) . ولكن الذين يعظمون شأن بطرس لأجل غاياتهم المعلومة ، قلما يفتكرون فى بولس ، أوفى غيره من الرسل . ولو جاز انتساب الكنيسة لأحد الرسل ، لانتسبت لبولس لأنها تأسست على يده بنوع خاص ، ولكن انتسابها لأحد غير المسيح ممنوع منعاً باتاً (١كو١: ١٢و١٣) ، فجميعهم ، إذن ،

كانوا متساوين فى السلطان ، وتعبوا فى خدمتهم كل واحد بحسب النعمة المعطاة له (١ كو ٣ : ٥)[1]

وصايا المسيح لرسله (ع ٥ — ٤٢)

الجزء الباقى من الاصحاح ، أى من ع ٥—٤٢ ، يتضمن وصايا المسيح لرسله فيما يتعلق بالشهادة له . وهذه الوصايا تقع فى ثلاثة أقسام . يختتم كل منها بالعبارة « الحق أقول لكم » .

القسم الأول : (ع ٥—١٥).وهو خاص بخدمة الرسل لاسرائيل فى أرضهم والرب معهم بالجسد .

القسم الثانى : (ع ١٦—٢٣) . وهو خاص بخدمة تلاميذ المسيح لاسرائيل وللأمم مبدئياً ، بعد يوم الخمسين . ونهائياً ، بعد اختطاف الكنيسة .

القسم الثالث: (ع ٢٤ ـ ٤٢) . وهو عبارة عن تشجيعات وانذارات عامة لتلاميذ المسيح فى الشهادة له أثناء غيابه عنهم بالجسد .

القسم الأول (ع ٥ — ١٥)

خدمة الرسل لاسرائيل في أرضهم والرب معهم بالجسد

«هؤلاء الاثنى عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلاً ،الى طريق أمم لا تمضوا . والى مدينة للسامريين لا تدخلوا . بل اذهبوا بالحرى الى خراف بيت اسرائيل

(١) اذا اراد القارىء العزيز أن يتوسع فى دراسة هذا الموضوع فعليه أن يراجع بروح الصلاة والتأمل هذه الشواهد (مت ٢٣ : ٨ ، لو٢٢ : ٢٥و٢٦ ، ٢ بط١: ١ ، ٢ كو٤ : ٥ ، ١ : ٢٤ ، ١بط ٥ : ٣).ومنها يرى أن الرب يسوع ينفى الرئاسة بين الرسل وبين المؤمنين نفياً باتاً . وان الرسل وخدام الكلمة ، ليسوا رؤساء على المؤمنين، بل هم خدام للمسيح ولهم.

الضالة. وفيما أنتم ذاهبون اكرزوا قائلين ، انه قد اقترب ملكوت السموات. اشفوا مرضى طهروا برصاً (أقيموا موتى) أخرجوا شياطين . مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا . لا تقتنوا ذهباً ولا فضة ولا نحاساً فى مناطقكم . ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا لأن الفاعل مستحق طعامه .

وأية مدينة أو قرية دخلتموها فافحصوا من فيها مستحق وأقيموا هناك حتى تخرجوا وحين تدخلون البيت سلموا عليه فان كان البيت مستحقاً فليأت سلامكم عليه . ولكن إن لم يكن مستحقاً فليرجع سلامكم اليكم . ومن لا يقبلكم ولا يسمع كلامكم فاخرجوا خارجاً من ذلك البيت أو من تلك المدينة وانفضوا غبار أرجلكم. الحق أقول لكم ، ستكون لأرض سدوم وعمورة يوم الدين حالة اكثر احتمالاً مما لتلك المدينة » .

يجب أن نلاحظ جيداً أن هذا الفصل يحتوى على تعليمات الرب للرسل لأجل إرسالية خصوصية لاسرائيل . فانه أرسلهم الى « خراف بيت اسرائيل الضالة » ، لينادوا باقتراب « ملكوت السموات » اليهم . ومنعهم من التوجه الى الأمم[١] والسامريين[٢] . وأما بعد قيامته فأرسلهم الى العالم أجمع ، على أن يبتدئوا من أورشليم (لو ٢٤: ٤٧) .

« اشفوا مرضى . طهروا برصاً . أقيموا موتى . أخرجوا شياطين . . لا تقتنوا ذهباً ولا فضة . . ولا مزوداً للطريق[٣] ولا ثوبين ولا احذية

(١) هم عبدة الأوثان (٢) كانوا خليطاً من الأشوريين . اسكنهم ملوك أشور فى السامرة عوضاً عن الأسباط العشرة الذين سبوهم الى أشور . والسامرة تقع بين اليهودية جنوباً والجليل شمالا . وكانوا عبدة أوثان . ولكنهم مع وثنيتهم تعلموا أن يتقوا الرب لكي يحميهم من السباع التى أرسلها اليهم وقتلتهم (اقرأ ٢مل ١٧: ٢٤)

(٣) المزود ، وعاء الزاد.

ولا عصا [1] الخ » . (ع ٨ — ١٠) .

نرى ان كل ما يتعلق باعدادهم لهذه الارسالية يدل على العجلة والاجتهاد ، ثم خرجوا مزودين بقوة الله ، لينقضوا جميع اعمال العدو ، حتى الموت ايضاً . وكان يجب عليهم ان ينتظروا طعامهم من الله . فان عمانوئيل كان حاضراً . ولا بد ان يهيء قلوب البعض لقبولهم .

كان قد صرف وقتاً يجول فى وسط اسرائيل يعلم فى مجامعهم ، ويصنع اعمالا تبرهن على حقيقة شخصه . وأخذ الرؤساء يقاومونه ويهيجون الشعب ضده . وكانت افكار الجميع مشغولة فى هل هذا مسيحهم ام لا ؟ فهذه الارسالية بحسب المحيل متى هى آخر فرصة لأمة اسرائيل ليقبلوه أو يرفضوه .

«افحصوا من فيها مستحق» ، فالمستحق فى مدينة ما هو الذى كان مستعداً لقبول الرب ، والبرهان على ذلك انه يقبل الرسل ويضيفهم فيحل عليه وعلى بيته السلام وإن لم يُقبلوا فى مدينة ما ، فكان يجب ان يشهدوا ضدها بنفض غبارها عن ارجلهم ، دلالة على عدم وجودهم بعد فى شركة مع سكانها ، ولو كانوا اسرائيليين. فان كل شيء كان متوقفاً على قبولهم المسيح . فان قبلوه ، فلهم سلام . وان رفضوه فلم يبق لهم سوى الدينونة . وايّة دينونة ! « الحق اقول لكم ستكون لارض سدوم وعمورة يوم الدين حالة اكثر احتمالاً »أى انها دينونة أشد مما لأهل سدوم وعمورة . لقد وقعت على هؤلاء الدينونة وهم احياء كما نعرف ، ومع ذلك سيدانون دينونة الأموات ، كل واحد بحسب خطاياه . وهكذا الامر مع اسرائيل، فان الدينونة التى وقعت عليهم كأمة لا تنفى معاقبتهم افراداً يوم الدين . ومن قوله « حالة اكثر احتمالاً » يتضح أن قصاص البعض يكون اشد من قصاص

(١) قوله فى مرقس «غير عصا فقط» (ص٦: ٨) لايتنافى مع قوله هنا«ولا عصا» لان العصا التى يمنع أخذها هنا هى عصا للاقتناء بخلاف التى فى اليد اذ كانت الارسالية عاجله ولاضرورة لأخذ شيء معهم لان الآب متكفل بحمايتهم وإعالتهم .

الآخرين فى البحيرة المتقدة بالنار والكبريت ، لان الاموات الاشرار سيدانون كل واحد حسب اعماله (رؤ ٢٠: ١٢) . ولا يعاقب فى تلك الدينونة واحد عن اعمال أخيه .

القسم الثاني (ع ١٦ — ٢٣)

خدمة تلاميذ المسيح لاسرائيل في أرضهم وللأمم بعد يوم الخمسين ثم بعد اختطاف الكنيسة

« ها انا ارسلكم كغنم فى وسط ذئاب . فكونوا حكماء كالحيات و بسطاء كالحمام . ولكن احذروا من الناس . لانهم سيسلمونكم الى مجالس . وفى مجامعهم يجلدونكم . وتساقون امام ولاة وملوك من أجلى شهادة لهم وللامم . فمتى اسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون . لانكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به . لان لستم انتم المتكلمين ، بل روح ابيكم الذى يتكلم فيكم . وسيسلم الاخ اخاه الى الموت ، والأب ولده . ويقوم الاولاد على والديهم ويقتلونهم . وتكونون مبغضين من الجميع من اجل اسمى . ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاهربوا الى الاخرى. فانى الحق اقول لكم ، لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان » .

كانت خدمة تلاميذ المسيح فى القسم السابق لاسرائيل فقط،وفى زمان وجود المسيح معهم بالجسد فقط ، اما هنا فتختلف ، لانها تتعلق بخدمة تلاميذ المسيح ، لاسرائيل فى ارضه ، ولجميع الامم ايضاً . وذلك بعد رفض المسيح وصلبه وصعوده الى السماء وغيابه فيها بالجسد عن تلاميذه ، و بعد حلول الروح القدس عليهم يوم الخمسين ، وامتلائهم بقوته بكيفية خارقة لأداء هذه الخدمة ، التى يسجلها سفر الاعمال . وعليه ، فالاضطهاد المذكور هنا ، اضطهاد عام . ويقع لا على الرسل فقط ، بل على جميع المعترفين باسمه . والذين يشهدون له فى كل زمان ومكان .

« ها أنا أرسلكم كغنم فى وسط ذئاب » هذه كانت حالة اسرائيل على وجه الاجمال . ولا يوجد أمل فى أنهم يتوبون ويقبلون المسيح . لأنهم لم يختلفوا من رؤسائهم الذين سبق المسيح وشبههم بذئاب خاطفة (ص ٧ : ١٥) وارسالية الغنم بين الذئاب أمر غير طبيعى . ونجاتها منها أيضاً أمر غير طبيعى . وهذا يدل على ان الارسالية من الله .

« فكونوا حكماء كالحيات » ، الحكمة المنسوبة للحية هنا ، هى باعتبار انها تحترس من الخطر ، وتتوارى عنه وليس من حيث خبثها وإيذائها (٢ كو ١١: ٣) . قد سبق الرب وعلمهم كيف يجب ان يميزوا ما يناسب الاحوال عندما يتكلمون مع الناس (ص٧: ٦) ، وأما هنا ، فيشير الى خطر يحيط بهم من جميع الجهات . واذ ذاك فيجب أن يحترزوا ويتواروا عنه ، ولو انه لا يمكنهم أن ينجوا منه تماماً . لأنه يفرض وقوعهم فى أيدى المضطهدين أحياناً ، لذلك يعلمهم كيف يتصرفون .

« وبسطاء كالحمام » ، البساطة ، هى الاخلاص وسلامة النية ، وليست هى البلادة والجهالة . قال الرسول « أريد أن تكونوا حكماء للخير وبسطاء للشر » (رو ١٦: ١٩) . فالبساطة هذه ، هى من صفات أولاد الله الروحيين (فى ٢: ١٤-١٦) . فانهم يدركون الخطر والشر ويتجنبونهما (أم ٢٢: ٣) عن طريق وجودهم قريبين من الرب فى سلوكهم . بخلاف أهل هذا العالم ، الذين يعرفون الشر بالفحص والاختبار . فاحتاج الرسل الى صفة البساطة هذه على نوع خصوصى فى خدمتهم لإسرائيل سواء فى أيام وجود الرب بالجسد معهم على الارض ، أو بعد صعوده الى السماء .

« ولكن احذروا من الناس . لأنهم سيسلمونكم الى مجالس وفى مجامعهم يجلدونكم » وا أسفاه على اسرائيل ! فانهم صاروا يلقبون « الناس » ، ولم يعودا يستحقون لقب « اسرائيل » ، نظراً الى رفضهم المسيح ، وبغضهم غير المتناهى للذين اعترفوا باسمه . ولا شك عندى ان التعليمات التى نحن بصددها فى الاعداد من ١٦-٢٣ ، انما تتعلق بتأدية الشهادة للمسيح فى وسط اسرائيل فى أى وقت كانوا

فيه فى أرضهم بعد صعوده بالجسد الى السماء الى أن يجىء ثانية بالقوة كابن الانسان لإسرائيل والعالم . ولا تتعلق بإرسالية الرسل الاولى لإسرائيل أيام وجود الرب معهم بالجسد فى أرض اسرائيل . لأن الرب لم يفرض فى تعليماته لهم فى هـذه الارسالية (من ع ٥-١٥) ، انهم يصرفون فى مدينة واحدة وقتاً طويلاً يتعرضون فيه لأن يثور اضطهاد يساقون بسببه الى المجالس والمجامع وفعلاً لم يحصل لهم شىء من ذلك لأنهم انما ذهبوا فى طريقهم على عجل ، من مدينة الى مدينة ، كمن يذيعون نداء ملكياً ، يظهر قبوله أو رفضه ، عقب ابلاغه فى الحال .

« وتساقون أمام ولاة وملوك » ، لم يزل اليهـود تحت سلطة الأمم ، ولكنهم أهاجوا الاضطهاد على شهود المسيح كما نعلم . وقد اشتهر شاول الطرسوسى فى غيرته باضطهادهم وطردهم الى غير مدن اليهود .

« من أجلى ، شهادة لهم ، وللأمم » ، فالاضطهاد هنا ، لأجل اسم المسيح . والشهادة المقدمة من المعترفين بهذا الاسم ، ستبلغ اليهـود والامم ، وسيحتملون فى سبيلها الشدائد والضيق بصبر .

« فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بما تتكلمون لأنكم تعطون فى تلك الساعة ما تتكلمون به . لأن لستم أنتم المتكلمين ، بل روح أبيكم الذى يتكلم فيكم » . واضح أن الرب بكلامه هذا يشير الى خدمتهم بعد موته وحلول الروح القدس حيث قد أمرهم بالبقاء فى أورشليم الى أن ينالوا قوة عند حلول الروح القدس عليهم . ثم بعد ذلك يكونون له شهوداً فى أورشليم وفى اليهودية والسامرة . والى أقصى الارض . غير انهم فى بادىء الامر اقتصروا على أورشليم واليهودية والسامرة صحيح ان القوة التى حملتهم للشهادة لإسرائيل فى أرضه أولاً ، قادتهم أخيراً الى بلدان أممية أيضاً ، غير أن بطرس ورفقاءه من الرسل ، جعلوا الاهمية العظمى للخدمة لاسرائيل فى أرضه . واختاروا خدمة الختان تاركين لبولس والذين معه تبليغ البشارة للأمم (غل ٢: ٩) . وانى لا أتعرض هنا لمسألة إن كان هـذا يحسب تقصيراً منهم أم لا . اذ

لست أقصد بذكره إلا أن أثبت ما كان لتلك الخدمة فى نظرهم من الاهمية التى نسبوها لتكميل خدمتهم لإسرائيل .

« وسيسلم الأخ أخاه الى الموت والأب ولده . ويقوم الاولاد على والديهم ويقتلونهم » لا يخفى أن انجيل يوحنا يوضح بغض رؤساء اليهود للمسيح أكثر مما يوضحه سواه من الاناجيل . فانهم أخذوا أولاً يقاومون بالكلام (يو ص ٥-٨) . ثم هددوا من يعترف به بالقطع من المجمع (يو ٩) . وحاولوا مراراً بدون جدوى أن يرجموه (يو ١٠). ولما أقام لعازر تشاوروا عليه لكى يهلكوه. بل وأرادوا أن يقتلوا لعازر أيضاً لكى يبطلوا هذه الشهادة القوية للمسيح (يو ١١) . فكان كلما ازداد النور لهم اشتد بغضهم له (يو ١٢) . ولما أشرق النور الساطع من يوم الخمسين فصاعداً ، إذ قدمت الشهادة لقيامة الرب يسوع بقوة ظاهرة لا يتطرق اليها الشك لم يعد لحنقهم حد (أع ٦ و٧) . كان الاخ يسلم أخاه الى الموت والأب ولده . وقام الاولاد على والديهم وقتلوهم. قابل أيضاً قول الرب «سيخرجونكم من المجامع بل تأتى ساعة فيها يظن كل من يقتلكم أنه يقدم خدمة لله » (يو ١٦: ٢) . كان هذا الاضطهاد سيقع عليهم مستقبلاً بعد صعوده وغيابه عنهم بالجسد فسبق وأخبرهم به لكى لا يعثروا بسببه حينما يقع عليهم . فانهم إذ ذاك يتذكرون انذارات سيدهم ويثبتون .

عجيب هو قلب الانسان ، فانه لا يطيق مخالفته فى عقائده الدينية . يريد الانسان طبعاً أن يلزم الآخرين بأن يعتقدوا مثله . وكلما كانت عقائده خالية من الحق ، كلما قوى غيظه من الذين يرفضونها . وان أمكنه أن يضطهدهم ، فانه لا يتوانى عن ذلك . حتى وان كان عندنا الحق ، فاننا لا نسلم من هذا الميل الشيطانى ، إن لم تفعل فينا نعمة الله الغنية وتجعلنا متواضعين .

لصلة القرابة الجسدية بعض حقوق طبيعية توجب اللطف والاحتمال . ولكن عندما تهيج الاحساسات الناتجة عن التعصب الدينى ، وتثير الاضطهادات ، يتخذ الانسان من العلاقات العائلية فرصة للاضرار بأقربائه أكثر من سواهم .

« وتكونون مبغضين من الجميع من أجل اسمى » ، لا يخفى ان الاعتراف باسم المسيح يهيج الشر فى قلوب الذين يرفضونه أكثر من كل ما عداه ، كما يقول « وسيفعلون هذا بكم لأنهم لم يعرفوا الآب ولا عرفونى » (يو ١٦: ٣).

« ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » . المنتهى هنا ، هو منتهى الاضطهادات اليهودية الواقعة على المعترفين باسم المسيح ، مدة غيابه ، حينما تكون له شهادة فى وسط اليهود ، وهم فى أرضهم .

« والخلاص » هنا ، هو إنقاذ الأمناء ، أى تلاميذ المسيح ، من مضطهديهم ودخولهم إلى الملكوت على الأرض (أنظر ص ٢٤: ٦ و١٣ و١٤ و٢٢ ، مر ١٣: ٧و١٣ و٢٠ ، لو ٢١: ٩) . لأن الكلام هنا ، ليس عن خلاص النفس من الدينونة الأبدية بل الثبات على الاقرار بالمسيح وهو غائب ، إلى أن يأتى بالقوة لينجى الأمناء و يبيد الأشرار . لا شك أن الذى يُقتل لأجل اسم المسيح فى أى وقت كان ينتقل اليه بروحه فى السماء . ولكن ليس هذا هو الموضوع هنا .

قد تعودنا أن نجعل معنى كلمة «خلاص» قاصراً على خلاص النفس من الدينونة الأبدية . ولكنها وردت فى مواضع كثيرة بمعنى الشفاء ، لكونه خلاصاً من الأمراض وبمعنى الإنقاذ من الأخطار والاضطهاد وما شاكل ذلك . وكان اليهود يعتقدون حسب النبوات انه تحدث انقلابات عظيمة جداً لتنقيتهم قبل إقامة الملكوت وأنه لا يخلص لأجل الملكوت إلا بقية فقط . وكان من بين المسائل القائمة بينهم للبحث والجدال ، أتكون هذه البقية قليلة أم كثيرة ؟ « فقال له واحد ، يا سيد ، أقليل هم الذين يخلصون ؟ » (لو ١٣: ٢٣) وهذا السؤال كان بخصوص هذه المسألة التى ذكرناها ، وفحواه ، أيخلص كثيرون أم قليلون من اسرائيل للملكوت ؟ وليس المقصود ، أكثيرون أم قليلون ، يدخلون السماء ؟

كانت الأمة المتمردة سائرة بخطوات سريعة إلى الدينونة التى سبق الرب بنفسه والأنبياء فتنبأوا عنها وقد تمت مبدئياً وجزئياً بخراب أورشليم وهلاك سكانها وتشتيت

اليهود فى كل الأرض على يد تيطس الرومانى سنة ٧٠م أما البقية التى قصد الرب أن يخلصها من تلك الدينونة ، فكان يضمها معاً كجماعة خاصة به. مفرزاً إياهم عن الآخرين ، كالقول « وكان الرب كل يوم يضم إلى الكنيسة الذين يخلصون » (أع ٢ : ٤٧).

وقد انقطعت الاضطهادات اليهودية بخراب أورشليم وتشتيت اليهود بين الأمم على أننا نفهم من النبوات أنهم سيرجعون ثانية إلى أرضهم فى المستقبل (حز ٣٦:٢٤). وستكون الحالة حينذاك أى بعد اختطاف الكنيسة كما كانت قبل خراب أورشليم. اذ سيكون أناس منهم بمنزلة تلاميذ ليسوع المسيح (أنظر رؤ ٦ : ٩-١١ ، ١٢ : ١٧ ، ٢٠:٤). ويكون عليهم اضطهاد شديد من اخوتهم (اليهود) يتطلب منهم الصبر والثبات إلى أن يظهر المسيح من السماء لخلاصهم (أش ٦٦:٥).

« ومتى طردوكم فى هذه المدينة فاخرجوا إلى الأخرى ، فانى الحق أقول لكم لا تكملون مدن اسرائيل حتى يأتى ابن الانسان »

لاشك ان الرب يقصد بكلامه هذا أن يصور حالة المعترفين باسمه فى وسط اسرائيل وهم فى مدنهم بعد اختطاف الكنيسة ، إلى أن يأتى لهم كابن الانسان من السماء بحسب نبوة دانيال « كنت أرى فى رؤى الليل وإذا مع سحاب السماء مثل ابن انسان أتى وجاء إلى القديم الأيام. فقربوه قدامه . فأعطى سلطاناً ومجداً وملكوتاً لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة . سلطانه سلطان أبدى ، ما لن يزول ، وملكوته ما لا ينقرض »(دا ٧:١٣و١٤). هذه هى صفاته عندما يأتى كابن الانسان ليصادق على شهادة تلاميذه الأمناء التى يقدمونها بعناء وصبر فى وسط اسرائيل . ونراه فى كلامه الذى نحن بصدده ، يسكت عن المدة ما بين خراب أورشليم واختطاف الكنيسة . ولا غرو فى ذلك . لأن هذا هو أسلوب النبوات جميعها عندما تتكلم عن أحوال أمة اسرائيل المتعلقة برفض المسيح . فانها تقرنها مع حالتهم التى

سيكونون عليها وقت رجوعه ثانية . وهذه من الحقائق المعروفة جيداً عند جميع الذين يدرسون النبوات بتدقيق .

ربما يخال للقارىء أن قول المسيح ، « فانى الحق أقول لكم ... الخ » ينبغى توجيه كلامه لغير الذين كان يخاطبهم وقتئذ . فأقول ، اننا قد رأينا أن هذا القول قد صدق على حالة جميع المعترفين باسمه قبل خراب أورشليم ، وليس على الرسل الاثنى عشر فقط . ومادام الأمر كذلك ، فهذا القول يصدق أيضاً على تلاميذ المسيح من الاسرائيليين فى أرض اسرائيل الذين سيكونون مستقبلاً فى أحوال وظروف مماثلة ، إلى الوقت الذى حدده هنا ، وهو إتيانه كابن الانسان من السماء .

ثم يذكر حداً ، أو شرطاً آخر ، وهو عدم تكميلهم مدن اسرائيل . لأنه يفرض تأدية شهادة لاسمه فى مدن اسرائيل . وتكون هذه الشهادة قد قاربت أن تكمل عند ظهوره من السماء . وكأن إتيانه هو كمالتها أو خاتمتها . وهذا يوافقه التطويب للذين يموتون فى الرب أثناء اضطهادهم بسبب شهادتهم له فى ذلك الوقت، فان أعمالهم تتبعهم (رؤ ١٤: ١٣) ، بمعنى انه لا يمضى إلا وقت وجيز حتى تختتم شهادتهم بظهور الرب الذى شهدوا له و بمكافأته لهم .

فانه من الأمور الواضحة أن الرب سيقيم لنفسه شهادة قوية فى اسرائيل بعد اختطاف الكنيسة:

أولاً — فى بداءة الضربات سيكون في أرض اسرائيل بعض يهود أتقياء يتمسكون بكلمة الله والشهادة ليسوع، وان كانوا لايعرفونه حق المعرفة. و يشهدون ضد الكفر الذى سيستولى على أكثر اليهود تحت تأثير مسيحهم الكذاب . وهم المشار اليهم فى رؤ ٦ : ٩-١١

ثانياً — بعد أن يزداد الكفر و يأخذ المسيح الكذاب مركز إله و يجلس فى هيكل الله ، (دا ١١: ٣٦ـ٣٩ ، ٢ تس ٢ : ٤ و ٩ـ١٢ ، رؤ ١٣) ، يقيم الرب الشاهدين المذكورين فى رؤ ١١ ، ويحفظهما بقوة عظيمة فى أورشليم نفسها إلى

نهاية الضربات تقريباً قبل أن يُسمح للوحش بقتلهما .

ثالثاً — يكون أناس يهود أتقياء فى ذلك الوقت نفسه متحدين مع الشاهدين فى شهادتهما فى أورشليم ومدن اسرائيل الأخرى. ولذلك فسيقتل بعضهم و يتفرق البعض الآخر بالاضطهاد إلى أماكن بعيدة بين الأمم . ولكن سيبقى البعض منهم فى أرضهم حتى ظهور الرب ، و يرحبون به قائلين « مبـــارك الآتى باسم الرب » (مز ١١٨: ٢٦ ، ص ٢١: ٩ ، ٢٣ : ٣٧-٣٩).

فكلام الرب الذى نحن بصدده الآن يناسب حالة الذين سيمكثون فى أرضهم فى ذلك الوقت العصيب ، أحياء وشهوداً له ، إلى أن يأتى ليختم شهادتهم بخلاصهم واهلاك أعدائهم . وكان الرسل أمام الرب يتلقون هذه التعليمات كنواب وممثلين لشهود الأيام الأخيرة لاسرائيل والأمم .

القسم الثالث (ع ٢٤ — ٤٢)

تشجيعات و انذارات عامة لتلاميذ المسيح في الشهادة له فى كل زمان اثناء غيابه عنهم

التشجيع الأول: النظر الى الابن والتشبه به ومشاركته فى احتمال الآلام (ع ٢٤ و ٢٥)

«ليس التلميذ افضل من المعلم ولا العبد افضل من سيده . يكفى التلميذ ان يكون كمعلمه والعبد كسيده. ان كانوا قد لقبوا رب البيت بعلزبول فكم بالحرى اهل بيته؟» .

يذكر الرب هنا بعض حقائق لتشجيع جميع تلاميذه وتعزيتهم وقت غيابه عنهم ، بينما تكون القوة فى يد اعدائهم . فيعين لهم نفس المركز الذى كان له، واضعاً لهم هذه القاعدة «يكفي التلميذ ان يكون كمعلمه» كان هو رب البيت وكان الرؤساء قد لقبوه « بعلزبول »[1] . فلا عجب إن كانوا يضطهدون اهل بيته ايضاً

(١) « بعلزبوب » ، إله عقرون الفلسطينى (٢ مل ١ : ٢) . ومعناها « رب الذباب » ، الذى توهموا انه يطرد عنهم الذباب ويشفيهم من الامراض التى ينقلها اليهم .

ولنلاحظ جيداً ان الرب فى أقواله هذه يفرض انهم سيرفضونه .

التشجيع الثانى : علم الله بحقيقة المضطهدين والمضطهدين (ع ٢٦ و ٢٧) .

« فلا تخافوهم . لان ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف » .
يؤثر فينا الاضطهاد تأثيراً قوياً لانه يثير مخاوفنا وهذا ما يقصده ابليس. فيجب ألا نخاف بل علينا ان نثبت راسخين . لان الخوف اذا تطرق الينا يفتح الباب للشيطان و يجعل له علينا نفـــوذاً عظيماً ، فى حين لا يكون له قوة البتة اثناء الاضطهاد ان كنا نتشجع . ولـكن حالما يضعف ايماننا، نمتلىء خوفاً منه ونسقط تحت سطوته .

« لان ليس مكتوم لن يستعلن ولا خفى لن يعرف » . المكتوم والخفى هنا ، هما مكائد المضطهدين ومؤامراتهم ضد الله وشعبه و يؤكد الرب لتلاميذه انها جميعاً معروفة عند الله ، وهو سيكشفها لهم اذا لزم ذلك لاجل سلامتهم وقد وردت شهادات كثيرة على ذلك فى سفر الاعمال (اقرأ على سبيل المثال اع ١٤ : ٥ و ٦ ، ٢٣ : ١٢—٢٤) . وسيكشفها ايضاً فى وقت القضاء ، حين يدين « سرائر الناس » (رو ٢ : ١٦) « و ينير خفايا الظلام و يظهر آراء القلوب » (١ كو ٤ : ٥)

ان الذين يقاومون الحق ، يستعملون كل الوسائط التى تظهر لهم انها تنفذ غاياتهم . واذا ملأنا الخوف ، فاننا ننسى ان « الله هو القاضى » (مز ٧٥ : ٧) وانه الماسك بزمام السياسة والحـكم على الجميع ، و يستطيع ان يجعل غضب الانسان يحمده و بقية الغضب يتنطق بها (مز ٧٦ : ١٠) . يعنى اذا شاء فى وقت ما ان يسمح بهيجان غضب الاعداء فانه يحدده ، و يحوله لخير شعبه ، ومجد اسمه .

« الذى اقوله لـكم فى الظلمة قولوه فى النور والذى تسمعونه فى الاذن نادوا به على السطوح » (ع ٢٧) .

هذا ما يجب عليهم من جهة الجرأة فى اذاعة ما تعلموه منه على انفراد. لم تكن

عنده تعاليم سرية (انظر يو ١٨ : ٢٠) كما لم يكن كل ما اودعهم اياه من كنوز تعاليمه ، خاصاً بهم وحدهم ، حتى يخفوه عن الآخرين ، بل كان لاجل افادة الجميع . ومن ثم كان يجب عليهم بعد حلول الروح القدس ان ينادوا بكل ما اوصاهم به بدون خوف (ص ٢٨ : ٢٠)

التشجيعان الثالث والرابع

خلاص النفس وعناية الآب بأولاده (عدد ٢٨ — ٣٣)

« ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها . بل خافوا بالحرى من الذى يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما فى جهنم »(ع٢٨)

« خشية الانسان تضع شركاً . والمتكل على الرب يرفع » (أم ٢٩ : ٢٥) . ان الذى يخشى الرب ويتكل عليه يسلم من أشراك كثيرة. فيجب أن يكون لمخافة الرب موضع عظيم فى قلوبنا فى كل حين ، وعلى نوع خاص فى وقت هيجان غضب الناس علينا بسبب الحق.

لا يخفى أنهم يقدرون أن يضرونا أضراراً بليغة إلى حد قتل أجسادنا ، إن سمح الله لهم بذلك . ولكن مع ذلك كله يجب أن نحسب الجسد وما يتعلق به أقل قيمة من النفس .

« أليس عصفوران يباعان بفلس ؟ وواحد منهما لا يسقط على الأرض بدون أبيكم ؟ وأما أنتم فحتى شعور رؤوسكم محصاة . فلا تخافوا . أنتم أفضل من عصافير كثيرة » (ع ٢٩ ـ ٣١) .

وهذا أيضاً لأجل تشجيعهم على الثبات أمام مقساومة البشر لهم . فيؤكد لهم اعتناء الآب التام بهم فى كل الأحوال. فانه ينبغى لهم أن يعرفوا أنهم أعزاء عنده. ان العصافير ، وهى ضئيلة القيمة رخيصة الثمن ، لا يسقط واحد منها ، مائتاً على الأرض بدون علم أبيهم واذنه . فكم بالحرى لا يُقتل واحد منهم ما لم يكن

الآب آذناً بذلك ؟ ! وقد تقدم كلام مثل هذا فى ص ٦: ٢٦ ، ولكن كان قصده به هناك ، ان يطمئن أفكارهم من جهة القوت اليومى . وأما هنا فيستعمل هـذا التشبيه الجميل لكى يؤكد لهم انه لا يمكن أن يصيبهم أقل ضرر ، ما لم يكن أبوهم السماوى قاصداً ذلك لأجل مجده . فانه لا يمكن أن يحدث لهم شيء إلا باذنه .

« فكل من اعترف بى قدام الناس أعترف أنا أيضاً به قدام أبى الذى فى السموات . ولكن من ينكرنى قدام الناس أنكره أنا أيضاً قدام أبى الذى فى السموات » (ع ٣٢و٣٣) . يتعلق هذا الكلام بالاعتراف بشخص المسيح ، وليس بالمناداة بكلمته . وللاعتراف به أوجه مختلفة ، ولكل وجه وقته .

فانه لما كان على الأرض ، كانت المشكلة عند اليهود ، أهو مسيحهم الحقيقى أم لا ؟ فكل من آمن واعترف به على هذا الاعتبار - أي كابن داود ، ومسيح اسرائيل - فقد عمل ذلك بعمل إلهي فيه ، وأصبح من الذين يعترف هو بهم قدام أبيه أنهم له ، وهو لهم ، لذلك نرى ان بعض أشخاص عمى اعترفوا به كابن داود ، أى كالمسيح الحقيقى وطلبوا منه الشفاء ، فشفاهم لأجل ايمانهم هذا ، اذ كان هو نوع الايمان المطلوب من الأمة فى ذلك الوقت . أما إن اقتنع أحد انه المسيح الحقيقى وامتنع عن الاعتراف به ، فواضح ان ايمانه لم يكن صحيحاً . « ولكن مع ذلك آمن به كثيرون من الرؤساء أيضاً غير أنهم لسبب الفريسيين لم يعترفوا به لئلا يصيروا خارج المجمع . لأنهم أحبوا مجد الناس أكثر من مجد الله » (يو ١٢: ٤٢ و٤٣) . فلم يكن ايمانهم إلا اقتناعاً عقلياً لا يفيد ، وانما يزيد عليهم الدينونة.

ثم بعد موته وقيامته ، أصبح الايمان والاعتراف به ، على اعتبار جديد يوضحه الرسول بولس فى قوله « لأنك إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من الاموات خلصت » (رو ١٠ : ٩) . وهذا الاعتراف يتضمن الاعتراف به كابن الله . لأنه « تعين (أى تبرهن انه) ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الاموات » (رو ١: ٤) . ويتعلق خلاص أنفسنا الآن بهذا الاعتراف .

امتحان التلمذة (ع ٣٤—٣٨)

« لا تظنوا انى جئت لألقى سلاماً على الارض . ما جئت لألقى سلاماً بل سيفاً » (ع ٣٤) .

هذا ما نتج عن حضور المسيح فى وسط أسرائيل . لما وُلد تهلل « جمهور من الجند السماوى مسبحين الله وقائلين ، المجد لله فى الأعالى ، وعلى الارض السلام ، وبالناس المسرة » (لو ٢: ١٣ و١٤) . وكانت السماء التى انحدر منها ممتلئة من السلام . ولو تاب اسرائيل ، لحصلوا على السلام مع الله ، ومع بعضهم البعض ولامتلأت الارض من السلام . ولكن إذ رفض فانه ينبه تلاميذه أن لا ينتظروا سلاماً على الارض . « بل سيفاً » ، والسيف عبارة عن الانقسام والعداوة القاتلة .

« فانى جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها . والكنة ضد حماتها . وأعداء الانسان أهل بيته » (ع ٣٥ و٣٦) .

يشير الرب هنا الى ما ورد فى نبوة ميخا من جهة رداءة اسرائيل وقتئذ حيث يقول « لا تأتمنوا صاحباً . ولا تثقوا بصديق . احفظ أبواب فمك عن المضطجعة فى حضنك . لأن الابن يستهين بالأب . والبنت قائمة على أمها . والكنة على حماتها . وأعداء الانسان أهل بيته » (مى ٧: ٥ و٦) .

كان اسرائيل فى زمان المسيح على حالة أحسن بحسب الظاهر مما كانوا عليه فى زمان النبى ميخا ، إذ لم تكن بينهم عبادة الاصنام . ولكن لم يكن هذا إلا اصلاحاً خارجياً فقط كتبييض البيت من الخارج . وحضور المسيح أظهر حقيقة حالتهم ، لأن كل من تاب عن الشر ، وآمن بالمسيح ، صار مبغضاً ومضطهداً حتى من أهل بيته .

« من أحب أباً أو أماً أكثر منى فلا يستحقنى . ومن أحب إبناً أو إبنة أكثر منى فلا يستحقنى » (ع ٣٧) .

فمهما كانت الحالة متعبة وقاسية على الطبيعة، ينبغي على الانسان أن يعترف بالمسيح ولو ألتزم أن يفارق أهله جميعاً، أو أن يعيش بينهم مبغضاً. وهذا أصعب من الفراق.

« فلا يستحقنى »، أى لا يستحق أن يكون واحداً من تلاميذى.

« ومن لا يأخذ صليبه ويتبعنى فلا يستحقنى » (ع ٣٨) هنا لأول مرة فى العهد الجديد يذكر الصليب. ولكنه سيذكر مرات عديدة فيما بعد إذ بعد رفض المسيح وصلبه، صارت ديانته معروفة ومتصفة بالصليب.

لا شك أن كلام الرب هذا كان غريباً جداً على مسامع التلاميذ. ولم يقدروا أن يفهموه إلا بعد موته. ولتعليم الكتاب من جهة الصليب أوجه مختلفة. ولا حاجة الى البحث فيها هنا. على انى أقول أن الرب إنما يشير الى رفضه هنا. ومن ثم يجب أن يتبعه تلاميذه كسيد مرفوض.

الجزاء (ع ٣٩—٤٢)

« ومن وجد حياته يضيعها » أى من خلص حياته بالامتناع عن الاعتراف بالمسيح خوفاً من الاضطهاد، فانه يهلك. « ومن أضاع حياته من أجلى يجدها » أي من اعترف به، مخاطراً بحياته، فانه يخلص.

« من يقبلكم يقبلنى »، كان الله الى وقت مجيء المسيح، يعامل العالم معاملات متنوعة، من شأنها أن تنبه البشر الى وجوده تعالى، ووحدانيته (بالمباينة مع تعدد آلهة الأمم)، وضرورة الايمان به وتقديم العبادة له وحده. وآخر الكل، أرسل ابنه، فصارت المسألة الآن، ليست مجرد الاعتراف بوحدانيته تعالى، بل قبول ابنه الذى أرسله. وكان البعض قد قبلوه رغماً عن الإهانة التى كانت تلحق بهم من الآخرين بسبب قبوله. وإذ ذاك فقد وضع الرب هذا المبدأ «من يقبلكم يقبلنى»، لأنهم صاروا شهوداً له، ولا يقبلهم أحد إلا الذين آمنوا بأن سيدهم هو المسيح الحقيقى.

« ومن يقبلنى يقبل الذى أرسلنى »، لأنه أتى ليعلن الله الآب الذى أرسله. ومن ذلك الوقت فصاعداً لم يمكن لأحد أن يعرف الآب أو يحصل على نسبة

حقيقية اليه، ما لم يقبل الابن. «كل من ينكر الابن ليس له الآب أيضاً ومن يعترف بالابن فله الآب أيضاً» (١ يو ٢: ٢٣). هذا من جهة الاعتراف به. وفيما يلي مبدأ آخر من جهة الاشتراك في العمل والمجازاة.

«من يقبل نبياً باسم نبي» أي «لأنه نبي» والنبي هنا عبارة عمن يأتينا مكلماً إيانا بكلام المسيح. «فأجر نبي يأخذ» فان كنا نقبله لكونه خادماً أو نبياً للمسيح نُحسب شركاءه في الخدمة ونشترك معه في المجازاة.

«ومن يقبل باراً باسم بار» أي لأنه بار. «فأجر بار يأخذ» فاذا قبلنا انساناً تقياً لكونه منتسباً للمسيح ويعيش في مخافته وتقواه فاننا بذلك نظهر محبتنا لسيده ونشترك في فوائد تقواه «لأن التقوى نافعة لكل شيء. إذ لها موعد الحياة الحاضرة والعتيدة» (١ تي ٤: ٨).

«ومن سقى أحد هؤلاء الصغار كأس ماء بارد فقط باسم تلميذ فالحق أقول لكم انه لا يضيع أجره»، الصغار هنا عبارة عن تلاميذ المسيح لأنهم محسوبون صغار العالم مدة غياب سيدهم. ولا يقدرون أن يدافعوا عن حقوقهم. وكثيراً ما يتضايقون، حتى انهم يحتاجون الى أقل معروف من أيدي أناس قد يكونون خارجين عن الايمان.

«باسم تلميذ» أو لأنه تلميذ للمسيح. «فالحق أقول لكم، أنه لا يضيع أجره» فالذي يحسن اليهم في الضيق لا يضيّع المسيح أجره ولو كان أصلاً من الذين هم من خارج الايمان. ولا يقول هنا ما هو الأجر. لأنه يجازيه عن عمله، حينما وكيفما يستحسن هو. وعلى أي حال لا يكون مديوناً لأحد. أنظر ما كافأ به في الحال مقدم جزيرة مليطة وأهلها البرابرة إزاء ما صنعوه مع بولس ورفقائه من معروف (أع ٢٨: ١ - ١٠). وأنظر أيضاً ما سيفعله الرب في المستقبل مع الذين سيقبلون عبيده في زمان الضيقة العتيدة (ص ٢٥: ٣١-٤٠).

الاصحاح الحادي عشر

تساؤل المعمدان ورد الرب عليه (عدد ١ — ٦)

« ولما أكمل يسوع أمره لتلاميذه الاثنى عشر انصرف من هناك ليعلم ويكرز في مدنهم . أما يوحنا فلما سمع في السجن بأعمال المسيح أرسل اثنين من تلاميذه وقال له أنت هو الآتي أم ننتظر آخر ؟ فأجاب يسوع وقال لهما اذهبا واخبرا يوحنا بما تسمعان وتنظران . العمى يبصرون والعرج يمشون والبرص يطهرون والصم يسمعون والموتى يقومون والمساكين يبشرون وطوبى لمن لا يعثر في » (ع ١ – ٦)

لما أكمل يسوع تعلياته للتلاميذ لأجل خدمتهم في مدن اسرائيل انصرف هو أيضاً ليعلم ويكرز في مدنهم ، أي مدن اسرائيل . لأنه يخبرهم في تعلياته السابقة بما يصيبهم من اسرائيل .

ولكنه لم يتقدم في خدمته هذه إلا قليلاً حتى جاءه هذا التساؤل من يوحنا المعمدان الذي أظهر له انه لا يوجد في اسرائيل ايمان لقبوله كمسيحهم الوديع والمتواضع القلب . لا نعرف تماماً كم من الزمان كان قد مضى بعد ما ألقي يوحنا في السجن . ولكنه واضح انه كان زماناً ليس وجيزاً . فان الخبر بأعمال المسيح كان قد بلغ يوحنا من تلاميذه (لو ٧: ١٨) وهو محبوس في السجن . وكانت شكوك قد ساورته لانه كان كباقي اليهود منتظراً مسيحاً يظهر نفسه بقوة لانقاذ اسرائيل من نير الأمم وسحق أعدائهم .

كان يوحنا قد شهد للمسيح شهادة صريحة وقت معموديته . أنظر يوحنا ١: ٢٦ – ٣٦ . ولكن لما طال الزمان أخذ يتردد في أفكاره أهذا هو المسيح الحقيقي أم لا . على انه لم يزل متأكداً انه نبي . لذلك أرسل اثنين من تلاميذه يقول له

« أنت هو الآتى [1] أم ننتظر آخر » . والمسيح بجوابه وجه نظر يوحنا على أعماله التى شهدت لشخصه انه المسيح (أنظر يو ١٠: ٣٧ و٣٨ ، ١٤: ١١) .

واذا تأملنا أعماله المذكورة فاننا نرى أنها تتصف بالقوة والنعمة . لما نزل الله قديماً ليخلص شعبه نسل ابراهيم من عبودية مصر « صنع أعجوبة فى أرض مصر بلاد صوعن . شق البحر فعبرهم ونصب المياه كند وهداهم بالسحاب نهاراً والليل كله بنور نار . شق صخوراً فى البرية وسقاهم كأنه من لجج عظيمة. أخرج مجارى من صخرة وأجرى مياهاً كالأنهار » (مز ٧٨ : ١٢ ـ ١٦) . فكانت أعماله تلك توافق قصده وقتئذ . فانه قصد أن يرحم شعبه وينتقم من أعدائهم لكى يتمجد اسمه فى الأرض . وأما عند حضوره فى الجسد كيهوه ، إله اسرائيل ، ابن داود ابن ابراهيم فلم يكن يجرى أعمال قوة كشق البحر ولا انتقم من أعدائه . بل كان ينقض أعمال ابليس ويبطل المشقات الناتجة عن الخطية بشفائه للمرضى وتطهير البرص وتبشير المساكين بما يفرح قلوبهم . ومع ذلك كله لم يكن له قبول فى اسرائيل إلا عند بقية صغيرة . ولذلك ارتضى أن يقول « وطوبى لمن لا يعثر فىّ » . وكان هذا القول كمنخس لضمير يوحنا . كان قبل ذلك يطوب الذين فيهم بعض صفات روحية كما قد رأينا فى الاصحاح الخامس . وأما الآن فقد وصلت المسألة إلى دائرة أضيق من ذلك بحيث انه يطوب من لا يعثر فيه . وبذلك توقف كل شىء على قبوله أو رفضه .

لنلاحظ أيضاً أن التردد الذى صار فى أفكار يوحنا المعمدان لم يكن من عدم الايمان أو الكفر بكلمة الله فان الكافر يشك فى كلمة الله ويرفضها . وأما يوحنا فلم يزل معتمداً على كلمة الله . لا بل صدق أيضاً بأن كلمة الله كانت عند المسيح وانتظر منه جواباً يثبت ايمانه ويريح أفكاره .

(١) « الآتى » كلمة اصطلح عليها اليهود للتعبير عن المسيح كالموعود فى النبوات باتيانه إلى العالم (تك ٤٩ : ١٠ ، حز ٢١ : ٢٧ ، مز ١١٨ : ٢٦) .

وان سُئل كيف يمكن لمن يتكلم بوحى كما تكلم يوحنا مرة حين قدم شهادة للمسيح قائلاً « هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » وأيضاً « أنا رأيت وشهدت ان هذا هو ابن الله » وأيضاً « ينبغى أن ذلك يزيد وأنى أنا أنقص » يعود يتردد من جهة الشخص الذى تكلم به . فأقول انه ينبغى أن نميز بين حالة الانسان بينما يكون روح الوحى عليه وحالته الاعتيادية . لأنه فى الوقت الذى يتكلم بالوحى يرتفع فوق حالته الاعتيادية مسوقاً من روح الله ثم يرجع إلى الحالة الروحية التى هو معتاد عليها. أنظر ماقاله بطرس الرسول عن الأنبيـــاء القدماء (١ بط ١ : ١٠ و ١١) . فلاعجب إذن من التردد الذى صار فى أفـكار يوحنا المعمدان ــ ذلك التردد الذى حمله على أن يسأل « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر ؟» بالحقيقة كان الله يظهر نفسه بطرق من شأنها أن تمتحن كل واحد . حتى الذين رافقوه استصعبوا تعاليمه ولم يحفظهم إلا اقتناعهم بأن « كلام الحياة الأبدية عنده » (يو ٦ : ٦٦ ــ ٦٨) ثم شكوا فيه جميعهم فى الليلة التى أسلم فيها (متى ٢٦ : ٣١). فما هو الانسان ولو اختاره الله ليكون إناء للوحى فى وقت ما . لأنه لايقدر أن يثبت من نفسه .

شهادة المسيح للمعمدان (عدد ٧ — ١٥)

« و بينما ذهب هذان ابتدأ يسوع يقول للجموع عن يوحنا ماذا خرجتم إلى البرية لتنظروا ؟ أقصبة تحركها الريح ؟ لـكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أأنساناً لابساً ثياباً ناعمة ؟ هوذا الذين يلبسون الثياب الناعمة هم فى بيوت الملوك لـكن ماذا خرجتم لتنظروا ؟ أنبياً ؟ نعم أقول لـكم وأفضل من نبى فان هذا هو الذى كتب عنه هاأنا أرسل أمام وجهك ملاكى الذى يهيىء طريقك قدامك » (ع ٧ ــ ١٠) .

بعد ذهاب تلميذى يوحنا أخذ يسوع يشهد للجموع شهادة إلهية عن عبده يوحنا تو بيخاً لهم لأنهم لم يتو بوا عند كرازته فلذلك أصبحوا بلا عذر أمام الله . كان يوحنا قد شهد عن المسيح مع انه لم يكن محتاجاً إلى شهـــادة من انسان ولم

يقبلها ، على أن الله من رحمته لشعبه أرسل اليهم يوحنـا لينبههم ويهيئهم لقبول المسيح . أنظر يو ٥ : ٣١ ـ ٣٧

« ملاكى » أى خادمى أو رسولي . فكان يوحنا قد أتاهم بطريق البر نظير الأنبياء القدماء وكان ثابتاً فى خدمته ولم يكن متقلباً كقصبة تحركها الريح يشهد شهادة اليوم وينقضها غداً . كان كسراج منير يعطى ضوءه فى أشد الظلام وكان الجموع لا يوحنا مثل قصبة تحركها الريح فانهم إبتهجوا بنوره إلى حين ثم انقلبوا خوفاً من رؤسائهم .

وان سأل أحد كيف يتفق قول المسيح هذا مع الشك الذى ساور أفـكار يوحنا وهو فى الحبس . أقول إن هذا التردد مهما كان فلا دخل له فى خدمته الجهارية . فانه كان قد أكمل سعيه (أع ١٣ : ٢٥) قبل أن ألقى فى السجن . وما طرأ على أفـكاره هناك كان من الأمور الشخصية بينه و بين الرب فقط . فلم يتردد فى الشهادة التى أداها لإسرائيل عن المسيح ولا عن سوء حالتهم ولزوم التوبة ولم يكن من المترفهين فى عيشتهم لأنه عاش منفصلاً عنهم عيشة من شأنها أن تشهد على سوء حالة الشعب . كان نبياً . نعم وأفضل من نبى بحيث أن الله اختاره لخدمة خاصة وهى تهيئة الطريق أمام وجه المسيح . كان الأنبياء القدماء قد نطقوا بنبوات عن الآلام التى للمسيح والأمجاد التى بعد ذلك . ثم بحثوا فى أقوالهم من جهة معانيها فأعلن لهم أن الأمور المدلول عليها لا تتم فى أيامهم . وأما يوحنا فشاهد للذى تكلم عنه الأنبياء ودل الآخرين عليه قائلاً « هذا هو الذى يعمد بالروح القدس والنار » و« هوذا حمل الله الذى يرفع خطية العالم » وكان بهذا الاعتبار أفضل من نبى .

« الحق أقول لكم لم يقم بين المولودين من النساء أعظم من يوحنـا المعمدان . ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه . ومن أيام يوحنا إلى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الأنبياء والناموس إلى يوحنا

تنبأوا . وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى . من له أذنان للسمع فليسمع » (ع ١١-١٥)

كان يوحنا فى خدمته أعظم من جميع الأنبياء . ولكن الأصغر فى ملكوت السموات أعظم منه . والأصغر فى ملكوت السموات هو عبارة عن أبسط المؤمنين بالمسيح من يوم الخمسين فصاعداً .

كان الملكوت قد اقترب وقت كرازة يوحنا المعمدان وكذلك وقت كرازة المسيح نفسه كما رأينا . ولكنه أقيم فعلاً بعد رفض الملك وارتفاعه إلى السموات فانتسب الملكوت إلى ملك مرفوض من العالم ولكنه ممجد عن يمين الله . والحقوق الملكية التى كانت له وهو على الأرض عاد وأخذها على هيئة أمجد وأثبت بعد قيامته من الأموات « فليعلم يقيناً جميع بيت اسرائيل ان الله جعل يسوع هذا الذى صلبتموه أنتم رباً ومسيحاً » (أع ٢: ٣٦).

لا أتكلم هنا عن الكنيسة وامتيازاتها الفريدة بل عن إقامة الملكوت على هيئة سرية . فان للمسيح وظائف وأمجاداً متنوعة . كان ملكاً ولا يزال هكذا . وكذلك له الآن ملكوت منتسب اليه ، والمؤمنون المسيحيون هم فى هذا الملكوت على هيئة استثنائية . فانهم فى « ملكوت يسوع المسيح وصبره » (رؤ ١: ٩) . وعندما يتبوأ عرش ملكوته بقوة ظاهرة يجمع منه جميع المعاثر وفاعلى الاثم . وحينئذ سيملك معه الذين آمنوا به زمان رفضه قابلين الآلام من أجله (٢ تى ٢: ١٢ ، ٤: ١) . وقد وصف الرب فى اصحاح ١٠ حالة تلاميذه وقت غيابه أنهم يكونون مبغضين من الجميع و يساقون أمام ولاة وملوك و يتكلم روح أبيهم فيهم . فصاروا بعد تمجيد المسيح وحلول الروح القدس متأكدين من شخص المسيح ومجده ، ولم يتزعزع أصغرهم وأضعفهم فى أشد حالات الضيق والاضطهاد . ولم نسمع عن واحد منهم أنه تردد فى أفكاره وسأل عن المسيح أهو الآتى أم ينتظر آخر . فاذن الأصغر فى ملكوت السموات أو أبسط مؤمن بعد ارتفاع المسيح أعظم من يوحنا المعمدان .

لنلاحظ جيداً أن العظمة المذكورة هنا هى من جهة المعرفة الأكيدة لشخص المسيح . ولا تعنى شيئاً فى الخدمة أو تقوى السلوك . لأن المقابلة بين يوحنا و بين جميع المولودين من النساء هى باعتبار معرفة المسيح والقرابة اليه .

كان يوحنا قد نادى باقتراب الملكوت ولكنه لم يدخله . ودلّ الآخرين على الملك ولكنه لم يتبعه كتلميذ و بذلك امتاز عن جميع الذين عاشوا قبله ، ولكن يمتاز عنه أصغر الذين يفوزون بالدخول الى الملكوت و بمعرفة الملك . وقد أشار يوحنا نفسه الى فضل المسيح عليه وفضل الذين ينتسبون الى المسيح نسبة خصوصية بقوله « من له العروس فهو العريس وأما صديق العريس الذى يقف و يسمعه فيفرح فرحاً من أجل صوت العريس . إذن فرحى هذا قد كمل » (يو ٣: ٢٩) . كان له فرح فى خدمته كصديق العريس وأما المسيح فله العروس . ولفظة « عروس » هنا ليست كناية عن أورشليم ولا عن الكنيسة بل عن المنتسبين الى المسيح نسبة قريبة خصوصية . على اننا قد عرفنا من أماكن أخرى ان الكنيسة قد انتسبت اليه هكذا الآن وكذلك ستكون أورشليم وأهلها فى المستقبل .

« ومن أيام يوحنا الى الآن ملكوت السموات يغصب والغاصبون يختطفونه . لأن جميع الانبياء والناموس الى يوحنا تنبأوا » .

قابل هذا مع ما جاء في لوقا ١٦: ١٦ فى هذا الشأن « كان الناموس والانبياء الى يوحنا ومن ذلك الوقت يبشر بملكوت الله وكل واحد يغتصب نفسه اليه » . فالمعنى انه كانت نبوات من جهة الملكوت قبل يوحنا . ثم عند حضوره وكرازته نودى بالملكوت انه قد اقترب لا بل كان حاضراً فى شخص الملك ولكن الأكثرين رفضوا الملك ولم يريدوا أن يتوبوا استعداداً للدخول الى الملكوت . فاذن الذين أرادوا أن يدخلوا التزموا أن يدخلوا رغماً عن مقاومة الآخرين ولا سيما مقاومة رؤسائهم الذين قال لهم الرب « ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين

يدخلون (ص ٢٣ : ١٣) . فلذلك من أراد أن يدخل الملكوت بقبوله الملك التزم أن يعمل ذلك مخالفاً لأوامر رؤسائه وكأنه اختطفه خطفاً . ووصف الرب بذلك شدة المقاومة وضرورة الاجتهاد الكلى للذين قصدوا ان يقبلوه كقوله فى موضع آخر « اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق » (لو ١٣ : ٢٤) . ولم يكن أحد يظن أن يكون الحال هكذا عند حضور المسيح المتنبأ عنه . فان الجميع كانوا متوهمين فى أنفسهم أنهم فى شدة الاشتياق وغاية الانتظار اليه وأنهم عند حضوره يبادرون الى الخضوع له . نعم عرفوا من النبوات أنه لا تخلص وتنضم الى الملكوت إلا بقية من اسرائيل مع أنهم كانوا كرمل البحر فى الكثرة (أش ١٠ : ٢٢) . ولكن كان كل واحد يظن أنه يكون من هذه البقية . وكان بعيداً عن أفكارهم أن يكون رؤساؤهم أشد المقاومين له . ولكن هكذا صار الأمر . فانه لما حضر ملكهم و إلهم فى وسطهم كان ينبغى لكل من آمن أن يعترف به رغماً عن المقاومين فيصبح مبغضاً منهم ومقطوعاً من المجمع ومحروماً من جميع الامتيازات الإسرائيلية .

« وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتى » . كانت حالتهم كما وصفها ملاخى النبى آخر أنبياء العهد القديم الذى تكلم كثيراً عن ريائهم وسوء تصرفاتهم ، ثم بعد ان ذكر خدمة يوحنا المعمدان كالملاك المرسل من الله إرسالية خاصة ليهيىء الطريق أمام السيد الذى كانوا ينتظرونه عاد وقال « ومن يحتمل يوم مجيئه ومن يثبت عند ظهوره لأنه مثل نار الممحص ومثل أشنان القصار فيجلس ممحصاً ومنقياً للفضة فينقى بنى لاوى ويصفيهم كالذهب والفضة ليكونوا مقربين للرب تقدمة بالبر » (ملا ٣ : ٢ و٣) ثم ختم كلامه وكلام العهد القديم بقوله « ها أنا أرسل اليكم إيليا النبى قبل مجىء يوم الرب اليوم العظيم المخوف فيرد قلب الآباء على الأبناء وقلب الابناء على آبائهم لئلا آتى وأضرب الأرض بلعن » (ملا ٤ : ٥ و٦) . وقال يوحنا المعمدان نفسه عنه « الذي رفشه فى يده وسينقى بيدره و يجمع قمحه الى المخزن وأما التبن فيحرقه بنار لا تطفأ » (ص ٣ : ١٢) فانه إن كان السيد

القدوس يحضر بين شعبه فلا يمكنه ان يصادق على شرورهم . وان كان يباركهم فانه يفعل ذلك برد كل واحد عن شره (أع ٣:٢٦) فمن الضرورة كان حضور المسيح امتحاناً عظيماً لإسرائيل . « ها ان هذا قد وضع لسقوط وقيام كثيرين فى اسرائيل ولعلامة تقاوم » (لو ٢:٣٤) . قد حضر بنعمة لا توصف ولكن سوء حالة الشعب ورفضهم التوبة جعلاه ممحصاً ومنقياً لهم .

لا شك ان هـذا الكلام سيتم الى آخر حرف فى المستقبل عندما يأتى ليقيم ملكوته بقوة . ولو أن نفس المبدأ قد انطبق فى مجيئه الأول الى اسرائيل . لذلك هناك وجه شبه كبير بين خدمة يوحنا المعمدان و بين الخدمة التى سيتممها ايليا النبى الذى سيرسله الله الى اسرائيل فى المستقبل فى زمان الوحش والنبى الكذاب (رؤ ١١:٣—١٢) . فلذلك قال الرب عن يوحنا « وان أردتم أن تقبلوا فهذا هو ايليا المزمع أن يأتى » .

فان ايليا مزمع أن يأتى . انظر أيضاً اصحاح ١٧:١٠—١٢ وعندما يأتى ستعرف الأمة المتمردة شهادته رغماً عنها لأن الله سيصادق عليها بضربات مخيفة . ولم يكن يوحنا المعمدان هو إيليا إلا للذين كان عندهم التمييز الروحى كقوله « وان أردتم ان تقبلوا . . الخ » وأيضاً « من له أذنان للسمع فليسمع » . وهـو اصطلاح يتكرر استعماله فى كلمة الله بقصد استرعاء الانتباه الى أمور الله (مر ٩ : ١٦ ، لو ١٤:٣٥ ، رؤ ٢:٧) .

إسرائيل يرفض طريق البر وطريق النعمة على حد سواء

(عدد ١٦—١٩)

« وبمن أشبه هذا الجيـــل . يشبه أولاداً جالسين فى الأسواق ينادون الى أصحابهم ويقولون زمرنا لكم فـــلم ترقصوا . نحنا لكم فلم تلطموا . لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب فيقولون فيه شيطان . جاء ابن الانسان يأكل و يشرب فيقولون

هـوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة . والحـكمة تبررت من بنيها » (ع ١٦—١٩) .

لا يمكن للانسان ان يرضى بما يعمله له الله لأن الانسان بسبب ذوقه الفاسد لا يرضى إلا بما يناسب شهواته العالمية ، بينما الله بسبب قداسته لا يمكن ان يأتيه بذلك.

لا يخفى ان فى البشر ميلاً غريزياً الى نظام دينى يحكم عليهم بتقشفات و يحملهم طقوساً وفرائض ثقيلة . وميلهم الى ذلك يرجع الى استيلاء الروح الناموسى عليهم ذلك الروح الذى يجعلهم يظنون ان الله يطلب منهم براً وانهم قادرون على القيام بما يطلبه منهم . ولكن ها هو الله قد أتاهم من هـذا الباب ولم يرتضوا بما طلب . لأنه أرسل اليهم يوحنا المعمدان فى طريق البر منفصلاً عنهم كما يليق بمركزه هذا وكان محافظاً على البر فى سلوكه ومطالباً الآخرين بذلك غـير انهم لم يتوبوا . لأنه إن كان الفريسيون يظهرون أنهم أكثر من سواهم غيرة وتقوى إذ يصومون كثيراً فها هو يوحنا يفوقهم « لأنه جاء يوحنا لا يأكل ولا يشرب » أى أنه كان يصوم كثيراً ولكنهم لم يرضوا به . بل قالوا « فيـه شيطان » يسوقه الى اعتزال الناس والحرمان من تمتعات الحياة المشروعة والى الإقامة فى البرارى . فاذن عيشة التقشف ان كانت على حقيقتها فانها لا ترضى الانسان المرائى .

« جاء ابن الانسان يأكل ويشرب » أى كسائر الناس حسبما ترتب من الله للانسان فى هـــذا العالم فانه خلق الاطعمه للجوف والجوف للأطعمة « لأن كل خليقة الله جيدة ولا يرفض شىء إذا أُخذ مع الشكر لأنه يقدس بكلمة الله والصلاة » (١ تى ٤:٤ و٥) . ولم يكن الرب يسوع وتلاميذه يصومون طول مدة إقامته معهم (ص ٩: ١٤ و١٥) .

كان هـــو الله ظاهراً فى الجسد . وكان يعامل الجميع بلطف فائق الوصف . وكانسان كلمهم بصوت انسان . ومع انه كان فى ذاته بلاهوته وناسوته طاهراً وقدوساً ومنفصـلاً بطبيعته عن الخطاة غير انه لم ينفصـل عنهم جسدياً وذلك لكى يظهر

انفصاله عنهم روحياً . أما نحن اذا صمنا وذللنا أنفسنا فاننا نعمل ذلك لوجود الشر فينا وحاجتنا لقمع أجسادنا . أو لكوننا كالآخرين فى طبيعتنا . نتجنب الناس لكي نكون مع الله ونستمد منه القوة لقهر الطبيعة وتحصيل الفضائل الروحية . وأما سيدنا المبارك فكان مع الله فى كل حين بحسب حالته الطبيعية كالقدوس لاهوتاً وناسوتاً و بموجب النسبة الإلهية الكائنة بينه و بين الآب . فان اقترب هو الى البشر فلا يضره ذلك شيئاً بل يكون تنازلاً وتواضعاً منه لخدمتهم . ولكن الانسان الملتوى لا تروقه أيضاً نعمة الله لما أظهرها اظهاراً كافياً كاملاً فى ابنه ، إذ قالوا عنه « هوذا انسان أكول وشريب خمر محب للعشارين والخطاة » . فكانوا معتدين ببر أنفسهم حاسبين ان هناك فرقاً بين خطاة وخطاة . ولكن ان كان الله يظهر فى الجسد فهل يستطيع أن يصادق على البر الانسانى والكبرياء والافتخار الباطل اللذين ينتجان عن ذلك ؟ حاشا « إذ الجميع اخطأوا وأعوزهم مجد الله » (رو ٣: ٢٣) . وقد رأينا أنه له المجد لما احتاج الى تلميذ آخر دعا متى العشار . ولما قصد هذا أن يصنع ضيافة للسيد عرف من هم الضيوف المناسبون للجلوس مع سيده . فدعا كثيرين من العشارين أمثاله . نعم . كان يجالس الخطاة لكى يجتذبهم الى ينبوع النعمة و يجعلهم مثله لا لكى يصادق على شرورهم . ولكن للمعتدين ببر أنفسهم فلا يسرون بطريق يوحنا ولا بطريق المسيح .

كانوا كأولاد يلعبون فى الاسواق مهما عملوا لتسلية اصحابهم فلا يُقبلون . إن زمروا لهم فلا يرقصون ، وان ناحوا لهم فلا يلطمون . وهكذا الامر مع جميع البشر . لما تنازل الله من لطفه ليعمل ما يفرحهم لم يجيبوه ، فانه اذا زمّر لهم نغمات النعمة بواسطة المسيح فلا يصغون لها . ومهما أحسن العزف فلا يحلو لهم ولا يطرب مسامعهم . فانهم لا يعرفون قيمة النعمة — فلا تبهجهم أو تخلب ألبابهم . وان كان الله يأتيهم من باب الناموس و ينوح لهم على لسان عبده يوحنا المعمدان فلا يقبلون ذلك . فاذن لا تجذبهم جاذبيات النعمة ولا ترهبهم تهديدات العدل .

فماذا يشبه جيل كهذا ، وهو بالحقيقة الجيل البشرى ؟

« والحكمة تبررت من بنيها » كانت الحكمة الإلهية قد ظهرت بارسالية يوحنا غير الاعتيادية وبخدمة المسيح اللطيفة . ومع ان الجانب الاكبر قد رفضها فانه توجد بقية تقع عندهم النعمة موقع القبول . كان الله يعمل فيهم بروحه ليجعلهم يشعرون بخطاياهم ومن ثم لطموا اجابة لكرازة يوحنا ورقصوا فرحاً لصوت المسيح الحلو . فكانوا من بنى الحكمة وبرروها أى ميزوا من هو الذى كان حاضراً فى وسطهم وصادقوا على حكمة الله الظاهرة على هذه الطريقة العجيبة وبرّروها .

توبيخ المدن التى صنع فيها يسوع أكثر قواته

(ع ٢٠ـ ٢٤ ، لو ١٠: ١٣ـ١٦)

« حينئذ ابتدأ يوبخ المدن التى صنعت فيها اكثر قواته لأنها لم تتب . ويل لك يا كورزين . ويل لك يا بيت صيدا . لأنه لو صنعت فى صور وصيداء القوات المصنوعة فيكما لتابتا قديماً فى المسوح والرماد . ولكن أقول لكم ان صور وصيداء تكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لكما . وأنت يا كفر ناحوم المرتفعة الى السماء ستهبطين الى الهاوية لأنه لو صنعت فى سدوم القوات المصنوعة فيك لبقيت الى اليوم . ولكن أقول لكم ان أرض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لك ». (ع ٢٠ـ ٢٤)

يظهر من هذا الفصل ان رسل الرب لم يصرفوا وقتاً طويلاً فى ارساليتهم المار ذكرها فى الاصحاح العاشر ، وكذلك الرب أيضاً . فانه لما انصرف ليعلم ويكرز فى مدنهم (ع ١) لم يجد قبولاً عند اسرائيل . حتى يوحنا المعمدان تردد وأرسل اليه وفداً يسأله قائلاً « أنت هو الآتى أم ننتظر آخر » . وكانت الأمة على وجه العموم قد انقادت الى رؤسائها فى رفضه . واذ ذاك ابتدأ الرب يسوع يوبخ المدن التى صنعت فيها أكثر قواته ولم تتب .

كان الله قد افتقد شعبه وقدّم لهم شهادة لم يكن لها نظير لو قدمت لأهل صور وصيداء لكانت كافية لأن تلين قلوبهم وتأتى بهم الى التوبة ، ولخاصتهم من الدينونة التى أصابتهم . وكذلك الحال مع أهل سدوم رغم أنهم كانوا أشراراً وخطاة لدي الرب جداً (تك ١٣: ١٣) . كان الله قد أنعم على كل هؤلاء بخيرات كثيرة ، أنظر حزقيال ١٦: ٤٩ و ٢٨: ١-٢٣ . ولكنهم أساءوا استعمال ما أنعم به عليهم وانحرفوا وراء شهواتهم وجلبوا على أنفسهم دينونة الله العادلة .

ربما يسأل القارىء : لماذا لم ترسل لهم شهادة إلهية قوية كهذه حيث كانت هناك امكانية لتوبتهم بها ؟ فأقول . إن الله له معاملات متنوعة مع البشر لكى يمتحنهم بكل الطرق حتى يظهر ما هو الانسان الساقط المبتعد عنه . كانت لهؤلاء شهادة الخليقة لوجود الله ووحدته (رو ١: ١٩-٢٥ ، أع ١٧: ٢٢-٣١) .. علاوة على المعرفة التقليدية التى لم تزل باقية معهم ولكنهم نسوه وأفسدوا أنفسهم بنفس الخيرات التى باركهم بها . على أنه تعالى تأنى عليهم ولم يوقع عليهم أى قصاص الى أن عظمت خطيتهم جداً وبلغ صراخهم الى السماء . حينئذ قلب تلك المدن وأهلك سكانها واضعاً عبرة للعتيدين أن يفجروا مثلهم (٢ بط ٢: ٦) .

ولكن ان كان اهل سدوم وصور قد اساءوا استعمال خيرات الله الخالق الحنان وافسدوا انفسهم بها و برهنوا بذلك على ابتعاد قلب الانسان عن مصدر بركاته فقد بقى لليهود الامة المنعم عليها ببركات اكثر من غيرها ان يظهروا ما فى قلب الانسان ايضاً متى كانت له مواعيد الله واقواله . فماذا كانت النتيجة ؟ . افتخروا بالعطية وتركوا المعطى فعميت قلوبهم ولم يعرفوا الههم حين حضر بينهم بل ورفضوه ايضاً فما اعظم اثم الذين عندهم نور الله ان لم يسلكوا فيه . فان درجة الاثم تقاس على مقدار النور المعطى . لم يخطر على بال الكتبة والفريسيين انهم اشرار وخطاة لدى الرب جداً كأهل سدوم مع انهم كانوا اعظم منهم ذنباً بقدر ما كان عندهم من نور اكثر .

يوجـد فرق بين الدينونة التى يجريها الله على اناس احيـاء فى وقت ما ، والدينونة التى سيجريها على الاموات فانه قد دين اولئك كأحيـاء ولكنهم سيدانون ايضاً كأموات يوم الدين . فان الذين يستهينون بغنى لطف الله وامهاله وطول اناته غير عالمين ان لطف الله يقتادهم الى التوبة يذخرون لانفسهم غضباً فى يوم الغضب واستعلان دينونة الله العادلة الذى سيجازى كل واحد حسب اعماله» . (رو ٢ : ٤ ـ ٦) . فياليت جميع الذين عندهم كلمة الله الآن يصغون لقول الرب الرهيب « ولكن اقول لكم ان ارض سدوم تكون لها حالة أكثر احتمالاً يوم الدين مما لك » . لأن كل من هلك والكتاب المقدس بين يديه يعذب الى الابد عذاباً أشد .

اعلان الآب والابن (ع ٢٥ ـــ ٣٠ ، لو ١٠ : ٢١ ـــ ٢٤)

« فى ذلك الوقت اجاب يسوع وقال احمدك ايها الاب رب السماء والارض لانك اخفيت هذه عن الحكماء والفهماء واعلنتها للاطفال . نعم ايها الاب لان هكذا صارت المسرة امامك . كل شىء قد دفع الى من ابى . وليس أحد يعرف الابن إلا الآب ولا احد يعرف الآب إلا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له» (ع ٢٥-٢٧). كان الرب فى غاية التأثر بسبب الاهانة التى أهانه بها الشعب الذى احبه برفضهم اياه كما نرى انه فى مناسبة اخرى بكى على اورشليم . وعلى قسـاوة قلوب اولادها (لو ١٩ : ٤١ ـــ ٤٤) لانه كثيراً ما اراد ان يجمعهم ويحتضنهم تحت ظل جناحيه بمحبة تفوق حنان الأم ، ولكنهم لم يريدوا (ص ٢٣ : ٣٧) . فكان يشعر شعوراً عميقاً الياً بعدم مبالاتهم به وتصميمهم على عدم ايمانهم . ومن المعلوم ان القلب المحب يتألم من رفض المحبوب لمحبته . اما الرب فكانسان على الأرض مطيع فى كل شىء لارادة الآب الذى ارسله فقد وجد تعزيته وراحته فى هذه الارادة . ولم يقدر حزنه على اسرائيل ان يفصله عن الارتياح فى محبة الآب الذى

لم يزل يعمل بحسب مطلق سلطانه كرب السماء والارض معلناً حكمته وصفاته بطرق عجيبة مع انها تحسب جهالة عند الحكماء والفهماء فى هذا الدهر . وكان من الأمور اللائقة انه يجهل حكمتهم بينما يعلن حكمته ويهب عطايا نعمته للذين بمنزلة الاطفال - اى المتواضعين .

اما الحكماء فى اعين انفسهم فمن دأبهم دائماً ان يفحصوا كل مسألة كأنهم قادرون ان يفهموا كل شيء مع ان احكم انسان انما هو من أمس ولا يعرف شيئاً (ايوب ٨ : ٩). فلا يمكن لله ان يصادق على كبريائهم ويأتيهم بمعاملات يبدو منها كأنهم يساوونه تعالى فى المعرفة . لذلك لما ارسل ابنه ارسله على هيئة اعثرت هؤلاء المتكبرين ولكنها رفعت المتواضعين . وأخفى أموره عن عيون الذين طلبوا ان يفحصوه ويحكموا فى طرقه كأنه نظيرهم .

ان رفض اسرائيل للمسيح قد فتح الباب لاعـــلان مقاصد الله الازلية فانه قصد ان يدفع كل شيء ليد ابنه وهو على هيئة انسان « كل شيء قد دفع الىّ من أبى » . ان كان بنو اسرائيل لا يريدون ان يُجمعوا تحت سلطانه فلا يذهب تعب عمانوئيل سدى بل تتسع دائرة سلطانه وتمتد الى اقصى الكون .

«وليس احد يعرف الابن إلا الآب. ولا احد يعرف الآب إلا الابن ومن اراد الابن ان يعلن له » . فبالاجماع كانت حقيقة شخصه عجيبة ومجيدة الى هذا المقدار حتى انها لا تدرك من البشر مع ان اعماله واقواله الصريحة قد تركت أمة اسرائيل بلا عذر لانه كان ممكناً لهم ان يأتوا اليه لكى يعرفوا الآب. انى افهم أن قول الرب هذا مطلق ويعنى ان سر شخصه المبارك كابن الله فى الجسد لا يقدر أنسان ما ان يدركه. اننا نقدر ان نعرف الله ليس باعتبار لاهوته المطلق بل باعتبار كونه اباً لنا بيسوع المسيح . ونقدر ان نعرف المسيح ايضاً من حيث نسبته لنا كفاد ومخلص وسيد الى خلاف ذلك مما يتعلق باعماله ونسبته لنا . واما حقيقة شخصه

كالابن الوحيد المتجسد فلا نقدر ان ندركها الى الأبد ، مع ان اقرارنا بها هو من المبادىء الاولية ولا يمكن خلاص انفسنا بدونها .

المسيح يقدم الراحة فى شخصه لكل نفس متعبة (عدد ٢٨ — ٣٠)

« تعالوا الى يا جميع المتعبين والثقيلى الاحمال وانا اريحكم احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لانى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم . لان نيرى هين وحملى خفيف » . (ع ٢٨ — ٣٠) .

فى آخر اصحاح ٩ رأينا المسيح كالراعى الصالح الحنان الذى تحنن على الجموع اذ كانوا منزعجين ومنطرحين كغنم لا راعى لها . واذ ذاك اتخذ الوسائل اللازمة لخيرهم . فانه تقدم لخدمتهم بل واستخدم آخرين ايضاً . واما هنا فى العبارة التى نحن بصددها فنراه ليس فى صفته كالراعى الصالح بل كالابن الوحيد الذى وحده يعرف الاب و يقدر ان يعلنه . و يعلنه فقط للذى يشاء هو . ليس للجموع بل فقط للمتعبين والثقيلى الاحمال ليجدوا راحتهم فيه لان الأمة فى مجموعها قد رفضته لذلك صرح بأن دينونة المدن الاسرائيلية التى صنعت فيها اكثر قواته ستكون أشد مما سيكون لسدوم وعمورة يوم الدين لرفضها اياه .

كان أتقياء اسرائيل معتادين أن يذهبوا إلى هيكل الله ليجدوا تعزية فى أحزانهم وراحة فى ضيقاتهم . قال داود النبى « واحدة سألت من الرب واياها ألتمس أن أسكن فى بيت الرب كل أيام حياتى لكي أنظر إلى جمال الرب وأتفرس فى هيكله . لأنه يخبئنى فى مظلته فى يوم الشر . يسترني بستر خيمته . على صخرة يرفعنى » (مزمور ٢٧ : ٤ و ٥) . ولكن ماذا يعمل الأتقياء ان كان بيت الرب قد صار مغارة لصوص (ص ٢١ : ١٣) ؟ إلى أين يذهبون ليحصلوا على الراحة والعزاء ؟ كان هؤلاء بنى الحكمة (ع ١٩) والبقية الصغيرة التى أبقاها رب الجنود رغماً عن انحطاط اسرائيل (رو ٩ : ٢٧ ... ٢٩) كانت فيهم حياة من الله وكان فيهم أيضاً ضمير منتبه . فكانوا متعبين بسبب حالة اسرائيل التى هي بالحقيقة حالة الانسان أى

حالة الخطية . وكانوا منتظرين خلاص الله صارخين « حتى متى يارب » (حبقوق ١ : ٢) . وكانوا مثقلين من الناموس والفرائض التى كانت تزعجهم ولا تقدر أن تريحهم . فصار المسيح هو المركز لمثل هؤلاء . ودعاهم لا إلى الهيكل بل إلى شخصه هو . فان أتوا اليه فهو يريحهم كقوله « وأنا أريحكم » .

« احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » . هنا يتكلم الرب عن نوع آخر من الراحة فان الرب يعطينا الراحة الأولى عند اتياننا اليه . بعد ذلك يمنحنا النوع الآخر من الراحة كل يوم حال كوننا حاملين نيره متعلمين منه من جهة السلوك بالوداعة والتواضع.

إن من انتبه إلى حقيقة حاله كمذنب إلى الله ومستحق لغضبه الأبدى يرتعب ويرتعش ويسأل « ماذا ينبغي أن أفعل لكى أخلص » (أع ١٦ : ٣٠) ولا يقدر أن يستريح حتى يتوب ويأتى إلى المسيح . هذا هو النوع الأول من الراحة . ولكنه لا يزال بعد ذلك فى العالم الذى يشبه البحر المضطرب . لأن الذين يتبعون المسيح أثناء رفضه يصبحون فى حالة سيدهم المرفوض — أى أن العالم الشرير يرفضهم ويضطهدهم — وواضح أننا لا نستطيع والحالة هذه أن نعيش يوماً واحداً دون أن تحدث أمور كثيرة تكدرنا . لا بل قلوبنا نفسها لا تدعنا نستريح ، لأنها تشتهى أشياء كثيرة مما لا تقدر أن تحصل عليه ، ومما لا يجوز لنا الحصول عليه . ومن ثم يلزمها أن تتدرب وتتقوى لكى تكف عن اشتهاء ما هو على الأرض ، ولكى تطلب ما هو فوق . وعلى ذلك جاء قوله هنا « احملوا نيرى عليكم وتعلموا منى لأنى وديع ومتواضع القلب فتجدوا راحة لنفوسكم » . فنير المسيح عبارة عن خضوعه الكامل وطاعته الكاملة لمشيئة الآب . ونحن أيضاً نتعلم منه أن نخضع لمشيئة الآب ونرى يده ترتب كل أمورنا المرة والحلوة على السواء . ونعلم يقيناً أن جميع الأشياء تعمل معاً لخيرنا (رو ٨ : ٢٨) . وهكذا نجد راحة لأنفسنا ونحن

فى طريقنا للوجود مع المسيح حيث هو الآن . وهذا هو النوع الثانى من الراحة .

« لأن نيرى هين وحملى خفيف » ربما خيل للسامعين من كلام الرب عن وجوب حمل نيره أنه سيد قاس يحملهم كالكتبة بما لا يطاق من الأثقال . ولكن ليس الأمر كذلك . انظر رسالة يوحنا الأولى التى قد ورد فيها كلام كثير عن وجوب الطاعة للوصايا الإلهية ولكن يقال فيها أيضاً « ووصاياه ليست ثقيلة » (٥ : ٣) .

غير أنه ينبغى لنا أن نولد من فوق لكى يمكننا أن نحسب نيره هيناً وحمله خفيفاً إذ لا يقدر الإنسان غير المتجدد أن يخضع لمشيئة الآب أو يقبل وصايا المسيح لأن ليس فيه سوى اهتمام الجسد الذى هو عداوة لله (رو ٨ : ٧). قال يعقوب « شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » (يع ١ : ١٨) وأيضاً « من اطلع على الناموس الكامل ناموس الحرية وثبت وصار ليس سامعا ناسياً بل عاملا بالكلمة فهذا يكون مغبوطاً فى عمله » (يع ١ : ٢٥) . فكلمة الله التى نولد بها ثانية هى الناموس الكامل لسلوكنا . بل هى كما يقال عنها « ناموس الحرية » من حيث أنها مشيئة الله لأولاده ، المشيئة التى تدربهم فى نفس الطريق الذى يريدون أن يسلكوا فيه بموجب الطبيعة الجديدة (أف ٢ : ١٠) . لذلك كل ما يجربهم أو يعرضهم للسلوك بخلاف ذلك يحسب عندهم عبودية لا حرية .

الاصحاح الثانى عشر

اشتداد المقاومة

الاعتراض على قطف السنابل يوم السبت

(عدد ١ — ٨ ، مر ٢ : ٢٣ — ٢٨ ، لو ٦ : ١ — ٥)

«فى ذلك الوقت ذهب يسوع فى السبت بين الزروع . فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون فالفريسيون لما نظروا قالوا له هوذا تلاميذك يفعلون ما لا يحل فعله فى السبت . فقال لهم أما قرأتم ما فعله داود حين جاع هو والذين معه . كيف دخل بيت الله وأكل خبز التقدمة الذى لم يحل أكله له ولا للذين معه بل للكهنة فقط . أوما قرأتم فى التوراة أن الكهنة فى السبت فى الهيكل يدنسون السبت وهم أبرياء . ولكن أقول لكم ان ههنا أعظم من الهيكل . فلو علمتم ما هو . إنى أريد رحمة لا ذبيحة . لما حكمتم على الأبرياء فان ابن الانسان هو رب السبت أيضاً» (عدد ١ — ٨) .

«فى ذلك الوقت ذهب يسوع .. فجاع تلاميذه» نرى هنا التلاميذ مع الرب . وهذا مما يؤيد القول السابق بأنهم لم يصرفوا إلا وقتاً وجيزاً فى الخدمة الخصوصية التى أمرهم بها الرب فى اصحاح ١٠ والتى تقدمهم فيها فى اصحاح ١١ : ١ .

«فى السبت بين الزروع» كان السبت علامة العهد القديم الذى ثبته الله مع اسرائيل (خر ٣١ : ١٣ - ١٧) . وشرع الله يتكلم كثيراً عن وجوب حفظه منذ افتقدهم فى مصر لكى يفديهم وينقلهم إلى أرض الموعد . (انظر خر ١٦ : ٢٢ ، ٢٠ : ٨ - ١١ ، تث ٥ : ٦ و ١٢ - ١٥ ، حز ٢٠ : ١٠ و ١٢) وشهادات عديدة على هذا الموضوع . وكان يجب على كل إسرائيلى أن يحفظ السبت حفظاً دقيقاً (خر ٣٥ : ٢ و ٣) . ومن دنسه دنس عهد الله أيضاً ، واستحق أن يقطع من بين شعبه

(العدد ١٥ : ٣٢ - ٣٦) وقد ذكر تدنيسهم للسبت فى عدة مواضع من جملة خطاياهم التى جلبت عليهم غضب الله (حز ٢٢ : ٨) غير أن المعتدين بير أنفسهم كالفريسيين والكتبة فى أيام المسيح قد دققوا فى حفظه بحسب غيرتهم الجسدية وافتخروا به كعلامة مذهبية بغض النظر عن انحطاط إسرائيل واحتياجهم العظيم إلى رحمة الله . وكان حفظ السبت مقترناً مع راحة إسرائيل فى أرضهم وهم محافظون على شريعة الله وفائزون ببركته . ولكنهم لم يكونوا قد حصلوا على الراحة بموجب العهد القديم (عب ٣ : ٧-١١) . ولما حضر مسيحهم ليجمعهم تحت ظله (اصحاح ٢٣ : ٣٧) ويريحهم رفضوه . فصار هو وتلاميذه خارجين ومطرودين مثل داود والذين معه فى أيام الملك شاول .

« فجاع تلاميذه وابتدأوا يقطفون سنابل ويأكلون » يجب أن نلاحظ جيداً أن الرب نفسه لم يقطف سنابل الحنطة فى السبت بل تلاميذه . صحيح أنهم اشتكوا عليه مرة لأنه شفى إنساناً مريضاً فى السبت (يو ٥ : ١٥-١٨) . ولكنه جاوبهم أن ذلك من الأعمال الإلهية الجارية كل يوم للافراج عن البشر من سجن شقاوتهم ، وليس له مدخل فى أمر السبت

« فالفريسيون لما نظروا قالوا له ، هوذا تلاميذك الخ » (عدد ٢-٥) فأعماله تلاميذه حسبه الفريسيون تدنيساً للسبت . وربما كان كذلك . لأن الرب فى رده عليهم لم يخطئهم وينسب لهم سوء فهم للشريعة ، وإنما ذكرهم فقط بما جرى ولم يزل جارياً فى إسرائيل بسبب سوء حالتهم ، أولاً - لما صار داود الملك المختار مطروداً وهارباً جاع واضطره الأمر أن يأكل من خبز التقدمة . ومع ذلك لم يستحق اللوم لأنه كان ملك الله الحقيقى وكان حفظ حياته أهم من حفظ طقس خبز التقدمة القديم (لا ٢٤ : ٨ مع اصم ٢١ : ٦) ثانياً - ماذا يرون إذا ذهبوا إلى الهيكل فى السبت ؟ يرون الكهنة مشغولين فى خدمتهم من حيث تقديم الذبائح والتقدمات

فى السبت كما فى الأيام الأخرى (العدد ٢٨ : ٩ و ١٠ ، لا ٢٤ : ٥) . وهذا يظهر وجود الخطية وما يلزم للخلاص منها .

« ولكن أقول لكم إن ههنا أعظم من الهيكل » (عدد ٦) كانت كل الرموز تشير إلى المسيح ، ولا يمكن أن تتم إلا فيه . فهو أعظم من الهيكل ومن الخدمة الرمزية التى كانت تجرى فيه على الدوام بقدر ما للمرموز إليه من عظمة أكثر من الرمز بل أيضاً و بقدر ما له كصاحب الهيكل من عظمة أكثر مما للهيكل .

« فلو علمتم ما هو . إنى أريد رحمة لا ذبيحة . لما حكمتم على الأبرياء » (عدد ٧) فإن الله لم يكن ليكتفى بخدمة الهيكل ولكنه أراد رحمة لإسرائيل وللبشر جميعاً فأرسل ابنه لا ليصادق على بر الكتبة والفريسيين ويزيدهم افتخاراً واعتداداً بأنفسهم بل ليدعو المتعبين والثقيلى الأحمال إليه لكى يريحهم براحة إلهية ولكى يملن لهم أيضاً كمؤمنين محبة الآب لهم ونسبتهم إليه كبنين . ومركزهم هذا ثابت ودائم ، وإن خرب الهيكل ، وبطلت خدمته الجسدية إلى الأبد (عب ٧ : ١٨ و ١٩ ، ١٠ : ٨ — ١٠) .

« فإن ابن الإنسان هو رب السبت أيضاً » (عدد ٨) سبق القول أن الله أعطى السبت لإسرائيل علامة العهد القديم . ولما كان الرب قاصداً أن ينهى ذلك النظام صرح أنه أعظم من الهيكل كصاحبه ورب السبت أيضاً ، وصاحب الشيء أو مالكه له حرية التصرف فيه . فكان يقدر أن يترك الهيكل خراباً ويبطل السبت أيضاً إلى أن يتوب الإسرائيليون فى المستقبل (هو ٣ : ٥) ويدخلوا تحت العهد الجديد (أر ٣١ : ٣١ — ٣٧) وحينئذ يبنى لهم الهيكل (زك ٦ : ١٢ و ١٣) ويرد إليهم السبت للبطل (إش ٦٦ : ٢١ — ٢٣) فبقوله عن نفسه أنه « رب السبت » يشير إلى سلطانه فى أن يغير النظام القديم ويبدأ نظاماً جديداً (عب ٧ : ١٢) كان هو أعظم من النظام الذى نظمه قديماً وله حق أن يبدله بما يوافق القول « إنى أريد رحمة لا ذبيحة » أى خلاصاً لا فرائض جسدية .

شفاء ذى اليد اليابسة فى السبت

(عدد ٩ — ١٣ ، مر ٣ : ١ — ٦ ، لو ٦ : ٦ — ١١)

« ثم انصرف من هناك وجاء الى مجمعهم . واذا انسان يده يابسة . فسألوه قائلين هل يحل الإبراء فى السبوت لكى يشتكوا عليه . فقال لهم أى انسان منكم يكون له خروف واحد فان سقط هذا فى السبت فى حفرة أفما يمسكه ويقيمه . فالإنسان كم هو أفضل من الخروف . إذاً يحل فعل الخير فى السبوت . ثم قال للانسان مد يدك . فمدها . فعادت صحيحة كالأخرى » (عدد ٩ — ١٣) .

قد كشف الرب حالة الفريسيين والكتبة وأثبت رياءهم ، لأنهم هم أيضاً يشتغلون فى السبوت اذا كانت مصالحهم الزمنية تقتضى ذلك . فانه لم يوجد واحد منهم يريد أن يخسر خروفاً واحداً اعتباراً للسبت . ولم يستذنبهم الرب على اعتنائهم بتلك الحيوانات البكم لأن الشريعة أمرت به دون تقييد بزمان (خر ٢٣ : ٤ و ٥ ، تث ٢٢ : ١٠) ، وانما أبكمهم بسبب ريائهم . ثم شفى اليد اليابسة واستمر فى طريقه صانعاً الخير للمحتاجين رغماً من مقاومة الرؤساء . ويلاحظ أن مرقس ولوقا وان لم يذكرا حجة إنقاذ الخروف إلا أنهما ذكرا حجة أخرى هى التعليم المبنى على ذلك الانقاذ (مر ٣ : ٤ ، لو ٦ : ٩) .

المسيح بوداعته يتقبل رفضه

(عدد ١٤ — ٢١ ، مر ٣ : ٧ — ١٢ ، لو ٦ : ١١)

« فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكى يهلكوه . فعلم يسوع وانصرف من هناك . وتبعته جموع كثيرة فشفاهم جميعاً . وأوصاهم أن لا يظهروه لكى يتم ما قيل بإشعياء النبى القائل : هوذا فتاى الذى اخترته . حبيبى الذى سرت به نفسى . أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق . لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد

فى الشوارع صوته . قصبة مرضوضة لا يقصف. وفتيلة مدخنة لا يطفىء . حتى يخرج الحق الى النصرة . وعلى اسمه يكون رجاء الأمم » (عدد ٢٠ : ٢١) .

قد كمل الشقاق بين الرب ورؤساء اسرائيل فقر رأيهم على أن يهلكوه . وأما هو فانصرف من موضع ظلمهم الى بحر الجليل (مر ٣: ٧) وهناك برهن أكثر على قوته بشفاء الجموع الكثيرة التى تبعته وتمت فيه وقتئذ نبوة إشعياء التى وصفت خدمته بالنعمة والتواضع كمن أرسله الله ومسحه بروحه لكى يتمم ما يرضيه غير طالب الشهرة لنفسه (انظر إش ٤٢ : ١ - ٤) .

« هوذا فتاى الذى اخترته ، حبيبى الذى سرت به نفسى » (عدد ١٨) «فتاى» معناها «عبدى» أو «خادمى» . كان لله عبيد قبل حضور ابنه فى الجسد ، وأكملوا كل واحد خدمته بحسب النعمة المعطاة له. غير انه لم يجد سروره الكامل فى أحد منهم . ولكن لما وقف أمامه ابنه الحبيب فى صورة عبد وصفة خادم . كاملا فى شخصه ، ومظهراً الكمالات الالهية فى خدمته سرت به نفسه سروراً تاماً ، وشهد له أنه هو مختاره وحبيبه .

« أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق » (أى « بدينونة » حسب الأصل) فهو قد مسح بالروح القدس (اصحاح ٣ : ١٦) لكل خدمة إن كانت للخلاص أو للدينونة (أش ٦١ :١و٢، أع ١٠ : ٤٢ و ٤٣) . واذ قد رفض كالملك من اسرائيل تحول الى الأمم ليخبرهم بأمر الدينونة مخلصاً منها الذين يلجأون اليه منهم (١ تس ١ :١٠) .

« لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد فى الشوارع صوته » (عدد ١٩) هذا من جهة تصرفه فى خدمته مدة النعمة اذ أنه يكمل خدمته بغاية الحلم والتواضع كما قيل «الذى اذ شتم لم يكن يشتم عوضاً . وإذ تألم لم يكن يهدد . بل كان يسلم لمن يقضى بعدل » (١ بط ٢ : ٢٣) . كان ذلك الوقت وقت اظهار النعمة لا اجراء القضاء فتصرف كما يليق بذلك . وأما فى مجيئه ثانية ليدين أعداءه فلا يتصف

بهذه الصفة ، بل سيرجف السماء والأرض حينئذ بصوته كقول النبي «والرب من صهيون يزمجر، ومن أورشليم يعطي صوته فترجف السماء والأرض» (يوئيل ٣ : ١٦) .

« قصبة مرضوضة لا يقصف . وفتيلة مدخنة لا يطفئ » (عد ٢٠) هذا من جهة رقته ولطفه فى خدمته من نحو المحتاجين إليها ، فان القصبة المرضوضة عبارة عن المنسحق الروح ، فمثل هؤلاء يعاملهم بغاية اللطف . ويجبرهم ولا يقصفهم . والفتيلة المدخنة هي التى كادت تنطفىء . إذ قد فرغ زيتها فاعادت تشتعل ولكنها تدخن . وهذه عبارة عن النفوس المسكينة التى صارت مقطوعة الرجاء تقريباً . فكم من الذين كانوا على هذه الحالة ولكن افتقدهم المسيح وأحيا رجاءهم ومنحهم ما كانوا ينتظرونه عبثاً من غيره . قابل هذا مع صفات الذين يطوبهم المسيح (ص ٥ : ٣ — ١٢) والذين يدعوهم إليه لأجل الراحة (ص ١١ : ٢٨) فضلا عن جماهير الذين كانوا مصابين بأمراض وأرواح شريرة وانقطع عنهم الرجاء وشفاهم المسيح . ولا تزال الخدمة المسيحية الحقيقية تتصف بالحلم والتواضع مادام الرب يقول « فى وقت مقبول سمعتك ، وفى يوم خلاص أعنتك ، هوذا الآن يوم خلاص » (٢ كو ٦ : ٢) حتى يخرج الحق (الدينونة) إلى النصرة أى أنه يستمر على الحلم والنعمة نحو الجميع إلى وقت إجراء الدينونة كما قيل « قبلوا الإبن لئلا يغضب فتبيدوا من الطريق لأنه عن قليل . يتقد غضبه » (مز ٢ : ١٢) هذا هو نصيب الذين يرفضونه .

« وعلى اسمه يكون رجاء الأمم » (عد ٢١) . ان العبارة الواردة هنا فى الأعداد من ١٨ - ٢١ هى مقتبسة من أشعياء ٤٢ : ١ - ٤ بالمعنى لا بالحرف . وهى فى ألفاظها أقرب إلى الترجمة السبعينية منها إلى الأصل العبرانى وفى الاقتباس هنا تركت الجملة الأولى من العدد الرابع . وهذا العدد فى الترجمة العربية هو « لا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق (الدينونة) فى الأرض وتنتظر الجزائر شريعته»

وهذا الجزء الأخير هو بحسب الترجمة السبعينية «وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» كما اقتبسه متى البشير. وقصد الوحي من اقتباسه هذه العبارة كلها: أولاً- أن يصف خدمة المسيح في مدة تواضعه الآن كما تقدم. ثانياً- أن يصرح بحقيقة إجراء القضاء على يد المسيح عندما ينتهي زمان النعمة. معلوم أن كثيرين من الأمم يتكلون على اسمه في زمان النعمة ويخلصون ولكن ليس هذا هو المقصود هنا بقوله «وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» والتي هي في الأصل «وتنتظر الجزائر شريعته» لأن قرائن العبارة وألفاظها تدل على إجراء القصاص وإخضاع الأمم بالقوة قابل هذا مع قول أشعياء نفسه «لأنه حينما تكون أحكامك في الأرض يتعلم سكان المسكونة العدل (البر)» (أش ٢٦ : ٩) وشهادات أخرى كثيرة مما يوضح أن الأمم لا تخضع لاسم المسيح بواسطة خدمة نعمته الحليمة التي تستمر إلى أن يرفع يده في الدينونة ويرجف السماء والأرض بصوت القضاء، وحينئذ تنتظر الجزائر شريعته. وهذا سيتم بعد اختطاف الكنيسة وقبل ملك المسيح الألفي.

شفاء المجنون الأعمى الأخرس، والتجديف على الروح القدس

(عد ٢٢ - ٣٢ ، مر ٣ : ٢٢ - ٣٠ ، لو ١١ : ١٤ - ٢٣)

« حينئذ أحضر اليه مجنون أعمى وأخرس فشفاه حتى أن الأعمى الأخرس تكلم وأبصر، فبهت كل الجموع وقالوا، ألعل هذا هو ابن داود؟ أما الفريسيون فلما سمعوا قالوا هذا لا يخرج الشياطين إلا ببعلزبول رئيس الشياطين» (عد ٢٢-٢٤)

«ألعل هذا هو ابن داود» لم تزل أعماله العجيبة تؤثر في قلوب البسطاء الخالين من الغايات الذاتية وأصبحوا أميل إلى الاعتقاد بأنه ابن داود. وأما الرؤساء فلم يقدروا أن يحتملوا ذلك، وإذ لم يقدروا أن ينكروا وجود قوة في المعجزة فوق قوة البشر نسبوها للشيطان. فما بقي فيهم شيء من الضمير أو من الحياء كان بعض الأفراد منهم قد قالوا هذا القول (ص ٩ : ٣٤)، ولم يجبهم المسيح وأما هنا فكرروا

القول بعد أن تشاوروا معاً واتفقت كلمتهم على ذلك ليمنعوا الشعب من الاعتقاد فيه أنه ابن داود . والمرجح أن المشار اليهم قد أرسلوا من أورشليم بطريق رسمى من قبل الرؤساء العظام هنالك لكي يفحصوا فى شأن المسيح ويحكموا حكماً حاسماً أهو من الله أم لا (مر ٣ : ٢٢) كما سبق وفعلوا هكذا مع يوحنا المعمدان (يو ١ : ١٩)

«فعلم يسوع أفكارهم وقال لهم كل مملكة منقسمة على ذاتها تخرب . وكل مدينة أو بيت منقسم على ذاته لا يثبت . فان كان الشيطان يخرج الشيطان فقد انقسم على ذاته . فكيف تثبت مملكته » (عدد ٢٥ و ٢٦) .

هذا هو الجزء الأول من جواب الرب للذين نسبوا قوته للشيطان . فلا شك أن للشيطان مملكة عظيمة وسلطة مخوفة على البشر . فان كان المسيح يستمد القوة منه كما اتهموه . فكأن الشيطان يخرب مملكته . وهذا من المستحيل . بل ونفس الإنسان العاقل لا يخرب بيته الخاص فنرى أن الرب بغاية السهولة أفسد عليهم خطتهم ، وأبطل حكمتهم ، وبنفس كلامهم أبكمهم . لأنه كيف نعقل أن يتحول الشيطان إلى عدو لنفسه ويخرب مملكته إن لم نحسبه أجهل من البشر ؟

« وإن كنت أنا ببعلزبول أخرج الشياطين فأبناؤكم بمن يخرجون ؟ لذلك هم يكونون قضاتكم ولكن إن كنت أنا بروح الله أخرج الشياطين فقد أقبل عليكم ملكوت الله » (عد ٢٧ و ٢٨) .

هذا هو الجزء الثانى من جوابه . كان من الأمور المسلم بها والمعروفة عندهم أن أبناءهم أى تلاميذهم كانوا يخرجون الأرواح الشريرة . فإذاً بمن أخذوا قوتهم ؟ فإنهم عملوا نفس العمل الذى عمله المسيح فان كانوا قد عملوا ذلك بقوة الله فيكون المسيح عمله أيضا بقوة الله فإذاً تلاميذهم يحاوبونهم

يجب أن نلاحظ أنه يخاطب الرؤساء والمعلمين ولم يقل لهم أنهم هم يخرجون الشياطين بل تلاميذهم فنستنتج أن الله لم يعط قوة كهذه لأحد من أولئك الرؤساء والمعلمين لأنهم كانوا مرائين متكبرين ولكن يحتمل أن بعض تلاميذهم كانوا أتقياء

فمنحهم الله فى بعض الأوقات قوة لإخراج الأرواح الشريرة(١) غير أن المسيح أظهر قوة أكثر ما أظهروا بما لا يقاس حتى بهت الجموع مرة بعد أخرى قائلين «لم يظهر قط مثل هذا فى اسرائيل» (ص ٩ : ٣٣) . فكانت أعماله هذه برهاناً قاطعاً على حضور ملكوت الله بينهم . ولنلاحظ أنه يقول هنا «ملكوت الله» لا «ملكوت السموات» ، لانه يقصد به القوة الإلهية الكافية لقهر ابليس وكل مقاوم .

« أم كيف يستطيع أحد أن يدخل بيت القوى وينهب أمتعته ان لم يربط القوى أولا . وحينئذ ينهب بيته ؟ من ليس معى فهو علىّ ومن لا يجمع معى فهو يفرق » (عدد ٢٩ و ٣٠)

كان المسيح قد أظهر قوته الشخصية على ابليس وقت التجربة « ولما أكمل ابليس كل تجربة فارقه إلى حين » (لو ٤ : ١٣) . على أن المسيح لم ينتصر عليه فى التجربة فقط بل كان أيضاً قد لبس قوة من الله لكى يخرج الأرواح الشريرة وينقض أعمال إبليس (أع ١٠ : ٣٨ ، ١يو ٣ : ٨) . وهكذا كان ينهب أمتعة بيت ابليس . فانه كان عنوة يأخذ منه المأسورين تحت يده أسرا تاماً . وبعد انقاذه اياهم يصيرهم عبيداً لنفسه . ويصدق هذا المبدأ علينا جميعاً من حيث أننا قد أنقذنا من سلطان الظلمة ونقلنا الى ملكوت المسيح (كو ١ : ١٣)

« من ليس معى فهو علىّ . ومن لا يجمع معى فهو يفرق » (ع ٣٠) لنلتفت الى معنى هذا الكلام . فانه يوضح توضيحاً كاملا أن الرب كان مرفوضاً رفضاً تاماً حتى لم يمكن لأحد أن يكون على الحياد أو ليس مع المسيح ولا مع أعدائه . لانه

(١) لكن بعد رفض الرؤساء والمعلمين للمسيح وصلبهم اياه تحول كل الأتقياء الى المسيح واختصت بهم مواهبه (أع ٢ : ٥ و ٣٧ — ٤١ ، مع مر ١٦ : ١٧ و ١٨) أما اليهود فلم يبق بينهم أتقياء ولا أصحاب مواهب بل مجرد سحرة ومشعوذين (أع ١٣ : ٤ — ١٢ ، ١٩ : ١٣ — ١٧)

كان قد بين من هو ببراهين قاطعة لا يمكن دحضها . فاذاً كل من لم يقتنع بها ويخضع له يحسب ضده :

ولنلاحظ أيضاً من قول المسيح «من ليس معى الخ» انه هو المركز الوحيد فكل شيء يقاس على شخصه ، وكل شخص يقاس على نوع العلاقة معه . ولا يزال ذلك هو القانون الصحيح الى الآن

- «لذلك أقول لكم كل خطية وتجديف يغفر للناس. وأما التجديف على الروح القدس فلن يغفر للناس . ومن قال كلمة على ابن الانسان يغفر له وأما من قال على الروح القدس فلن يغفر له لا فى هذا العالم ولا فى الآتى» (ع ٣١و٣٢)

التجديف على الروح القدس هو أنهم نسبوا للشيطان أعمال المسيح التى كان يعملها بروح الله. انظر قول مرقس «لانهم قالوا ان معه روحاً نجساً» (مر ٣ : ٣٠) ويمكن غفران كل نوع من أنواع الخطايا والتجاديف . فانه يمكن للناس أن يتوبوا عنها . وأما التجديف على الروح القدس فلا يمكن غفرانه ، لان باب التوبة يغلق على الذين يرتكبونه . قد جدف كثيرون بجهالة على المسيح شخصياً . ثم تابوا وحصلوا على الغفران . انظر ما عمل بولس فى الأول (اع ٨: ١؛ ٩: ١و٢؛ ٢٢: ٤و٥؛ ٢٦: ١١؛ ١تى ١: ١١-١٦) ولكنه لم يكن قد ارتكب التجديف على الروح القدس. لانه لم يشاهد أعمال المسيح التى برهنت على حضور روح الله وعمله . انظر ما قال «ولكننى رحمت لانى فعلت بجهل فى عدم ايمان» وأما رؤساء اليهود فلم يفعلوا بجهل فى هذا الأمر لان النور الإلهى أضاء فى وسطهم حتى لم يبق لهم عذر فى خطيئتهم إن رفضوه. ولكنهم قالوا عن النور انه ظلمة وعن الروح القدس انه روح نجس . وكانوا دائماً على هذا النحو يقاومون الروح القدس (أع ٧: ٥١-٥٣) فلذلك بقوا فى خطيتهم وماتوا فيها (انظر يو ٨: ٢٤؛ ٩: ٤١؛ ١٥: ٢٢) فاذن لا يمكن التجديف على الروح القدس الا فى ظروف خاصة كما فى أيام يسوع المسيح لما كان الروح يجرى أعمالا عجيبة لم تدع مجالا للشك فى أن القوة العاملة هى فوق قوة البشر

حتى اضطر المقاومون أن يعترفوا بذلك، ولكنهم نسبوها للشيطان رغم أنها كانت عاملة لخير الإنسان وهذا هو التجديف على الروح القدس الذى لا يمكن أن يغفر للناس « لا فى هذا العالم ولا فى الآتى » يعنى لا فى الدهر الحاضر أى دهر اليهود قبل إقامة ملك المسيح ، ولا فى دهر الملك[1]. انظر قول بولس « فإنه لملائكة لم يخضع العالم العتيد الذى نتكلم عنه » (عب٢:٥) . كان اليهود يحسبون الوقت قبل المسيح « دهر الناموس » ، ومايليه « دهر المسيح » أو « العالم العتيد » . فلا مدخل لهذا القول فى حالة البشر بعد الموت ، ولا يعنى مطلقاً أن غفران بعض الخطايا يمكن للناس بعد مفارقتهم أجسادهم .

قد ورد ذكر خطية أخرى لم يمكن التوبة عنها وهى الارتداد عن الاعتراف المسيحى اختيارياً بعد معرفة الحق (اقرأ عب ٦ : ٤ - ٨ ، ١٠ : ٢٦ - ٢١) . فالرسول هنا يتكلم عن أناس يهود قد اعتمدوا باسم المسيح ودخلوا فى وسط المسيحيين ، ثم بعد ذلك ارتدوا ورجعوا إلى معتقدهم اليهودى القديم رافضين ذبيحة المسيح ، فلم يمكن تجديدهم أيضاً للتوبة ، وصارت دينونتهم أكيدة .

« اجعلوا الشجرة جيدة وثمرها جيداً . أو اجعلوا الشجرة ردية وثمرها ردياً . لأن من الثمر تعرف الشجرة . يا أولاد الأفاعى كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار . فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم . الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات . والإنسان الشرير من الكنز الشرير يخرج الشرور . ولكن أقول لكم أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين . لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » (ع٣٣ - ٣٧) .

(١) هذه صيغة خاصة بالملكوت الذى يكتب عنه متى لليهود . أما الصيغة الخاصة بالأبدية فيختص بها مرقس الذى يكتب للأمم وهى « فليس له مغفرة إلى الأبد . بل هو مستوجب دينونة أبدية » (مر٣ : ٢٨) . والمعنى فى الصيغتين أن المغفرة أبدية والدينونة أبدية .

قد سبق الرب واستعمل تشبيهات كهذه لما كان يتكلم عن وجوب العمل بأقواله خلافاً لمجرد الإقرار الشفوى بها (ص ٧ : ١٥ - ٢٠) . وأما هنا فيقصد بها أن يحذر السامعين من سوء استعمال اللسان ، أو بالحرى ينبههم إلى الحقيقة المهمة أن كلام الإنسان يكون بحسب حالة قلبه « فوق كل تحفظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة » (ام ٤ : ٢٣) أى أن ما يصدر من القلب يصدر من حياتك نفسها ، ويظهر ما هى .

فلنلتفت إذاً إلى حالة إسرائيل كما أظهرها رؤساؤهم بالنيابة عنهم . فإنهم كانوا بيت الشيطان أو مملكته . ولما حضر يهوه ، عمانوئيل فى وسطهم بالقوة الإلهية وربط القوى لينهب بيته ويخرب مملكته جدفوا عليه ناسبين قوته ، لا لله ، بل للشيطان نفسه وعملوا ذلك تظاهراً أنهم بالغيرة لله . وأما السبب الحقيقى فقد وجد فى حالة قلوبهم إذ كانوا أشجاراً ردية . وإن كانوا قد تفوهوا بتجاديف على الذى حضر بينهم فكان ذلك لأنهم كانوا أردياء وأضداداً لله ولنعمته أيضاً .

« يا أولاد الأفاعى ، كيف تقدرون أن تتكلموا بالصالحات وأنتم أشرار؟» لقد لقبهم الرب بما سبق ولقبهم به يوحنا المعمدان (ص ٣ : ٧) : وفى حقيقة الأمر لم يقدروا أن يتكلموا بالصالحات لأنهم أشرار . فإنما نطقت أفواههم بما فى قلوبهم من سموم فإنه من فضلة القلب يتكلم الفم .

« الإنسان الصالح من الكنز الصالح فى القلب يخرج الصالحات والإنسان الشرير يخرج الشرور » قول الرب « الإنسان الصالح » ليس معناه أنه يوجد إنسان صالح بحسب الطبيعة . فإننا نتعلم من مواضع أخرى أن « ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » وأيضاً « ليس من يعمل صلاحاً ليس ولا واحد » (مز ١٤ : ١ قابل لو ١٨ : ١٩ ، رو ٧ : ١٨) . ومن ثم ينبغى للجميع أن يولدوا من فوق لكى يحصلوا على المسيح كالكنز الصالح فى قلوبهم ويصيروا أشجاراً جيدة . والحقيقة المذكورة هنا هى هى فى كل زمان ومكان : إن كل إنسان إنما يتكلم بما عنده

أو بحسب ماهو عليه . مثلا المرائي ينطق بكلام الرياء ، والمجدف بالتجديف الى خلاف ذلك من الصفات التي يتصف بها البشر

« ولكن أقول لكم ان كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » نرى في رؤ (٢٠ : ١٢) ومواضع أخرى ان الاموات سيدانون كل واحد بحسب أعماله . ولكن ذلك لايناقض قول الرب هنا « بكلامك تدان » لأن مصدر الاعمال كما والأقوال هو القلب (ص ١٥ : ١٩) لأن من فضلة القلب يتكلم الفم ومن ثم فالله في إجراء الدينونة يكشف آراء القلوب ويحكم على أعمال وأقوال البشر بحسب مصادرها الخفية

ثم إنه في قوله « لأنك بكلامك تتبرر » لا يقصد التبرير امام الله ، لأن هذا انما يصير بالإيمان بالمسيح (رو ٥ : ١) ، بل يقصد التبرير أمام الناس بالاعمال حسبما وردلنا في (يع ٢ : ١٤-٢٦) فانه من الأمور المؤكدة كل التأكيد أن ابرهيم آمن بالله وحسب له براً قبل أن يقدم اسحق ابنه بزمن طويل ولكن تقديمه لاسحق أظهر ايمانه وبرهنه أمام الناس، وكذلك راحاب أيضاً فانها بعد أن آمنت بالله أظهرت ايمانها وبرهنته بأنها أخفت الجاسوسين وصرفتهما في طريق آخر (يشوع ٢). فلا يفوتنا أن موضوع يعقوب هو اظهار ايماننا لنظر الناس وبرهنته لهم بالاعمال التي لابد أن ترافق الايمان الحقيقي كقوله « أرني ايمانك بدون أعمالك، وأنا أريك بأعمالي ايماني » فان الايمان الذي بالقول فقط لا ينفع حيث انه ميت أي ليس ايماناً بالمرة « فترى ان الايمان عمل مع أعماله . وبالأعمال أكمل الايمان » أي أن الايمان أنتج أعمالا لائقة به أظهرته وأكدت وجوده. وهذا قانون مطلق ودائم يجب أن نقيس أنفسنا عليه . لأن الايمان الحي القلبي لابد أن يتضح بثمر كثير أو قليل (ص ١٣ : ٨) . وهذا ما قصده الرب بقوله « لأنك بكلامك تتبرر » ويطابق أيضاً ماقاله مراراً « لأن من الثمر تعرف الشجرة » .

انتهاء معاملات الله مع اسرائيل بآية يونان النبي

(عدد ٣٨—٤٢ ، لو ١١ : ٢٩—٣٢)

« حينئذ أجاب قوم من الكتبة والفريسيين قائلين يامعلم نريد أن نرى منك آية. فأجاب وقال لهم جيل شرير وفاسق يطلب آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي. لانه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الأرض ثلثة أيام وثلاث ليال » (ع ٣٨—٤٠)

ما أغلظ قلب الانسان! وما أبعده عن الخضوع لله! كان الرب قد عمل بينهم أعمالا عجيبة لم يفعل أحد نظيرها قط . ولما اضطروا أن يقروا بحضور قوة فوق قوة البشر نسبوها للشيطان . ومع ذلك قام قوم آخرون منهم (لو ١١:١٦) يطلبون منه آية . وهؤلاء لم يطلبوا الآية عن اخلاص لكى يقتنعوا بل ليجربوه فقط (مر ٨:١١) وقصدوا بالآية عملا عجيباً كما حدث على يد موسى وصموئيل وايليا من أحداث الرعد والظلام فى السماء ، وانزال البرد والمطر والنار من السماء (خر ٩: ١٣ الخ ، ١صم ١٢:١٨ ، ١مل ١٨:٤١ الخ ، ٢مل ١) ، الى خلاف ذلك مما يتعلق بحواس الانسان الطبيعية[1] ويؤثر فيه مؤقتاً اذ ينظر المنظر الغريب ويتعجب ولكنه يستمر فى عدم ايمانه بكلام الله . فان العجائب التى من هذا القبيل انما تشهد لقوة الله وأما أعمال المسيح فكانت تشهد ليس لقوة الله فقط بل لجودته ونعمته أيضاً . وقد أجراها على منوال أظهر وبرهن حقيقة من قد حضر بينهم وصفاته الإلهية لكى يأتى بهم الى التوبة والايمان . ومن ثم اصبحوا بلا عذر فى غلاظة قلوبهم واستحقوا أن يلقبهم جيلا شريراً فاسقاً .

---

(١) وبالنسبة للمسيح فقد اعطت السماء ايضاً آياتها الحسية شهادة له (ص ٢:٢ ، ٣ : ١٦ و ١٧ ، يو ١٢ : ٢٨) ولم يستفيدوا هم من ذلك . وإذ علم الشيطان شدة تعلقهم بآية من السماء سيجعل النبى الكذاب فى وقته ينزل لهم ناراً من السماء (رؤ ١٣ : ١٣) .

« لا تعطى له آية إلا آية يونان النبي » يشير بهذا الى قيامته من بين الأموات وهى أعجب العجائب ، ولكنها لا تنفع تلك الأمة المتمردة الغير مؤمنة ، فانها تكون قد رفضت مسيحها الحقيقى وصارت أواخرها أشر من أوائلها — « فقال له ان كانوا لا يسمعون من موسى والانبياء ولا إن قام واحد من الأموات يصدقون» (لو ١٦ : ٣١) وفعلا لما قام واحد من الأموات أى يسوع المسيح فهؤلاء الرؤساء أنفسهم « أعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين ، قولوا أن تلاميذه أتوا ليلاً وسرقوه ونحن نيام . وإذا سمع ذلك الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين » (ص ٢٨: ١٢ و ١٣) « لانه كما كان يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام وثلاث ليال هكذا يكون ابن الإنسان فى قلب الارض ثلاثة أيام وثلاث ليال » معلوم أن سيدنا لم يمكث فى القبر ثلاثة أيام كاملة بل فقط جزءاً من يوم الجمعة ، وكل يوم السبت ، وجزءاً من يوم الاحد ، فلذلك قد رأى البعض صعوبة فى قول الرب هذا . فأقول

أولا — ان من عنده ايمان حقيقى بكلمة الله لا يعثر بهذا القول ولا بغيره من أقوال الوحى ولو رأى ما لا يقدر أن يفهمه حالاً ، لانه من الامور المؤكدة عنده أن الله أحكم منا ، وصادق فى أقواله « بل ليكن الله صادقاً وكل انسان كاذباً » (رو ٣ : ٤) . فنفس الكتاب الذى أقتنعنا بأنه أتانا بوحى كامل من الله قد حكم علينا بأننا جميعاً كذابون بحسب الطبيعة ، وبأننا من أمس ولا نعرف شيئاً (أى ٨ : ٩) . ومن ثم فأول خطوة نخطوها فى الايمان هى أن نكذب أنفسنا ونحسب الله صادقاً فى جميع أقواله . ومن لا يفعل هكذا ، فليس بمؤمن .

ثانياً — الذى يتناول كلمة الله بعقله يجد صعوبات فى كل صفحة من صفحاتها . فلا نقدر أن نجاوب على اعتراضاته لانها كثيرة كالرمل الذى على شاطىء البحر . ومصدرها قلبه الفاسد المبتعد عن الله . وإن كان لا يصدق شهادات الله البسيطة الصريحة من جهة محبته ونعمته ، وفساد الانسان واحتياجه الشديد الى دم المسيح فلن يصدقنا ولو جاوبنا على كل اعتراض وأوضحنا له كل عبارة تظهر فيها صعوبة .

ثالثاً ــ قول الرب « ثلاثة أيام وثلاث ليال » هو من الكلام المصطلح عليه وموجود فى كل اللغات البشرية . ان اليوم عبارة عن ٢٤ ساعة أى نهار وليل . فاذاً قوله « ثلاثة أيام وثلاث ليال » هو كالقول « ثلاثة أيام » (ص ٢٧ : ٦٣) ومن المعلوم أننا اذا حسبنا الوقت بأيام فاننا نقول مثلا ثلاثة أيام ونحن لا نقصد بالتدقيق ثلاثة أيام كاملة ، بل قد تكون ناقصة ، ومع ذلك يكون كلامنا مفهوماً جيداً وليس فيه خداع لأحد إذ مفهوم أن اليوم الكامل يحسب يوماً والجزء من اليوم يحسب أيضاً يوماً [١] .

وكان أولئك الرؤساء بلا شك يعرفون اصطلاحات لغتهم ، ولم نسمع عن واحد منهم أنه اعترض على كلام الرب هذا بعد قيامته ناسباً له خطأ فيما قال عن مدة مكوثه فى قلب الارض .

« رجال نينوى [٢] سيقومون فى الدين مع هذا الجيل ويدينونه لانهم تابوا بمناداة يونان . وهوذا أعظم من يونان ههنا . ملكة التيمن [٣] ستقوم فى الدين مع هذا الجيل وتدينه . لانها أتت من أقاصى الارض لتسمع حكمة سليمان . وهوذا أعظم [٤] من سليمان ههنا » (ع ٤١و٤٢) .

انى لا أفهم من هذا انهم تابوا التوبة التى للحياة (اع ١١ : ١٨) وآمنوا بالله الايمان القلبى حتى حسب لهم براً كابرهيم . وانما الذى أفهمه انهم صدقوا مناداة

---

(١) راجع تك ٤٢ : ١٧ مع ١٨ ، ١ صم ٣٠ : ١٢ مع ١٣ ، ٢ أى ١٠ : ٥ مع ١٢ ، اس ٤ : ١٦ مع ٥ : ١ ، ص ١٦ : ٢١ مع مر ٨ : ٣١ ، ص ٢٧ : ٦٣ مع ٦٤

(٢) هى عاصمة الاشوريين الذين سبق وسبوا العشرة الاسباط (٢ مل ١٥ ــ ١٧) . وكانت على نهر دجلة بالقرب من موقع الموصل الآن .

(٣) هى ملكة سبا (١ مل ١٠) .

(٤) اعلن المسيح مجده الالهى فى هذا الاصحاح بأنه اعظم من الهيكل (عدد ٦) واعظم من يونان النبى (عدد ٤١) واعظم من سليمان الملك (عدد ٤٢) .

يونان من جهة خراب مدينتهم إذ قال « بعــد أربعين يوماً تنقلب نينوى » (يونان ٣:٤) . ورافق الله هذه الشهادة بقوة خلافاً لما كان ينتظره يونان، وعمل فى ضمائرهم عملاً إلهياً لنجاتهم كمدينة من هذه الديتونة الأرضية «فآمن أهل نينوى بالله. ونادوا بصوم. ولبسوا مسوحاً من كبيرهم الى صغيرهم. و بلغ الأمر ملك نينوى. فقام عن كرسيه. وخلع رداءه عنه. وتغطى بمسح وجلس على الرماد. ونودى وقيل فى نينوى عن أمر الملك وعظمائه قائلا : لا تذق الناس ولا البهائم ولا البقر ولا الغنم شيئاً . لا ترع . ولا تشرب ماء . وليتغط بمسوح الناس والبهائم. ويصرخوا إلى الله بشدة . و يرجعوا كل واحد عن طريقه الرديئة، وعن الظلم الذى فى أيديهم، لعل الله يعود و يندم و يرجع عن حمو غضبه فلا نهلك. فلما رأى الله أعمالهم انهم رجعوا عن طريقهم الرديئة ندم الله على الشر الذى تكلم ان يصنعه بهم فلم يصنعه » (يونان ٣: ٥ ــ ١٠) فآمنوا بالله من جهة ما قيل لهم عن خراب مدينتهم . وتأثروا جداً ، وخافوا ونادوا بصوم ، الى خلاف ذلك من العلامات الدالة على تو بتهم . وكانت تو بتهم حقيقية ونافعة لغرضها . غير أننا لا نقدر أن نحسبها التوبة التى للحياة . أنظر ما عمل آخاب فى (١ مل ٢١:٢٧ ـ ٢٩) وقولهم « فلا نهلك » معناه فلا نباد مع انقلاب المدينة . ثم رجع الله عما كان قد هددهم به ، ولم يخرب مدينتهم فى ذلك الوقت . فكانت معاملة الله معهم هى من حيث سياسته لهذا العالم لا من حيث خلاص النفوس .

« رجال نينوى سيقومون فى الدين مع هذا الجيــل و يدينونه » ان لفظة « سيقومون » لا تشير الى إقامتهم من الموت بل الى أنهم يقفون شهادة على أهل ذلك الجيل كقوله « ثم قام (وقف) قوم وشهدوا عليــه الخ » (مر ١٤:٥٧) . لا شك أن أهــل نينوى كسائر البشر سيقومون من الموت ولكن ليس ذلك هو المقصود بهذه اللفظة هنا . أما عن قوله «ويدينونه» فلا يخفى أن كلامه هذا معنوى

كقوله « لذلك هم يكونون قضاتكم » (عـــدد ٢٧ . انظر أيضاً تث ٣١: ٢١)
وكقوله أيضاً عن الأرض نفسها انها « تصرخ » شهادة على ظلم الناس (أى ٣١:
٣٨) . فلا يجوز مطلقاً أن نستنتج مما قيل عن رجال نينوى أنهم خلصوا خلاصاً
أبدياً ، وأصبحوا من جملة الأبرار ، أو أنهم أبرار وسيقومون من الموت فى وقت
واحد مع اليهود الغير التائبين ويشهدون عليهم . (أنظر رؤ ٢٠: ١٢ و٣) حيث
تجد الكلام عن دينونة الهالكين مفصلاً . فلا ترى فيه بعضهم يشهد على بعض ،
ولا الأبرار يشهدون عليهم بل ترى الجالس على العرش العظيم الأبيض متصفاً
بصفات مرهبة . وهو نفسه القاضى والشاهد أو بالحرى يجعل ضمير كل واحد يشهد
عليه . ولا دخل للقديسين فى هـذه الدينونة لا كشهود ولا كقضاة ولا كمحكوم
عليهم . لا شك أننا سنشغل مركز قضاة وندين ملائكة (١ كو ٦: ٣) كما سندين
العالم الأثيم وقت ظهور المسيح للملكوت (٢ تس١: ٥ـ١٠). وأما إقامة الأموات
الهالكين ومحاكمتهم فمن حق الرب يسوع المسيح وحده .

« وهوذا أعظم من يونان ههنا » تأثر أهل نينوى بكلام يونان . وتواضعوا
أمام الله مقرين بأنهم مستحقون دينونته وبهذه الواسطة خلصوا منها هذه المرة .
وأما اسرائيل فلم يتوبوا مع أن واحداً أعظم جداً من يونان هو الذى دعاهم الى
التوبة (ص ٤: ١٧) مصرحاً انه فى الطريق معهم الى القضاء ، وان لم يتصالحوا معه
يسلمهم للقصاص (ص ٥ : ٢٥) . فاذن يُحسب أهل نينوى كشهود على قساوة
قلوب الذين سمعوا المسيح ولم يتوبوا .

« ملكة التيمن .. أتت .. لتسمع حكمة سليمان » كانت حكمة سليمان
مرغوبة فى أيامه . ولما أتت ملكة التيمن لتمتحنه بمسائل ، « لم يبقَ
فيها روح بعد » . ثم أقرّت أن حقيقة الامر زادت عن الخبر الذى كان
قد بلغها فى وطنها . وشرعت تطوّب حتى العبيد الواقفين أمام الملك السامعين
حكمته (١ مل ١٠: ١ ـ ١٠) . وأما اليهود فلما قام فى وسطهم إله سليمان ، والذى

أعطاه كل تلك الحكمة لم يؤثر فيهم ذلك فكانت حكمته محتقرة عندهم ومرفوضة، فانهم جدفوا على أعماله ولم يقبلوا حكمته. فاذن ملكة التيمن تكون شاهدة عليهم. فماذا يُصنع لهذا الجيل القاسى القلب والعديم الفهم، الذى لم يرض أن تفعل مناداة الرب نفسه فى ضمائرهم لتأتى بهم الى التوبة ولم يسمح لقوة حكمته تعالى ان تنبه عقولهم، فاستمروا تحت سلطة إبليس وسطوته؟

رجوع روح الوثنية النجس للتسلط على اسرائيل

(عدد ٤٣—٤٥، لو ١١: ٢٤—٢٦)

« إذا خرج الروح النجس من الانسان يجتاز فى أماكن ليس فيها ماء يطلب راحة ولا يجد. ثم يقول أرجع الى بيتى الذى خرجت منه. فيأتى ويجده فارغاً مكنوساً مزيناً. ثم يذهب ويأخذ معه سبعة أرواح أُخر أشر منه فتدخل وتسكن هناك. فتصير أواخر ذلك الانسان أشر من أوائله. هكذا يكون أيضاً لهذا الجيل الشرير» (ع ٤٣ ـ ٤٥).

أقول: أولاً ـ انه يتضح من هذه العبارة أن الارواح النجسة تمتلك أجساد الناس بعض الاوقات امتلاكاً حقيقياً. والرب يستعمل ذلك تشبيهاً لحالة اسرائيل.

ثانياً ـ ان تخصيص تشبيه خروج الروح النجس من الانسان على اسرائيل يقابل تنقية اسرائيل من عبادة الأصنام بعد سبيهم الى بابل. لأنهم من وقت خلاصهم من أرض مصر كانوا دائماً يميلون الى عبادة الأصنام حتى حكم الله عليهم أخيراً بالسبي فى بلاد بابل مهبط الوثنية. ثم بعد ذلك لا نسمع عنهم أنهم سقطوا فى عبادة الأصنام. فان ذلك الروح النجس قد اخرج منهم بواسطة تلك التأديبات المرة. وكانوا مفتخرين فى زمان المسيح بأنهم ليسوا عبدة أصنام كالأمم الذين اعتبروهم خطاة لهذا السبب.

« ثم يقول، أرجع الى بيتى الذى خرجت منه » أى ان الروح النجس (أي

الوثنية) فى النهاية سيجد فى اسرائيل المرتد الذى أخرب نفسه بازدراء الـكلمـة أوفق مقر للراحة وأحسن مكان للسكن .

« فيأتى و يجده فارغاً مكنوساً مزيناً » فارغاً من صاحبه ، ومكنوساً من أثقل الناموس كالرحمة والحق والايمان ، ومزيناً بصورة التقوى إذ كانوا قد أكثروا من الاصوام والطقوس والفرائض ومارسوها بالتدقيق معتدين ببر أنفسهم . لما حضر الله فى الجسد ، وجاء الى بيته لم يقبله أهله (يو ١:١١) . فبقى فارغاً بل ومكنوساً ومزيناً أيضاً أى مستعداً لقبول صاحب آخر غير الرب .

« ثم يذهب و يأخذ معه سبعة أرواح أُخر أشر منه » هـذا هو روح النبى الكذاب الذى سيأتيهم باسم نفسه بعد اختطاف الـكنيسة وسيقبلونه (يو ٥:٤٣ ، ٢ تس ٢:٨-١٢ ، رؤ ١٣:١١-١٨ ، ١٣:١٦) .

« فتدخل وتسكن هناك الخ » يصدق هذا عليهم كبيت الله كما وعلى هيكلهم مركز عبادتهم الدينية (رؤ ١١:٢) وبهجة افتخارهم القومية . فرجوع الروح النجس ومعه السبعة الارواح الأخر الأشر منه ودخولهم بيت اسرائيل وسكناهم هناك عبارة عن سقوط اليهود ثانية كأمة فى عبادة الاصنام . وهذا ما سيصير فى زمان الوحش والنبى الكذاب . لأنه من الحقائق المؤكدة أنهم مزمعون أن يرجعوا الى أشر نوع من أنواع عبادة الاصنام فى المستقبل . وسيصل بهم الأمر أخيراً الى ان يسجدوا للوحش ، ويجلبوا على أنفسهم أشد ضربات الله (رؤ ١٤:٩ - ١١) . ويكون عليهم زمان ضيق لم يكن مثله قبله ولن يكون بعـده (ص ٢٤:١٥ - ٢١) . فتصير أواخرهم كأمة أشر من أوائلهم . غير ان الله سيحفظ لنفسه بقية منهم على اننا لا نقدر أن نتوسع هنا أكثر فى هذا الموضوع .

أما الدرس الأدبى الذى يجب أن نستفيده نحن من هذا فهو انه ينبغى لكل منا أن ينظر الى نفسه فى تركه للعوائد المحرّمة حتى يفعل ذلك بقوة يستمدها من الله لا بقوته الذاتية تحت مؤثرات خارجية كما فعل اسرائيل فى تركه لعبادة الأوثان .

لأننا إذا كنا نترك خطية قبيحة كالسكر أو الزنا مثلاً بدون أن تعمل فينا نعمة الله يكون من المحتمل اننا نسقط فيها ثانية وفى غيرها بكيفية أشر (٢ بط ٢: ١٨-٢٢) كاليهود الذين تخلصوا من عبادة الأصنام ولكنهم سقطوا فى الرياء والافتخار بأنفسهم ، فتمكن فيهم سلطان الشيطان أكثر من قبل فقست قلوبهم واعتمدوا كل الاعتماد على بر أنفسهم . فيجب ان تكون غلبتنا على الخطية بقوة نستمدها من الله حتى تمتلىء قلوبنا من محبة الله الذى أعطانا الغلبة فلا نشبه بيتاً فارغاً مكنوساً مزيناً.

قطع العلاقة الطبيعية مع إسرائيل

(عدد ٤٦—٥٠ ، مر ٣: ٣١—٣٥ ، لو ٨: ١٩—٢١)

« وفيما هو يكلم الجموع اذا أمه واخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه . فقال له واحد هوذا أمك وإخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك . فأجاب وقال للقائل له . من هى أمى ، ومن هم إخوتى ؟ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمى وإخوتى . لأن من يصنع مشيئة أبى الذى فى السموات هو أخى وأختى وأمى » (ع ٤٦ - ٥٠) .

لقد انقطعت علاقة الرب مع اسرائيل بحسب الجسد . ولما حضرت أمه واخوته طالبين ان يكلموه إذ حالت كثرة الجموع دون إمكانية وصولهم اليه (لو ٨: ١١ ، مر ٣: ٢٠) انتهز الفرصة ليصرح بأنه لم يعد يصادق إلا على المنتسبين اليه بنسبة جديدة بكلمة الله ، لا على المنتسبين اليه بنسبة جسدية ليس المعنى انه رفض أمه واخوته بل انما أشار الى هذه الحقيقة العظيمة وهى ان من يصنع مشيئة أبيه الذى فى السموات هو منتسب اليه النسبة الجديدة أى الروحية الحقيقية . لا شك ان هذه النسبة انما تصير بواسطة الولادة الثانية بكلمة الله، على ان الامر الأهم هنا هو ان نلاحظ هذا التغيير الذى صار فى معاملة الله لإسرائيل بعد تجديف رؤسائهم على الروح القدس ورفضهم للمسيح .

الاصحاح الثالث عشر

أمثال ملكوت السموات

(عدد ١—٥٢ ، مر ٤ :١—٣٤ ، لو ٨ :٤—١٨ ، ١٣ :١٨—٢٠)

« فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس عند البحر . فاجتمع اليه جموع كثيرة حتى انه دخل السفينة وجلس . والجمع كله وقف على الشاطىء . فكلمهم كثيراً بأمثال قائلاً » (عدد ١—٣) .

قد وصلنا الى هذا الاصحاح الذى يتضمن سبعة أمثال ينبغى أن نبحث فيها على قدر استطاعتنا . لأن فهمها ضرورى جداً لكي ندرك قصد الوحى الخاص بتاريخ حياة ربنا يسوع المسيح ، الذى دونه البشير متى ، ولكى ندرك أيضاً طرق الله ومعاملاته مع اسرائيل بل ومع العالم كله . فلهذا الاصحاح مركز عظيم في هذا الانجيل . ويجب ألا يفوتنا ان ما جاء فيه مترتب على ما جاء فى اصحاح ١٢ من رفض اسرائيل للمسيح على يد رؤسائهم المتكبرين المعتدين ببر أنفسهم . إذ كانوا قد رفضوا وارث المواعيد الحقيقى ، وجدفوا على الروح القدس ، وكان الرب قد حكم عليهم كأمة مصرحاً بأن أواخرهم تكون أشر من أوائلهم .

« فى ذلك اليوم خرج يسوع من البيت ، وجلس عند البحر » كان خروجه من البيت للتعبير عن تركه لبيت اسرائيل وخروجه خارج العلاقات الطبيعية التى كانت تربطهم به (ص ٢٣ :٣٨) . وكان جلوسه عند البحر للتعبير عن تحوله الى البشرية كلها ، الى كل الشعوب والأمم (أش ٥٧ :٣٠ ، رو ١٧ : ١٥) . فقد كان اسرائيل فى مركز شعب خاص للرب . كانوا كرمة الله وتينته (يوء ١ :٧) . وكان الرب قد تعب فيهم منتظراً ثمراً يليق بمقامهم وامتيازاتهم ونسبتهم الفريدة الى إلههم ولكنهم لم يشاءوا ان يستفيدوا من هذا التعب (اش ٥ :١—٧) . ومن ثم فهو

هنا ليس بعد كمن يطلب ثمراً من الكرمة أو التينة الاسرائيلية القديمة ، بل كمن يزرع ولا ينتظر ثمراً إلا مما يزرعه . فلم يعد يصادق على نسبة اسرائيل لله كشعب له ، وأخـذ يعلن مصادقته فقط على الذين ينتسبون لله عن طريق كلمته . وقد أشار الى ذلك كما رأينا في (ص ١٢: ٤٩ و٥٠).

« فاجتمع اليه جموع كثيرة حتى انه دخل السفينة وجلس والجمع كله وقف على الشاطىء ، فكلمهم كثيراً بأمثال » ان المثل صورة خاصة من الكلام يتخذ فيها المتكلم ألفاظاً وتشبيهات بحيث لا نقدر ان ندرك المثل ما لم نفهم أولا قصد المتكلم . ومتى فهمناه نستفيد منه أكثر مما لو استعمل العبارات الاعتيادية . لأن المثل يجعل المعنى عاماً . وعندما نفهم القصد منه ندرك متعلقاته وتفاصيله التي تفيدنا فوائد شتى عدا معناه الخاص . على أن المثـل لا يفيد إلا من قد أدرك قصد المتكلم وكما كان عامود السحاب والنار نوراً لناحية شعب الرب وظلمة لناحية أعدائه (خر ١٤: ٢٠) كذلك المثل هو كنور للذى يفهم وكظلمة للآخرين .

مثل الزارع (عدد ٣—٩ ، مر ٤: ٣—٩ ، لو ٨: ٤—٨)

« قائلاً ، هوذا الزارع قد خرج ليزرع . وفيما هـــو يزرع سقط بعض على الطريق . فجاءت الطيــور وأكلته . وسقط آخر على الاماكن المحجرة حيث لم تكن له تربة كثيرة . فنبت حالاً إذ لم يكن له عمق أرض . ولكن لمـا أشرقت الشمس احترق . وإذ لم يكن له أصل جف . وسقط آخر على الشوك . فطلع الشوك وخنقه . وسقط آخر على الارض الجيدة . فأعطى ثمراً . بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين . مَن له أذنان للسمع فليسمع » (ع ٣—٩) .

قد عرفنا ان الزارع هو الرب نفسه غير أن كل ما يقال هنا عن الزارع يصدق على كل من يزرع . لأن الزرع عبارة عن « كلمة الله » (لو ٨: ١١) فبكل من نادى أو علم بكلمة الله فهو زارع . ونرى الرب هنا آخذاً مقام زارع قد خرج قاصـداً أن

يزرع . ومن جودته يبذر زرعه الجيد على جميع الاماكن بغض النظر عن حسنها أو رداءتها . ومن ثم فخدمته هذه لا تخص اليهود وحدهم بل تخص كل البشر العديمي الثمر لله بحسب الطبيعة ، وتنطبق على كل من يسمع الكلمة . فعدم وجود ثمر لله فى الطبيعة هو ما حدا بالرب لأن يزرع زرعه الجديد وكل من يسمع الكلمة يظهر ما عنده بحسب استعداده أو عدم استعداده لقبولها حق القبول . و بموجب هذا المثل كل من يسمع كلمة الله مسئول بأن يأتى بثمر . لأن القصد الاعظم من المثل هو إيضاح مسئولية الانسان لا عمل نعمة الله الخفى الذى لا بد منه لكل انسان لكى يستطيع أن يقبل كلمة الله و يخلص . نرى فى مواضع أخرى من الكتاب فاعلية كلمة الله فى قلوب السامعين الذين قد عمل فيهم الروح القدس ليهيئهم لذلك . ولكن ليس هذا هو الموضوع هنا ، بل الموضوع هو الزرع وما نتج من كل من السامعين على حسب حالته الشخصية بغض النظر عن السبب فى هذه الحالة . لقد زرع الزارع ، وكل حبة أظهرت نتيجة ما ، بحسب حالة قلب من زرعت فيه فالكلام هنا هو عن السامعين ، كل واحد بمفرده بحسب مسئوليته الشخصية لله . فان غاية الله من توجيه كلامه لأى انسان هى أن يجعله تحت المسئولية له . فلنلاحظ جيداً هذه الحقيقة العظمى . لا شك انها كانت من الحقائق الالهية من الاول . ولكنها قد اظهرت بنوع خاص بعد رفض المسيح واتخاذه صفة زارع متجهاً نحو البشر أجمع . فانه لما كان الله يعامل اليهود كأمة خاصة به على الارض كان يُجرى معهم أعمالاً كثيرة باعتبار كونهم نسل ابراهيم وطبقاً لمبادىء سياسته التى وضعها لهم كأمة . وكان بعض الاوقات يعاقب الشعب لأجل خطايا رؤسائهم (٢مل ٢٣: ٢٦) والأبناء لأجل خطايا آبائهم (خر ٢٠: ٥) . وأما بعد رفضهم وتشتتهم صار من أول مبادىء الايمان المسيحى فى الوقت الحاضر ان كل واحد يحمل حمل نفسه (غل ٦: ٥) ، ويقدم لله حساباً عن نفسه لا عن غيره (رو ١٤: ١٢) . ومسئولية الفرد هذه مؤسسة على سماعه كلمة الله .

«وفيما هو يزرع سقط بعض . . الخ» لا أريد ان أشرح هنا كلام الرب عن السامعين المختلفين وما ظهر من كلٍ منهم . فاننا سنرى تفسير الرب نفسه لذلك فيما بعد . فقط أستدعى إلتفات القارىء الى شيئين :

أولهما ــ وجود أعداء كثيرين لكلمة الله وموانع كثيرة تحول دون استفادة السامعين منها . فكل انسان مبتعد عن الله بحسب الطبيعة، ولا يريد أن يقترب اليه تعالى . وليس ذلك فقط بل عندما يفتقده الله من رحمته ليجتذبه اليه بكلمته توجد موانع شتى تصده عن الخضوع لها . فالزرع ولو كان جيداً لا يأتى كله بثمر بل جزء واحد منه فقط . ويأتى بثمر بدرجات متفاوتة . وما دام الأمر كذلك لا يجوز أن ننتظر صيرورة العالم مسيحياً بواسطة المناداة بالانجيل .

ثانياً ــ مسئولية الانسان أن يسمع « من له أذنان للسمع فليسمع » (عدد ٩). وهذا من الأمور الأولية . فانه إن كان الله يتنازل من لطفه ان يكلم الانسان فبالضرورة يكون من واجب الانسان أن يسمع له « أميلوا آذانكم . وهلموا إلىّ . اسمعوا فتحيا أنفسكم » (اشعياء ٥٥ : ٣) .

سبب الأمثال (عدد ١٠ــ١٧ ، مر ٤ : ١٠ــ١٣ ، لو ٨ : ٩و١٠و١٨) .

« فتقدم التلاميذ وقالوا له لماذا تكلمهم بأمثال . فأجاب وقال لهم لانه قد أعطى لكم ان تعرفوا أسرار ملكوت السموات . وأما لأولئك فلم يُعط . فان من له سيعطى ويزاد . وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه . من أجل هذا أكلمهم بأمثال . لانهم مبصرين لا يبصرون وسامعين لا يسمعون ولا يفهمون . فقد تمت فيهم نبوة اشعياء القائلة تسمعون سمعاً ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون . لان قلب هذا الشعب قد غلظ . وآذانهم قد ثقل سماعها . وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم ويسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم ويرجعوا فأشفيهم » (ع ١٠ ــ ١٥) .

إن الذين تقدموا للسؤال هم الاثنا عشر ومن حوله من تلاميذه. وكان السؤال على حدة (مر ٤ : ١٠).

« لماذا تكلمهم بأمثال ؟ » لاحظ التلاميذ أن الرب غيّر أسلوب كلامه مع الجموع، وتعجبوا من ذلك، لانه كان معتاداً قبل ذلك أن يخاطب الجموع بكلام واضح قاطع حتى انهم بهتوا من الكلام (ص ٧: ٢٨ و ٢٩).

« فأجاب وقال لهم،لانه قد أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات » قبل رفض المسيح لم نسمع عن أسرار ملكوت السموات أو أن له هيئة سرية. فان يوحنا المعمدان نادى، وكذلك الرب فى أول خدمته، باقتراب الملكوت كما تنبأ عنه دانيال وغيره من الانبياء، وكما توقعه الاتقياء من حيث إقامته ظاهراً علنياً، وأما من الآن فصاعداً فيستعمل كلاماً عن الملكوت تعجب منه التلاميذ، ولم تقدر الجموع أن تدرك منه شيئاً.

لقد ظن البعض ان الوحى يتكلم عن ملكوتين،ملكوت ظاهر منظور وآخر سرى غير منظور لا عن ملكوت واحد فى هيئتين متعاقبتين مختلفتين. لكن إن كنا نلاحظ، كما يجب،حقيقة رفض المسيح من رؤساء اسرائيل وانقياد الشعب على وجه الإجمال وراء رؤسائه لرأينا ان الملكوت واحد هو نفسه الذى أُنبيء عن إقامته ظاهراً لإسرائيل،ولكن ظهوره تأجل بالنسبة لهم وتحول الى غيرهم على هيئة أخرى سرية أو مختفية أثناء رفضهم للملك وغيابه فى السماء وجلوسه فى عرش الآب. وهو هو بعينه نفس الملكوت الذى بعد اختطاف الكنيسة لتكون مع المسيح فى السماء سيكون موجوداً أثناء إجراء القضاء لتنقيته حسب قول الرب هنا فى عدد ٤١ « يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم »، والذى سيعود اليهم فى شكله الظاهر المنظور المعلن عنه لهم (أع ١ : ٦ و ٧) عند رجوعهم الى الرب يسوع كلكهم (هو٣ : ٥). فاذاً الملكوت واحد لا اثنان.

« أعطى لكم أن تعرفوا أسرار ملكوت السموات. وأما لأولئك فلم يعط »

أى أن أحوال الملكوت السرية ليست من الامور التى يسهل على الذين خارج إدرا كها فان ذلك قد أعطى لتلاميذ المسيح وحدهم. ولا يزال الأمر هكذا الى الآن، بل والمسيحيون بالاسم الذين ابتعدوا عن كلمة الله لا يستطيعون أن يدركوا هذه الحقيقة كما لا يخفى على كل من له بصر روحى.

«فان من له سيعطى ويزاد» هذا قانون عام فان الذى يقبل ما يسمعه من كلمة الله ويخصصه لنفسه يزداد معرفة ويفهم أكثر. كان التلاميذ قد عملوا هكذا. أنظر قول المسيح عنهم «أنا أظهرت اسمك للناس الذين أعطيتنى من العالم. كانوا لك وأعطيتهم لى وقد حفظوا كلامك والآن علموا أن كل ما أعطيتنى هو من عندك. لأن الكلام الذى أعطيتنى قد أعطيتهم. وهم قبلوا وعلموا يقيناً انى خرجت من عندك. وآمنوا أنك أنت أرسلتنى» (يو ١٧: ٦ - ٨). فلم يشأ الله أن يعطى اعلاناته بطريق يمكن للناس أن يفهموها بغض النظر عن حالتهم الروحية. صحيح انه يوجد بعض حقائق عامة كحالة الانسان كخاطىء مذنب الى الله، ووجوب التوبة والايمان، والدينونة العادلة الابدية، وما يتعلق بخلاص النفس كل هذه يمكن فهمها من الجميع. ونشكر الله انه شاء أن يسهلها ويجعلها قريبة الفهم لكل واحد. ولكن، اذا أردنا أن نتقدم فى معرفة كلمته فينبغى أن نكون تلاميذ للمسيح بالمعنى الصحيح منكرين الذات وحاملين الصليب.

«وأما من ليس له فالذى عنده سيؤخذ منه» هذه حقيقة أخرى عظيمة الأهمية. وهي انه يمكن للناس أن يسمعوا كلام الله، ويتظاهروا بالخضوع له وهم فى حقيقة الأمر ليسوا خاضعين له. فعندهم مقدار من النور الإلهى يجعل مسئوليتهم أعظم من مسئولية الوثنيين مثلاً. فكيف تكون معاملة الله معهم؟ أيبقى هذا النور عندهم أم يأخذه؟ قد سبق الرب وقال للسامعين «فان كان النور الذي فيك ظلاماً فالظلام كم يكون؟» (ص ٦: ٢٣) وهنا يقول لهم «وأما من ليس له، فالذى عنده سيؤخذ منه». كان الرؤساء والشعب على وجه الاجمال قد أصبحوا على هذه

الحالة نفسها . فأخذ الله يعاملهم كما يوافق سوء تصرفهم من نحو كلمته . فان كانوا يصممون على عدم ايمانهم مفضلين الظلمة على النور يتركهم للظلمة التى أحبوها ، لا بل والنور الموجود عندهم يتحول إلى ظلمة ويعثرهم أكثر (أنظر أر ١٣ : ١٦ ، يو١٢: ٣٥). ومن المعلوم انهم استعملوا الكتب المقدسة أسوأ استعمال فانهم حاولوا أن يبرهنوا منها أن يسوع الناصرى مضل ، وليس هو ولا تعليمه بحسب النبوات (يو ٧: ٤١و٥٢) . فلا يفوتنا الفرق بين الجهالة البحتة والمقاومة المتعمدة للنور اذا أظهر. فانه يمكن للجاهل أن ينتبه اذا بلغه الحق ، ويستفيد منه . وأما من كان عنده جانب من الحق ولا يريد أن يقبل أكثر ، بل ويستعمل ماعنده ليدحض به مايعرضه الله عليه فليس لمثل هذا رجاء . لأن قلبه قد غلظ . ولذلك هو يقاوم الحق . وكم من المسيحيين فى أيامنا هم على هذه الحالة عينها ! فلا عجب اذا كنا نراهم يتقدمون اكثر فأكثر فى آرائهم الكاذبة ، ويتقسون في مقاومتهم للحقائق التى يعرضها الله عليهم . وماأشد قصاصهم حتى فى الوقت الحاضر! فانهم لا يستطيعون أن يتلذذوا بما عندهم من كلمة الله ، بل ويهيئون أنفسهم لدينونة مضاعفة فى وقت الدينونة .

« من أجل هذا أكلمهم بأمثال . لأنهم مبصرين لا يبصرون ، وسامعين لا يسمعون ، ولا يفهمون » فإذاً الرب قد غير أسلوب كلامه قصاصاً للذين قد طال عليهم الزمان وهم يسمعون كلامه الصريح ولم يريدوا أن يتوبوا . ولا يمكن لأناس منتسبين لله كشعبه أن يكونوا فى حالة أشر من ذلك .

« فقد تمت فيهم نبوة اشعياء القائلة : تسمعون سمعاً ولا تفهمون . ومبصرين تبصرون ولا تنظرون» أنظر (اش ٦: ٩) . فكانوا على هذه الحالة من زمن طويل . غير أنهم ازدادوا قساوة لماأضاء لهم النور السماوى فى المسيح ببهجة قوته . لقد كانت عندهم أقوال الأنبياء وافتخروا بها افتخاراً جسدياً . ولكنهم تمموها أولاً برفضهم مسيحهم ثم بقتلهم اياه . فإذاً من الأمور الممكنة أن يهلك انسان والكتاب المقدس بين يديه وهو مفتخر به أو بالحرى مفتخر بنفسه لكونه ممتلكاً اياه حاسباً انه أفضل

من الآخرين . وهنا أسأل القارىء العزيز . هل هذه حالته ؟ وأحثه حثاً حبياً أن لا يعتمد على صورة التقوى الفارغة ، التى يمكن له أن يلبسها و يعيش بدون قوتها.

« لأن قلب هذا الشعب قد غلظ . وآذانهم قد ثقل سماعها وغمضوا عيونهم لئلا يبصروا بعيونهم و يسمعوا بآذانهم ويفهموا بقلوبهم و يرجعوا فأشفيهم » قد أعطى الله البشر عيوناً للنظر وآذاناً للسمع وقلوباً للفهم والادراك . ثم قد وضع أمامهم مناظر لـكى ينظروها . وأسمعهم كلاماً ليدخل مسامعهم و يفعل فى قلوبهم وضمائرهم . ولـكن واأسفاه على شعبه اسرائيل ! لأنهم لم يريدوا إلههم ولا عطاياه الجيدة التى أجزلها لهم . فتقسوا بنفس الوسـائط التى كان من شأنها أن تنبههم وترجعهم اليه لـكى يشفيهم . فقد قال الله لعبده اشعياء النبي « أذهب وقل لهذا الشعب ، اسمعوا سمعاً ولاتفهموا وابصروا ابصاراً ولاتعرفوا. غلظ قلب هذا الشعب وثقل أذنيه ، لئلا يبصر بعينيه ، و يسمع بأذنيه ، ويفهم بقلبه ، و يرجع فيشفى »

نفهم من هذه الأقوال انه قد جرى عملان فقد كان اسرائيل شعباً نجس الشفتين وفى حالة القساوة . وكلما كلمهم الله تقسوا أكثر وغلظوا قلوبهم الخ . ثم ، وهذه حالتهم ، أرسل الله اليهم النبى ليكلمهم و يكون كلامه واسطة لتقسيتهم أكثر على سبيل العقاب . ولما سأل النبى « الى متى ، أيها السيد ؟ » أى الى متي يدوم هذا العمل العقابى ؟ أجاب الرب « الى أن تصير المدن خربة بلا ساكن ، والبيوت بلا انسان . وتخرب الأرض وتقفر ، و يبعد الرب الانسان ، و يكثر الخراب فى وسط الارض وان بقى فيها عشر بعد فيعود و يصير للخراب . ولكن كالبطمة والبلوطة التى وان قطعت فلها سـاق ، يكون ساقه زرعاً مقدساً » (اش ٦ : ١١ ـ ١٣) أى ان الله يستمر يعامل اسرائيل على هذا المنوال الى أن تخرب أرضهم و يتشتتون الى كل الجهات خارج بلادهم . ثم اذا رجعت بقية صغيرة كعشر الى الأرض — كما كان الأمر معهم فى زمان المسيح ، وكما سيكون أيضاً فى مستقبل الايام ، وقت الضربات — فتعود هذه البقية للخراب أيضـاً . ولكنهم لا يبيدون كل الإبادة

(زك ١٤: ٢ ، عا ٩: ٨-١٠ ، ار ٣١: ٣٥-٣٧) فمع ان الله يغربلهم وينقيهم إلا انه سيبقى منهم زرعاً مقدساً لنفسه. والزرع المقدس هو البقية الاسرائيلية المذكورة مراراً عديدة فى النبوات (اش ١: ٩ ، ١٠: ٢٢). إذاً فقد كان اقتباس الرب لنبوة اشعياء فى غاية المناسبة لان اسرائيل كانوا قد رفضوه. وما بقى لهم كأمة الا الخراب والدينونة .

« ولكن طوبى لعيونكم لأنها تبصر ، ولآذانكم لانها تسمع. فانى الحق أقول لكم ، ان أنبياء وأبراراً كثيرين اشتهوا أن يروا ما أنتم ترون ولم يروا ، وان يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (ع١٦و١٧). كان الآب قد أخفى أموره عن الحكماء والفهماء وأعلنها للأطفال (ص١١: ٢٥) اذ كانت نعمة الله قد عملت فيهم وصيرتهم كالأطفال فى نظر أنفسهم. فصاروا يستطيعون أن يميزوا حكمة الله التى أظهرت لهم فنظروا وسمعوا ما كان الانبياء والابرار القدماء يشتهون أن ينظروه وأن يسمعوه ألا وهو المسيح وأمجاده. كما قيل « فى الايمان مات هؤلاء أجمعون وهم لم ينالوا المواعيد بل من بعيد نظروها وصدقوها وحيوها وأقروا بأنهم غرباء ونزلاء على الارض » (عب ١١: ١٣ . قابل ١بط ١: ١٠و١١)

تفسير مثل الزارع

(عدد ١٨ - ٢٣ ، مر ٤ : ١٤ - ٢٠ ، لو ٨ : ١٤ و١٥)

« فاسمعوا أنتم مثل الزارع . كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع فى قلبه. هذا هو المزروع على الطريق » (ع١٨و١٩)

لنلاحظ ان هذا المثل ليس تشبيهاً لملكوت السموات كالأمثال الستة الأخر التالية له فى هذا الاصحاح . فانه انما يظهر نتائج المناداة بكلمة الله التى يقال لها « كلمة الملكوت » (عدد ١٩) باعتبار كونها كلمة الملك المرفوض . إذن ، فهذا المثل يصدق على جميع الذين ينادى لهم باسم المسيح وسلطانه .

« كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم .. هذا هو المزروع على الطريق » (ع ١٩) فالطريق عبارة عن حالة قلوب بعض السامعين من حيث استخفافهم وعدم استعدادهم لقبول الكلمة فلا يفهمون منها شيئاً، فقلوب أناس كهؤلاء محمولة بجهالتهم وعدم شعورهم بالحاجة الى الله ليس فيها موضع لكلمته .

« فيأتى الشرير ويخطف ما قد زرع » فى المثل ذاته يذكر الرب ان الطيور جاءت وأكلت ما قد زرع على الطريق ففسر المسيح الطيور بالشرير أى ابليس . فعدو المسيح هو الذى يحاول ان ينزع كلمة المسيح التى يزرعها .

« فى قلبه » فمع ان مثل هـــذا لا موضع للكلمة فى قلبه ومع ذلك يقال عن الكلمة هنا انها قد زرعت فى قلبه . لأن كلمة الله تناسب حاجة قلب الانسان إن كان يقبلها أو لا يقبلها . فالله يخاطب قلب الانسان وضميره بما يؤثر فى عواطفه واحساساته وكم هم الذين يسمعون كلام الله ولا يخصصون أقل شىء منه لأنفسهم ! لأن قلوبهم كطريق مسلوك غير محروث (أر ٤:٣) . فيذهبون كما أتوا عديمى الانتباه و بلا مبالاة . وسرعان ما يخطف الشيطان ما زرع على سطح القلب ولم ينغرس فيه.

ولنلاحظ ان القصد من المثل ليس هو ان يخبرنا أيمكن لسامع من هذا النوع فى وقت ما ان يتغير بنعمة الله و يصير سامعاً منتبهاً أم لا . فان ذلك يمكن بلا شك . و يحتمل اننا كنا مرة كالمزروع على جوانب الطرق . وأما كلام الرب هنا فلا يوضح لنا هذه الحقيقة ، وانما يذكر فقط بعض النتائج العامة الظاهرة من زرع كلمة الله .

« والمزروع على الأماكن المحجرة هو الذى يسمع الكلمة وحالاً يقبلها بفرح . ولكن ليس له أصل فى ذاته بل هو الى حين . فاذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالاً يعثر » (ع ٢٠ و ٢١) .

من أول العلامات التى تدل على عمل الروح القدس فى الانسان أنه يبتدىء يشعر بحالته كخاطىء مذنب أمام الله فان الروح القدس دائماً يعمل بحسب الحق . والحق من جهة حالتنا هو اننا جميعاً قد أخطأنا وأعوزنا مجد الله (رو ٣ : ٢٣) . ومن ثم

ينبغى أول كل شيء ان يقنعنا بخطايانا وشقاوتنا قبل ان يفرحنا بمعرفة غفرانها . فالذى يقبل البشارة بسرعة فى عدم شعور باحتياجه الشخصى الى رحمة الله لا يثبت فى وقت الضيق والاضطهاد . لأن ضميره لم ينخس بعد . فانتباه الضمير هو الاستعداد الوحيد لقبول الكلمة قبولاً حقيقياً (أع ١٦:٢٩-٣٤) . صحيح ان الفرح لا بد ان يجيء فى الوقت المناسب ، ولكن ينبغى أن نذوق أولاً مرارة الشعور بالخطية قبل ان نتمتع بفرح الخلاص من عواقبها المروعة وعبوديتها القاسية . و بالاختصار أقول ، ان التوبة أو الحزن القلبى على خطايانا ، والحكم على أنفسنا بسبب ارتكابنا إياها هما من أول أثمار الايمان الحقيقى وعمل الله فى النفس .

« والمزروع بين الشوك هو الذى يسمع الكلمة . وَهَمُّ هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة ، فيصير بلا ثمر » (ع ٢٢) .

لا يخفى ان السامعين الذين من هذا النوع كثيرون جداً . فليسوا هم من المستخفين ، كالمعبر عنهم بالمزروع على الطريق ، ولا المتقلبين بأفكارهم كالمزروع على الاماكن المحجرة . لأنهم من الناس المفكرين المتعادين ان يبحثوا فى كل مسألة من المسائل المتعلقة بمصالحهم . فلا نراهم يستخفون بكلمة الله بل ربما يخضعون لها بحسب الظاهر . ولكن واأسفاه ! فقلوبهم ممتلئة من همّ هذا العالم وغرور الغنى من قبل ان يسمعوا الكلمة ، فيخنقانها حتى لا تأتى بثمر .

« همّ هذا العالم » أى الاهتمام بما يتعلق بالجسد كالسؤال ماذا نأكل ، وماذا نشرب ، وماذا نلبس ؟

«وغرور الغنى» أى الغرور المختص بتحصيل المال . ويصدق هذا على الغنى المهتم بما عنده وعلى الفقير أيضاً المشتهى أن يزيد ماله . فان الغنى يشغل بال الغنى ويغر قلبه . وهكذا يفعل أيضاً بمن يشتهيه ولو كان فقيراً . أنظر ١ تى ٦:٩ و١٠ و١٧-١٩ . فالسامعون من هذا النوع متصفون بالطمع فى المال الذى لا يحملهم

على أن يرفضوا الكلمة رفضاً ظاهراً . على انهم ينخدعون بشهوتهم ويحاولون أن يخدموا الله والمال ، الأمر المستحيل (ص ٦: ٢٤ و٢٥) .

« وأما المزروع على الارض الجيدة فهو الذى يسمع الكلمة ويفهم ، وهو الذى يأتى بثمر فيصنع بعض مئة وآخر ستين وآخر ثلاثين » (ع ٢٣) .

لا يقول الرب هنا كيف صارت الارض جيدة أو فى حالة مناسبة لقبول الزرع لأن قصده هنا ان يوضح الأمر من ناحية مسئولية الانسان لا من ناحية عمل نعمة الله فى نفس الانسان . كما لا يذكر هنا أيضاً دينونة السامعين الفاشلين فى مسئوليتهم . على اننا نعلم ان الله سيدين كل واحد على حسب النور المعطى له .

« فهو الذى يسمع ويفهم » يقال فى الحالة الأولى ، حالة المزروع على الطريق . ان الكلمة لم تفهم أى لم ينغرس شيء منها فى ضمير السامع . وفى الحالتين الثانية والثالثة لا يذكر أفهمت الكلمة أم لا على ان الزرع قد نبت ويدا كأنه مزمع ان يأتى بثمر . ولكنه تلف لأسباب مذكورة . وأما فى الحالة الأخيرة ، حالة المزروع على الارض الجيدة فيقال ان الكلمة تفهم أي انها تنغرس فى ذهن السامعين وضميرهم فتأتى بالثمر الثمين لكن بدرجات تختلف فى تفاوتها بنسبة اختلاف حالة الاشخاص المثمرين .

لنراجع هذا المثل ونمعن النظر فيه أكثر لما يحتويه من شتى الفوائد . وأول ما يجب أن نتذكره دائماً فى هذا الصدد هو ان الاشياء التى هى قوة الموت الروحى فى غير المؤمن والتى تمنعه من قبول كلمة الله للحياة الأبدية ، لا تزال موجودة فى المؤمن نفسه بعد ايمانه . واذا عملت فيه فى وقت ما تضعفه روحياً وتمنعه عن الإثمار . فاذاً يجب ان نسهر ونصلى . لأن مجرد كوننا مؤمنين حقيقيين لا يكفل وحده إتياننا بالثمر المطلوب .

ولكل من الأقانيم الثلاثة عمل فينا . ويوجد أيضاً ثلاثة أنواع من المضادات تضاد عمل كل منهم . فإبليس هو خصم المسيح أو عدوه الشخصى . والطبيعة

الساقطة أو الجسد الفاسد يقاوم الروح القدس . والعالم ضد الآب . وسنرى هذه الحقائق الثلاث فى هذا المثل متى بحثنا فيه بالنظر لما يوافقه من مواضع أخرى فى الكتاب . قد رأينا الأحوال المعبّر عنها بالمزروع على الطريق الذي أكلته الطيور ، والمزروع على الاماكن المحجرة حيث الطبيعة الحجرية قد منعت نمو الزرع وقضت عليه ، والمزروع على الشوك حيث العالم قد خنق النبات وحرمه من الإثمار .

فالحالة الأولى مفهومة جيداً فانها حالة الموت الروحى التى يستغلها إبليس ويتسلط بها على النفس فلا يدع كلمة الحياة تعمل فيها فتظل فى موتها الروحى وهكذا ، إذ لا توجد حياة فى نفس السامع ، واذ أن قلبه غير منكسر فمتى زرعت فيه الكلمة حالاً يأخذها الشيطان و يستمر ممسكاً بفريسته فى حالة الموت . ان الكلمة هى الواسطة لنوال الحياة « شاء فولدنا بكلمة الحق لكى نكون باكورة من خلائقه » (يع ١:١٨) . لقد سبق إبليس وأدخل للموت بواسطة كلمة الكذب (تك ٣:١—٥) . وظهر حينئذ فى صفته كقاتل نفس (يو ٨:٤٤) . ولا يزال يتسلط على البشر بواسطة كلام الكذب ممسكاً إياهم فى حالة الموت . ولكن الله ، من الجهة الأخرى ، قد أرسل الينا « كلمة الحق » لكى نحيا بها. والمسيح نفسه هو الكلمة المتجسد والقادر أن ينقذ النفس من حالة الموت فيزرع الزرع الجيد كابن الانسان (عدد ٣٧) ، وبها يحيي الموتى كابن الله . انظر يو ٥:٢١—٢٦ « لأجل هذا أُظهر ابن الله لكى ينقض أعمال إبليس » (١ يو ٣:٨) . فانه مما يتميز به بسبب بنوته الإلهية الأزلية انه يقدر أن يُحيي الموتى لا جسدياً فقط بل وروحياً أيضاً ولا يمكن لغيره أن يفعل ذلك . فقد قال « أنا هو القيامة والحياة » (يو ١١ : ٢٥) . ولذلك بكلمته خرج لعازر من القبر (يو ١١:٤٣ و٤٤) . وكما ان له القدرة والسلطان لإقامة الأجساد له نفس القدرة لإحياء النفوس أيضاً . و بكلمته يجرى العملين . ولكن ابليس يضاد الكلمة بقدر ما يمكنه . وفى المزروع على الطريق يقال ان الطيور كناية عن ابليس.

أما الحالة الثانية فتبدو لأول وهلة انها أحسن من الاولى . ولكنها فى حقيقتها

مهلكة كالأولى تماماً . فان قبول الكلمة دون أن يكون لها أصل فى النفس لا ينفع شيئاً . صحيح ان الزرع نبت حالاً ولكنه أيضاً جف حالاً . والسبب انه لم يكن له عمل حقيقى «لأن كلمة الله حية وفعالة وأمضى من كل سيف ذى حدين وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل والمخاخ، ومميزة أفكار القلب ونياته. وليست خليقة غير ظاهرة قدامه ، بل كل شيء عريان ومكشوف لعينى ذلك الذى معه أمرنا» (عب ٤ : ١٢و١٣) . هـذه هى صفة كلمة الله إن كانت مصحوبة بقوة الله . فانها بفعلها فى ضمير الانسان تفحص له حالته وتكشفها له كما هى فى حقيقتها أمام الله حتى يستطيع ان يقول كالنبى « قد جعلت آثامنا أمامك وخفياتنا فى ضوء وجهك » (مز ٩٠ : ٨) ، وكالمرأة السامرية « هلموا أنظروا انساناً قال لى كل ما فعلت » (يو ٤ : ٢٩) .

فالمعبر عنه بالمزروع على الاماكن المحجرة يقبل الكلمة بفرح، ولكن فرحه انما هو من احساساته الطبيعية التى لا يوجد فيها شيء صالح لله . وكثيراً ما رأينا أناساً يسرون جداً بسماعهم بعض حقائق كلمة الله ، ويظهرون محبة شديدة للذى بلغهم إياها . ولكنهم سرعان ما تركوها عندما حدث ضيق أو اضطهاد بسببها . وفى حقيقة الأمر ، الطبيعة كالحجر ولا تقدر أن تقبل ما لروح الله . ومما يهمنا ملاحظته هنا ان هذه الطبيعة الحجرية لا تزال موجودة فينا وان كنا مؤمنين حقيقيين. لا شك انها تتغلب غلبة تامة على جانب كبير ممن يسمعون الكلمة وتمنعهم عن قبول الحياة . ولكنها إذ لا تزال فينا بعد حصولنا على الحياة تجعلنا بسببها فى جهاد داخلى « لأن الجسد يشتهى ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر » (غل٥: ١٧) ومن ثم ينبغى ان نميت أعمال الجسد أو نقهر هذه الطبيعة الصلبة. ولكن قوتنا الوحيدة لذلك هى الروح القـدس « ولكن إن كنتم بالروح تميتون أعمال الجسد فستحيون » (رو ٨: ١٣) لذلك فالمسيحيون الذين يهملون وسائط النعمة يحزنون الروح القدس بسلوك لايطابق كلمة الله فينحطون روحياً، ولا يظهر فيهم ثمر الروح،

ولا يمكنهم أن يتلذذوا بمعاشرة الروحيين لسوء حالة ضمائرهم التي توبخهم على الدوام. ونقدر أن نقول إن كل من آمن بالمسيح ايماناً قلبياً واعترف به اعترافاً علنياً له الدرجة المبدئية من الثمر أى ثلاثون من حيث أن فيه حياة ابن الله، وقد أقرّ به قدام الناس. وهذا أقل ما يمكن أن يوجد من الأثمار ، لاننا لا نقدر أن نتصور مسيحياً حقيقياً ليس فيه ذلك. وأما النمو فى الحياة الروحية فيتوقف على نكران الذات وقهر الطبيعة الحجرية فينا. فمن فعل ذلك ينمو ويأتى بثمر أكثر أى بستين. ومن هذه الملاحظات قد اتضح ان قبول كلمة الله حالا بفرح ليس من العلامات الحسنة، واذا اعتمدنا عليه لا يلبث ان يخيب انتظارنا ، لأن الجسد لا ينفع شيئاً فى أمور الله .

والحالة الثالثة المعبر عنها بالمزروع على الشوك تفيدنا كمؤمنين اذا قابلناها مع شهادات أخرى فى شأن هذا الموضوع، فالقوة المانعة مذكورة وهى « همّ هذا العالم وغرور الغنى » قابل قول مرقس « وهموم هذا العالم وغرور الغنى وشهوات سائر الاشياء تدخل وتخنق الكلمة فتصير بلا ثمر » (مر ٤ : ١٩) فالمانع هنا ليس هو إبليس فى صفته كخصم المسيح، ولا الطبيعة البشرية القاسية، بل العالم أو هذا النظام الذى ظهر بعد ابتعاد الانسان عن الله ، والذى هو المشهد الفاسد لشهواته. والعالم ومحبته مذكوران فى الكتاب بالمباينة مع الآب ومحبته « لا تحبوا العالم ولا الأشياء التى فى العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب. لأن كل ما فى العالم شهوة الجسد وشهوة العيون وتعظم المعيشة ، ليس من الآب بل من العالم . والعالم يمضى وشهوته . وأما الذى يصنع مشيئة الله فيثبت الى الابد » (١ يو ٢: ١٥—١٧) . فتوجد مضادة تامة بين الآب والعالم. ولما حضر ابنه الوحيد أبغضه العالم، و بذلك أظهر أنه ليس من الآب (يو ٨: ٣٧ـ ٤٢) . وهكذا أيضاً حالة أولاد الله جميعاً. فانهم ليسوا من العالم كما أن المسيح ليس من العالم فلذلك يبغضهم العالم (يو ١٥: ١٨). ولا يخفى ان انجيل يوحنا يوضح على نوع خاص مقاومة العالم للمسيح بسبب نسبته لله كالابن الوحيد. ومن ثم ختم خدمته فى العالم بقوله « أيها الآب البار، إن العالم

لم يعرفك أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتنى . وعرفتهم اسمك وسأعرفهم ، ليكون فيهم الحب الذى أحببتنى به ، وأكون أنا فيهم » (يو ١٧ : ٢٥ و ٢٦) فليس العالم شريراً فى ذاته فقط ، بل ومضاد للآب أيضاً. لذلك « بذل» ربنا يسوع المسيح « نفسه لأجل خطايانا لينقذنا من العالم الحاضر الشرير حسب إرادة الله وأبينا » (غل ١ :٤) . ومن ثم ينبغى لنا أن نتحقق من نسبتنا لله كبنين لكى نغلب العالم غلبة روحية ونأتى بثمر كثير « بهذا يتمجد أبى ان تأتوا بثمر كثير فتكونون تلاميذى» (يو ١٥ :٨). ولكن المؤمن المتكاسل لا يعرف بنوته لله ولا مقامه الخاص أمام الله كمن ليس هو من العالم لذلك لا يزال العالم يتسلط عليه و يمنعه عن الإتيان بالثمر الكثير الذى يتمجد به الآب. قابل التجربة الاولى التى بها جرب ابليس الانسان وأسقطه (تك ٣ :٦) مع وصف العالم فى (١ يو ٢ : ١٦) ترى انه كما أبعد إبليس الانسان عن الله بما بدا أنه جيد للأكل وشهى للنظر، هكذا هو الآن يتسلط على الجميع بنفس هذه الاشياء التى يشتهونها و إن كنا من الذين انتبهوا الى شدة ميل قلوبهم الى الاشياء العالمية فاننا نكون قد تحققنا انها من أعظم الموانع لإظهار الثمر الجيد فينا ، لاننا مجبولون على حب الذات الذى له صور كثيرة . ولا نتخلص منه إلا بالسهر والصلاة . فاننا لا نقدر أن نميت أعمال الجسد إلا بالروح القدس (رو ٨ :١٣). ولا نقدر أن نتصرف كبنين لله إن لم نتحقق بنوتنا لله ومقامنا الحقيقى أمامه. و إن كنا مقصرين عن معرفة نسبنا المختلفة لكل من أقانيم الثالوث الأقدس يتعطل إثمارنا أيضاً . فان إبليس والجسد والعالم هم أعداؤنا ، ولا عون لنا ضدهم إلا من الآب والابن والروح القدس.

الزرع الجيد والزوان (عدد ٢٤ — ٣٠)

«قدم لهم مثلاً آخر قائلاً. يشبه ملكوت السموات انساناً زرع زرعاً جيداً فى حقله وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى» (ع ٢٤ و ٢٥)

لا يقال عن مثل الزارع انه تشبيه للملكوت. لانه انما يظهر ما نتج عن زرع

الكلمة فى قلوب الناس، والموانع الكبرى التى تمنع الكثيرين عن الاثمار. وأما الستة الأمثال التى تليه فهى تشبيهات للملكوت أثناء غياب الملك، توضح هيئاته السرية وصفاته المختلطة إلى أن يحضر ابن الانسان لينقيه باجراء القضاء . ولا يقال فى المثل الاول ان المسيح هو الزارع، مع أننا نعرف انه زرع ويزرع ولكن الكلام فى ذلك المثل مطلق ويصدق على الزرع بواسطة أى شخص فى أى وقت، من بدء العمل على يد المسيح الى مجيئه ثانية . وأما فى مثل الزوان هذا فيقال فى تفسيره ان الزارع الزرع الجيد فى حقله « هو ابن الانسان » (ع ٣٧) . فان النظرة هنا انما هى الى ما عمله المسيح وحده من هذا القبيل، من حيث انه قد حضر الى العالم وزرع زرعه الجيد ، ثم تركه الى حين .

«وفيما الناس نيام جاء عدوه» النوم عبارة عن ضعف الناس وغفلتهم. ولا يقول هنا أهم ملومون فى نومهم أم لا . لانه انما يذكر حقيقة ما جرى . لكن كان لابن الانسان عدو اغتنم فرصة نوم الناس ليعمل ضرراً لحقله .

« وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى » الزوان نبات شبيه بالحنطة فى شكله وعكسها فى ثمره. فهو كناية عن «رسل كذبة» و« معلمين كذبة» و«أخوة كذبة» و «تعاليم كاذبة» والغرض منه إيجاد صورة زائفة لعمل الله لمقاومته ومحاولة تعطيله .

« فلما طلع النبات وصنع ثمراً حينئذ ظهر الزوان أيضاً . فجاء عبيد رب البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعاً جيداً زرعت فى حقلك ؟ فمن أين له زوان ؟ فقال لهم . انسان عدو فعل هذا. فقال له العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه ؟» (عدد ٢٦ ــ ٢٨)

كان لابن الانسان أثناء غيابه عبيد ليعتنوا بزرعه. ولا يقال عنهم هنا انه كان من واجبهم أن يزرعوا، بل كان مطلوباً منهم فقط، بحسب صورة المثل، ان ينتظروا ثمراً مما كان سيدهم قد زرع ، فتعجبوا حين ظهر الزوان ، ولم يعرفوا من أين هو ؟ فطلبوا منه إذناً ليجمعوا منه الزوان . فالمشار اليهم هنا هم عبيد أمناء يريدون خير

حقل سيدهم. ولا توجد هنا إشارة الى ما كان حاصلاً فعلاً من وجود عبيد آخرين غير أمناء كانوا آلات في يد العدو لزرع الزوان.

« فقال لا. لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان كلاهما معاً الى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولاً الزوان واحزموه حزماً ليحرق. وأما الحنطة فاجمعوها الى مخزني.» (ع ٢٩و٣٠)

يجب أن نلاحظ جيداً ان هذه الأمثال نبوات تاريخية لأنها تعطينا مقدماً مختصر تاريخ الملكوت في العالم. ويُنظر في هذا المثل الى عمل المسيح الشخصي في البداءة، ثم الى عمل عدوه الذي قصد أن يفسد المحصول، وأخيراً الى اجراء القضاء عند المنتهى. وواضح من المثل كل الوضوح ان اصلاح الملكوت بيد العبيد غير ممكن مهما كانوا غيورين وطالبين مجد سيدهم، وهو خارج دائرة اختصاصهم. فقلع الزوان لا يمكن في الوقت الحاضر. صحيح ان الحقل لا يزال منسوباً للرب. وسوء حاله يُحسب نوعاً من الإهانة له كما لو يكون حقل أحد الكسالى أنظر أم ٢٤: ٣٠و٣١ على ان اجراء القضاء على الزوان في وقته سيمجده في تنقية حقله، وسيبرره في طول أناته.

قد ظن البعض ان هذا المثل يعلمنا ان اجراء التأديبات الكنسية ليس ممكناً، وانه يجب أن نتغاضى عن الزوان تاركين اياه للرب ليدينه. ولكن هذا الظن خطأ مبين. لان الحنطة والزوان متروكان لينميا في الحقل «والحقل هو العالم» (ع ٣٨) وليس الكنيسة. ولا توجد هنا أية اشارة الى الكنيسة، ولا إلى ما يجب علينا إتخاذه من الاجراءات لتنقيتها. لكن في الرسائل ورد لنا تعليم كثير عن هذا الموضوع المهم. لا شك أن نظم الطوائف المسيحية قد انحطت وصارت عالمية. ولا يمكن لقادتها أن يصلحوها حتى ولو غاروا لمجد الله وحاولوا أن يفعلوا ذلك. لان الزوان قد تمكن فيها تماماً وصارت له فيها المكانة الملحوظة والكلمة المسموعة. عدا ذلك أقول، ان التأديبات هي للحنطة لا للزوان. والقصد منها هو اصلاحها لا اقتلاعها. انظر

ما جرى فى كنيسة كورنثوس مثلاً (١ كو ٥) وشهادات اخرى عن هذا العمل أما من جهة الزوان فنحن تبعاً لقول الرب ليس لنا أن نقلعه من العالم. وهذا لا سلطان لنا عليه ، ولا نريده كما لا يريده لنا الرب . ولكن الاعتناء بطهارة مائدة الرب وشركة المؤمنين هو من واجباتنا الحتمية الدائمة والغير المتغيرة ، مهما كانت أحوال العالم . إذن ، فليس لهذا المثل دخل بموضوع التأديبات الكنسية مثل حبة الخردل (ع ٣١ — ٣٣).

«قدم لهم مثلاً آخر قائلا: يشبه ملكوت السموات حبة خردل أخذها انسان وزرعها فى حقله. وهى أصغر جميع البزور. ولكن متى نمت فهى أكبر البقول. وتصير شجرة حتى ان طيور السماء تأتى وتتآوى فى أغصانها »(ع ٣١و٣٢) . يجب أن نتذكر ان هذا المثل نبوة تاريخية . فهو يشير مقدماً الى نمو الديانة المسيحية فى العالم على وجه الاطلاق ، لا إلى نمو نعمة الله فى المؤمن بمفرده . فحبة الخردل عبارة عن بداءة الملكوت الصغيرة والمباينة هى بين صغر الحبة المذكورة عندما تزرع و بين كبرها عندما تنمو . ومن المعلوم أن هذا النبات يصير « شجرة » فى أرض فلسطين كما قيل هنا ، حتى انه يمكن لا للطيور أن تتآوى فيها فقط بل وللناس أيضاً أن يصعدوا عليها . ولا يقول الرب أهى جيدة ونافعة أم لا. فانه انما يقصد هنا التعبير عن نمو الملكوت فى العالم من أصغر بداءة الى أن صار نظاماً عظيماً .غير أننا نعرف من مواضع أخرى من الكتاب ان الشجرة الكبيرة تشبيه لنظام عالمى. أنظر دانيال ٤ ، حز ١٧، ٣١ وان كنا نعبر عن ملك أو مملكة عالية بشجرة عظيمة لا يكون كلامنا على سبيل الإهانة البتة لانه من الأمور المناسبة أن ممالك العالم تتسلط على الناس وتظللهم وتحميهم بحسب ما جاء فى الشواهد السالفة عن فرعون ونبوخذ نصر . ولكن كل انسان روحى يدرك حالاً ان تشبيهاً كهذا لا يدل على شيء روحى اذا أطلق على ما يتعلق بالمسيحية وقت غياب المسيح لانه لا يناسب أتباعه أن يكونوا من عظماء

الارض فانه قد وصفهم بأنهم قطيع صغير (لو ١٢ : ٣٢)، و بأنهم محتقرون من العالم الى أن يحضر المسيح ليملكهم معه .

وعدا ذلك نستنتج مما تقدم فى هذا الاصحاح نفسه ان ملكوته يكون على حالة الاختلاط والتشويش ، وان النوع الجيد فيه يكون أقل من الردىء إذ واضح انه من أربعة أجزاء الارض المزروعة لا يأتى بثمر سوى جزء واحد فقط ، وان العدو أيضاً يتمكن من زرع الزوان ليفسد المحصول . فاذن تشبيه الملكوت بشجرة كبيرة لا يعنى حالة الجودة فى نظر الانسان الروحى الفاهم لأقوال الرب. وأما المسيحى العالمى فيسر بذلك التشبيه، ويحاول أن يثبت به نظامه العالمى ، ويطنطن برجائه فى أن العالم أجمع سيخضع للمسيح ويكون له بواسطة المناداة بالانجيل .

مثل الخميرة (عدد ٣٣)

« قال لهم مثلاً آخر . يشبه ملكوت السموات خميرة أخذتها امرأة ، وخبأتها فى ثلاثة أكيال دقيق حتى اختمر الجميع » (ع ٣٣)

الخميرة وعملها عبارة عن الملكوت من حيث حالته الداخلية ، كما أن حبة الخردل تشير اليه من حيث حالته الخارجية كنظام عالمى ظاهر للجميع ، لا بل ويتسلط على الجميع .

من خواص الخميرة ان تفعل فى العجين وتغيره عن حالته الأصلية وتجعله شبيهاً بها أى مختمراً. لا يقول الرب هنا عن الخميرة وعملها أهما جيدان أم لا. غير أننا نعرف من مواضع أخرى فى الكتاب ان الخميرة لا تستعمل بالمرة للتعبير عن شىء جيد. فقديماً فى أيام فطير الفصح السبعة حرّم وجودها وأكلها . وهدد آكلها بقضاء الموت (خر ١٢ :١٥ و١٩). وقيل ايضاً «لا تذبح على خمير دم ذبيحتى» (خر ٣٤ :٢٥) و « كل التقدمات التى تقربونها للرب لا تصطنع خميراً .. كل خمير .. لا توقدوا .. وقوداً للرب» (لا ٢ :١١). وهى فى هذا كله إشارة الى الشر فى التعليم وفى الاعمال.

فقد قيل «حينئذ فهموا انه لم يقل أن يتحرزوا من خمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين» (ص ١٦: ٤-١٢ قابل مر ٨: ١٥) وايضاً «من خمير الفريسيين الذى هو الرياء» (لو ١٢: ١) «اذاً نقوا منكم الخميرة العتيقة لكى تكونوا عجيناً جديداً .. اذاً لنعيد ليس بخميرة عتيقة ولا بخميرة الشر والخبث بل بفطير الإخلاص والحق» (١ كو ٥: ٦-٨). «فمن صدكم حتى لا تطاوعوا للحق ؟ .. خميرة صغيرة تخمر العجين كله» (غلا ٥: ٦). فمن اعتاد أن يفكر فى الأمور بحسب أقوال الوحى لا يقدر أن يتصور أن الخميرة كناية عن شيء جيد ومرضٍ لله. وقرائن المثل نفسه تؤيد هذا فضلا عن الشهادات العديدة التى أشرنا اليها.

«أخذتها امرأة» انى لا أرى أهمية فى التعليق على المقصود بالمرأة، ولكن اذا أخذت معنوياً تدل على الوسائط البشرية الضعيفة التى يمكن للعدو أن يستخدمها لإدخال التعليم الفاسد المفسد المكنى عنه بالخميرة.

«خبأتها» أو كما يقول الرسول «يدسّون بدع هلاك» (٢ بط ٢: ١)

«فى ثلاثة أكيال دقيق» إن وضع الخميرة فى الدقيق معناه دسّ بدع الهلاك وإفساد التعليم المسيحى الصحيح الصافى عند الجانب الأكبر من المسيحيين بالاسم «لان سر الإثم الآن يعمل فقط» (٢ تس ٢: ٧) أى ان الإثم التعليمى والعملى يعمل الآن فى الخفاء داخل المسيحية الاسمية عمل الخميرة فى العجين لتخميره. وفسر الرسول هذه الحالة بالقول «لهم صورة التقوى ولكنهم منكرون قوتها» (٢تى ٣: ٥)

«حتى اختمر الجميع» هذا لا يكون الآن بل بعد اختطاف الكنيسة كما يقول الرسول «الى ان يرفع من الوسط الذى يحجز الآن وحينئذ سيستعلن الأثيم».

«هذا كله كلم به يسوع الجموع بأمثال. وبدون مثل لم يكن يكلمهم. لكى يتم ما قيل بالنبى القائل سأفتح بأمثال فمى وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم» (عدد ٣٤و٣٥)

قد سبق الوحى وذكر أن الرب كان يكلم الجموع بأمثال (ع ١٠-١٥) قصاصاً

لهم على غلاظة قلوبهم . وهنا يذكر أيضاً انه لم يكن يكلمهم إلا بأمثال ، ولكن طبقاً لما قاله آساف النبي « اصغ،يا شعبي،الى شريعتي،اميلوا آذانكم الى كلام فمي . افتح بمثل فمي . أذيع ألغازاً منذ القدم » (مز ٧٨ : ١و٢) ثم يتقدم في هذا المزمور الجيل ويعطينا مختصر معاملات الله مع بني اسرائيل منذ أن قدام من مصر ويكشف عما انطوت عليه من المعاني الروحية والمقاصد الالهية ويستخرج منها فوائد جزيلة لهم ولأولادهم في الأزمنة المتبددة . وكما كان آساف نبياً ومعلماً لاسرائيل في وقته هكذا المسيح أيضاً في وقته كان نبياً ومعلماً لهم فكان يكشف لهم مكنونات منذ تأسيس العالم على منوال الأمثال . وقد قلت سابقاً ان المثل نوع من الكلام يعبّر به المتكلم عن حقائق بسيطة في ذاتها بتشبيهات من شأنها أن تخفي المعنى عن البعض وتوضحه للبعض الآخر طبقاً لحالتهم الروحية . وبذلك أظهر الرب يسوع حكمة كاملة إذ اتضح انه لا يعرف الحق فقط بل وأحوال السامعين ايضاً،ويكلمهم حسبما يناسب كلاً منهم . ويشهد الاقتباس نفسه بهذه الحكمة التي كانت للمسيح .

« وأنطق بمكتومات منذ تأسيس العالم » المكتومات منذ تأسيس العالم عبارة عن مقاصد الله من جهة إقامة ملكوته على الارض . ولا يخفى انه شرع يتكلم عن الملكوت من وقت أن سقط آدم ، الانسان الاول ، وفقد رياسته التي كان الله كالخالق الحكيم قد أسندها اليه ، اذ قال ان نسل المرأة يسحق رأس الحية (تك ٣ : ١٥) . وأشار بذلك الى غلبة المسيح التامة على ابليس . ثم على توالي الايام أعطى إشارات وتلميحات أخرى الى إقامة ملكوت واسع الحدود ومطلق السلطان (مز ٢ و٧٢ ، اش ٢و١١) ، الى ان أقام عبده داود ملكاً على مملكة اسرائيل . ولكن داود لم يقدر أن يدبر ملكوتاً كهذا . فانه أظهر ضعفه قبل ان امتلك زمام السياسة على الأسباط جميعاً وأقرّ بذلك وأخذ يمد نظره بالايمان الى الوقت الموعود به حين يتسلط على الناس بارّ بخوف الله ويأتي ملكه المجيد براحة وبركة لهذا العالم المظلم المضطرب « كنور الصباح اذا أشرقت الشمس،كعشب من الارض في صباح

صحو مضيء غب المطر» (أنظر ٢صم٢٣: ١—٧ ومز ٧٢) وكان آساف النبي معاصراً لداود وأدرك بالوحي هذه الحقائق نفسها ونبّه اسرائيل الى خيانتهم وسقطاتهم المديدة في الماضي . وذكرهم بجودة إلههم وأمانته وصدقه وختم تعليمه الموجود في (مز ٧٨) بذكره مقاصد الله بحسب الاختيار إذ أنه قد اختار سبط يهوذا لأجل التسلط، واختار جبل صهيون الذي أحبه ليكون مركز كرسيه، واختار داود عبده ليمارس هذه السلطة ويرعى شعبه حسب كمال قلبه ويهديهم بمهارة يديه . وأما كل ما قيل عن داود بخصوص الملك فلا يتم إلا في المستقبل في ابنه العظيم المجيد يسوع المسيح «الذي صار من نسل داود من جهة الجسد وتعين ابن الله بقوة من جهة روح القداسة بالقيامة من الاموات» (رو ١: ٣و٤). فها هو قد وقف في وسط اسرائيل شعبه وكان راعياً اكثر عطفاً من داود ونبياً ومعلماً ينطق بأقوال أعظم وأحلى مما نطق به آساف بما لا يقاس .

ولنلاحظ أنه عندما يكون الكلام في شأن الملكوت يقال أنه يعلن ما كان مكتوماً منذ تأسيس العالم (قابل أيضاً ص ٢٥: ٣٤) وأما من جهة الكنيسة فيصرح الوحي انها كانت مختارة في المسيح قبل تأسيس العالم (أنظر أف ١: ٤و٣: ٩) وسرها كان مكتوماً في الأزل (رو ١٦: ٢٥) لان الملكوت يتعلق بطرق الله ومعاملاته للبشر في الزمان ولكن الكنيسة تتعلق بمجده الخاص في المسيح يسوع. فاختارها فيه منذ الأزل ودعاها بدعوة سماوية وجعلها متحدة مع رأسها وهو مرفوض من الارض وجالس في السماء ويظهر بواسطتها حكمته المتنوعة للرؤساء والسلاطين في السماويات الى جميع أجيال دهر الدهور (أف ٣: ١٠و٢١) فتصرف الله في الملكوت إنما لكي يتمجد اسمه في الارض أما معاملته للكنيسة فالغرض منها أن يتمجد بها الى أبد الآبدين أمام الرؤساء والسلاطين في السماويات. فلا حاجة لي أن أقول أن كلاً من الملكوت والكنيسة هو من الله وجميل جداً في مقامه ووقته .

تفسير مثل الزوان (عدد ٣٦—٤٣ ، مرقس ٤ : ٣٣ و٣٤)

« حينئذ صرف الجموع وجاء الى البيت . فتقدم اليه تلاميذه قائلين فسّر لنا مثل زوان الحقل » (عدد ٣٦ و٣٧)

كان الرب قد فسّر مثل الزارع في مسمع الجموع لأنه لا يحتوى شيئاً من أسرار الملكوت بل يطلق على عمل جارٍ ظاهر للجميع هو المناداة بكلمته وما ينتج منها . وأما الستة الأمثال الأخرى فتختص بأسرار الملكوت ومن أراد أن يفهمها فعليه ان يقترب الى الرب يسوع ، ويدخل معه الى البيت ، ويطلب منه التعليم . وأما من حاول ان يفهمها بعقله، وقلبه مبتعد عن الرب كما كان حال شعبه إسرائيل وقتئذٍ فانما يضل في ظلمات ذهنه الباطل ويبرهن على عدم نفع أفكار البشر في أمور الله .

« فأجاب وقال لهم . الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان . والحقل هو العالم والزرع الجيد هو بنو الملكوت . والزوان هو بنو الشرير . والعدو الذى زرعه هو إبليس . والحصاد هو انقضاء هذا العالم . والحصادون هم الملائكة فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون في انقضاء هذا العالم يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلي الإثم ويطرحونهم في أتون النار هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . حينئذ يضيء الأبرار كالشمس في ملكوت أبيهم . من له أذنان للسمع فليسمع » (عدد ٣٧—٤٣)

« الزارع الزرع الجيد هو ابن الانسان » يجب أن نلاحظ ألقاب المسيح المختلفة وكيف يستعملها الوحي . فلقبه كابن الانسان يختلف عن لقبه كابن داود ابن ابرهيم من حيث انه أوسع منه معنى . ويطلق عليه كنسل المرأة أو كمن تجسد وصار انساناً . ولكن لنظر مجده الشخصي اللازم له بالضرورة حتى بعد أن صار انساناً فله سلطان على كل جسد (يو ١٧ : ٢) ورئاسة على كل خليقة الله (كو ١ : ١٥—١٧) ولكنه ايضاً الملك وصاحب الحق وحده في الجلوس على كرسي داود . وكان يلقب نفسه « ابن الانسان » لمّا كان على الارض بسبب رفضه كابن داود من خاصته . كان ابن

الانسان ولا يزال هكذا وطبقاً لهذه الصفة يزرع الزرع الجيد (عدد ٣٧) ثم يجرى الدينونة. قابل قوله «وأعطاه سلطاناً أن يدين ايضاً لأنه ابن الانسان» (يو ٥:٢٧) مع قوله هنا «يرسل ابن الانسان ملائكته الخ». وعند ظهوره المجيد سيظهر مع سحاب السماء كابن الانسان (أنظر دا ٧:١٣و١٤) وشهادات أخرى على هذا الموضوع.

« والحقل هو العالم » اللفظة الأصلية المترجمة بالعالم هنا تعنى النظام العالمى أو البشر. وهو موضع الزرع كما أنه أيضاً الأشخاص الذين يزرع فيهم.

« والزرع الجيد هو بنو الملكوت » فلنلاحظ أن الزرع يطلق على الكلمة (ع ١٩) وهنا أيضاً يطلق على الذين يقبلونها حق القبول. كما تطلق لفظة الحنطة على الحبوب المزروعة فى الأرض وعلى النبات الذى يطلع منها. لأننا نقول عن كل منهما انه حنطة. فالذين قبلوا كلمة الملكوت صاروا هم بنى الملكوت .

« والزوان هو بنو الشرير » ولفظة زوان أيضاً تعنى أشخاصاً وتعاليم فاسدة قد فعلت فيهم وجعلتهم فى حالة خاصة. ينبغى أن نلاحظ جيداً أن المعبر عنهم بالزوان هم أناس قد تظاهروا بالخضوع للمسيح وهو مرتفع الى السموات ولكنهم فى الحقيقة أبناء إبليس الذى يبذل قصارى جهده لتزييف المسيحية . فانه لما لم يقدر أن ينزع ايمان المسيح من الارض بالاضطهادات العنيفة التى أثارها على جميع المعترفين بهذا الاسم كالذى عمله على يد شاول الطرسوسى. مثلاً شرع يعمل عملاً جديداً إذ حاول إفساد التعاليم الصافية بادخال أخوة كذبة بين المؤمنين (أنظر ٢ بط ٢ ورسالة يهوذا) وشهادات أخرى كثيرة جداً توضح جميعها عمل إبليس كزارع الزوان أو التعاليم الكاذبة الشبيهة بتعاليم المسيح . وأما ما نتج منها فهو مسيحيون بالاسم . قيل فى المثل « وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زواناً فى وسط الحنطة ومضى» فانه ينظر الى العمل الذى عمله إبليس فى الأول عندما أخذ يقلد عمل المسيح. لا شك أن التعاليم الفاسدة وأهلها المعبر عن كل منهما بالزوان لا يزالون موجودين. ولكن المثل انما ينظر الى العمل الأصلى و يربطه مع الدينونة فى وقت الحصاد. و بالحقيقة

هذه الأمثال التى تعطينا تاريخ الملكوت بالاختصار مدة غياب الرب لا تفرض مضى زمان طويل. فان مثل الزوان بحسب صورة كلامه انما يفرض وقتاً يكفى لموسم واحد. وهذا مما يؤيد القول بأن القصد من هذه الأمثال هو تاريخ الملكوت على وجه الاطلاق، لا إيضاح عمل نعمة الله فى قلب المؤمن .

«والحصاد هو انقضاء العالم» اللفظة المترجمة العالم تعنى الدهر أو مدة من الزمان (ص ٢٤ : ٣) والحصاد عبارة عن اجراء الدينونة على الأحياء (أنظر هو ٦ : ١١ ويؤ ٣:١٣ ورؤ ١٤:١٥) ولفظة بيدر ايضاً ترافق الحصاد وقد وردت كثيراً بمعنى الدينونة (أنظر اش ٢١:١٠ وار ٥١:٣٣ ومى ٤:١٢ ومتى ٣:١٢)

« والحصادون هم الملائكة » وهذا أيضاً مما يؤيد القول بأن كلام هذا المثل يدل على دينونة الأحياء لا دينونة الأموات. فان الله يستخدم الملائكة فى اجراء دينونات على سكان الارض. وأما دينونة الاموات أمام العرش العظيم الابيض فلا تجرى إلا عن يد ابن الانسان رأساً. ولا دخل فيها لا للملائكة ولا للقديسين .

« فكما يجمع الزوان ويحرق بالنار هكذا يكون فى انقضاء هذا العالم يرسل ابن الانسان ملائكته فيجمعون من ملكوته جميع المعاثر وفاعلى الإثم ويطرحونهم فى أتون النار. هناك يكون البكاء وصرير الاسنان» (قابل لوقا ١٧ : ٢٦—٣٧). فى الدهر الحاضر، الزوان والحنطة ينميان معاً ولكن عند انقضاء هذا الدهر يرسل ابن الانسان ملائكته . ولنلاحظ القول «ملائكته» فانه دليل مباشر على لاهوته. انه ابن الانسان وابن الله أيضاً الذى للملائكة ملائكته ويأتمرون بأمره. له كل المجد.

ثم لنلاحظ ان حالة الاختلاط ستكون موجودة فى الملكوت الى انقضاء الدهر، حين يجمع الملائكة منه جميع المعاثر وفاعلى الإثم. هذا هو وقت فصل الزوان المعبر عنه بجمعه حزماً وطرحه فى أتون النار «حينئذ يضىء الابرار كالشمس فى ملكوت أبيهم» ولنلاحظ دقة التعبير « وحينئذ يضىء الابرار » وليس «حينئذ يخطفون» . فان هذا سيكون دهراً جديداً بعد «انقضاء الدهر» الاول، وهذا الدهر الجديد هو المعبر عنه

« بالدهر الآتى » ، وفيه لا يكون اختلاط بين الابرار والاشرار لان جمع الاشرار للدينونة كان هو ختام الدهر الاول لكى يبارك الابرار فى الدهر العتيد .

وهكذا نجد هنا الدائرة العليا المسماة « ملكوت الآب » ، والدائرة الارضية « ملكوت ابن الانسان » ، وكلاهما « ملكوت الله » . يا له من مشروع مجيد ! ألا يحلو لنا ان نعرف ان نفس مشهد الخراب والتشويش هذا سيمتنق؟ وان الله سيصل الى سرور قلبه ، لا بأن يملأ السماء من مجده فقط ، بل بأن يكرم ابن الانسان أيضاً فى نفس المكان الذى فيه رفض وأهين ؟

« من له أذنان للسمع فليسمع » يختم الرب تفسيره هذا بهذه الكلمات المهمة . فان المثل وتفسيره لا يدركان إلا عند الذى له التمييز الروحى ، وهو الذى له « أذنان للسمع » . ويكون مثل هذا ملتزماً أن يصغى كما قيل « فليسمع » . إن الشخص المتكاسل العالمى لا يقدر أن يفهم هذه الحقائق المتعلقة بملكوت السموات . فانها عنده جهالة لأنه قد أختار نصيبه فى نفس العالم المحكوم عليه بضربات الله . ومحبته للعالم قد جعلت معرفة أقوال الرب من الأمور المستحيلة عليه .

ويجب أن نلاحظ أن الرب فى تفسيره هذا المثل للتلاميذ يذكر حادثة لم يذكرها فى المثل نفسه وهى حرق الزوان . فانه ختم المثل بذكر جمع الزوان وحزمه فقط استعداداً لحرقه ، وجمع الحنطة إلى المخزن . وأما فى التفسير فيضيف خبر حرقه فى أتون النار .

ولا يفوتنا أيضاً ان قوله « فى انقضاء هذا العالم » يجب أن يترجم « فى منتهى هذا الدهر » . لأن هذا هو معنى ألفاظه الأصلية . ويشير إلى وقت الحوادث المتعلقة بانتهاء الدهر الحاضر استعداداً لابتداء دهر الملكوت مدة الألف السنة .

مثل الكنز المخفى (عدد ٤٤)

« أيضاً يشبه ملكوت السموات كنزاً مخفى فى حقل . وجده انسان . فأخفاه . ومن فرحه مضى وباع كل ما كان له واشترى ذلك الحقل » .

كان المسيح قد صرف الجموع (ع ٣٦) ودخل البيت مع تلاميذه وفسر لهم مثل الزوان على انفراد وليس على مسمع من الجموع . وفى البيت بعد تفسير مثل الزوان نطق أيضاً بهذه الأمثال الثلاثة التى نحن بصددها الآن .

« كنزاً مخفى فى حقل. وجده انسان » الانسان فى هذا المثل الاول عبارة عن ابن الانسان يسوع المسيح نفسه . والحقل هو العالم كما تقدم . والكنز كناية عن مختارى الله فى صفتهم كأفراد . ومن حيث قيمتهم الثمينة فى نظر الله كمعروفين له وماثلين أمامه ومختارين منه فى الأزل .

« فأخفاه » لقد رتب الآب أن يكون مقام المؤمن مخفى عن الناس طالما المسيح مختف عنده فى السماء ومجده غير ظاهر للعالم . لكن متى أظهره فى مجده سيظهرنا أيضاً معه[1] . « لانكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح فى الله . متى أظهر المسيح حياتنا فحينئذ تظهرون أنتم ايضاً معه فى المجد » (كو ٣:٣و٤).

إن الكنز المخفى عبارة عن مختارى الله الموجودين فى هذا العالم. كان المسيح قد حضر إلى اسرائيل خاصته وطلب منهم ثمراً ولم يجد . أراد أن يجمعهم ويباركهم ولم يريدوا . فأخذ يزرع الزرع الجيد فى جميع الأماكن ليكون له شعب منتسب

(١) يرى بعض المفسرين فى الكنز صورة الشعب الارضى منذ وجوده كخاصة الرب أو كنزه فى هذا العالم. لان كلمة « خاصة » فى الأصل « كنز » (خر ١٩ : ٥ ، ملا ٣ : ١٧و١٨) . فقد وجده مخفى ومداساً فى مصر (تث ٣٢:١٠) . وفى طريق معاملاته معه « أخفاه » أيضاً عن الانظار بالسبى بين الامم (يع ١ : ١) الى أن يأتى دور أخذ الكنز حينئذ يؤخذ القديسون السماويون الى المجد السماوى (يو ١٤:١-٣) ويختم القديسون الارضيون للملك الارضى (رؤ ٧:٤) بعد أن كانوا مختفيين فى برية الشعوب (حز ٢٠:٣٥) الى أن يحرث حقل العالم بمحراث الويلات (ار ٤:٣و٤ ، رؤ ٥و١١ و١٤) ثم يؤتى بالكنز (الشعب الارضى) من الاختفاء فى حقل العالم عند ظهور ربه وملكه (ص ٢٤ : ٣٠و٣١) .

اليه بواسطة كلمة الله لا بحسب التسلسل من ابرهيم. ولكن العدو حسب الظاهر قد تمكن من إفساد المحصول . فأننا قد رأينا فى مثل الزارع أن جزءاً واحداً فقط من الزرع الجيد يأتى بثمر. وفى مثل الزوان أن الحقل نفسه صار مستعداً للدينونة. ثم فى مثل حبة الخردل أن نظاماً عظيماً عالمياً قد انتظم تحت اسم المسيح . وفى مثل الخميرة أن التعليم الفاسد الذى سرى فى المسيحية تحت اسم المسيح قد صار كخميرة وعمل عمله الفاسد فى عموم الذين قبلوه. فاذاً، والحالة هذه، ماذا يكون للمسيح ؟ وما الذى يحمله على أن يترك كل شيء حتى حياته؟ الجواب لهذا السؤال موجود فى هذا المثل والذى يليه. فان له شيئاً عزيزاً ثميناً فى وسط هذا التشويش وهذا الخراب . ولا بد أن يمتلكه رغماً عن عمل إبليس ورداءة الناس . فلله أشخاص مختارون قد نظرهم المسيح فى العالم . وقصد أن يقتنيهم مهما كانت الكلفة عليه. كانت للمسيح حقوق وامتيازات متنوعة كابن الانسان وكابن داود بن ابرهيم حسب الجسد. ولكنه ترك ذلك كله واحتمل العار والإهانة والموت. ثم عاد وأخذ حقوقه هذه وألقابه على هيئة أسمى وأمجد فى حالة القيامة من الاموات والارتفاع الى المجد. فدفع اليه كل سلطان فى السماء وعلى الارض. لانه استحق ذلك نظراً لاتضاعه وموته (فى ٢: ٥—١١) فبما أنه بموته قد اشترى العالم شراءاً حقيقياً أصبح له فى قيامته حق التصرف فيه كما يشاء. فيحتمله الآن بأناته الكثيرة وقصده من ذلك فى الوقت الحاضر أن تجمع منه خاصته السماوية للسماء ، إلا أنه فيما بعد سينقيه بمحراث ضرباته لتجمع منه خاصته لارضية للأرض .

مثل اللؤلؤة الواحدة

« أيضاً يشبه ملكوت السموات انساناً تاجراً يطلب لآلىء حسنة . فلما وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن مضى و باع كل ما كان له واشتراها » (عدد ٤٥ و ٤٦)

التاجر هنا عبارة عن المسيح نفسه أيضاً . كان قد شبّه نفسه فى المثل السابق

بانسان سالك فى طريقه وكأنه بالصدفة وجد كنزاً مخفى فى حقل . وأما هنا فيشبه نفسه بتاجر يطلب لآلىء حسنة . فلمثل هـذا التاجر سابق خبرة ومعرفة بالاشياء الثمينة وكان قصده قبل أن يخرج من مكانه ان يفتش على ما يناسبه. و بعد التفتيش وجد لؤلؤة واحدة كثيرة الثمن . ففى المثل الأول نراه كانسان حاضر فى هذا العالم كابن داود بن ابرهيم. ولما رفض من اسرائيل وأصبح حسب الظاهر بلا شىء، نظر كنزاً مخفى بعناية الله. وأما فى الثانى فنراه فى الحالة التى كان عليها قبل حضوره الى العالم . ولما أتى كان يطلب لآلىء حسنة . ولما وجد واحدة كثيرة الثمن مضى و باع كل ما كان له واشتراها. و يجب أن نلاحظ أن الحقل ليس له ذكر هنا، لأن القصد الخاص هنا هو تصوير العثور على اللؤلؤة الواحدة وشراؤها .

ولا يخفى أن هذين المثلين يعطياننا معانى حلوة جداً من جهة عمل المسيح الفدائى من حيث أن له وجهين عظيمين هما عموميته للكل وحصر فوائده على كل من يؤمن فقط .

فأولاً ـ المسيح بذل نفسه فدية لأجل جميع البشر على وجه الإطلاق . (أنظر يو ٣: ١٤ــ١٨ ، ٦: ٥١، رو ٣: ٢١ــ٢٦ ، ٢ كو ٥: ١٨ــ٢١ ، ١ تى ٢: ٦) . وشهادات أخرى كثيرة جداً تصرح كلها بهذه الحقيقة الثمينة وهى أن عدل الله قد اكتفى كل الاكتفاء بموت المسيح وكل من يأتى إلى الله على يد المسيح يُقبل. فلا يخامرنا أدنى شك أو ريب فى ذلك. لان هذه الحقيقة هى الاساس الراسخ لـكرازتنا بالخلاص للجميع. فان دم الكفارة قد سفك وله فى نظر الله بكيفية مستمرة قيمته الثمينة حتى انه لو تاب جميع الخطاة والتجأوا اليه لأنقذهم من الغضب الآتى . والله نفسه يسر بخلاصهم لا بهلاكهم (حز ١٨: ٢٣ ، لو ١٩: ٤١ ــ ٤٤) . هذا هو الشراء بالـكفارة ونتائجه . فقد اشترى المسيح بموته حقل العالم وصار واجباً على كل انسان أن يسلم نفسه لمن اشتراه . ولـكن من ينكر الرب الذى اشتراه يجلب على نفسه

هلاكاً سريعاً (٢ بط ٢: ١و٢) وعلى أساس هذه الكفارة وجهت الدعوة العامة للكل . أنظر مثل العشاء العظيم فى لو ١٤: ١٦ — ٢٤ .

ثانياً — الوجه الثانى لعمل الفداء هو النيابة. فان المسيح كان على الصليب نائباً عن الذين يؤمنون به محتملاً دينونة خطاياهم « الذى حمل هو نفسه خطايانا فى جسده على الخشبة » (١ بط ٢: ٢٤) .

على أنه يجب علينا فى دراستنا لهذه الأمثال أن نبقى فى بالنا أن الوحى لا يقصد منها أن يوضح لنا حقيقة الكنيسة وامتيازاتها ، كجسد المسيح وعروسه ، فان هذه الحقائق لم تعلن إلا بعد موت المسيح وارتفاعه إلى المجد وحلول روحه فى قديسيه (أع ٢)، ولكن بعد أن عرفنا الآن ماهى الكنيسة لا بأس إن قلنا انها هى اللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن التى رغب فيها المسيح واشتراها على نوع أخص مما اشترى العالم (أنظر يو ١٧: ٢ ، ١ يو ٢: ٢) حيث نرى هذين الوجهين للفداء مجموعين معاً. فان الآب قد أعطى الابن سلطاناً على كل جسد بحسب الوجه الاول ، ولكن كان للآب أيضاً قصد أزلى أن الابن يعطى حياة أبدية للذين قد أعطوا له من الآب . وهذا بحسب الوجه الثانى .

المسيح ليس هو الكنز وليس هو اللؤلؤة

قد فسر البعض هذين المثلين تفسيراً لا يطابق كلمة الله البتة إذ حسب تفسيرهم، الانسان فى المثل الأول عبارة عن الخاطىء، والكنز المخفى عبارة عن المسيح. ولكن ليس ذلك بحسب الواقع :

أولاً — لو عبرنا عن المسيح بكنز فليس هو كنزاً مخفىً البتة فانه قد رُفع على الصليب وانتشر خبره فى العالم أجمع ، والذى يمنع الناس عن أن يجدوه ليس كونه ككنز مخفىً بل عدم إرادتهم أن يقبلوه وهو مرسوم أمام عيونهم مصلوباً (غل ٣: ١) وكل من ينادى بالانجيل يدعو الناس إلى المسيح كمن رُفع على الصليب لكى ينظر

اليه الجميع ويخلصون كتلك الحيــة النحاسية التي رفعها موسى على مرأى من بنى اسرائيل جميعاً لشفائهم . وان كان أحد السامعين لا يخلص فالسبب راجع اليه إذ أنه لا يريد أن ينظر إلى المنظر العجيب الذى وضعه الله أمام عينيه .

ثانياً ـ أقول أن الخاطىء الذي يطلب المسيح ليس ملتزماً أن يبيع كل ما له لكى يمتلكه وانما يقبله مجاناً . وأيضاً فرحه لا يصير قبل امتلاكه المسيح بل بعد ذلك. (أنظر أع١٦: ٢٧ — ٣٤). وقد قيل عن المثل الثانى أن التاجر عبارة عن الخاطىء الطالب خلاص نفسه واللؤلؤة الواحدة الكثيرة الثمن عبارة عن المسيح كالمخلص ولكن هذا التفسير لا يطابق أيضاً كلمة الله التى تعلمنا فى مواضع كثيرة جداً :

أولاً ـ ان المسيح هو الذى يطلب الخطاة . وان كان أحــد قد انتبه فيكون حينئذ فى حالة الخروف الضال الذى طلبه الراعى فلبى النداء، وحين وجده الراعى على هذا النحو وضعه على منكبيه فرحاً ومضى به إلى بيته (لو ١٥: ٤ — ٧) .

ثانياً ـ أقول أن الخاطىء إن كان متنبهاً أو غير متنبه فهو بالنسبة إلى المسيح لا يشبه تاجراً يطلب لآلىء حسنة البتة . لاننا لا نقدر أن نعرف قيمة المسيح وجماله إلا بعد أن نتجدد بروح الله. بل وبعد تجديدنا أيضاً نحزن كثيراً على قساوة قلوبنا وغباوتها إذ أننا لا نحب فادينا العزيز ولا نقدّره كما يجب . وأما قبل حصولنا على الولادة من فوق فلا نطلب إلا أباطيل هذا العالم. وإن عبرنا عن أنفسنا بتجار فاننا انما نتاجر فى الإثم .

مثل الشبكة (عدد ٤٧ — ٥٠)

« أيضـــاً يشبه ملكوت السموات شبكة مطروحة فى البحر وجامعة من كل نوع . فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية وأما الأردياء فطرحوها خارجاً » (ع ٤٧ و٤٨).

الشبكة المطروحة فى البحر عبارة عن المناداة بالانجيل فى جميع الأماكن وتشبه

على نوع ما مثل الزارع المتضمن فى أول هذا الاصحاح على أن القصد الخاص بالأول هو اظهار عملية الزرع نفسها والنتائج المختلفة التى تظهر فى الناس كل واحد بمفرده . وأما فى هذا المثل فالقصد هو اظهار نتيجة المناداة بكلمة الله مدة غياب المسيح على وجه العموم ، وفرز الجياد من بين الأردياء فى آخر هذه المدة . فان لله مقاصد يكملها فى وقت النعمة هذا سواء كان فى المخلصين أو في الهالكين . فسيستمر عمل الصيد إلى الوقت المعين كقوله « فلما امتلأت أصعدوها على الشاطىء » فأقول :

أولاً — بحسب صورة كلام المثــــل يفرض أن الذين يطرحون الشبكة يصعدونها أيضاً .

ثانياً — ان كلاً من العملين فى الجياد والأردياء يجرى على الشاطىء أى فى هذا العالم .

ثالثاً — الصيادون هم خدام الرب البشريون . فالذى يهمهم أكثر من سواه عند نهاية الصيد هو الاعتناء بالجياد . فان الآن هو وقت افراغ الشبكة فيجمعون الجياد إلى أوعية ، أى يتخذون الوسائط اللازمة لحفظهم . ولا يعملون عملاً ما مع الأردياء إلا أن يخرجوها من الشبكة ويتركوها على الشاطىء . لنلاحظ جيداً أن الصيادين لا يجرون الدينونة على الأردياء فان ذلك ليس مفوضاً اليهم وذلك يقابل فيامضى أن دينونة الزوان كانت ممنوعة عن العبيد من البشر . فالصيادون لايهمهم سوى حفظ الجياد فى أوعية وهم على الشاطىء . ولايذكر هنا مايصير معهم بعد نقلهم من الشاطىء . إلا أننا نعرف ممامضى أنهم هم أنفسهم الحنطة أو بنو الملـكوت الذين سيضيئون كالشمس في ملكوت أبيهم ، ولـكن ايضاح ذلك ليس من أغراض هذا المثل وكل ما ينبر عليه هو أن خدمة العبيد الأخيرة هنا هي الاعتناء بحفظ الجيـاد وهم بعد فى العالم . كخدمة أرميا لما كانت أحوال شعب الله قد انحطت إلى أدنى درجة وصارت الدينونة مقبلة عليهم فقيل له « لذلك هكذا قال الرب ان رجعت أرجعك فتقف أمامى و إذا أخرجت الثمين من المرذول فمثل فمى تكون » (ار١٥: ١٩)

كان من أول واجبات النبي نفسه أن يرجع عن الشرور التي استولت على الشعب فيثبته الرب حتى يصير قدوة للآخرين ثم يفرز الثمين من المرذول كفم الله. وتكون خدمة كهذه لخدام المسيح فى آخر المدة المتصفة بالنعمة والمناداة بالانجيل (عد ٤٨)

« وجلسوا وجمعوا الجياد إلى أوعية وأما الأردياء فطرحوها خارجاً » فجلوسهم يدل على ان العمل يقتضى وقتاً وتدقيقاً . وجمعها إلى أوعية يفيد الحفظ ليس للأبد بل فى الوقت الحاضر فقط .

« وأما الأردياء فطرحوها خارجاً » أى أخذوها من الشبكة وطرحوها على الشاطىء . ولا يقول الرب فى المثل ما يصير لهم فيما بعد .

« هكذا يكون فى انقضاء العالم يخرج الملائكة ويفرزون الأشرار من بين الابرار . ويطرحونهم فى أتون النار . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .(عدد٤٩و٥٠)

يجب أن نلاحظ أن هذا الكلام ليس تفسيراً للمثل بل فائدة ملحقة به و يتعلق بما صار للاردياء بعد أن طُرحت على الشاطىء .

« انقضاء العالم » هو منتهى الدهر كما مضى .

« يخرج الملائكة » إننا نعلم جيداً أن خدمة عبيد الرب المسيحيين ستنتهى وقت اختطاف الكنيسة . وعند ذلك يبقى الأشرار هنا للدينونة (قابل هذا مع ص ٢٥ : ١-١٣ولو١٣: ٢٤-٢٨ و٢تس٢: ١٠-١٢). وشهادات أخرى كثيرة في شأن اختطاف الكنيسة وما يليه . فخروج الملائكة لاجراء الدينونة على الاردياء يصير بعد اختطاف الكنيسة .

« و يفرزون الاشرار من بين الابرار » فعملهم بخلاف عمل الصيادين تماماً الذين كان اهتمامهم بجمع الجياد أو فرز الابرار من بين الاشرار، أما الملائكة فانهم يفرزون الاشرار من بين الابرار . والابرار هنا هم مختارو الله من اليهود بعد اختطاف الكنيسة . فهؤلاء هم الذين سينقيهم الله بتأديباته ويبقيهم على الارض للملكوت . وأما الاشرار فهم الذين لا يختطفهم الرب عند مجيئه ، ثم بعد ذلك يسلمهم لعمل

الضلال حتى يصدقوا الكذب فى زمان الوحش والمسيح الكذاب لأنهم لم يصدقوا الحق بل سروا بالإثم زمان اظهار النعمة والحق فيدانون جميعاً (راجع ٢ تس٢: ١٠-١٢).

« ويطرحونهم فى أتون النار » فيبيدهم الله بضرباته عن وجه الارض ويرميهم فى جهنم النار . لم يطرحهم الصيادون فى أتون النار وانما تركوهم على الشاطىء ولم يجمعوهم إلى الأوعيـة . وأما الملائكة فعندما يتقدمون لعملهم فيجمعونهم من الأرض ويطرحونهم إلى موضع العذاب .

الكاتب المتعلم في ملكوت السموات (عدد ٥١ و٥٢)

«قال لهم يسوع أفهمتم هذا كله ؟ فقالوا نعم ياسيد . فقال لهم من أجل ذلك كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء ».

« كل كاتب متعلم فى ملكوت السموات » أى كل واحد قد أدرك هذه الحقائق المتضمنة فى الأمثال المتعلقة بالملكوت وأسراره . كان الكتبة عند اليهود هم المختصون بنسخ التوراة ومن ثم اشتهروا بمعرفتهم لأقوال الله . وصارت لفظة « كاتب » كناية عن واحد قد درس وفهم كلمة الله .

« يشبه رجلاً رب بيت يخرج من كنزه جدداً وعتقاء » .

هذه الأمثال تحتوى حقائق جديدة وعتيقة . فان الملكوت نفسه كان معروفاً سابقاً . وأما الهيئات أو الأحوال التى كان مزمعـاً أن يتخذها بعد رفض المسيح وموته فلم تكن معلومة قبـل ذلك . فكان واجباً على تلاميـذ المسيح أن يصغوا كل الاصغاء لأقوال معلمهم حتى يمكنهم أن يفيدوا الآخرين . فيكونون كمن له كنز (أو موضع فيه كنوز) يخرج منه الكنوز الجديدة أو العتيقة بحسب اقتضاء الحاجة . وهذا من الواجبات الدائمة على الذين يقصدون خدمة

القديسين . فكيف نعلمهم تعاليم صافية ونافعة للبنيان إن لم نفهم كلمة الله حق الفهم ؟ لا يخفى أن بعضاً من خدام المسيح قد تغافلوا عن أقواله من الزمان القديم فأصبح الكتاب المقدس عندهم كسفر مختوم . وفضلاً عن هذا التغافل نرى كثيرين يتهاونون بأقوال الله المتعلقة بسوء حالة الملكوت فى غياب الملك وبمجيئه ثانية ليجمع مختاريه اليه وينقى المعاثر وفاعلى الإثم من ملكوته استعداداً لاظهار مجده للعالم مدة الألف السنة . قد صارت الدينونة على الابواب وهم لا يدرون بل يطمئنون أفكار الناس قائلين « سلام وأمان » (أنظر ١تس ٥: ٣) إلى أن يفاجئهم هلاك بغتة كالمخاض للحبلى فلا ينجون .

كبرياء مواطنيه التى منعت اقتناعهم

(عدد ٥٣ — ٥٨ ، مرقس ٦: ١ — ٦)

« ولما أكمل يسوع هذه الأمثال انتقل من هناك . ولما جاء إلى وطنه كان يعلمهم فى مجمعهم حتى بهتوا وقالوا من أين لهذا هذه الحكمة والقوات . أليس هذا ابن النجار . أليست أمه تدعى مريم واخوته يعقوب ويوسى وسمعان ويهوذا . أو ليست اخواته جميعهن عندنا . فمن أين لهذا هذه كلها . فكانوا يعثرون به . وأما يسوع فقال لهم ليس نبى بلا كرامة إلا فى وطنه وفى بيته . ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم »

فعبثاً يضىء النور للأعمى اذ ليس له نظر، أو للبصير الذى لا يريد أن ينظر. جاء الرب إلى وطنه ولما بهتوا من تعليمه وأعمال القوة التى كان يصنعها اثباتاً لتعليمه تحركوا حسداً وأخذوا يستهينون به بسبب تواضعه فانه كان قد استحسن بأن يولد فى هذا العالم من عائلة اسرائيلية فقيرة. صحيح كان يوسف نفسه متصفاً بكونه باراً (ص١: ١٩) وكان المسيح له المجد قد تبرهن انه من الله بالاعمال التى شاهدوها

رغماً عن عدم ايمانهم . ولكن بر يوسف البار لا يحفظ عائلته من اهانة المتكبرين وأعمال المسيح لا تصونه من تجاديفهم . لانهم لم يريدوا لا البر ولا النور السماوي.

« فكانوا يعثرون به » كان رؤساؤهم يأكلون بيوت الأرامل ويطيلون صلواتهم لعلة ولا نسمع أن الشعب عثروا بذلك ولكنهم عثروا بالمسيح بسبب اتضاعه. الظلمة تناسب الانسان أكثر من النور، ومن لا يريد الحق يرفضه ثم يبرر نفسه بحجج واهية .

« ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وفي بيته » صدق هذا القول على الرب في دائرة أوسع اذ أنه إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله » .

«ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم » وهنا نرى أيضاً ان عدم الايمان في شعب الله يغلق الباب ضد البركات المعدّة لهم وينهي وقت افتقاد النعمة . قيل في انجيل مرقس « ولم يقدر أن يصنع هناك ولا قوة واحدة غير انه وضع يديه على مرضى قليلين فشفاهم . وتعجب من عدم ايمانهم »(مر٦:٥و٦) . فالويل لاسرائيل وللعالم أيضاً لعدم ايمانهم .

الاصحاح الرابع عشر

هيرودس يقطع رأس يوحنا

(عدد ١ — ١٢ ، مرقس ٦ : ١٤ — ٢٩ ، لوقا ٩ : ٧ — ٩)

« فى ذلك الوقت سمع هيرودس رئيس الربع خبر يسوع . فقال لغلمانه هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك تعمل به القوات »(ع١و٢) .قابل هذا مع مر ٦ : ٧—١٢ حيث ترى أن ما ذكر هنا حصل بعد ارسالية الاثنى عشر مزودين بالقوة لشفاء المرضى واخراج الشياطين . غير انه واضح مما سلف انهم لم يصرفوا وقتاً طويلاً ، اذ كانت حالة اسرائيل تعيسة جداً .

« سمع هيرودس .. خبر يسوع » صار اسم يسوع مشهوراً . فاضطر الناس أن يجزموا فيمن هو . وكانت لهم آراء مختلفة (ص ١٦ :١٣و١٤) ولكن لا ايمان فيهم. وذهب كل واحد منهم إلى الرأى الذى استنسبه .

« فقال لغلمانه ، هذا هو يوحنا المعمدان قد قام من الأموات ولذلك تعمل به القوات » هذا ما ارتآه هيرودس ولكن المعمدان فى حياته لم يفعل آية واحدة (يو ١٠ :٤١) لانه من الممكن أن ضمير الانسان المذنب يكون متعباً وقلقاً ويبكته على شروره وهو غير تائب إلى الله . فانه يخاف من عواقب أعماله ولكنه لا يقدر ولا يريد أن يتركها . لأنه صار مستعبداً للاثم ويجد لذته فيه. وخوفه من القصاص لايقدر أن يرجعه عن مسالك للهلاك . آه ما أحيل ابليس ! وما أشد نفوذه على القلب البشرى ! فانه يستعبد الانسان بما يلذ له ويربطه بشهواته كأنه بقيود من نحاس(راجع قصة هيرودس فى مر ٦ : ١٧—٢٩ ولو ٩ : ٧—٩) فترى صورة كاملة لكثيرين غيره من الذين قد عبر عنهم الرب بالمزروع بين الشوك فانهم يسمعون كلمة

الله و يظهرون علامات التأثر بها. وتراهم بعض الأوقات قريبين من الخضوع للمسيح ولكنهم يحملون أخيراً من هموم الحياة وشهوات سائر الأشياء كأنهم على نهر طاغ ولا يبقى أمل بعد فى خلاصهم. كان هيرودس يطلب أن يرى المسيح (لو ٩:٩) فرآه أخيراً واستهزأ به (لو ٢٣ : ٨ـ ١٢) لأن وقت التوبة كان قد مضى إلى الأبد. وما بقى عليه الا أن يكمل خدمة السيد الذى كان قد اختاره (أي ابليس).

« فان هيرودس كان قد أمسك يوحنا وأوثقه وطرحه فى سجن من أجل هيروديا امرأة فيلبس أخيه . لأن يوحنا كان يقول له لا يحل أن تكون لك . ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب لانه كان عندهم مثل نبي. ثم لما صار مولد هيرودس رقصت ابنة هيروديا في الوسط فسرّت هيرودس. من ثم وعد بقسم انه مهما طلبت يعطيها. فهي اذ كانت قد تلقنت من أمها قالت اعطنى ههنا على طبق رأس يوحنا المعمدان . فاغتم الملك ولكن من أجل الاقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى . فأرسل وقطع رأس يوحنا في السجن . فأحضر رأسه على طبق ودُفع الى الصبية فجاءت به الى أمها فتقدم تلاميذه ورفعوا الجسد ودفنوه. ثم أتوا وأخبروا يسوع» (عد ٣ـ١٢) . أخذت أحوال اسرائيل تنكشف أكثر فأكثر . كان الراعى الصالح في وسطهم ليجمعهم ويحميهم كقطيعه المحبوب فلم ينتبهوا لصوته. قد حضر اليهم يهوه الههم وملكهم الحقيقى مصحوباً بقوة لانقاذهم من يد جميع ظالميهم فلم يريدوه . كان يوحنا قد أرسل أمام وجه يهوه ليهيىء له طريقاً ولكنه قد ألقى فى سجن لأجل أمانته . لا نعرف كم من الزمان قضاه فى الحبس قبل موته ولكن المرجح انه قتل قبل نهاية خدمة المسيح بنحو سنة واحدة .

« سمع هيرودس » لا حاجة لنا الى البحث بتدقيق فى تاريخ هيرودس هذا « رئيس الربع » أي والى قسم من أقسام أرض اسرائيل وقد سمى أيضاً « الملك» (ع ٩) هذا كان قد ظلم أخاه فيلبس وأخذ امرأته الرديئة. وكان قد أظهر رضاه على يوحنا فى الأول . وكان يسمع له فى أشياء كثيرة (مر ٦: ٢٠) ولكن

يوحنا كان أميناً فى خدمته ولم يمتنع عن توبيخ الملك لا حباً فى رضاه ولا خوفاً من غضبه . فلم يكن من الملك الا أن زجه فى غياهب السجن (لو٣: ١٩و٢٠).

« ولما أراد أن يقتله خاف من الشعب لانه كان عندهم مثل نبى » فلم يزل الشعب أقرب إلى الحق من رؤسائهم . فانهم اعتبروا يوحنا كنبى (ص ٢١: ٢٦) وتردد الملك فى أمر قتله الى حين خوفاً منهم . فقد كان أدومياً أجنبى الجنس وتهود وتظاهر باحترام الديانة اليهودية ليجتذب قلوب الرعية ولكن عند الامتحان انقاد إلى هيروديا التى كان يعيش معها مخالفاً لشريعة موسى (لا ١٨: ١٦، ٢٠) لو تخلى عنها بحسب كلام يوحنا لخلص من هذا الفخ الكبير الذى نصبه له إبليس الصياد المحتال. متى تهور الانسان فى شر ما، لا يعرف الى أية درجة من الاثم يصل به الأمر أخيراً ابتدأ هيرودس بالزنا ثم قتل نبى الله وأخيراً استهزأ بابن الله . (أنظر لو ٢٣ : ٨ - ١٢ ، ص ١٢ : ٤٣ — ٤٥) . الانسان الساقط يحب الخطية مع أنه يعرف أنها تغيظ الله وتجلب عليه قضاءه العادل. ولكنه يظن فى الأول انه انما يتقدم فيها إلى درجة معينة فلا يتعداها ولكن الشر أقوى منه و إبليس أيضاً أحيل منه. لا شك أن هيرودس كان كثيراً ما يطمئن أفكاره وهو عائش فى الزنا مع امرأة أخيه بأنه أظهر معروفاً ليوحنا البار وانه إن كان مرتكباً بعض الشرور فلا يرتكبها كلها ، وان صدرت منه بعض أعمال ردية صدرت أيضاً أعمال حسنة فاستمر يتنازع مع ضميره نحو سنتين من الزمان وأناة الله محتملة ومنتظرة الى أن صارت الفرصة مناسبة للعدو.

« ثم لما صار مولد هيرودس » كانت الاحتفالات بأعياد ميلاد الملوك من العوائد القديمة (تك ٤٠: ٢٠) . فجرياً على العادة احتفل وزراؤه وقواده بمولده . يظن عظماء هذا الدهر انهم أقوياء مع انهم فائرون كالماء، وتسرهم أشياء طفيفة لا تسر سوى الأطفال .

« رقصت ابنة هيروديا فى الوسط. وسرت هيرودس الملك » ولما سُر بذلك المنظر القبيح ربط نفسه بقسم محرم. وأصبح مصاداً بكلام شفتيه .

« فاغتم الملك. ولكن من أجل الأقسام والمتكئين معه أمر أن يعطى » فمع أنه اغتم إلا انه لم ينظر الى شريعة الله ولا تاب عن القسم الطائش الذى أقسمه بل وفى بعهده الأثيم اعتباراً لظروف وأغراض كاذبة وفاسدة من أساسها، فانه لايجوز للانسان أن يقطع على نفسه عهداً بأن يعمل شيئاً مجهولاً، وإن كان قد انحمق ونطق بقسم كهذا فعليه أول كل شيء أن يتوب الى الله و يعترف بخطيته ولا يضيف الى خطية العهد خطية الوفاء به أيضاً. لاشك عندى أن القصد الخاص للوحى من إدراج هذه القصة المحزنة هو أن يوضح لنا أحوال اسرائيل والى أية درجة كان قد انحط نسل ابرهيم. فانهم كانوا غنم الذبح « هكذا قال الرب إلهى ارعَ غنم الذبح. الذين يذبحهم مالكوهم ولا يأثمون وبائعوهم يقولون مبارك الرب قد استغنيت. ورعاتهم لا يشفقون عليهم » (زك ١١: ٤و٥). كان هيرودس من مالكيهم الذين ذبحوهم ولم يحسبوا ذلك إثماً. وكانت رقصة ابنة امرأة ردية تعادل حيوة نبى من أنبياء الله عند رؤساء شعب الله. وهكذا انتهت حياة يوحنا المعمدان الذى نادى باقتراب ملكوت السموات ودعا اسرائيل الى التوبة.

« فتقدم تلاميذه الخ » لم يزل له بعض تلاميذ و بعد دفنهم جسد معلمهم أتوا وأخبروا يسوع لأن خدمتــه وهو حى كان من شأنها أن تقود الناس الى المسيح (يو ١: ٣٥—٣٧).

انصراف يسوع الى موضع خلاء

(عدد ١٣ و ١٤ ، مرقس ٦: ٣٠ و ٣١ ، لوقا ٩: ١٠ و ١١)

« فلما سمع يسوع انصرف من هناك فى سفينة الى موضع خلاء منفرداً. فسمع الجموع وتبعوه مشاة من المدن. فلما خرج يسوع أبصر جمعاً كثيراً فتحنن عليهم وشفى مرضاهم »

لقد تأثر المسيح مما أصاب عبده الأمين، يوحنا، ويظهر من لوقا ١٣: ٣١—٣٥

أن هيرودس كان قد عزم فملاً على قتل يسوع أيضاً. فانصرف يسوع من موضع الظلم الى موضع خلاء وكان ذلك أيضاً طلباً فى راحة تلاميذه بعد رجوعهم من الخدمة التى أرسلهم لأدائها (مر ٦: ٣٠و٣١ ، لو ٩: ١٠). ثم تقدم فى خدمته غير خائف من ذلك الثعلب الذى بمع أنه تمكن من قتل يوحنا لم تكن له يد على المسيح. فان أورشليم كانت الموضع الذى تعين له ليموت فيه . ونرى أيضاً فى الشهادة المشار اليها ما هو شعور المسيح فى ذلك الوقت . فانه كان حزيناً على حالة أورشليم وقساوة أولادها . وأما احتياجات الشعب فجعلتهم يلحقون به فتحنن عليهم وشفى مرضاهم .

إشباع الخمسة الآلاف بالخمس الخبزات

(عدد ١٥—٢١ ، مرقس ٦: ٣٢—٤٤ ، لوقا ٩: ١٢—١٧، يوحنا ٦: ١—١٥)

« ولما صار المساء[١] تقدم اليه تلاميذه قائلين الموضع خلاء والوقت قد مضى. اصرف الجموع لكى يمضوا الى القرى ويبتاعوا لهم طعاماً. فقال لهم يسوع لا حاجة لهم أن يمضوا. أعطوهم أنتم ليأكلوا. فقالوا ليس عندنا ههنا إلا خمسة أرغفة وسمكتان. فقال ائتونى بها الى هنا. فأمر الجموع أن يتكئوا على العشب. ثم أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين ورفع نظره نحو السماء و بارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ والتلاميذ للجموع . فأكل الجميع وشبعوا . ثم رفعوا ما فضل من الكسر اثنتى عشرة قفة مملوءة . والآكلون كانوا نحو خمسة آلاف رجل ما عدا النساء والأولاد » .

هذه المعجزة ذكرها البشيرون الأربعة . وهى تدل على انه من طبيعة الله

(١) كان لليهود مساءان أو عشاءان (سفر العدد ٩: ٣) . فالمساء المذكور هنا هو المساء الاول ويوافق الغروب عندنا . والمساء الثانى مذكور فى عدد ٢٣ ويوافق عندنا العشاء .

وصفاته أن يصنع خيراً ولا يمل، وكنوزه وافرة ويده سخية. غني هو، فالامتناع عن العطاء لا يزيده غنىً والعطاء بسخاء لا يجعله فقيراً . لم يكن التلاميذ قد تعلموا بعد صفات أبيهم الذي في السموات كما يجب . (أنظر ص ٥ : ٤٥—٤٨). فلما رأوا الجوع محتاجين الى الطعام والوقت قد مضى طلبوا إلى السيد أن يصرفهم على حسب عادة الانسان الضعيف الذي يريد أن يبعد عن نظره الحاجة التي يعرف انه لا يقدر أن يفرج أزمتها . فعلم يسوع ما هو مزمع أن يفعل ولكنه شاء أن يمتحن ايمان تلاميذه. (أنظر يو ٦:٦). فظهر انهم للآن ناظرون الى الارض لا الى السماء. وقاسوا حاجة الجوع على الوسائط القليلة الموجودة عندهم . وأما يسوع فلما أخذ الأرغفة الخمسة والسمكتين رفع نظره نحو السماء . كان هو في وسطهم انساناً حقيقياً وفي نفس الظروف التي كانوا هم فيها أيضاً . ولكنه عرف تماماً جودة تلك السماء التي كان قد انحدر منها . وتيقن انها مصدر كل البركات لجميع البشر .

« بارك وكسر وأعطى الأرغفة للتلاميذ » فمعنى بارك انه قدم شكراً لله. ثم كسرها حتى يكون شيء منها في يد كل من الاثني عشر تلميذاً. فانه أراد أن يشركهم معه في هذا العمل. فأكل الجموع للشبع إذ لا يوافق مشيئة الله ان أحداً يتكيء على مائدته ويقوم جائعاً. قيل في (يو ٦:١١) « وكذلك من السمكتين بقدر ما شاءوا » وأما في متى فالكلام عن الأرغفة على نوع خاص بحيث ان قصد الوحي ان يدرج ما يبرهن حضور ابن داود في وسط شعبه ليبارك طعامهم بركة ويشبع مساكينهم خبزاً بحسب (مز ١٣٢:١٥). وكان يجب انهم يفرحون ويهتفون هتافاً (مز ١٣٢: ١٦) ولكنهم اكلوا وشبعوا واستمروا في عدم ايمانهم . وأخذوا في اليوم التالي يعملون مباينة بين عمل المسيح الذي اكلوا من يديه اكلة واحدة و بين عمل موسى الذي اكل آباؤهم المنّ عن يده أربعين سنة . (راجع يو ٦:٢٢— ٣٠) .

« ثم رفعوا ما فضل من الكسر » وكان ذلك بأمر المسيح (يو ٦:١٢) شهادة

لهم من جهة على كفايته لهم فى وقت الحاجة، وليبين لهم من جهة أخرى انه لا يعولهم فى المستقبل بالمعجزات بل بالوسائل العادية. ولذلك يلزمهم بالاحتفاظ بالكسر .

معلوم لدى دارسى الكتاب المقدس ان الوحى بعض الأحيان يستعمل الأعداد بمعان مجازية. فان كان يجوز لنا فى هذه العبارة أن نتخذ الأعداد المذكورة معنوياً فالخمسة (أي الخمسة الارغفة والخمسة الآلاف) تشير الى البشر فى ضعفهم كخليقة من حيث حاجتهم الى الله للاعتماد عليه فى القيام بما هم مسئولون عنه أمامه . والاثنان فى السمكتين دلالة على الشهادة الكافية (٢ كو ١٣ : ١) وعلى مركزنا كشهود للرب (زك ٤ ، رؤ ١١). والعدد اثنا عشر (أى عدد التلاميذ وعدد القفف المملوءة مما فضل عن الآكلين) يتعلق بسياسة الله وحكمه بواسطة الانسان .

وعلى ذلك نستفيد من هـذه الحادثة أن المسيح كعمانوئيل تصرف كما يليق بسياسة الله الكاملة وجعل تلاميـذه شركاء فى العمل فكانوا بالنظر الى شهادتهم وخدمتهم لاسرائيل آنية مناسبة فى يد السيد لتوزيع بركات الله بحسب حاجة شعبه العاجز. و بذلك العمل قدم المسيح شهادة كافية لحقيقة من هو. على انى لا أجزم فى ذلك بل أذكره فقط فى سياق الكلام ثم أتركه للتمييز الروحى فى القارىء نفسه. ولكن مهما جزمنا فى هـذه المسألة فنقدر أن نقول أن الرب يريد فى كل حين أن يبارك شعبه و ينتظر منا نحن العارفين حنو قلبه وغنى كنوز السماء أن نثق به فى جميع الظروف والأحوال ونستمد منه بالايمان كل ما يلزم لبركة خاصته الذين فى العالم . كانت البركات الزمنية موافقة لمعاملة الله لاسرائيل وعلامة حضوره فى وسطهم ورضاه عليهم. وأما نحن فلنا كل بركة روحية فى السماويات فى المسيح يسوع (أف ١ : ٣) وقد صعد المسيح الى العلاء لكى يمنحنا إياها (أف ٤ : ٨) . ولا تزال سماؤه سخية العطاء وأرضنا هذه ليست سوى موضع خلاء . ولكن الفقر والسخاء متناسبان. فاذاً علينا أن نرفع النظر نحو السماء .

التلاميذ وحدهم في البحر المضطرب

(عدد ٢٢—٣٣ ، مرقس ٦: ٤٥—٥٣ ، يوحنا ٦: ١٦—٢١)

« وللوقت ألزم يسوع تلاميذه أن يدخلوا السفينة ويسبقوه الى العبر حتى يصرف الجموع . وبعد ما صرف الجموع صعد الى الجبل منفرداً ليصلي »

فأفرز تلاميذه عن جموع اسرائيل الذين أخذوا من يده الكريمة الشفاء لأجسادهم المائتة وشبعوا من الخبز البائد ولم يطلبوا الخبز الباقي للحياة الابدية . (راجع يو ٦: ٢٦و٢٧). ثم صعد الى الجبل منفرداً ليصلي . ونرى هنا رمزاً جميلاً الى ماصار بعد ذلك حين تمت خدمته لاسرائيل المتوغلين فى عدم ايمانهم فانه صرفهم وترك تلاميذه معذبين فى بحر العالم بدون حضوره معهم بالجسد فانه انفرد عنهم وصعد بالجسد الى العلاء ليشفع فيهم هناك .

«ولما صار المساء كان هناك وحده . وأما السفينة فكانت قد صارت فى وسط البحر معذبة من الامواج لأن الريح كانت مضادة وفى الهزيع الرابع من الليل مضى اليهم يسوع ماشياً على البحر . فلما أبصره التلاميذ ماشياً على البحر اضطربوا قائلين انه خيال . ومن الخوف صرخوا فللوقت كلمهم يسوع قائلاً تشجعوا . أنا هو . لا تخافوا » (ع ٢٣—٢٧)

لا شك عندى أن حادثة النوء وما يتعلق به تصور حالة تلاميذ المسيح من وقت افتراقه عنهم على رأس جبل الزيتون الى أن يرجع الى شعبه بقوة فى المستقبل بحيث أن فى هذه المدة كلها جموع اسرائيل قد انصرفوا بعدم ايمانهم وتلاميذ المسيح قد انفرزوا عنهم (يو ١٠ : ٣) نعم وعن العالم أيضاً (يو ١٧ : ١٦) وما دام للمسيح منفرداً عنهم فى العلاء (عب ٩ : ٢٤) تلاطمهم الامواج وتحاربهم الرياح المضادة . راجع ما سبق فى ص ١٠ حيث رأينا تعليمات للمسيح بخصوص حالة تلاميذه مدة غيابه ثم رأينا رفضه التام من اسرائيل والعالم فى الاصحاحين ١١و١٢،

وفى ص١٣ رأينا أحوال ملكوته من وقت ارتفاعه الى حضوره ثانية لينقيه بالقضاء وينظمه بالقوة. فلذلك لاعجب انه أخذ يعلمهم بحادثة النوء ما ينبغى ان ينتظروه بعد مفارقته لهم. فان ذلك من طرقه الدائمة مع المؤمنين لانه يعلمنا اليوم تعليماً بالكلام وغداً يعيده لنا بالاختبار. إذ يجعلنا نمر فى ظروف تقتضى أن نختبر حقيقة أقواله. وبها يمتحن ايماننا أيضاً. أعطى الله لابرهيم مواعيد أولا ثم أمره ان يقدم اسحق محرقة الذى كانت المواعيد مجموعة فيه. أعلن ليوسف فى أحلامه انه يصير متسلطاً على العالم ثم تركه يباع كعبد وأنزل إلى مصر حيث أصبح كأنه بين الموتى « الى وقت مجيء كلمته قول الرب امتحنه » (مز ١٠٥: ١٩). كان التلاميذ قبل هذا فى خطر شديد إذ هاج عليهم نوء عظيم (ص ٨: ٢٣-٢٧) ولكن كان السيد معهم فى السفينة نائماً وحالتهم وقتئذ كحالة المؤمنين المضطربين من جراء عناصر العالم العنيفة عندما تصيبهم ضيقات. ومع انهم متأكدون من حضور الرب معهم يظهر الى حين كأنه ليس مهتماً بهم. وأما هنا فنرى أن الرب أرسلهم وحدهم ثم صعد الى العلاء وحده. ولم يأتهم حتى الهزيع الرابع من الليل، وأقبل اليهم حينئذ ماشياً على الامواج بكيفية رهيبة هى من دلائل لاهوته حتى انهم اضطربوا وصرخوا من الخوف. وفى ذلك رمز لائق الى قدومه الى تلاميذه الاسرائيليين فى المستقبل حينما يكونون فى أشد الضيق فمع انهم يكونون شهوداً ليسوع رافضين المسيح الكذاب لا تكون معرفتهم كاملة بعد. (راجع مز ٩٣) الذى ينطبق على حالتهم فى ذلك الوقت « رفعت الأنهار يارب رفعت الانهار صوتها. ترفع الأنهار عجيجها من أصوات مياه كثيرة من غمار أمواج البحر الرب فى العلى أقدر » (ع ٣و٤) وكذلك مز ٤٦. ليلاحظ القارىء جيداً ان المسيح لا يقدم الى الكنيسة وقت الاختطاف بهذه الصورة الجليلة بل يأتيها ككوكب الصبح المنير (رؤ ٢: ٢٨، ٢٢: ١٦)، وكعريس ليأخذ عروسه وهى مزينة نفسها ومنتظرة إياه غاية الانتظار (رؤ ٢٢: ١٧) فانه يدعو الراقدين فيه من قبورهم ويغيرنا نحن الأحياء فى طرفة عين فنصعد جميعاً لملاقاته فى الهواء (١ تس

٤ : ١٧ ، ١ كو ١٥ : ٥١ — ٥٥) ولا تعنينا بشيء الأمواج المتلاطمة والرياح المضادة لأننا سنتغير فى لحظة بقوة الله ونصبح فى حالة القيامة التى هى فوق الطبيعة . وأما البقية الاسرائيلية فيكونون فى سفينتهم منتظرين أن الرب يأتيهم حيثهم لينقذهم من ضيقتهم و يبقيهم على الأرض . وأما نحن فبعكس ذلك ننتظر أن نجتمع اليه حيث هو فى المجد .

« فأجابه بطرس وقال ياسيد إن كنت أنت هو فمرنى أن آتى اليك على الماء . فقال تعالَ . فنزل بطرس من السفينة ومشى على الماء ليأتى إلى يسوع . ولكن لما رأى الريح شديدة خاف واذ ابتدأ يغرق صرخ قائلاً يا رب نجنى . ففى الحال مد يسوع يده وأمسك به وقال له، يا قليل الايمان، لماذا شككت ؟ » (ع ٢٨ — ٣١)

هذه الحادثة مفيدة لنا فى كل حين من جهة وجوب سلوكنا بالايمان ونحن ناظرون الى يسوع (عب ١٢ : ٢) . فان الله قد دعانا لأن نسلك بالايمان لا بالعيان . لايخفى أن الأشياء التى تُرى تظهر لنا كأنها سفينة تحمينا من الخطر الشديد على نوع ما ولو كانت فى حالة الاضطراب . ثم إن كنا نحاول حسب كلمة الرب وأمره ان نسلك بالايمان نكون فى تجربة عظيمة لأن نغض النظر عن المسيح ونلتفت الى ظروفنا وأحوالنا وعندما نرى الريح شديدة وليس تحت أقدامنا سوى الماء فقط نمتلىء خوفاً ونبتدىء نغرق ولكن عند ارتفاع صرخة الايمان الى الرب ، فإنه فى الحال ينتشلنا . كان الأليق ببطرس أن يذكر انه لا يستطيع ان يمشى على الماء إلا بقوة الله سواء كان البحر هائجاً أو هادئاً . وكذلك نحن ايضاً نرى فى رسالة بولس الى أهل فيلبى خصوصاً فى الاصحاح الثالث وصف حالة المؤمن وهو سالك بالايمان . فليس العالم له سوى بحر . ولا يفرق عنده ان كان مضطرباً أو غير مضطرب لأنه ان كان فى سجن فقيوده تؤول الى انتشار الانجيل أكثر (فى ١ : ١٢ — ٢٠) وإن مات يكون عند المسيح بأكثر سرعة . وإن بقى فى الحياة يكون ذلك لبنيان القديسين (فى ١ : ٢١ — ٢٦)

فكيفما كانت أحواله يستمر ماشياً على وجه الماء. وسبب انتصاره على جميع الظروف المضادة هو انه لا يزال ينظر الى المسيح فى المجد. فكان بولس قد ترك السفينة اليهودية أى تلك المبادىء الدينية الجسدية التى تظهر انها تقدر أن تتكفل بسلامة أتباعها فى هذا العالم، وأدرك أن الجسد فى أى حال كان عديم النفع فى أمور الله. وتعرّف بالمسيح وهو مقام من الأموات. و إذ ذاك أخذ يفعل شيئاً واحداً وهو أن يكون ساعياً نحو الغرض لأجل جعالة دعوة الله العليا فى المسيح يسوع. ووضع ذلك قانوناً لسلوك جميع المؤمنين ايضاً (فى ٣:٣—١٦)

« يا قليل الايمان، لماذا شككت ؟ » لنلاحظ أن الرب لم يوبخ بطرس لأنه تجاسر على هذا العمل بل وبخه على ضعف ايمانه فقط فى تنفيذه. لأننا لا نقدر أن نرضى الله إلا بالايمان. وإقدام الايمان المبنى على كلمته ليس تجاسراً البتة بل هو فضيلة الايمان أى شجاعته (٢ بط ١ : ٥).

« ولما دخلا السفينة سكنت الريح. والذين فى السفينة جاءوا وسجدوا له قائلين بالحقيقة أنت ابن الله » (ع ٣٢ و ٣٣).

فيكفى حضور المسيح الشخصى لتسكين الرياح العاصفة. نرى هنا صورة أخرى لبعض معاملات الله لاسرائيل فى المستقبل بحيث انهم سيحصلون على النجاة حالما يحضر اليهم المسيح « الله فى وسطها فلن تتزعزع يعينها الله عند إقبال الصبح. عجت الأمم. تزعزعت الممالك. أعطى صوته ذابت الأرض. رب الجنود معنا. ملجأنا إله يعقوب. سلاه » (مز ٤٦ : ٥—٧). وعند ذلك سيعترف به اسرائيل انه بالحقيقة ابن الله. ولا يخفى ان هذه هى الحقيقة التى لا يريدون حتى الآن أن يقبلوها.

زيارته الثانية لجنيسارت (عدد ٣٤—٣٦، مر ٦ : ٥٣—٥٦)

« فلما عبروا جاءوا إلى أرض جنيسارت. فعرفه رجال ذلك المكان. فأرسلوا

إلى جميع تلك الكورة المحيطة وأحضروا اليه جميع المرضى . وطلبوا اليه أن يلمسوا هدب ثوبه فقط . فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء »

قد رأينا فى (ص٨:٢٨—٣٤) أن الرب زار هذه الأرض نفسها ، قبل زيارته المذكورة هنا، وسكانها لم يقبلوه بل طلبوا اليه أن ينصرف عن تخومهم. وأما الآن فقبلوه. وقد رأينا ان جنيسارت وأهلها صورة لهذا العالم من حيث رفضه للمسيح لما حضر فيه أولاً ليخلصه بقدرته من سطوة الشياطين. وأما فى قبولهم إياه الآن فنرى صورة جميلة مفرحة لحالة العالم بعد حضور المسيح الى شعبه القديم وخلاصهم واقرارهم به انه بالحقيقة ابن الله. إذ أن الأمم الباقين فى ذلك الوقت (زك ١٤: ١٦) سيقبلونه وينالون البركة والشفاء من يديه (رو ١١: ١١—١٦) .

الاصحاح الخامس عشر

« حينئذ جاء إلى يسوع كتبة وفريسيون الذين من أورشليم قائلين . لماذا يتعدى تلاميذك تقليد الشيوخ فانهم لا يغسلون أيديهم حينما يأكلون خبزاً » (ع ١ و ٢)

نعود ونرى هنا مقاومة رؤساء الدين ليسوع المسيح . لم يرد الرؤساء العظام فى أورشليم أن يتخلوا عنه . فعاد قوم منهم وقصدوه وهو فى نواحى الجليل واشتكوا له على تلاميذه لمخالفتهم بعض الأقوال المسلمة بتقليد من القدماء .

« تقليد الشيوخ » ان التقليد هو أعظم مانع عند الناس لقبولهم الحق . فانهم بحسب أفكارهم البشرية يتصورون أن القدماء فى تقوى غير اعتيادية ويحسبون أن من علامات التقوى أن يحافظوا على تقليداتهم . ولا يوجد رأى خاطىء إلا ويسند لأقوال بعض القدماء. وقد صارت حالة المسيحيين بالاسم على وجه العموم نظير حالة اليهود فى زمان المسيح ولكن ماذا يجب على رجل الله أن يفعل والحالة هذه ؟ يجب أن يثبت على ما تعلم وأيقن عارفاً ممن تعلم (٢تى ٣ : ١٤) . كان تيموثاوس قد تعلم من بولس إناء الوحى. فكان عارفاً ممن تعلم. وأما الأقوال التقليدية فليس لها مصدر موحىً به من الله . إن تعلمنا شيئاً من الكتاب المقدس نقدر أن نثبت عليه بغاية اليقين عارفين ممن هو . وأما تلك التقاليد فتسلم من يد ليد أو من فم لفم واذا أردنا ان نركن اليها نشبه بحاراً يحاول ان يربط سفينته بخشبة عائمة على الامواج. وان قيل ان بعض الاقوال التقليدية قد كتبت وصارت محفوظة بهذه الواسطة من التحريفات، قلت ولو كتبت فكتابتها لا تجعلها موحىً بها من الله. راجع كلام بولس لتيموثاوس فى هذه القرينة نفسها « وانك منذ الطفولية تعرف الكتب المقدسة القادرة ان تحكمك للخلاص بالايمان الذى فى المسيح يسوع . كل

الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذى فى البر. لكى يكون انسان الله كاملاً متأهباً لكل عمل صالح » (٢تى ٣: ١٥—١٧). فأولئك الكتبة والفريسيون أتوا من أورشليم مركز الأباطيل والبغض للحق و بنوا شكواهم على أساس من تقليد الشيوخ

« فانهم لا يغسلون أيديهم » كان الفريسيون مدققين فى ملاحظة الطهارة الخارجية لدرجة أنهم كانوا يغسلون أيديهم قبلما يأكلون خوفاً من أن يكونوا قد مسوا شيئاً نجساً فيتنجسون وهم لا يدرون. وقد تسلموا هذه العادة من مصدر بشرى لا من الله . فأجابهم المسيح من كلمة الله .

« فأجاب وقال لهم ، وأنتم أيضاً لماذا تتعدون وصية الله بسبب تقليدكم ؟ فان الله أوصى قائلاً اكرم أباك وأمك . ومن يشتم أباً أو أماً فليمت موتاً . وأما أنتم فتقولون ، من قال لأبيه أو أمه ، قربان هو الذى تنتفع به منى ، فلا يكرم أباه أو أمه . فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » (ع ٣ـ ٦) .

لم ينف المسيح أن تلاميذه خالفوا تقليد الشيوخ . ولم يخطئهم فى ذلك . لأنه لا يعتبر ألا وصية الله . وهم تعلموا منه ذلك .

« فان الله أوصى .. الخ » اختار الرب من وصايا الله أول وصية بوعد (أف ٦: ١ـ٣) ، والتى صاحب كسرها أقسى العقوبات (خر ٢١: ١٧) .

« وأما أنتم فتقولون.. ألخ » اختار الرب هنا مثالاً واحداً لتعديهم على وصايا الله بتقليدهم. وهناك أمثلة أخرى فى (ص٢٣: ١٣ ألخ) . أما الايمان فلا يبطل الوصية بل ينفذها لكن بعامل المحبة بقوة الروح القدس .

«فقد أبطلتم وصية الله بسبب تقليدكم » قيل فى (مر ٧: ١٢) «فلا تدعونه فيما بعد يفعل شيئاً لأبيه أو أمه » .

فيتضح من كلام الرب هذا

أولاً — أن وصية الله هذه تطلب من الأولاد أن يخدموا والديهم مقدمين

لهم كل نوع من الاكرام أدبياً فى الطاعة والاحترام، ومادياً فى الاعالة وقت الحاجة (١تى ٥: ٤و٨).

ثانياً — إن رؤساء اليهود كانوا قد ابتدعوا طريقاً بها يتخلص الأولاد من القيام بواجباتهم للوالدين. فمن أراد أن يستعفى مما يجب عليه من هذا القبيل قال لأبيه أو أمه، قربان هو الذى تنتفع به منى. ومعنى هذا القول: انه قد كرس للرب كل ما كان والداه مزمعين أن ينتفعا به منه. ثم يعطى مقداراً من الدراهم لخزانة الرب فيعفى من القيام بواجباته للوالدين. و بذلك أهــان شريعة الله ونفّع ديانة الكهنة والكتبة.

« يا مراؤون، حسناً تنبأ عنكم أشعياء قائلا يقترب إلى هذا الشعب بفمه و يكرمنى بشفتيه وأما قلبه فمبتعد عنى بعيداً. و باطلاً يعبدوننى وهم يعلمون تعاليم هى وصايا الناس » (ع ٧ــ٩) يحب الانسان أن يعمل بحسب ارادته وشهواته. فيستصعب القيام بالواجبات التى ترتبت له من قبل الله. ولكن الله لا يمكنه أن يغير القوانين الأساسية التى وضعها لتصرفنا فى كل أمورنا سواء أكان فى عبادته أم فى اكرام الوالدين. فانه قد وضعنا فى مراكز متنوعة تنتج عنها واجباتنا له وللآخرين أيضاً. مثلاً مركز الولد فى البيت أو نسبته لأبيه يقتضى اتمام الواجبات المتعلقة بذلك. حتى الضمير الطبيعى يحكم هذا الحكم نفسه. ولكن العدو يريد أن يهدم الأساس و يجعل الانسان يخالف ترتيب الله ومع ذلك لا يلومه ضميره، فمن ثم يدخل العدو سلطاناً بشرياً بين الله و بين ضمائرنا. وحينئذ نعتبر تقليد الشيوخ ونهمل أقوال الله. فالفرائض والطقوس الدينية ترضينا وتطمئن قلوبنا ونحن تابعون ارادتنا وشهواتنا تماماً. ولا يخفى أن غسل أيدينا أيسر علينا من تطهير قلوبنا، والاقتراب إلى الله بالفم أيسر من السجود له بالروح والحق. فلا نتطهر إلا بالحق. وأما التعــاليم التى هى وصايا الناس فانما تبعدنا عن الله « طهروا نفوسكم فى طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية

المديمة الرياء. فأحبوا بعضكم بعضاً من قلب طاهر بشدة. مولودين ثانية لا من زرع يفنى بل مما لا يفنى بكلمة الله الحية الباقية الى الأبد » (١ بط ١ : ٢٢ و ٢٣) « يامراؤون، حسناً تنبأ عنكم أشعياء قائلاً الخ » قد اقتبس الرب هذه الشهادة من (أش ٢٩ : ١٣) بحسب الترجمة السبعينية واذا راجعناها مع قرائنها نرى أن مصدر هذه العبادة الباطلة من الشعب هو ابتعاد رؤسائهم عن كلمة الله التى صارت عندهم كسفر مختوم أى انه ليست لها عندهم معانٍ صريحة حاسمة تبلغ سلطان الله رأساً الى ضمائر السامعين . ولكن الله قصد بكلمته أن يجعل كل انسان منتسباً اليه وتحت سلطانه. ويجب أن نلاحظ جيداً أن الرب لا يوضح ماهية هذه التقاليد ولا إن كانت حسنة فى ذاتها أم لا. لانه انما يقصد أن يلفت أنظارنا لأهم شيء وهو أن أكثرها مخالف لكلمة الله كالتقليد السالف الذكر الذى ألغى وجوب اكرام الوالدين . فالمهم فى الموضوع انها تبطل مخافة الرب من ضمائر الشعب بواسطة الرؤساء الدينيين الذين أثبتوا سلطانهم فى قلوب الشعب كقول أشعياء « وصارت مخافتهم منى وصية الناس معلمة » (اش ٢٩ : ١٣) . فانه ينبغى أن يكون لله مقامه الخاص فى قلوبنا لكى نعمل كل ما نعمله اعتباراً لارادته المعلنة لنا فى كلمته. فتكون كلمته هى الرابط الذى يربطنا به تعالى . وحينئذ نثبت فى طاعته بموجب سلطانه الإلهى سواء ارتضى الناس بذلك أم لا .

« ثم دعا الجمع وقال لهم اسمعوا وافهموا . ليس ما يدخل الفم ينجس الانسان بل ما يخرج من الفم هذا ينجس الإنسان . حينئذ تقدم تلاميذه وقالوا له أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا. فأجاب وقال كل غرس لم يغرسه أبى السماوى يقلع. اتركوهم هم عميان قادة عميان. وان كان أعمى يقود أعمى يسقطان كلاهما فى حفرة » . ثم دعا الرب الجمع وشهد لهم علانية ضد رياء معلميهم و بطلان غسل الأيادى باعتناء وهم مهملون طهارة القلب. لقد دققوا كثيراً فى ما يدخل الفم وتغافلوا عما يخرج منه. فان الرب يكره الديانة المؤسسة على تقليد الناس وممارستها اعتباراً لسلطان رؤسائهم

أكثر من كل ما سواها لأنها تخدع البسطاء وتستعبد ضمائرهم وتحرمهم معرفة الله الحقيقية اذ أنها منتسبة اليه بحسب الظاهر ويكون المظنون انه مصادق على ذلك السلطان الكاذب .

« حينئذ تقدم تلاميذه » كان ذلك بعد ما انفصلوا عن الفريسيين ودخلوا بيتاً » (مر ٧ : ١٧) .

«وقالوا له أتعلم أن الفريسيين لما سمعوا القول نفروا؟ » أى اشمأزوا منه غاضبين عليه لنقضه تقاليدهم. ولا عجب من نفورهم لان شعاعاً واحداً من النور الإلهى اذا دخل ضمير الانسان ينزع سلطان البشر المختلس فى لحظة واحدة. واذ ذاك فلا يقدر أحد أن يتداخل بيننا و بين الله ليتسلط على قلوبنا وضمائرنا فى الأمور الروحية اذ يكون لكلام الله موضع فينا ونرى أنفسنا مكشوفين أمامه . ونعرف أن أمرنا معه . فنكون مغروسين في بيت الرب . وفي ديار إلهنا نزهو (مز ٩٢: ١٣و١٤) وليس كالأغراس الكاذبة التى سيقلعها الله بالديونة (ص ٥: ٢٠).

« اتركوهم . هم عميان قادة عميان الخ» ان قول الرب هذا يظهر إلى أية درجة كان الرياء والعمى قد استوليا على اسرائيل ورؤسائهم . فكان القادة والمنقادون معاً متقدمين إلى حفرة . ولم يبق للتلاميذ إلا أن يتركوهم . ولم يكن من واجباتهم أن يخاصموا أولئك المعلمين المرائين بل أن يثبتوا فى الحق منتسبين للآب السماوى بكلمته المغروسة فيهم . وهنا نرى أيضاً أن المضل والمضل يهلكان معاً وان كان المضل أعظم ذنباً .

« فأجاب بطرس وقال فسر لنا هذا المثل . فقال يسوع هل أنتم أيضاً حتى الآن غير فاهمين ؟ ألا تفهمون بعد أن كل مايدخل الفم يمضى الى الجوف و يندفع الى المخرج ؟ وأما مايخرج من الفم فمن القلب يصدر . وذاك ينجس الانسان. لان من القلب تخرج أفكار شريرة قتل زنى سرقة شهادة زور تجديف. هذه هى التى

تنجس الانسان. وأما الأكل بأيد غير مغسولة فلا ينجس الانسان »(ع ١٥ـ٢٠)

« فسر لنا هذا المثل » أى قول الرب فى العدد الحادى عشر . كان النظـام اليهودى قد انحط انحطاطاً عظيماً جداً . وتمكن الرياء فى الرؤساء والشعب حتى لم يقدروا أن يفهموا كلاماً صريحاً من جهة رداءة القلب البشرى. لم يكن هناك شيء مبهم فى قول الرب البتة ولـكنه ظهر كأنه مثل حتى للتلاميذ . فوبخهم الرب على عدم فهمهم. ثم أوضح لهم معناه البسيط. ممارسة الطقوس والفرائض ولو ترتبت فى الأول من قبل الله لا تقدر أن تستر شرور القلب عن نظره المدقق . لانه يبلغ الانسان كلامه الفاحص المنير ليعلن له قبل كل شيء حالته الرديئة . ولـكن الانسان من اعوجاجه يمارس الأشياء الخارجية ويلهيه ذلك عن الاطلاع على ماهو فى داخله. وبذلك يزيد الإثم الذى يحاول أن يخفيه . الاقتناع بخطايانا أمام الله هو أصل كل بر . ولا نقدر أن نخطو خطوة واحدة فى السلوك المرضى لله إن لم يعمل فينا كلامه ليجعلنا عريانين ومكشوفين فى عيوننا . المأكولات مهما كانت لا تمس القلب . فاذاً لا اعتبار لها عند الله الذى يفحص القلب ويطلع على أفكاره ونياته . وماذا يصدر من القلب ؟ تصدر منه « أفكار شريرة قتل زنى فسق سرقة شهادة زور تجديف » . فحقاً القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه ؟»(أر١٧: ٩) قد أعطانا الرب فى جوابه للتلاميذ قائمة مخارج القلب ولم يذكر فيها شيئاً صالحاً . هذا هو القلب البشرى كاينظره هو. ورب قائل يقول: ألا تظهر بعض مزايا حسنة أيضاً كالصداقة وحب الوطن مثلاً ؟ أقول قد تبدو بعض أشياء حسنة المظهر فى الانسان ولـكن مع ذلك لا يزال القلب أخدع من كل شيء ونجيس. لانه مصدر كل نوع من الفساد والظلم . ويندر أن يوجد انسان يظهر كل ما فى قلبه لان الله بعنايته يردع البشر بوسائط مختلفة كاقامته للحكام(أنظر رو١٣: ١ـ٧).وتعلق المصالح الزمنية بحالة الاستقامة ، حتى انه يقال أن الصدق أحسن سبيل للنجاح . ولـكن أقوال النـــاس وأعمالهم التى تظهر أنها حسنة هى جميعها مبنية على أصول

نفسانية واذا وزنت فى ميزان السماء توجد ناقصة لا بل مدينسة بمحبة الذات .

ايمان المرأة الكنعانية (ع ٢١ — ٢٨ ، مر ٧ : ٢٤ — ٣٠)

« ثم خرج يسوع من هناك وانصرف الى نواحى صور وصيدا . واذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت اليه قائلة ارحمنى ياسيد ياابن داود. ابنتى مجنونة جداً. فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا اليه قائلين اصرفها لأنها تصيح وراءنا . فأجاب وقال لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة. فأتت وسجدت له قائلة: ياسيد أعنى. فأجاب وقال ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب. فقالت نعم ياسيد والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها . حينئذ أجاب يسوع وقال لها ياامرأة عظيم ايمانك. ليكن لك كما تريدين. فشفيت ابنتها من تلك الساعة» (ع ٢١ـ٢٨) قد ابتعد الرب عن اسرائيل ورؤسائهم المتصفين على وجه الاطلاق بالرياء والنفاق وذهب الى نواحى صور وصيدا (ص ١١:٢١) التى كان سكانها من الجنس الكنعانى الملعون من قبـــل الله من الأجيال القديمة (قا تك ٩ : ٢٥ مع ١٠:١٥) ولاشك انه وجد هناك كثيراً من أعمال ابليس كما فى اسرائيل. ولكنه قد وجد أيضاً قلباً مضغوطاً من العدو ومدفوعاً باحتياجاته الشديدة الى أن يلتجىء الى الله . وكما اننا قد رأينـا فى الفصل السابق ماهو قلب الانسان هكذا نرى هنا ماهو قلب الله . وان حاجات البشر من جميع الأجنـاس تفتح لهم أبواب رحمة الله حتى انه يمكنهم أن يستمدوا بالايمان كل مايلزمهم للافراج عنهم من ضيقاتهم « ارحمنى ، ياسيد ، ياابن داود » نرى هنا انه يجب علينا أن نقترب الى الله بالحق . فان تلك الامرأة المتضايقة من أعمال ابليس صرخت الى الرب فى الأول كأنها يهودية ولها حق أن تستعين به كابن داود. ثم عملت ذلك بجهالة ولكن الرب يعلمنا بصمته انه لا يمكن أن يصادق على شىء فى غير محله . وأما تلاميذه فلم يحفلوا لعدم مناسبة مخاطبتها اياه كابن داود وطلبوا اليه أن يعطيها طلبتها ويصرفها . فقال

لم على مسمع من المرأة انه لم يرسل (كابن داود) الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة (ص١٠: ٥و٦ ، يو١: ١١) ولم يقل هذا طبقاً لما في قلبه بل طبقاً لمركزه فى ارساليته لاسرائيل. فاذاً لايجوز لأحد أن ينتفع منه فى صفته هذه الا الذين قد أرسل اليهم.

فمند ذلك أتت ودخلت وراءه فى البيت الذى دخل فيه (مر ٧ : ٢٤) وسجدت له معترفة انه السيد و بناء على سيادته المطلقة استعانت به . وكان ذلك منها موقفاً صحيحاً وفى محله .

ولكن بقى شيء آخر لامتحان ايمانها. لا يخفى أن الأمم كانوا يفتخرون على نسل داود لانتصارهم عليهم واستعبادهم لهم فيا ترى هل تخلت ايضاً عن كبريائها الأممية، أم لا؟ أمستعدة هى الآن أن تصادق ايضاً على مقام اليهود كبنين فى البيت أم لا؟ فانه من الامور المعلومة ان الافتخار الجنسى غريزى فى قلوب البشر، و بالكاد يتخلون عنه . فعاد الرب وأسمعها كلاماً من شأنه ان يؤثر فى الأمم تأثيراً عظيما إذ قال « ليس حسناً ان يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب » فاذاً ليس الأمم سوى كلاب بالنسبة الى بنى الملكوت. وخبز البنين عبارة عن البركات التى كان الله يمنحها خصوصاً عن يد المسيح وقت حياته «وأقول ان يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء » (رو ١٥: ٨ وايضاً ٩: ٤و٥) وأما الانجيل المبشر به الآن فلا يعتبر انه خبز البنين لانه ليس خاصاً باليهود بل هو للعالم أجمع (مر ١٦ : ١٥) وليس ما يميز اليهود فيه عن الآخرين الا أن المناداة به قد ابتدأت من أورشليم بحسب أمر الرب بعد قيامته. فلما كان النظام الأول قائماً كان بحسب الأمم أجنبيين واليهود أهل البيت . وكان جواب الرب مذلاً ولكن بالحق. ومن أعظم مراحم الله لنا أن يبلغنا الحق ويكشف به أفكار قلوبنا ونياتها. واذ ذاك نرى اننا كنا أبناء المعصية و بالتبعية أبناء الغضب أيضاً .

والايمان فى هذه المرأة الأممية لم ير أيضاً فى قول الرب الأخير انه يوصد فى وجهها باب النعمة بل فقط باب الاستحقاق . فأظهرت انها متذللة أمام الله ومستعدة

ان تدخل من أى باب قد تعين لها منه . فقالت نعم يا سيد . والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذى يسقط من مائدة أربابها . كانت قد فهمت جواب الرب بسهولة لأن الضيق ينقى القلب من جانب عظيم من المظاهر الكاذبة والادعاءات التى تتسلط عليه وقت الأمن والراحة . فلم يظهر لها جواب الرب كمثل أو كلام مبهم يحتاج الى الشرح . وفحوى جوابها : كلامك حق ولكن لله الحق ان يجود على من يشاء ، وأليست جودته متسعة حتى لا يمكن حصرها فى الشعب الخاص الذى اختاره فى العالم ؟ ولما أقرت بايمانها هذا بحنو قلب الله واتساع رحمته لم يقدر الرب أن يقول ان الله ليس صالحاً هكذا فقال لها يا امرأة عظيم ايمانك . ليكن لك كما تريدين . قابل هذا مع ما جاء فى (ص ١٣ : ٥٨) « ولم يصنع هناك قوات كثيرة لعدم ايمانهم » . لو شفى الرب ابنتها فى الأول وصرفها بحسب طلب التلاميذ لفقدت فوائد عظيمة لنفسها . لا شك ان الايمان عطية الله إذ انه تعالى يعمل خفية فى قلوبنا ويجعلنا نشعر بشقاوة حالتنا وحاجتنا الشديدة الى رحمته ثم يتحول بنا الى الثقة فيه كالمصدر الوحيد الذى يمكننا أن نجد منه عوناً . ولا يزال يراقب عمله فينا . ويقصد ان يعطينا ما نسأل . نعم وأكثر جداً مما نطلب أو نفتكر ولكنه يعمل معنا بحكمة حتى ينمينا روحياً حيث يمتحن ايماننا لكى يزداد ويعلمنا مشيئته الصالحة الكاملة وطرقه ومعاملاته المتنوعة أيضاً .

شفاء المرضى عند بحر الجليل (ع ٢٩ – ٣١ ، مر ٧ : ٣١ – ٣٧)

« ثم انتقل يسوع من هناك وجاء الى جانب بحر الجليل . وصعد الى الجبل وجلس هناك . فجاء اليه جموع كثيرة معهم عرج وعمى وخرس وشل وآخرون كثيرون وطرحوهم عند قدمى يسوع . فشفاهم . حتى تعجب الجموع إذ رأوا الخرس يتكلمون والشل يصحون والعرج يمشون والعمى يبصرون ومجدوا اله اسرائيل » .

رجع الرب الى الشعب الذى أحبه ولكننا نراه هنا بين أذل الغنم فى نواحى

الجليل حيث ابتدأ بخدمته (ص ٤: ٢٣ — ٢٥) لانه كان خادم الختان . فأتوا اليه بجموع كثيرة من المصابين بأمراض عديدة فشفاهم . ولكن خدمته لليهود قاربت النهاية . فانهم انما يقصدونه فى الضيق ثم بعد حصولهم على الفرج يمجدون الله بشفاههم ويرجعون الى عبادتهم الباطلة معتنين بحفظ الطقوس الجسدية . فماذا ينفعهم الخلاص من بعض اثمار الخطية ، والشجرة الردية التى تحملها غير مقطوعة ؟ يمجدون اله اسرائيل اليوم ، وغداً يعودون الى حالة البعد عنه فى قلوبهم . وهذه حالة الانسان ما لم يخضع للمسيح خضوعاً قلبياً وينتسب لله بواسطة كلمته . لقد تعجبوا من مشاهدة أعمال المسيح كأنه قد ظهر فى وسطهم لأول مرة مع أنه كان قد طاف فى تلك النواحى كثيراً جداً . تأثروا به عند حضوره ونسوه وقت الغياب .

إشباع الأربعة الآلاف بالسبع الخبزات

(ع ٣٢—٣٩ ، مر ٨: ١—٩)

« وأما يسوع فدعا تلاميذه وقال انى أشفق على الجمع لأن الآن لهم ثلاثة أيام يمكثون معى وليس لهم ما يأكلون . ولست أريد ان أصرفهم صائمين لئلا يخوروا فى الطريق . فقال له تلاميذه من أين لنا فى البرية خبز بهذا المقدار حتى يشبع جمعاً هذا عدده ؟ فقال لهم يسوع كم عندكم من الخبز ؟ فقالوا سبعة وقليل من صغار السمك . فأمر الجموع ان يتكئوا على الارض وأخذ السبع خبزات والسمك وشكر وكسر وأعطى تلاميذه والتلاميذ أعطوا الجمع . فأكل الجميع وشبعوا ثم رفعوا ما فضل من الكسر سبعة سلال مملوءة . والآكلون كانوا أربعة آلاف رجل ما عدا النساء والاولاد . ثم صرف الجموع وصعد الى السفينة وجاء الى تخوم مجدل » .

عاد الرب وأشبع الجموع خبزاً ولكن يوجد فرق بين ما عمل هنا وعمله المذكور فى ص ١٤: ١٤—٢١ اذ أنه فى المرة الاولى امتحن ايمان تلاميذه وقال لهم : « اعطوهم أنتم ليأكلوا » فانه أراد ان يشركهم معه فى توصيل خيرات الله الى شعبه.

وأما هنا فالعمل صدر منه رأساً ليظهر شفقته اذ قال: اني أشفق على الجمع . ولم يكن التلاميذ قد طلبوا اليه ان يصرفهم . ولكنه نظر الى ضعفهم وأطعمهم لئلا يخوروا فى الطريق. فحقاً نرى صورة جميلة لما هو فى قلبه الشفوق نحو المحتاجين. ثم أخذ ما وُجد عندهم وبارك وكسر فصار ببركته كفاية للجميع . والعدد سبعة عدد الخبزات وعدد السلال يدل على الكمال ، كال البركة الآن وفى زمان الملك ، اذا اعتبرنا ذلك العدد معنوياً . فان الرب بهذا العمل قد أظهر كال شفقته وبركته . وأما العدد أربعة الخاص بالآكلين فينتسب للأرض (رؤ ٧ : ١) ويظهر ان احتياجات الارض مهما كانت ، فتكفى لها بركة يسوع المسيح. فاذاً ما يستفاد من هذه الحادثة بسيط وواضح ويوافق تماماً ما قد رأينا فى هذا الاصحاح نفسه . فان النظام اليهودى قد أصبح فارغاً ومتصفاً بالرياء ورؤساؤه انما استعملوه لخداع الشعب ولنفع أنفسهم واذ ذاك انكشف القلب البشرى تماماً فانه هو هو فى كل الاجيال لا يحب الحق. وإن ظهر له لمعان الشمس يرفضه ويختبئ فى الظلمة ويتخذ الطقوس الدينية ستراً لشروره كما اتخذ آدم وحواء مآزر التين . ولما كشف الرب قلب البشر عاد وأعلن ما هو قلب الله فى غنى نعمته :أولاً – للامم ممثلين فى المرأة الكنعانية ونوع معاملته لها. ثانياً – لشعبه باشباع الاربعة الآلاف بالسبع الخبزات فى البرية لأن ظروف الزمان والمكان لا تفرق شيئاً عند الله الذى هو صالح ومشفق ومفرج عن ضيقات البشر سواء كان في تخوم صور وصيداء أو في برية فى نواحى الجليل .

لم يزل الرب هو ابن داود ابن ابراهيم حسب ارساليته لإسرائيل . ولكن عند رفضه من خاصته ظهرت حقيقة شخصه انه ابن الله الحى ، رب الكل كما سنرى فى الاصحاح الآتى .

الاصحاح السادس عشر

فشل اسرائيل فى تمييز علامات الأزمنة

(ع ١—٤ ، مر ٨ : ١٠—١٣ ، لو ١٢ : ٥٤—٥٧)

« وجاء اليه الفريسيون والصدوقيون ليجربوه فسألوه أن يريهم آية من السماء . فأجاب وقال لهم إذا كان المساء قلتم صحو لأن السماء محمرّة . وفى الصباح اليوم شتاء . لأن السماء محمرة بعبوسة . يا مراؤون تعرفون أن تميزوا وجه السماء وأما علامات الازمنة فلا تستطيعون. جيل شرير فاسق يلتمس آية ولا تعطى له آية إلا آية يونان النبي . ثم تركهم ومضى »

عاد قوم من الفريسيين والصدوقيين يقصدونه ليجربوه . لقد كان الفريقان مضادين لبعضهما بشدة من جهة معظم تعاليم الكتاب ، ولكنهما اتحدا فى رفض الرب يسوع ـ الملك الموعود به . واذ كانوا يعرفون الانبياء علموا انه توجد علامات وآيات مزمع حدوثها قبل ظهور المسيا ، فجاءوا الى يسوع وسألوه أن يريهم آية من السماء ـ أى من الآيات الدالة على حلول عصر المسيا ، وذلك ليس لأجل معرفة الحق بل « ليجربوه » . فوبخهم الرب يسوع على عدم ايمانهم إذ كانوا قادرين على تمييز وجه السماء من جهة أحوال الجو ، وأما علامات الازمنة فلا يستطيعون تمييزها . لو كانت عيونهم مفتوحة لرأوا أن كل معجزات المسيح هى علامات الدهر الآتى الدالة على حضور الملك . لقد كان المسيا فى وسطهم ، رب السماء والارض كان معهم ولكن « الظلمة لم تدركه » . كانوا عمياناً فلم يستطيعوا أن يدركوا أمجاده الأدبية والروحية . كانت أمامهم أعظم آية أعطاها الله للانسان ـ شخص ابنه الحبيب الذى تنكسف أمامه كل الآيات ، ولكن عدم الايمان ، أمام نور أبهر من لمعان الشمس لا يزال يطلب أيضاً ضوء شمعة .

فأجابهم الرب هذه المرة جواباً مختصراً جداً ثم تركهم ومضى .لأية لمسـبـاذا يصرف وقتاً أكثر معهم وقلوبهم الغليظة قد أعمت عيونهم (ض ١٣ : ١٥) ؟ ولم يكن عنده جـــواب لهم سوى قوله السابق ان الله يرد على طلبتهم و يعطيهم آية يونان النبي . وما هـذه الآية سوى آية شخص اختفى من الارض ثم اختفى عن شعب اليهود جائزاً فى رمز الموت ثم رُدَّ اليهم ثانية . فهى رمز الموت والقيامـة . وعندما تمت الآية وقام الرب يسوع من الاموات لم يقتنع أولئك المقاومون . ولكن الرسالة التى احتقرها اليهود أرسلها الرب الى الأمم .

التحذير من خمير الفريسيين والصدوقيين

(عدد ٥ ـــ ١٢ ، مر ٨: ١٤ — ٢١)

« ولما جاء تلاميذه الى العبر نسوا أن يأخذوا خبزاً . فقال لهم يسوع ، انظروا وتحرزوا من خمير الفريسيين والصدوقيين . ففكروا فى أنفسهم قائلين ، اننا لم نأخذ خبزاً . فعلم يسوع وقال لهم ، لماذا تفكرون فى أنفسكم يا قليلى الايمان ، انكم لم تأخذوا خبزاً . أحتى الآن لا تفهمون ولا تذكرون خمس خبزات الخمسة الآلاف ، وكم قفة أخذتم ؟ ولا سبع خبزات الاربعة الآلاف ، وكم سلاً أخـذتم ؟ كيف لا تفهمون انى ليس عن الخـــبز قلت لكم أن تتحرزوا من خـمير الفريسيين والصدوقيين ؟ حينئذ فهموا أنه لم يقل أن يتحرزوا من خـمير الخبز بل من تعليم الفريسيين والصدوقيين » .

نرى هنا حالة أفكار التلاميذ ، وعدم إدراكهم الروحى . كان لهم ايمان حقيقى بشخصه . وهذا فى ذاته أساس كل شىء . ولكن معرفتهم كانت قليلة جداً . فان تقليد الشيوخ كان لا يزال يؤثر فيهم. نعم . لقد تركوا غسل الأيادى. ولكن لا يخفى علينا ان النتائج الرديئة الناشئة من سوء التعليم لا تظل تلاحقنا زماناً طويلاً وتعيقنا عن النمو والتقدم الروحى. فان ما انغرس فينا فى صغر السن لا يفارقنا فى يوم واحد .

فلامهم الرب لقلة ايمانهم إذ كان يليق بهم ان يعرفوا مَن هو ، وما هى قدرته ، وانه لا يفكر فيما اذا كانوا قد أخذوا زاداً للطريق ، أم لا . فانهم لو احتاجوا ، لكان فى قدرته أن يبارك ما عندهم و يطعمهم . فلنلاحظ أيضاً أن الرب يعبر هنا عن التعليم الفاسد بالخمير . وكان التلاميذ ملومين لأنهم لم يفهموا ذلك حالاً .

آراء الأمة فيه (عدد ١٣و١٤ ، مر ٨: ٢٧ و٢٨ ، لو ٩: ١٨ و١٩)

« ولما جاء يسوع الى نواحى قيصرية فيلبس سأل تلاميذه قائلاً ، من يقول الناس انى أنا ابن الانسان؟ فقالوا ، قوم يوحنا المعمدان . وآخرون إيليا . وآخرون ارميا أو واحد من الانبياء » .

« من يقول الناس انى أنا ؟ » . انفرد يسوع مع تلاميذه فى أقاصى أرض اسرائيل ولما كانوا وحدهم هناك سألهم عن ما هية أفكار اسرائيل من جهته . كان قد صرف زمناً طويلاً بينهم يصنع أعمالاً تشهد لحقيقة من هو وأرسل تلاميذه أيضاً اليهم مرة (ص ١٠: ١ و٦) أو مرتين (لو ١٠: ١) ورافقهم بقوة لتأدية الشهادة له . وكان يجب أن يكون اسرائيل قد جزموا فى أنه مسيحهم . لقد أطال الله أناته عليهم كثيراً جداً ، ولكنه لا يقدر ان يتأنى الى الابد . أشرق النور السماوى عليهم فكان يجب ان يحكموا حكماً نهائياً أهو نور لهم أم ظلام .

« فقالوا ، قوم « يوحنا المعمدان » أى قال البعض عنه انه يوحنا المعمدان . كان هذا القول حديثاً وأصله من هيرودس الملك الذى خاف من ان يكون يوحنا قد قام من الاموات (ص ١٤: ٢) . ولم يمكن ان يكون صحيحاً . فان الجميع عرفوا جيداً ان يسوع كان يطوف فى خدمته العجيبة زماناً قبل موت يوحنا . ومع ذلك جرى هذا القول على ألسنة الناس والبعض قبلوه . متى صمم الانسان على ان لا يقبل الحق فانه يقبل الكذب بكل سهولة ، ويحاول ان يسكن ضميره به لأنه لا يريد أن يبحث فى الأدلة التى تثبت الحق خوفاً من انها تظهر واضحة وسديدة .

« وآخرون ايليا» أي وقال آخرون انه ايليا . توجد نبوة صريحة بخصوص مجيء ايليا النبي الى اسرائيل (ملا ٤ : ٥ و ٦). ولكن ليس شيء من خدمته يطابق خدمة المسيح الجارية امام اعينهم فهؤلاء ايضاً لم يكلفوا أنفسهم مشقة البحث فى هذا الموضوع .

« وآخرون ارميا » أي ذهب البعض الآخر الى القول بانه ارميا أو واحد من الانبياء . المحتمل ان قولهم هذا يسند الى تقليد الشيوخ فانه لا يوجد أدنى اشارة اليه فى النبوات .

الخلاصة انه لم يوجد فى اسرائيل ايمان به انه المسيح وكأن تعبه فى اعلان ذاته لهم قد ضاع فيهم سدى (اش ٤٩ : ٤)

كانت لهم أفكار وآراء فقط . ولكن لا ايمان . وفى الحقائق الالهية لا ينفعنا ان نتذاكر فيها ونذهب الى آراء وأقاويل متنوعة . لأن الله يطلب منا ان نؤمن بها ايماناً . وليست الآراء من الايمان . وهنا انكشف عدم ايمان اسرائيل بيسوع انه مسيحهم واتضحت غفلتهم عنه واهمالهم لكلمة الله . فصار الوقت مناسباً لأن يعلن الرب لتلاميذه إقامته لنظام جديد .

اقرار بطرس

(عدد ١٥ — ١٧ ، مر ٨ : ٢٩ ، لو ٩ : ٢٠ ، يو ٦ : ٦٨ و ٦٩)

« قال لهم وأنتم من تقولون أنى أنا . فاجاب سمعان بطرس وقال أنت هو المسيح ابن الله الحى . فاجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . ان لحماً ودماً لم يعلن لك لكن أبى الذى فى السموات ».

« قال لهم وانتم من تقولون انى أنا ؟ » هذا هو السؤال الاعظم للتلاميذ الآن بعد ان انكشف عدم إيمان الأمة الاسرائيلية ، فان النظام الجديد العتيد ان يقام

مقامها مبنيًا على حقيقة شخص المسيح ، لا على المواعيد والامتيازات التى اعطيت لابرهيم ولنسله بحسب الجسد .

« فاجاب سمعان بطرس وقال : انت هو المسيح ابن الله الحى » . فاقرّ بطرس بحقيقة شخصه .

أولاً — انه المسيح أى الموعود به لاسرائيل ويتعلق بذلك انه ابن داود بن ابرهيم الذى تمت فيه المواعيد والنبوات والذى يبارك اسرائيل أولاً ثم جميع الأمم.

ثانياً — انه ابن الله الحى . وهذا أوسع جداً من كونه المسيح الحقيقى المرسل الى اسرائيل ، ويتعلق بحقيقة شخصه كابن الله . كان نثنائيل قبل هذا قد اعترف بأنه ابن الله (يو ١: ٤٩) وكذلك الذين كانوا معه فى السفينة (ص ١٤: ٣٣) وكذلك مرثا (يو ١١: ٢٧) ولكنهم لم يقولوا ، أبن الله الحى . وايضاً ليس مذكوراً انهم أقروا اقرارهم بموجب اعلان خصوصى من الآب . نرى فى المزمور الثانى أساس اقرار نثنائيل والآخرين الذين اعترفوا بانه ابن الله وملك اسرائيل . فان الله يعلن أن ملوك الارض ورؤساءها تآمروا على الرب وعلى مسيحه ولكنه سيقيم ملكه على صهيون رغماً عن مؤامراتهم ، وان ملكه هذا هو ابنه . وأما بطرس فاعترف بأنه « ابن الله الحى » وقوله « الله الحى » معناه أنه تعالى مصدر الحياة . فان له تعالى حياة فى ذاته وليس ذلك فقط بل يمنحها أيضاً للآخرين . هذا هو وصف الآب ووصف الابن باعتبار أن كلا منهما هو الله بذاته « كما أن الآب يقيم الاموات ويحيى كذلك الابن أيضاً يحيى من يشاء . . . لأنه كما أن الآب له حياة فى ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً (كابن الانسان طبعاً) أن تكون له حياة فى ذاته » (يو ٥: ٢١و٢٦). وكان هو « ابن الله الحى » فى حقيقة شخصه قبل موته ولكنه تبرهن كذلك بقوة فى قيامته من الاموات (رو ١: ٤)

« فأجاب يسوع وقال له طوبى لك يا سمعان بن يونا . إن لحماً ودماً لم يعلن

لك ، لـكن أبي الذى فى السموات » كان الاب قد عمل عمـلا خاصاً فى بطرس وكشف لإيمانه حقيقة شخص المسيح .

« إن لحماً ودماً لم يعلن لك» أى ان بشراً لم يعلن لك هذا . فان إقرار بطرس لم يصدر منه ولا من غيره من البشر بل من عمل الآب فيه .

أول ذكر للـكنيسة (ع ١٨)

« وأنا أقول لك أيضاً ، أنت بطرس ، وعلى هـذه الصخرة أبنى كنيستى . وأبواب الجحيم لن تقوى عليها ».

كان بطرس قد قال له « أنت المسيح ابن الله الحى » والمسيح ايضـاً قال له « أنت بطرس » وكان قد أعطاه لقب بطرس فى أول مقابلة (يو ١: ٤٢). ولا يخفى ان أصل هذه اللفظة يونانى ومعناها صخر بالنظر الى ما كان عتيداً أن يظهر فيه بعمل نعمة الله من ثبات ورسوخ . فانه بحسب الطبيعة كان سمعان بن يونا فقط وأما بنعمة الله فيتصف باسمه « بطرس». انظر ايضاً قول الرب «وأنت متى رجعت ثبت اخوتك »(لو ٢٢: ٣٢). نرى أن الرب جعل ليعقوب ويوحنا اسم «بوانرجس أى ابنى الرعد» (مر ٣: ١٧) بالنظر إلى بعض الصفات التى كان مزمعاً أن يعطيهما لهما لخدمته .

« وعلى هذه الصخرة أبنى كنيستى » فما هى هـذه الصخرة ؟ لا شك عندى انها شخص الرب الذى كان بطرس قد اعترف به .

أولاً — لفظة بطرس هى بصيغة المذكر فى الأصل اليونانى وأما لفظة الصخرة فهى مؤنثة . ولو قصد الرب ان يصرح انه مزمع أن يبنى كنيسته على بطرس لقال، أنت بطرس وعليك أبنى كنيستى ولكنه لم يقل ذلك .

ثانياً — الرسول بطرس نفسه لا يدّعى فى كتاباته انه هو الصخرة التى بنيت عليها الـكنيسة (أنظر ١ بط ٢: ٤ـ٨) حيث يسمى المسيح حجراً حياً وحجر زاوية

وحجر صدمة وصخرة عثرة . ويضيف الى ذلك كلاماً يعبر عن المسيح كالأساس الوحيد للمؤمنين به . ولكنه يشير إلى المؤمنين كحجارة حية تبنى لا على بطرس بل على المسيح . فلا يوجد مطلقاً شيء فى أقواله يثبت أنه أساس الكنيسة . ونراه أيضاً يستعمل لفظة حى كثيراً لأن للمسيح المقـام من الاموات هو أساس تعليم بطرس كسائر الرسل . راجع قوله « مبارك الله أبو ربنا يسوع المسيح الذى حسب رحمته الكثيرة ولدنا ثانية لرجاء حى بقيامة يسوع المسيح من الأموات ، لميراث لا يفنى ولا يتدنس ولا يضمحل . محفوظ فى السموات لأجلكم » (١ بط ١ : ٣ و ٤) . لا يخفى ان الرسول بولس قد أشار الى القديسين كبنيين على أساس الرسل والانبياء (انظر أف ٢ : ٢٠) وكان الأليق بالذين زعموا بأن بطرس هو الاساس أن يقتبسوا هذه الشهادة لإثبات زعمهم ولكنهم لم يفعلوا ذلك لأنه بحسب هذه العبارة لايظهر أدنى فضل أو تقدُّم لبطرس لأن الوحي يجمع الرسل والانبياء معاً فيؤول ذلك إلى خلاف مقصدهم .

« كنيستى » أى جماعتى .

« أبنى » فعل مستقبل بحسب الاصـل . أى « سأبنى » فالمسيح نفسه هو البانى والذى يبنيه هو يثبت إلى الأبد .

« وأبواب الجحيم لن تقوى عليها » أى أن قوات الجحيم « لن تقوى عليها » لأنها عمل يديه . فانه يحيي أنفس مختـاريه ويجعلهم متحدين معه بالروح القدس وهو مقام من الأموات ، ومن ثم فلابد أن يحفظهم للحياة الأبدية ، إذاً فلن تقوى تلك القوات على أن تقرض جماعة الرب من وجودها كشهادة له على الأرض حتى يأتى الرب ليختطفها إلى السماء ، كما أنها لن تقوى على أن تهلك المؤمنين به .

قد وردت اشـارات فى رسائل بولس إلى نفسه وإلى غيره من خدام المسيح كبنائين (أنظر ١ كو ٣ : ٥ـ١٧) ولكنه لا يقول عن عملهم انه يثبت ولن تقوى عليه أبواب الجحيم بل بالعـكس يقول « فلينظر كل واحد كيف يبنى عليه » : كان

الأساس الوحيد قد وضع الذى هو يسوع المسيح الذى لا يستطيع أحد أن يضع غيره (أنظر عدد ١١ مع اش ١٦:٢٨) و يجب على كل خادم كبولس و بطرس وغيرهما أن ينظر كيف يبنى عليه أى أن يحترز أن لا يعلم الا التعاليم الصافية عن المسيح لأجل بنيان القديسين بواسطة الحق. قد كان بطرس نفسه ملوماً مرة من جهة عدم تصرفه باستقامة حسب حق الانجيل فقاومه بولس مواجهة (غل ٢:١١ الخ) ولكنى لا أشير إلى هذه الحادثة لأضع من شأن بطرس بل لأمجد نعمة الله العظيمة. كان الرسل كسائر عبيد الله فى أشخاصهم وفى خدمتهم من أثمار نعمة الله. وان كان أحد منهم كبولس مثلاً قد تعب أكثر من الآخرين فالفضل فى ذلك يرجع إلى نعمة الله (أنظر ١ كو ١٥:١٠) ويليق بنا نحن أن نستفيد من خدمة كل واحد منهم ونشكر الله لأجلها.

لا أقدر أن أطيل الشرح هنا على ماهية الكنيسة . لان ذلك يتعلق بما ورد فى سفر الأعمال والرسائل . ولكنه يتضح لنا من هذه العبارة :

أولاً — ان كنيسة المسيح أو جماعته كانت مستقبلة بعد . فانه أعلنها هنا كبناء جديد كان مزمعاً أن يبنيه .

ثانياً — ان صخرة أساسها هى شخص المسيح كابن الله الحى مقاماً من الأموات .

ثالثاً — ان البانى هو المسيح نفسه . كما قال « وعلى هذه الصخرة أبنى (أو سأبنى) كنيستى » .

رابعاً — انه يشير إلى عمله الفعال الذى يثبت رغماً عن مقاومة العدو لا إلى العمل الظاهر الجارى عن يد العبيد الذى يمكن أن يفسد. وهنا نرى فرقاً عظيماً بين ملكوت السموات و بين الكنيسة . فاننا قد رأينا ان العدو يقوى على الملكوت مدة غياب الملك و يتمكن من زرع الزوان وادخال أعمال أخرى من شأنها أن تشوش الملكوت وتعده للدينونة . وأما الكنيسة التى يبنيها المسيح على شخصه فلن تقوى عليها

الأعداء . راجع رسالة بولس إلى أهـــل أفسس خصوصاً ص ٥ : ٢٤ ــ ٢٧ .

مفاتيح الملكوت وسلطان الربط والحل (ع ١٩)

« وأعطيك مفاتيح ملكوت السموات . فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات . وكل ما تحله على الأرض يكون محلولاً فى السموات »

ان موضوع فتح الملكوت المذكور هنـا هو موضوع جديد ولو انه مقترن بموضوع بناء الكنيسة المار ذكره .

المفـــاتيح (ع ١٩)

مفاتيح ملكوت السموات هنا عبـارة عن قوة الفتح فقط . ويجب أن نمعن الفكر فى جميع ألفاظ هذه العبارة . ليس لأنها مبهمة وغامضة بل لسوء استعمالها من كثيرين لاثبات أضاليلهم بها . فالحقيقة من جهة الربط والحل هى انهما يشيران إلى التصرف السياسى أو الادارى ، أما المفاتيح فهى للفتح فقط . وكان فتح ملكوت السموات شيئاً والسياسة المعبر عنها بالربط والحل شيئاً آخر . أيضاً كان ملـكوت السموات مستقبلاً بعد وفوض الرب فتحه إلى عبده بطرس وحده . ولا يوجد أدنى ريب فى تسليم المفاتيح المذكورة هنـا ليد بطرس . فانها كانت للرب الذى له كل السلطان فى السماء والأرض . وكان انشاء ملكوت السموات على الأرض من جملة الأعمال التى قصد أن يجريها مدة غيابه . وفعلاً فتح بطرس ملكوت السموات أولاً لليهود فى (اع ٢ : ١٤ ــ ٤٢) وثانياً للسامريين فى (اع ٨ : ١٤ ــ ١٧). وثالثاً للأمم فى (اع ١٠ : ١ الخ). ولذلك لم يقل الرب لبطرس ، وأعطيك مفتاح بل « مفاتيح » . ان الباب الواحد يفتحه مفتاح واحد ومرة واحدة . فلماذا إذاً « مفاتيح » ، والملكوت واحد ؟ لأن الذين دخلوا إلى الديانة المسيحية فى ذلك الوقت دخلوهـــا من ثلاث ديانات . اليهودية وهى تعبد الله وحده (تث ٦ : ٤) والوثنية وهى تعبـد الوثن (يش ٢٤ : ١٥) والسامرية وهى تعبد الله والوثن معاً (٢مل ١٧ : ٢٤ و ٤١) فكان

لكل فريق منهم بابه الخاص الذى ينتقل به من ديانته الخاصة إلى الديانة المسيحية ولذلك كانت لبطرس خدمته الخاصة لكل فريق لادخاله . ومن ثم أيضاً كان المسلم له مفاتيح وليس مفتاحاً. فلما استعمل المفاتيح وأكمل مأموريته هذه صار الملكوت مفتوحاً ولا يزال هكذا للآن ،والرب عند مجيئه سيجده مفتوحاً وينقيه من المعاثر وفاعلى الإثم . فلا توجد أدنى اشارة فى الانجيل إلى غلق ملكوت السموات بعد فتحه بواسطة بطرس . وقد شهد هذا الرسول نفسه عن قيامه بخدمة الفتح للأمم إذ قال « أيها الرجال الاخوة أنتم تعلمون انه منذ أيام قديمة اختار الله بيننا انه بفمى يسمع الأمم كلمة الانجيل ويؤمنون الخ » (اع ١٥: ٧-١٢). ثم إذا راجعنا مواعظ بطرس لليهود والأمم نرى انه لم يذكر لهم شيئاً عن الكنيسة بل أطال الكلام عن عن قيامة يسوع المسيح وارتفاعه إلى يمين الله وصيرورته رباً ومسيحاً . ونادى لليهود برجوعه ثانية لبركتهم كأمة ان كانوا يتوبون (اع ٣) فلاشك عندى ان الاصحاحات الأولى من سفر الأعمال توضح غاية التوضيح خدمة الرسول بطرس أو وكالته الخاصة التى أسندها الرب اليه اذ انه افتتح نطاقاً إلهياً جديداً . ومن الأمور المعلومة انه ينبغى أن يعطى توكيل خاص لخادم لكى يجوز أن ينشىء نظاماً جديداً . كما سبق أن أعطى الله لموسى . فلما سمع الجموع يوم الخمسين كلام بطرس عن قيامة المسيح وارتفاعه (اع ٢: ٢٢-٣٦) « نخسوا فى قلوبهم وقالوا لبطرس ولسائر الرسل « ماذا نصنع أيها الرجال الاخوة ؟ » فأصبحوا فى حيرة لا مزيد عليها لانهم كانوا قد قتلوا مسيحهم ومن ثم لم يبق سبيل لتكميل انتظارهم للبركة والراحة تحت ملكه على الأرض . فاذاً رجاؤهم كنسل ابرهيم انقطع . فماذا يصنعون ؟ فمن من الرسل يستطيع أن يجاوب على سؤالهم هذا ؟ « فقال لهم بطرس ، بطرس وحده اذ هو الذى استلم من الرب حق الفتح لهم « توبوا وليعتمد كل واحد منكم على اسم يسوع المسيح لغفران الخطايا فتقبلوا عطية الروح القدس الخ » (عدد ٣٨-٤١). كان يجب عليهم أن يتوبوا ويعترفوا بالمسيح المرفوض من أمتهم والمرتفع إلى يمين الله . هذا

من جهة خضوعهم لملكهم الجالس الآن فى السماء حيث امتلك سلطاناً مطلقاً . ولكن ماذا تكون نسبتهم للأمة الاسرائيلية المتمردة ؟ قال لهم هذا الرسول أيضاً « اخلصوا من هذا الجيل الملتوى » « فقبلوا كلامه بفرح واعتمدوا وانضم فى ذلك اليوم نحو ثلاثة آلاف نفس » وكذلك كان الأمر لما ابتدأ الله أن يعمل بين أناس أمميين (ص ١٠) فان الرب استخدم بطرس ليذهب إلى قيصرية ليقول لهم ماذا ينبغى أن يعملوا. وصادق الرب على كلامه ونتيجة خدمته انه أمر أن يعتمدوا باسم الرب.

فيتضح : أولاً ـ ان الله أبدأ حينئذ نظاماً جديداً اختلف عن النظام القديم اختلافاً عظيماً . نعم وعن خدمة المسيح نفسه وهو على الأرض.

ثانياً ـ ان الرسول بطرس لا غيره أستخدم لبدء هذا النظام وكان هو المتقدم فى الكلام والخدمة فى أكثر الحوادث المذكورة فى الفصل الأول من سفر الأعمال إلى آخر (ص ١٢)

ولكننا بعد ذلك نرى رسولاً آخر أى بولس متقدماً . ولا نسمع عن بطرس إلا شيئاً قليلاً جداً . وأيضاً نرى ان خدمة بولس تتميز عن خدمة الآخرين فى بعض أوجه ، خصوصاً من جهة تعليم الكنيسة كجسد المسيح المتحد معه فى السماء بالروح القدس المرسل منه من العلاء أو بالاختصار الكنيسة المبنية على المسيح ولن تقوى عليها أبواب الجحيم . كان بولس ينادى بالملكوت أيضاً كسائر الرسل والخدام ولكنه امتاز عنهم بتعليم الكنيسة كما يتبين لمن يطالع أسفار العهد الجديد .

فلنرجع الآن الى موضوعنا الرئيسى وأعنى به فتح الملكوت عن يد بطرس والسياسة المتعلقة بالملكوت بعد فتحه . وقد رأينا ان المفاتيح هنا عبارة عن الفتح فقط ، إذ لم ترد قط شهادة ولو واحدة على أن بطرس أو غيره يستعمل المفاتيح لغلق الملكوت. لأنه لا يزال مفتوحاً ، مع انه الآن على هيئة سرية وسيظل هكذا مفتوحاً الى وقت تنقيته على يد الملك الآتى (ص ١٣ : ٢٤ و٢٥ و٤٠ ـ ٤٣) ولا يغلق الى نهاية ملكوت الألف السنة .

الربط والحل (ع ١٩)

« فكل ما تربطه على الارض يكون مربوطاً فى السموات وكل ما تحله على الارض يكون محلولاً فى السموات » . فالربط والحل عبارة عن السياسة المتعلقة بملكوت السموات. فلنبحث فى ماهيتها. ليلاحظ القارىء جيداً ان المفاتيح تختلف عن الربط والحل . فان الربط والحل مهما كانا فلا يتمان بمفاتيح . لو قال الرب ، فكل ما تغلقه على الارض يكون مغلقاً فى السموات الخ ، لكان هناك باب للقول بأن المعنى واحد . ولكنه لم يقل هكذا . بل أتى بألفاظ أخرى تناسب الخدمة المعبر عنها بالربط والحل . فأقول :

أولاً ـ ان الربط والحل قد أُسلما أولاً لبطرس ثم لإثنين أو ثلاثة مجتمعين باسم الرب يسوع انظر ص ١٨:١٨ هذه هى أقوال الرب الصريحة التى يجب أن نخضع لها .

ثانياً ـ دائرة الربط والحل هى الارض لا السماء . لأن ملكوت السموات هو دائرة الاعتراف المسيحى على الارض ، ويجب ان نلاحظ هذا القول كل الملاحظة . قد فوَّض الرب المطلق السلطان سياسة أو وكالة الى بطرس ثم الى اثنين أو ثلاثة مجتمعين باسمه على الارض . ولكنه قد عيَّن لهم الدائرة أيضاً لممارسة هذه الخدمة . لا شك اذا ربطوا أو حلوا شيئاً على الارض بحسب مشيئة الرب ، فانه يصادق هو عليه فى السموات. ولكنه لا ينتج من ذلك انهم يقدرون ان يعملوا عملهم هذا فى السموات . كما انه يمكن للملك مثلاً ان يقيم والياً على ولاية ويلبسه سلطاناً ليمارسه فى الموضع المعين له وبحسب القوانين الموضوعة عليه. وما دام يتصرف بأمانة يصادق مولاه على أحكامه ولكنه لا يخطر على بال الوالى البتة انه يستطيع ان ينوب عن مولاه فى الجلوس على عرشه وممارسة سلطانه ، أو انه يقدر ان يفعل كل ما يقدر مولاه ان يفعله . لا يخفى ان جميع الذين يعظمون سلطان الرسول بطرس أو بالأحرى يعظمون أنفسهم على حسابه يدّعون هذا الادعاء الفاسد نفسه. وبهذه

الواسطة يخوفون البسطاء ويستعبدون ضمائرهم كأنهم قد امتلكوا سلطاناً مطلقاً ليفتحوا ويغلقوا السماء كما يشاءون . وليس ذلك إلا اختلاس لحقوق الرب وخيانة شنيعة ضده . قلت انهم يعظمون أنفسهم على حساب بطرس ، إذ انهم يدّعون إدعاءاً آخر عديم الاساس وهو انهم خلفاء الرسول بطرس .

ثالثاً ـ يوجد جانب عظيم من الافعال الإلهية يجرى رأساً عن يد الله ولا دخل للربط والحل المذكورين هنا فيهما مطلقاً . فان تبرير المؤمنين تبريراً كاملاً وأبدياً يصير دفعة واحدة وقت ايمانهم من قبل الله نفسه . ولا يمكن لأحد ان ينتقص من ذلك « الله هو الذى يبرر . من هو الذى يدين ؟ » (رو ٨: ٣٣ و ٣٤). لا شك أن بطرس وبولس وسائر الرسل وخدام المسيح نادوا بغفران الخطايا بمعنى التبرير . وجميع الذين آمنوا تبرروا الى الأبد . ولم يخطر على بال أحد منهم ان له يداً فى إجراء ذلك أو فى نقضه . لأن الله هو الذى يبرر المؤمنين بيسوع (رو ٣: ٢٢) . ولما آمنوا انتقلوا من الموت إلى الحياة وصاروا مقبولين فى المحبوب ولا شيء من الدينونة عليهم ولا يأتون إلى دينونة (يو ٥: ٢٤ ، رو ٨: ١) . وصار لهم اليقين التام من جهة حصولهم على كل ذلك . ونحن عندما نتأكد ذلك لأنفسنا نستطيع أن ندرك السياسة الإلهية المعبر عنها بالربط والحل التى تتعلق بالمعترفين بالمسيح كربهم ومخلصهم. فان الله لا يترك المؤمنين يتصرفون بحسب ارادتهم بعد اعترافهم بالرب يسوع .

رابعاً ـ الربط والحل يتعلقان بسياسة الله للمنتسبين إلى يسوع المسيح المرتفع الى السماء بالنظر لسلوكهم على الارض . لاحظ أن الرب يذكر الربط أولاً ثم الحل . لأن هذه السياسة تعتبر المؤمنين فى حالة الحل كحالتهم المعتادة المعروفة . ثم إذا صار لزوم لإجراء التأديب تُربط عليهم خطيتهم ثم بعد توبتهم يحلون منها . ويمكن لله أن يعطينا شركة معه فى ذلك ان كنا روحانيين ، فانه من الاعمال التى تجرى على الارض وليس فى السماء . لله حكم أو سياسة على جميع الناس ولا سيما

على الذين قد اعترفوا باسمه . ولا يزال يعاملهم دائماً من جهة سلوكهم، وخير لنا ان ننتبه ليده . ولكن ربط خطايانا علينا فى وقت ما للتأديب لا يعنى شيئاً من جهة أمر خلاص نفوسنا . لا بل هذه التأديبات نفسها مما يبرهن أننا من أولاد الله « ان كنتم تحتملون التأديب يعاملكم الله كالبنين . فأى ابن لا يؤدبه أبوه ؟ ولكن إن كنتم بلا تأديب قد صار الجميع شركاء فيه فأنتم نغول لا بنون الخ » (عب ١٢: ٤-١١) وكما ان ربط خطايانا علينا للتأديب لا يدخل فى مسألة الهلاك الابدي كذلك حلها أو غفرانها لا يعنى شيئاً من جهة التبرير الكامل الذى صار لنا مرة واحدة كمؤمنين. وبما ان المسيحيين قد أصبحوا على وجه العموم في شك من جهة موضوع التبرير، فلا تمييز لهم بين أفعال الله المطلقة فى خلاصنا مجاناً إكراماً لدم المسيح وبين معاملاته التدريبية التى يجريها لتنقيتنا وتقويمنا . فنرى أن أتباع المذاهب التقليدية قد فقدوا تماماً معرفة التبرير بالايمان. فصارت الفرصة مناسبة للاكليروس أن يزعجوا أفكار الشعب ويعظموا شأن سلطانهم كأن حكم الله تعالى نفسه فى يدهم. فيتكلمون عن الحل والربط (بحسب ما ابتدعوه لها من معانى) كأنهما فى أيديهم . وانهم يستطيعون أن يغلقوا السماء عينها أو يفتحوها بحكمهم. وهذا الادعاء ظاهر البطلان. فضلا عن ذلك فإن ادخالهم واحداً الى السماء لا ينفعه كثيراً ، لأنهم يعلّمون فى الوقت نفسه بالدينونة العامة حين يدان جميع الاموات حسب أعمالهم. ولا يتجاسر أحد منهم على القول بأن تلك الدينونة تفوَّض اليه لأنه من الحقائق المعترف بها عند الجميع ان الرب نفسه هو الديان . وأنه سيحكم بحسب أعمال البشر . فاذاً ينبغى لهم جميعاً أن ينتظروا حكم الرب أخيراً . ومن ثم لا يوجد بحسب تعليمهم واحد لا من الاكليروس ولا من الشعب يعرف الآن أهو من الذين سيفوزون بالخلاص الابدي أم لا. وبالاجمال أقول أن جميع الاعمال التى يعملونها من باب الربط والحل هى فى حقيقتها من حيث سياسة الله أو معاملاته المؤقتة فقط، ولا يقدرون أن يربطوا ويحلوا الى الابد . لأنه ليس فى طاقة مخلوق ان يدخل انساناً الى السماء . لأن هذا

الدخول لا يكون إلا بالولادة من الله (يو ٣:٣—٨) وهذه لا يجريها إلا الله عن طريق الايمان بمحبته وكفارة ابنه (يو ١٢:١ و١٣ ، ٣:١٤—١٧) . كما انه ليس فى طاقة مخلوق أن يحرم أحداً من دخول السماء . لأن هذا الحرمان مبنى على الدينونة. والدينونة لا يجريها إلا المسيح لأنه ديان الجميع (يو ٢٢:٥) أما المذاهب البروتستانتية فقد حصلت على نور أكثر من أولئك من جهة التبرير بالايمان ، والحقائق الأخرى. وقد رفضوا جانباً عظيماً من الخرافات والأباطيل التقليدية . ونادوا بمبدأ صحيح ان الكتب المقدسة هى الدستور الوحيد للايمان والسلوك . وفى بداءة تاريخهم امتازوا بتعليمهم عن التبرير بالايمان حتى جرى القول كمثل بينهم فى الأول : ان ثبوت الكنيسة أو سقوطها يتوقف على الإقرار بهذه العقيدة . ولكنهم على وجه الإجمال قد ارتخوا كثيراً جداً من جهة هذا التعليم الجوهرى حتى صار أكثرهم إما ينكرونه أو لا يقرون به بصراحة . و بالتبعية ارتخوا أيضاً فى إجراء التأديبات الكنسية لتنقية المؤمنين فى سلوكهم. ومع أنهم عملوا حسناً برفضهم الإدعاءات الاكليريكية المبنية على الربط والحل . لكن لم ينتبهوا كما يجب إلى الحقيقة المقصودة بهما .

ولا عجب لأن فينا جميعاً ميلاً شديداً لأن نتساهل مع الشهوات العالمية وننسى ان أمرنا هو مع الله الذى لا يغض نظره عن سيرتنا الباطنة والظاهرة ويأتينا دائماً بالمعاملة المناسبة لتنبيهنا وتقويمنا . فيجب ان نراعى يد الله فيما يتعلق بنا وبإخوتنا أيضاً . أما فيما يتعلق بنا فلكى ننتبه ونخلص من التأديب وأما فى ما يخص إخوتنا فلكى ننذرهم لعلنا نستطيع ان نخلصهم أيضاً من التأديب . وفى الحالتين ينبغى ان يكون فينا التمييز الروحى ونكون متعودين على السلوك أمام نظر الله .

كانت معاملات الله مع عبده أيوب من نوع سياسته للأبرار أو تأديبه للمؤمنين وأما أصحابه الثلاثة فلم يدركوا ذلك . بل أخذوا بحسب سوء الظن يؤنبونه كأنه ليس بمؤمن حقيقى وان الله قد غمره بتلك المصائب جزاء على نفاقه . وكان أيوب مصيباً فى أجوبته لهم إذ صرح انه ليس بمراء ولكنه اخطأ فى كلامه عن الله إذ

حسب أنه يعذبه بغير موجب. ولم يسكت الى ان ابتدأ أليهو يكلمه وأوضح له أن معاملات الله معه هى من باب التأديب ، لا لكى يهلكه الى الابد ، بل لكى ينقيه للسلوك الحسن أمامه فى ارض الاحياء. راجع كلامه فى ص٣٣: ١٢-٣٣ فانه ينفعنا فى كل حين. وفحواه ان الله يتكلم مع الانسان فى الأول لينبهه . ولكن الانسان من غفلته لا يلاحظ . ثم يستعمل الله وسائط أخرى كأحلام بالليل وتنبيهات غير اعتيادية . لأنه لا يضربنا إلا بعد أن يكون قد اتخذ معنا كل الوسائط لأنهاضنا . ويصادق على هذا كل مسيحى قد اختبر طرق الله معه شخصياً لأننا قد رأينا وتحققنا ان الله لم يأتنا مرة بالضرب الشديد إلا بعد أن أنذرنا انذارات عديدة ولكن واأسفاه على قلوبنا الخداعة لأنه نبهنا مراراً كثيرة ولم ننتبه أو إن انتبهنا قليلاً نسينا سريعاً ثم عدنا الى الطريق التى أحببناها حتى اضطر إلهنا الحنان لأن يؤدبنا بالوجع على مضجعنا أو يحول الشيء نفسه الذى كنا نشتهيه الى مرارة لنفوسنا . لأنه يقصد ان « يحول الانسان عن عمله ويكتم الكبرياء عن الرجل » كان اليهو هذا مرسلاً من قبل الله الى أيوب كما يقول « ان وجد عنده مُرسل ، وسيط ، واحد من ألف ليعلن للانسان استقامته » نعم المؤمن الروحى كأنه واحد من ألف بالمقابلة مع الغير الروحيين. ولكن إن وُجد فله خدمة عظيمة لنا إذا اشتدت ضربة الله علينا وصرنا متذللين لا نعرف ماذا نفعل . كان أيوب فى حالة كهذه وصار الوقت مناسباً لخدمة المرسل. ربما لو تكلم معه من قبل لأجابه أجوبة معاندة وأما الآن فصمت وأصغى لكلام الله الذى أتاه فى وقته ومحله ولم يكن له مناص منه . آه كم مرة أسمعنا الله كلاماً تنبيهاً لنا ونحن فى طرق مغيظة له وبقينا مصممين عليها رغماً عن انذارات محبته . ولا يخفى على القارىء الفطن أن الظروف نفسها التى كنا فيها حين سمعنا كلاماً من هذا القبيل هى نبهتنا أكثر . فانه يحتمل اننا دخلنا الى اجتماع ما كأنه بالصدفة وتعجبنا من بعض الكلام الذى ظهر أنه لنا خصيصاً أو سمعنا كلاماً من انسان غريب أو من شخص ما كنا ننتظر منه شيئاً ولكن الذى سمعناه كان كصوت

الله لقـــلوبنا . هوذا كل هذه يفعلها الله مرتين وثلاثاً بالانسان ليرد نفسه عن الحفرة ليستنير بنور الاحياء . ولكن ان لم تنتبه للانذارات فلا بد أن يلحقنـا بالعصا لأنه لا يعدل عن قصده وهو ان يجعل أولاده يشتركون فى قداسته .

ثم اذا رجعنا الى المزامير نرى كثيراً مما يوافق هذا الموضوع . والمعلوم ان المؤمنين المصابين بشدائد يحسبونها تأديباً من يد الرب يلتجئون الى بعض الاقوال الواردة فى المزامير لعلهم يتعزون قليـلاً بهـا . والسبب لذلك واضح . فان تأديبات الله المذكورة فى المزامير هى لشعبه . ويذكر معها انهم يخلصون منها بعد تنقيتهم « طوبى للرجل الذى تؤدبه يا رب وتعلمه من شريعتك . لتريحه من أيام الشر حتى تُحفر للشرير حفرة » (مز ٩٤: ١٢) وأيضاً « أيها الرب إلهنا أنت استجبت لهم . إلهاً غفوراً كنت لهم ومنتقماً على أفعالهم » (مز ٩٩: ٨) . « تأديباً أدبنى الرب والى الموت لم يسلمنى » (مز ١١٨: ١٨) . كم من أولاد الله قد أقروا بهذا الإقرار الاخير وقت إقامتهم من مضجع الوجع الشديد الذى ظهر لهم أنه عتيد أن يكون مضجع الموت . ولكن عند رجوع قوتهم قليلاً وتحقق الامل فى الصحة قالوا هـذا القول بشكر وتواضع أيضاً .

وأما مناسبة هـذه الاقوال الواردة فى المزامير لحالتنا كمؤمنين وقت التأديب فهى من حيث انها معاملات الله السياسية التى هى هى فى كل زمان ومكان . لأنه قدوس وطالب القداسة فى المنتسبين اليه . وان كان يترك أحداً بلا تأديب فيكون هـذا دليلاً على انه ليس له . وكوننا تحت النعمة فى العهـد الجديد لا يعفينا من حكم الآب القدوس الذى لا يزال يحكم بغير محاباة حسب عمل كل واحد . فينتج من هذه الحقيقة العظيمة أننا نسير زمان غربتنا بخوف (انظر ١ بط ١: ١٥—١٧) . وكلما كانت النعمة معلنة أكثر كلما اقتضى الحال بيان هذا الحكم التاديبى أكثر كما هو الحاصل الآن فى العهد الجديد ، عهد النعمة ، الذى فيه يظهر أيضاً اشتراك المؤمنين روحانيين مع الله فى هذا العمل التأديبى . وبما انه عظيم الاهمية لمجد الله فى سلوك

شعبه على الأرض فقد أشار اليه الرب معبراً عنه بالربط والحل . وقد أعطى أولاً لبطرس فى صفته كرسول ، ثم لآخرين أيضاً ، كما قد رأينا ، وكما سنرى أيضاً بأكثر وضوح فى الشرح على (ص ١٨ :١٥ — ٢٠) ان شاء الرب .

لقد راجعنا المبادىء العظيمة لهذه السياسة الإلهية باختصار فبقى علينا أن نبحث فى كيفية اجرائها بتفصيل واشتراك المؤمنين فيها. ولاحاجة بى هنا إلى إطالة الكلام غير انى أذكر فقط اننا نرى الرسول بطرس مشتركاً فى ربط خطية حنانيا وامرأته عليهما للتأديب (أع٥ :١ـ١١) وكذلك خطية سيمون الساحر أيضاً الذى كان قد اعترف بالمسيح (اع٨ :٢٠) غير أن الحكم بالتأديب فى هذه الحادثة الأخيرة انما يستنتج من جواب سيمون نفسه الذى ظهر له أنه لابد من وقوع القصاص عليه طبقاً لكلام الرسول. وأما من جهة اشتراك الرسول فى اجراء الحل فلم يرد فى الكتاب ذكر لذلك . ونرى الرسول بولس أيضاً مشتركاً فى هذا العمل من الوجهين، أولا الربط فى(اع ١٣ :٦ـ١٢) حيث ربط خطية بار يشوع عليه للقصاص إلى حين.وفى ذلك ما يستحق الملاحظة لأن المذكور لم يكن قد اعترف باسم المسيح ولكنه كان يهودياً تحت المسئولية الخصوصية لله فأجرى عليه الحكم التأديبى على وجه صائب . وكان أيضاً نبياً كذاباً يقاوم الحق . وكان فى ذلك مثالاً لأمة اليهود على وجه الاطلاق. فانهم رفضوا المسيح. وصاروا أشد المقاومين للانجيل إلى أن أفرغوا صبر الله وطول أناته فربط خطاياهم عليهم للقصاص. فاستخدم بولس ليخصص لهم نبوة اشعياء بشأن ذلك (أنظر اع ٢٨ :٢٣ـ٢٧ و١تس ٢ :١٥و١٦) . فسقوط الضباب والظلمة على بصر ذلك المقاوم إلى حين هو نظير الحكم بالعمى، الذى حكم به على اليهود إلى هذا اليوم . ونرى أيضاً أن هذا الرسول قد حكم بالربط (١ كو ٥ :٣ـ٥) و بالحل (٢ كو ٢ :٥ـ١١) و بالربط أيضاً (١تى ١ :٢٠). و يتضح من هذه العبارات المتعلقة باجراء الربط والحل انهما من الأعمال التى تجرى على الأرض

موقتاً . ولا دخل لها فى أمر خلاص النفس أو هلاكهـــا . حتى ولو كان التأديب ينتهى بموت المحكوم عليه فاننا لا نقدر بناء على ذلك أن نجزم بهلاكه .

لقد ورد قول آخر فى (يو ٢٠:٢٠-٢٣) اذ قال الرب لجميع تلاميذه بعد قيامته « من غفرتم خطاياه تغفر له. ومن أمسكتم خطاياه أمسكت » ولكنه لايطابق تماماً موضوع الربط والحل الذى نحن فى صدده اذ أنه يشير إلى ارسالية الرسل الخصوصية للمناداة بغفران الخطايا لكل من آمن بالمسيح ، ودينونة كل من لا يؤمن وليس محصوراً فى سياسة المؤمنين . والغفران مذكور أولاً ثم الامساك بخلاف ترتيب كلام الرب فى الربط والحل حيث يذكر الربط أولاً ثم الحل . وفضلاً عن ذلك أقول انه وان أخذت هذه العبارة بمعنى الربط والحل فانها لا تسند الزعم الكاذب بالسلطان الاكليريكى لسببين : أولاً — لأن الوكالة المذكورة فيها تتعلق بجميع الرسل كما انها لاتختص ببطرس أكثر مما تختص الآخرين. ثانياً — انه لا يوجد أدنى اشارة إلى تسليمها لأناس يزعمون أنهم خلفاء الرسل .

المسيح يأمر تلاميذه بالكف عن الكرازة به كملك اسرائيل (ع ٢٠)

« حينئذ أوصى تلاميذه أن لايقولوا لأحد انه يسوع المسيح » . لقد أوصاهم أن لايقولوا بعد لأحد انه المسيح أى مسيح اليهود أو ملكهم. « يسوع » هو اسمه الشخصى والمسيح أحد القابه الرسمية . كان قد رفض فى صفته كمسيح اليهود ولم يكن من خدمة التلاميذ من الآن فصاعداً أن ينـــادوا للأمة المتمردة أن مسيحهم حاضر طالباً القبول . فان الوقت لذلك قد مضى .

المسيح يعلن عن موته وقيامته

(ع ٢١ — ٢٣ ، مر ٨ : ٣١ — ٣٣ ، لو ٩ : ٢٢)

« من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه انه ينبغي أن يذهب إلى أورشليم و يتألم كثيراً من الشيوخ ورؤساء الكهنة والكتبة ويقتل وفى اليوم الثالث يقوم .

فأخذه بطرس اليه وابتدأ ينتهره قائلاً حاشاك يارب . لا يكون لك هذا . فالتفت وقال لبطرس اذهب عني ياشيطان . أنت معثرة لى لأنك لا تهتم بما لله لكن بما للناس » .

« من ذلك الوقت ابتدأ يسوع يظهر لتلاميذه الخ » يجب أن نلاحظ جيداً ان الرب من الآن فصاعداً ينظر إلى موته ولا يعود يعرض الملكوت على اسرائيل. لاشك انه حضر إلى العالم لكي يموت ذبيحة ولكن كانت لله مقاصد مختلفة بحضور ابنه في العالم ولاسيما في وسط شعبه اسرائيل. ولم يشأ أن يعلنها دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً، وكان المسيح خادماً كاملاً لايقول كلمة ولايعمل عملاً إلا بحسب مشيئة الذى أرسله. وبما انه كان مسيح اليهود حقاً فلم يكن من الخداع ان الله قدمه لهم أولاً في صفته هذه ليقبلوه أو يرفضوه وبذلك قد امتحنهم امتحاناً كافياً فأظهروا رداءتهم برفضه . وعند ذلك ابتدأ يسوع يظهر حقيقة موته لتلاميذه بكلام صريح. وكان ذلك أمراً بعيداً جداً عن أفكارهم . فان بطرس نفسه أخذه على ناحية وابتدأ ينتهره حاسباً انه مخطىء في كلام كهذا. فنرى هنا أن الجسد لا يدرك أمور الله ولا ينفع فيها سواء كان في الرسول بطرس أو في غيره . كان الله الآب قد أنعم عليه باعلان خاص . والابن ميزه بامتياز خاص . ولكن واأسفاه علينا فاننا كثيراً ما ننتقل بسرعة من حالة روحية إلى حالة جسدية ويمكن أن نتمتع ساعة باعلانات الله وأقواله المفرحة ثم ننحط بغتة وننطق بما يناسب أفكارنا البشرية ووحى الشيطان. لا يخفى أن بطرس كسائر التلاميذ واليهود أيضاً كان منتظراً اقامة الملكوت بالقوة نعم وحصولهم على الراحة والبركة تحت ملكهم المقتدر، ولم يخطر على بالهم انه ينبغى أن يموت ويبدأ حالة جديدة بعد قيامته . والطمع في السيادة والجلوس في الموضع الأول كان متسلطاً على أفكار التلاميذ أنفسهم . وأما بطرس فمع انه كانت له قبل ذلك بقليل كرامة وغبطة بسبب الاعلان الذى أعطاه اياه الآب من جهة شخص المسيح فان قلبه لم يزل يتعلق بمجد سيده الأرضى على أسلوب بشرى. ولم يقدر أن

يرتقي إلى أفكار الله . ومثله مثلنا من جهة ادراكنا أمور الله وتمتعنا بها. لانه يمكننا أن نقتنع بالحقائق السامية ونفرح بها إلى درجة ما بنية مخلصة بدون أن تكون قلوبنا قد نقيت وصارت مطابقة للسلوك الذي يوافق تلك الحقائق . فنستطيع أحياناً أن نتمتع بالحق تمتعاً حقيقياً ولكن تعوزنا القدرة الروحية على مداومة الشركة مع الله. ولا نقدر أن نحصل على هذه الحالة الروحية الدائمة دفعة واحدة. فانه ينبغي أن نتدرب ونتعود على نكران الذات وحمل الصليب حاسبين اننا قد متنا مع المسيح لهذا المشهد الذي مات هو فيه. وكثيراً ما يتعجب للسيحي المجتهد في النمو في الحياة الروحية من سرعة انتقاله من حالة إلى أخرى . لانه ساعةً يتلذذ بالصلاة ومطالعة كلمة الله وساعةً لا. ويرى نفسه أوقاتاً متقدماً في القوة الروحية وأخرى يصبح فارغاً ضعيفاً كأنه لم يحصل على شيء قط. والفرق بين الحالتين هو الفرق بين الروح والجسد . ففي الحالة الأولى نهتم بما لله وفي الثانية بما للناس. على انه يمكننا بنعمة الله أن نتقدم تقدماً صحيحاً ونعتاد أكثر فأكثر على العيشة مع الله . ولكنه ينبغي أن نتنشط ونلاحظ أحوال قلوبنا وأفكارنا ولا نطلقها وراء أباطيل العالم. فلما ظهر لبطرس ان كلام الرب عن ضرورة موته لا يطابق الأفكار الجسدية التي كان معتاداً عليها تجاسر أن يأخذ الرب على ناحية وينتهره قائلاً « حاشاك يارب . لا يكون لك هذا » فمع انه كان تلميذاً لكنه أخذ على نفسه أن يعلم لا بل ويوبخ معلمه أيضاً . صار الصليب قدام الرب الآن بالطريق المعينة له من قبل الآب فجعل وجهه كالصوان لكي يطيع طاعة كاملة حتى الموت (اش ٥٠ : ٥-٧) وأما تلميذه الغيور غيرة الجسد فأخذ يسبقه في الطريق ويصده عنها وبذلك عمل كخصم ولقبه المسيح « بشيطان » وأمره أن يذهب وراءه وهو الموضع الحقيقي للتلميذ. وكان قد قال للشيطان وقت التجربة اذهب عني ولكنه انما قال لبطرس « اذهب ورائي » . وهذه هي القراءة الصحيحة بحسب الأصل لقول الرب لبطرس « اذهب عني » ربما كان يبدو له انه غار على مجد سيده ،

ولكن غيرة الجسد وان اتخذت صورة حسنة فهى مرفوضة عند الرب رفضه لرداءة الجســـد .

واجب اتباع المصلوب

(ع ٢٤—٢٦ ، مر ٨ : ٣٤ — ٣٧ ، لو ٩ : ٢٣ — ٢٥)

«حينئذ قال يسوع لتلاميذه ان اراد أحد أن يأتى ورائى فلينكر نفسه و يحمل صليبه ويتبعنى . فان من أراد أن يخلص نفسه يهلكها. ومن يهلك نفسه من أجلى يجدها. لأنه ماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أوماذا يعطى الانسان فداء عن نفسه ؟ »

سبق كلام مثل هذا فى (ص ١٠: ٢٤-٤٢). على ان السبب الذى أوجب كلامه هناك هو شدة مقاومة العالم له ولكل من اراد ان يعترف به أو يخدمه. وأما هنا فالمسألة بين مايتعلق بالله ومايتعلق بالناس. كان السيد ذاهباً فى طريقه إلى الصليب فاقتضى الأمر من كل من اراد خلاص نفسه الثمينة أن يتبعه إلى حيث ذهب هو. لقد انكشفت حقيقة مضادة العالم له فلم يمكن بعد لأحد أن يربح العالم و يكون للمسيح أيضاً. ومن ثم لا يخلو الأمر الآن من احد الحالين . فإما أن يكون المسيح مخلصاً لنا الآن أو دياناً لنا فيما بعد .

مجازاة اتباع المصلوب (عدد ٢٧ ، مر ٨ : ٣٨ ، لو ٩ : ٢٦)

« فان ابن الانسان سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب أعماله » .

يشير إلى مجيئه ثانية حين يظهر ليدين كابن الانسان (قابل ص ١٣: ٤١)

« الحق اقول لكم ، ان من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملكوته » (ع ٢٨) .

انه فى قوله هذا يشير ، بلاشك ، إلى التجلى . يدل على ذلك .

أولاً — تفسير بطرس الرسول لحادثة التجلى حيث يسميه « قوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه » (٢ بط ١ : ١٦ و١٧) .

ثانياً — نرى الرب نفسه غيّر ألفاظ كلامه لانه لما تكلم عن مجيئه ثانية قال انه « سوف يأتى فى مجد أبيه مع ملائكته وحينئذ يجازى كل واحد حسب أعماله » ثم عاد ونطق بحقيقة اخرى استثنائية لأجل تثبيت ايمان بعض تلاميذه وقال « ان من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملكوته » ولم يذكر هنا شيئاً عن مجد أبيه وملائكته ومجازاته كل واحد حسب أعماله فان هذه انما تتعلق بمجيئه فعلاً . وسنرى بأى وجه كان التجلى صورة لاتيانه فى ملكوته .

ثالثاً — قوله ان «قوماً لايذوقون الموت حتى الخ» أى لايموتون (أنظر لو٢:٢٦) ولايفيد شيئاً عن طول أعمارهم بل يفيد فقط حقيقة الأمر وهى انهم لابد أن يروا ما أشار اليه الرب قبل موتهم . شاء الله أن يريهم اياه بعد ذلك بوقت وجيز ولكن ذلك لا يخل بما قال الرب فانه لم يقل عن وقت طويل أو قصير بل انما صرح أن قوماً منهم لا يموتون حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملكوته .

رابعاً — لم يرد ذكر حادثة أخرى يمكن أن يتم فيها قول الرب هذا سوى التجلى فقط فانه ان قيل انه أشار إلى حلول الروح القدس يوم الخمسين قلنا ، أن جميع التلاميذ عدا يهوذا كانوا موجودين أحياء . وان قيل انه تم بخراب أورشليم قلنا ، انه لم يكن أحدهم حياً سوى الرسول يوحنا ولا يفوتنا أيضاً ان ما ذكر فى ص ١٧ الخ، مر ٩ الخ ، لو ٩: ٢٧ الخ بعد وعد الرب مباشرة هو حادث التجلى .

فلم يعد مفر من التسليم بأنه هو المقصود فى وعد الرب .

الاصحاح السابع عشر

التجلى أو مشهد الملك

(عدد ١ ـــ ٨ ، ٩:٩ ـــ ١٠ ، لو ٩: ٢٧ ـــ ٣٦)

« و بعد ستة أيام أخذ يسوع بطرس و يعقوب و يوحنا أخاه وصعـد بهم الى جبل عال منفردين . وتغيرت هيئته قدامهم وأضاء وجهـه كالشمس وصارت ثيابه بيضاء كالنور . واذا موسى و إيليا قد ظهرا لهم يتكلمان معه . فجعل بطرس يقول ليسوع ، يا رب ، جيد أن نكون ههنا : فان شئت نصنع هنـا ثلاث مظال . لك واحدة ولموسى واحدة ولايليا واحدة. وفيما هو يتكلم اذا سحابة نيرة ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً ، هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت. له اسمعوا. ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جـداً . فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا . فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده » .

« بعد ستة أيام » وفى لوقا « بعد هذا الـكلام بنحو ثمانية أيام » (لو ٩: ٢٨) لأنه حسب يوم الـكلام و يوم التجلى . وقوله « نحو » يدل على انه لحكمة لم يقصـد التحديد ، فالتجلى بالنسبة لمتى (انجيل الملـكوت) كان فى اليوم السابع ، يوم راحه الارض لرعايا الملـكوت بعد العناء والتعب، و بالنسبة للوقا (انجيل نعمة الله والانسان الجديد ، آدم الاخير) كان فى اليوم الثامن ، يوم القيامة ، يوم الخليقة الجديدة .

« أخذ بطرس و يعقوب و يوحنا » كان هؤلاء الثلاثة هم الذين قصدهم الرب فى قوله السابق « ان من القيام ههنا قوماً لا يذوقون الموت حتى يروا ابن الانسان آتياً فى ملكوته » وقصد أن يكونوا ثلاثة للشهادة الـكاملة (٢ كو ١٣: ١) .

« الى جبل عال » هـذا الجبل هو المعروف بجبـل حرمون . فان الرب كان وقتئذ فى نواحى قيصرية فيلبس المجاورة لهذا الجبل (ص ١٦: ١٣) .

«وتغيرت هيئته قدامهم الخ» لايوجد اختلاف فى أمر التجلى. انه كان حادثة عجيبة . نعم ، ونقدر أن نقول أيضاً ، استثنائية فى حياة ربنا يسوع المسيح على الارض . فانه كان معتاداً أن يظهر على هيئة البشر المعروفة إذ كان يتعب ويجوع كالآخرين ولم يظهر منه إلا المجد الادبى أو الروحى الذى اختص ضرورة بشخصه كالله ظاهراً فى الجسد، ولكنه انما أظهر لمن عنده البصر الروحى، وأما هيئته الاعتيادية كرجل أوجاع ومختبر الحزن فتغيرت على الجبل فصار الى برهة بمجده الخاص كابن الانسان وهذا هو المجد نفسه الذى أشار اليه بقوله السابق «فان ابن الانسان سوف يأتى بمجد أبيه» فاتخذه مؤقتاً واظهره لقوم من تلاميذه. قال الرسول بطرس «لأننا لم نتبع خرافات مصنعة اذ عرفناكم بقوة ربنا يسوع المسيح ومجيئه ، بل قد كنا معاينين عظمته . لأنه أخذ من الله الآب كرامة ومجداً إذ أقبل عليه صوت كهذا من المجد الاسنى هذا هو ابنى الحبيب الذى سررت به . ونحن سمعنا هذا الصوت مقبلاً من السماء اذ كنا معه فى الجبل المقدس» (٢ بط ١: ١٦—١٨) . كان هذا الرسول فى مواعظه المدونة فى سفر الاعمال قد عرّف اسرائيل بارتفاع مسيحهم الى السماء وحصوله على القوة والمجد فى حالة القيامة من الأموات (أع ٢: ٢٢—٣٦) وأعلن أنه لا بد أن يأتى أيضاً ويبدأ أزمنة رد كل شىء بحسب النبوات (أع ٣: ١٩ — ٢١) وأما فى رسالته هذه فيخبرهم ان ذلك ليس من الاقوال البشرية التى لا يُركن اليها فانه تأكد لهم أولاً ـ بحادث التجلى الذى شاهده بعض الرسل . وثانياً ـ بالكلمة النبوية إذ يقول «وعندنا الكلمة النبوية وهى أثبت(*) التى تفعلون حسناً ان انتبهتم اليها كما الى سراج منير فى موضع مظلم الى أن ينفجر النهار ويطلع كوكب الصبح فى قلوبكم» (٢ بط ١: ١٨ و١٩) . فالتجلى أظهر قوة الرب وعظمته.

(*) لأن مشهد الملك هذا باعتباره «آية من السماء» أراهم إياها المسيح على الأرض أثبت حقيقة ما جاء بالنبوات خاصاً بهذا الملك (قابل عن الآيات كوسيلة للاثبات ما جاء فى مر ١٦: ٢٠ ، عب ٢: ٣ و٤) .

ومجيئه ولكنه لم يشاهد من الجميع وانما أُظهر برهة للبعض فقط ثم انقطع، وأما الكلمة النبوية أى النبوات المتعلقة بهذا الموضوع فهى موجودة دائماً عند جميع المؤمنين وتثبت لهم هذه الحقيقة . ويفعلون حسناً إن انتبهوا الى هذه الكلمة التى لا تزال تضىء لهم فى العالم المظلم . ومع أن النهار لم ينفجر للعالم بعد ولا طلع كوكب الصبح حقيقة ولكن يتم ذلك فى قلوبهم بواسطة رجائهم المؤكد بكلمة الله .

« واذا موسى و ايليا قد ظهرا لهم » كان موسى المشرّع العظيم الذى انتظمت الأمة الاسرائيلية بواسطته ، و إيليا اشتهر كنبي الاصلاح (ملا ٤:٤ و٥) اذ اجتهد فى ترجيع الأسباط العشرة الى الله بعد ارتدادهم عنه . واذ لم يقدر على ذلك ذهب الى جبل حوريب الذى كان الناموس قد أُعطى عليه . وكان ذهابه الى هناك شهادة ضد اسرائيل للمصممين على عبادة البعل . ثم بعد ذلك أخذه الله الى السماء بمركبة من نار بدون أن يرى الموت . موسى كان قد مات قبل ذلك بنحو ١٥٠٠ سنة على جبل نبو ودفنه الله هناك (تث ٣٤ : ٦) . ولكنه ظهر فى صورة جسد المجد العتيد أن يلبسه فى القيامة (لو ٩:٣١ ، ١ كو ١٥:٤٣) . فصار صورة لظهور القامين بأجساد المجد فى مشهد الملك . على أنه لم يقم فى التجلى بجسد المجد ، لأنه من امتياز الرب يسوع دون سواه أن يكون هو أول من قام بجسد المجد ليكون باكورة الراقدين (١ كو ١٥:٢٠ و٤٩ ، فى ٣:٢١) . أما ايليا فقد اختطف حياً الى السماء قبل ظهوره فى مجد مع الرب على الجبل بنحو ٩٣٠ سنة (٢ مل ٢:١١) . فصار صورة لكل المختطفين أحياء فى ظهورهم مع الرب فى يوم ملكه ومجده كابن الانسان (كو ٣:٤) .

« يتكلمان معه » لا مع الرسل ولا مع بعضهما بل معه « لأن الناموس بموسى أعطى » (يو ١:١٧) وكان موسى هو النبي الذى اشتكى على الشعب بأنهم كسروا الناموس (خر ٣٢:١٩ ، يو ٥:٤٥) . وكان ايليا هو النبى الذى اشتكى عليهم بأنهم قتلوا الانبياء (١ مل ١٩:١٠ ، رو ١١:٢ و٣) . وشكاية كل منهما مآلها

هلاك الشعب. ففيمَ كانا «يتكلمان معه» ؟ يقول لوقا « عن الخروج الذى كان عتيداً أن يكمله فى أورشليم » أى موته على الصليب كالوسيلة الوحيدة للخلاص .

« فجعل بطرس يقول ليسوع ، يا رب ، جيد أن نكون ههنا . فان شئت نصنع هنا ثلاث مظال . لك واحدة ولموسى واحدة ولإيليا واحدة » عرف بطرس موسى وايليا بوسيلة إلهية طبعاً .

لقد تأثر بطرس بظهور عمودى النظام اليهودى مع سيده ومعلمه فى مجده (لو ٩: ٣١) وأراد أن يجعلهم جميعاً سوية كأنبياء ينبغى الإصغاء لهم وأظهر بذلك أنه نسى مجد المسيح الفريد كابن الله بحسب اقراره السابق . فان ذينك انما اشتهرا كعبدين (عب ٣: ١-٦ ، يع ٥: ١٧) بالنعمة المعطاة لهما بخلاف المسيح الذى كان المجد خاصاً به .

« وفيما هو يتكلم إذا سحابة نيرة(*) ظللتهم وصوت من السحابة قائلاً هـذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت . له اسمعوا » كانت السحابة معروفة جيداً كعلامة حضور الله فى وسط شعبه فانها كانت مسكن المجد ، وقد قادت الشعب فى البرية ثم سكنت فى قدس الاقداس. فلما نطق بطرس بكلام من شأنه أن يجعل موسى وايليا مساويين للمسيح لم يلبث أن سمع صوت الآب من المجد الاسنى شاهداً لابنه. لأنه يمكن له من نعمته أن يضع موسى وايليا و إيانا نحن أيضاً فى المجد برفقة ابنه ، ولكن ان كان الانسان بجهالته وحماقته يحاول أن يحط من شأن مجـده وسلطانه الخاصين فظهور السحابة وصوت الآب يسكتانه حالاً .

« ولما سمع التلاميذ سقطوا على وجوههم وخافوا جداً . فجاء يسوع ولمسهم وقال قوموا ولا تخافوا . فرفعوا أعينهم ولم يروا أحداً إلا يسوع وحده » (ع ٦)

(*) يغلب أن التجلى كان ليلا . لأن سحابة الحضور الالهى لا تكون نيرة إلا بالليل (خر ١٣: ٢١ و٢٢ ، ١٤: ٢٠). ولأن التلاميذ وقت التجلى كانوا مثقلين بالنوم (لو ٩: ٣٩) . ولأن نزولهم من الجبل كان فى اليوم التالى (لو ٩: ٣٧)

قد توارى موسى و إيليا و بقى المسيح وحده ، كمن يليق به المجد وهو الذى يستطيع أن يعلّم جميع الذين يسمعون صوت الآب . كان يجب عليهم أن يسمعوا له . نعم و يجدوا سرورهم فيه كمن هو مسرة الآب. وما أعظم امتيازنا هذا أنه لنا شركة مع الآب ومع ابنــه الحبيب « لأن الناموس بموسى أعطى أما النعمــة والحق فبيسوع المسيح صارا » (يو ١٧:١) . فلم يكن من مقاصد الآب أن يجدد النظام القديم ، لا على يد يسوع وموسى وايليا معاً بحسب أفكار بطرس ولا على يد يسوع وحده . لأنه أبرز يسوع كابن الله الحى (ص ١٦) وابنه الحبيب ومسرّة الآب (ص١٧) . ولا يوجد أحد غيره يقدر أن يعلن لهم أفكار الله، بل ويبدأ لهم نظاماً جديداً يؤسس على شخصه الالهى مقاماً من الأموات بمجد الآب. كان موسى وايليا عبدين أمينين كل فى وقته وأما مجد الابن الوحيد فقد كسف مجدهما (أنظر ٢ كو ٣:٧—١١) .

« سقطوا على وجوههم وخافوا جداً » مما جرى. فانهم لم يستطيعوا أن يحتملوا المجد الأسنى .

« فجاء يسوع ولمسهم » علامة الرفق والرقة وهكذا شجعهم قائلا «لا تخافوا» وهنا يجب أن نلاحظ الفرق العظيم بين يسوع وغيره من عبيــد الله . فان موسى نفسه ارتعد يوم تكلم الله بصوت مسموع من جبل سيناء (عب ١٢: ٢١) ونرى ايليا فى حالة الاضطراب حين كان الرب مزمعاً أن يصعده الى السماء . وكان ينتقل من موضع الى آخر كأن انتظاره للحادثة العجيبة يثقل عليه (راجع ٢ مل ٢: ١— ١١) وأما يسوع فكان معتاداً على المجد الأسنى ولم يكن صوت الآب مخيفاً له . فكان سيان عنده أن يكون على حالة التجلى متكلماً مع موسى وايليا أو وحده مع تلاميذه على حالته المعتــادة . وتصرف كذلك يوم صعوده الى السماء (لو ٢٤: ٥٠ و٥١) . ولماذا يخاف التلاميذ ؟ فهــا سيدهم العزيز الذى اختص به المجــد لم يزل معهم ليعلن لهم الآب ، بل ولا بد أن يأتى بهم الى هــذا المجــد عينه فى الوقت

المبين . غير أنهم لم يستطيعوا أن يحتملوه وقتئذ . وأيضاً لم يكن من خدمتهم لاسرائيل أن يخبروهم برؤية هذا المجد إلا بعد قيامته من الأموات .

« وفيما هم نازلون من الجبل أوصاهم يسوع قائلاً لا تعلموا أحداً بما رأيتم حتى يقوم ابن الانسان من الاموات . وسأله تلاميذه قائلين ، فلماذا يقول الكتبة ، أن إيليا ينبغى أن يأتى أولاً ؟ فأجاب يسوع وقال لهم ، ان إيليا يأتى أولاً ويرد كل شيء ولكنى أقول لكم ، ان إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الانسان أيضاً سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » (عدد ٩—١٣) . لم يكن من الأمور اللائقة أن الخبر عن التجلى ينتشر قبل موت المسيح وقيامته . أولاً — لأنه لم يكن من الحوادث والأعمال التى أجراها الرب قدام أعين الجميع شهادة لهم. وثانياً — لأن التلاميذ أنفسهم لم يستطيعوا حينئذ أن يدركوا معناه لأنهم كانوا منتظرين إقامة الملكوت بقوة فى الحال : والمحتمل أنه لو ذاع بينهم الخبر به لتمكنوا أكثر فى انتظارهم هذا ظانين أن سيدهم مزمع أن يتخذ هيئة مجده فى الحال ، ويطرد أعداءهم من أرض إسرائيل ، ثم يبارك ويريح شعبه . ولكن الرب من حكمته أوصى الذين شاهدوا المنظر أن لا يخبروا أحداً به حتى يقوم من الأموات .

« وسأله تلاميذه قائلين ، فلماذا يقول الكتبة أن إيليا ينبغى أن يأتى أولا ؟ » كانوا قد فهموا من تفسير الكتبة لنبوة ملاخى أن إيليا النبى يأتى قبل ظهور مسيحهم بمجد ولكنهم قد شاهدوا مجده دون أن يأتى إيليا . فاذاً كيف صارت هذه المسألة ؟

« فأجاب يسوع وقال لهم ، إن ايليا يأتى أولا ويرد كل شيء » فجوابه هذا يصادق على تعليم الكتبة فى هذا الموضوع. لأن ذلك مذكور بصريح اللفظ فى (ملا ٤:٥ و٦) . فلا شك أن إيليا النبي سيرسل الى اسرائيل قبل ظهور المسيح أى قبل اليوم العظيم المخوف وهو أحد الشاهدين المذكورين فى (رؤ ١١:٣—١١) .

ولكن ليس الآتى هو إيليا بنفسه بل شخص آخر من أتقياء بنى إسرائيل الأحياء على الأرض بعد اختطاف الكنيسة ، شخص ستكون له قوة إيليا الروحية ومواهبه المعجزية ويقوم بنفس الخدمة التى قام بها إيليا فى زمانه من رد قلوب الشعب الى الرب إلههم وإلى بعضهم البعض . ومن ثم يكنى عنه باسم إيليا كما كنى عن يوحنا المعمدان باسم إيليا (ع ١١ — ١٣ ، ص ١١: ١٤) لقيامه بنفس خدمة إيليا مع أنه باعترافه ليس هو شخص إيليا (يو ١: ٢١) .

« فأجاب يسوع وقال لهم ، ان إيليا يأتى أولا ويرد كل شىء . ولكنى أقول لكم أن إيليا قد جاء ولم يعرفوه بل عملوا به كل ما أرادوا . كذلك ابن الإنسان أيضاً سوف يتألم منهم . حينئذ فهم التلاميذ أنه قال لهم عن يوحنا المعمدان » (ع ١١-١٣ قابل ص ١١: ١٤) فالعمى الذى منعهم من أن يدركوا أن يوحنا هو المراد بإيليا المزمع أن يأتى فى قول ملاخى ، فرفضوه وقتلوه ، هو نفس العمى الذى منعهم من أن يدركوا أن يسوع هو المسيح بل والسيد الرب الذى تقول عنه نفس النبوة بل وكل النبوات (ملا ٣: ١، ٤: ٥ و٦) ،

قد شاء الله وأرسل المسيح المرة الأولى إلى إسرائيل على حالة الاتضاع رجل أوجاع ومختبر الحزن مع أنه كان حاوياً المجد الاسنى فى شخصه الإلهى كما تبرهن بحادثة التجلى ، بل وكان بهاء مجد الله ورسم جوهره (عب ١: ٣) ولكنه لم يظهر ذلك وقتئذ لإسرائيل . فانهم لم يكونوا على حالة تمكنهم من احتماله ، بل قدم نفسه لهم بأدلة وبراهين أخرى قد ناسبتهم كل المناسبة إذ أتاهم حيث كانوا فى الضيق وتذلل فى مذلاتهم وتضايق معهم فى ضيقاتهم وكان قادراً أن ينقذهم منها لو تابوا وقبلوه . واجتهد أن يأتى بهم إلى التوبة ويجتذب قلوبهم اليه . وكان يوحنا المعمدان مرسلا أمامه ليهيئهم لقبوله . لاشك أن الله سبق وعرف أن إسرائيل لا يتوبون . ولكن علمه السابق لا يخل بمعاملاته المتنوعة ولا يجوز أن ننسب له عدم إخلاص النية اذ قدم لهم المسيح كابن داود ابن ابرهيم ليباركهم إن تابوا . فإنه لا يزال

يعامل الخطاة على هذا الأسلوب ، إذ يقدم لهم الخلاص مجاناً في الإنجيل إن تابوا وآمنوا . يزعم الناس بعض الأحيان أن الداء الوحيد الذى اعتراهم بالخطية هو العجز أو الضعف . ولكن وجد فيهم داء آخر أشر وهو عدم الإرادة أو بالأحرى الرفض والعصيان . لو كانوا ضعافاً فقط لكان خلاصهم هيناً . فإن كل القوة موجودة في المسيح ولكنهم متمردون ، نعم وأموات بالذنوب والخطايا ولا يمكن خلاصهم إن لم يلدهم الله من فوق . الله لا يطلب من الخاطىء أن يحيي نفسه ولا أن يبرر نفسه بل يعرض عليه المسيح لكى يقبله لتبريره وإحيائه . ولكن الإنسان يظهر رداءته برفضه إياه وهذه هي حالة اليهود والأمم جميعاً . وهي السبب الموجب موت المسيح . لأن البشر جميعاً كانوا على هذه الحالة قبل حضوره . ثم لما حضر كالنور السماوى في وسطهم تبرهنت حقيقة حالتهم إذ رفضوه وعلقوه على خشبة بين لصين . وإن قيل أنه ربما لو أعلن مجد التجلي للجميع لتابوا ، قلت أن لطف الله هو الذى يقتاد الناس الى التوبة (رو٢: ٤) وأما المجد فليس من شأنه أن يفعل ذلك . لو أظهر مجده البهى لاسرائيل النير الثائبين لهربوا منه كما هرب آباؤهم قبلا من مجد جبل سيناء (خر ٢٠ : ١٨ و ١٩) . ولم يكن لنفعهم بل لافنائهم فقط . لأن ليس للإنسان الساقط علاقة بالمجد . ولو نقل إلى مجد السماء لكان المجد أعظم عذاب له . كان اليهود قد أظهروا رداءتهم قبل التجلى كما تدر أينا إذ حبسوا يوحنا وقتلوه ، وجدفوا على الروح القدس ، ورفضوا المسيح . فإذ ذاك قد فقدوا حقوقهم وامتيازاتهم بحسب المواعيد القديمة ولا يمكنهم الخلاص بعد كأفراد أو كأمة إلا بالنعمة المطلقة التى أساسها الوحيد هو موت ابن الله وقيامته . وهذا هو الأساس الوحيد لإيماننا نحن أيضاً . أعود وأقول أن موت المسيح كان ضرورياً . وقد تجسد لكى يتألم ويموت . وكانت جميع الرموز القديمة تشير إلى موته وجانب كبير من النبوات كذلك . ولكنه عند حضوره لم يتقدم إلى الصليب إلا بعد أن ظهرت حالة البشر تماماً أنهم مبتعدون عن الله إلى حد أن المسيح نفسه

مادام حياً على الأرض لاينفعهم إلا نفعاً جزئياً كما قد رأينا فى هذا الإنجيل. لاشك أن ضرورة موت المسيح من الحقائق الأولية المعروفة عندنا . ولكن يجب أن نتذكر أن الأمر لم يكن هكذا عند الذين عاشوا قبل موته . لأنه حتى تلاميذه لم يفهموه قبل أن « أكمل » (لو ٢٤ : ١٣ الخ) نميل دائماً إلى أن ننسب لهم نفس المعرفة التى لنا من هذا القبيل . ومادمنا نفعل ذلك لا نقدر أن ندرك حقيقة حياة الرب يسوع والمقاصد المتنوعة التى أكملها الله بحضوره الشخصى وخدمته قبل موته . فانه عرضه أولا على الإنسان ليقبله أو يرفضه بحسب مسئوليته . فأظهر برفضه إياه حالة البشر تماماً أنهم غير قابلين للاصلاح بأية وسيلة .

فكان يوحنا المعمدان قد سبقه فى مجيئه الأول كما سيسبقه المكنى عنه بإيليا فى مجيئه الثانى . كقوله « ان ايليا يأتى أولا ويرد كل شيء » فخدمته هذه محصورة فى إسرائيل لإصلاح حالتهم روحياً حسب (ملا ٤ : ٥ و ٦) وليس هو رد كل شيء عن يد المسيح نفسه المذكور فى (أع ٣ : ٢١) .

« ولما جاءوا إلى الجمع تقدم اليه رجل جاثياً له . قائلا ، ياسيد ارحم ابنى فانه يصرع ، ويتألم شديداً ، ويقع كثيراً فى النار وكثيراً فى الماء . وأحضرته إلى تلاميذك فلم يقدروا أن يشفوه ، فأجاب يسوع وقال ، أيها الجيل غير المؤمن الملتوى ، إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم ؟ قدموه إلى ههنا . فانتهره يسوع . فخرج منه الشيطان فشفى الغلام من تلك الساعة (عدد ١٤ - ١٨) . لما نزل السيد من الجبل لقى قوة الشيطان المرعبة ، ولكنه كان معتاداً على ذلك فلم يعتد به . فإنه كان يقدر أن يطرد الشياطين بكلمة واحدة ولكنه لقى شيئاً آخر . أهم وهو عدم إيمان تلاميذه (ع ٢٠) . كان الرب قد أعطاهم سلطاناً لاخراج الأرواح الشريرة ولكنهم لم يتمكنوا من إخراج هذا الروح لعدم إيمانهم بمعنى أنهم أمروه بالخروج فلم يطعهم .

« إلى متى أكون معكم ؟ إلى متى أحتملكم » كانت القوة الإلهية بملئها حاضرة

بشخصه لإنقاذ إسرائيل من كل قوة العدو . ولكن بماذا تنفعهم إن لم يكن لهم إيمان لاستعمالها ؟

« قدموه إلى ههنا » قال هذا فى نهاية توبيخه لتلاميذه على عدم إيمانهم . لأنه لا يمتنع عن أن يرثى لحالة شعبه مهما كان ضعفهم . فما أعظم ألطافه ! فإنه أجرى بنفسه العمل الذى عجز عنه تلاميذه .

« ثم تقدم التلاميذ إلى يسوع على انفراد وقالوا ، لماذا لم نقدر نحن أن نخرجه ؟ فقال ، لعدم إيمانكم . فالحق أقول لكم ، لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل ، انتقل من هنا إلى هناك فينتقل ، ولا يكون شيء غير ممكن لديكم . وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم » (ع ١٩ - ٢١) كان ذلك فى بيت دخلوه بعد المعجزة (مر ٩ : ٢٨) .

حبة الخردل كناية عن شيء صغير جداً والجبل كناية عن صعوبة عظيمة . وليس القصد من هذا الكلام أننا ننقل جبالا حرفية (١كو ١٣ : ٢) لأن ذلك لا ينفع لشيء . ولكن لا يخفى وجود صعوبات عظيمة فى طريق المؤمنين لا تنتقل إلا إجابة لإيمانهم . لاشك أنه توجد درجات متفاوتة من الإيمان . لأنه قد وردت فى الكتاب شهادات على ذلك . ولكن الإيمان مهما كان ضعيفاً يتمسك بالله بحسب كلمته . وهو يجيبه ليس بالنظر إلى ضعفه أو قوته بل بالنظر إلى صفاته هو . فإنه هو العامل ، فلابد أن يصادق على الإيمان الضعيف كما على القوى أيضاً . لأن الإيمان هو شعورنا بعجزنا ويقيننا بقوة الله وبأنه لنا ، مع الاتكال عليه والانتظار له ، ليعيننا بحسب مواعيده . فإذاً أساس إيماننا هو اقتناعنا بضعفنا . وكلما ازداد ذلك الاقتناع ازداد إيماننا ورأينا مثالا جميلا لذلك فى المرأة الكنعانية لأنه لما أغلقت عليها كل الأبواب ، واحد بعد الآخر بقيت تنتظر المعونة من الرب وحده كما قال صاحب المزمور « إنما لله انتظرت نفسى . من قبله خلاصى . إنما هو صخرتى وخلاصى ملجأى » (مز ٦٢ : ١ و ٢) فليس الإيمان قوة فينا يمكن لنا أن نستعملها

حيثما وحينما شئنا . بل هو بالحقيقة عبارة عن تمسكنا بإلهنا ، وإن كنا فى وقت ما نتمسك به مصلين بأكثر لجاجة فلا يكون السبب إلا شعورنا المتزايد بعجزنا من جراء ضيقنا الشديد وتأكدنا بأنه لا عون لنا إلا به تعالى وحينئذ لا نقدر أن نتركه إن لم يباركنا وينعم علينا بالجواب .

« ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » أى جميع الأشياء التى هى حسب إرادة الله أبينا . وإن كنا قد اختبرنا جهالتنا فلا نريد شيئاً خارجاً عن دائرة مشيئته الكاملة « وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه إن طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا » (١ يو ٥ : ١٤) فإذاً لا يجوز لنا أن نتصور أن الإيمان والصلاة بلجاجة هما واسطة نجتهد بها أن نغير مشيئة الله كأنه ضدنا وينبغى أن نستعطفه . لأن تصورات كهذه إنما هى نتيجة عدم الإيمان . ويجب أن نعتبرها هكذا . المؤمن متيقن فى صميم قلبه أن الله له والبرهان القاطع على ذلك أنه قد بذل ابنه الوحيد لأجلنا ، وبناء على ذلك « كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء ؟ » (رو ٨ : ٣٢) ونرى فى هذه الشهادة المختصرة الحلوة الدائرة الواسعة المعينة لنا لتدريب إيماننا . ولكنه لا ينمو بلا تدريب . وكلما تصادفنا الصعوبات فى طريقنا نروض أنفسنا على التذلل أمام الله مع الاستعانة به كملجأنا الوحيد .

« وأما هذا الجنس فلا يخرج إلا بالصلاة والصوم » يشير الرب بذلك إلى وجود صعوبات أعظم من أخرى . ومنه يتضح أولا : إن بعض الأرواح الشريرة إذا تمكنت فى أجساد الناس يكون إخراجها أعسر من غيرها . فالذى يقوم بإخراجها ينبغى أن يقترب إلى الله على نوع خاص بالصلاة والصوم . وثانياً يصدق كلامه هذا كمبدأ عام لإرشادنا عندما تصادفنا صعوبات غير عادية لأن الصلاة المصحوبة بالصوم نافعة جداً فإنهما أقوى وأعمق حالات التفرغ من الذات وحصر ثقة القلب كلها فى الله . وهما أفعل الوسائل لتقوية الإيمان الضعيف (أ ع ١٣ : ٢ و ٣ ، ٢ كو ١١ : ٢٧) .

وإن سئل: أتوجد الآن موهبة إخراج الشياطين في البعض؟ فأقول أن برهان وجود هذه الموهبة هو كبرهان وجود المواهب الأخرى تماماً بحيث أن من قدر أن يعمل العمل المقصود عمله فعنده الموهبة المتعلقة به. هذه من المسائل الواضحة. فان وجد مؤمن يقدر أن يخرج الأرواح باسم المسيح فعنده الموهبة المذكورة، وإلا فلا.

وليلاحظ القارىء العزيز أيضاً أن الآيات والمعجزات كان سلطانها معطى للبعض فقط وهم الرسل والأنبياء لإثبات الوحي عندما كان لا يزال بعد كلاماً بأفواههم إلى أن كتبوه وصار كتاباً للدهور (مر ١٦: ١٧-٢٠، عب ٢: ٣و٤).

الإنباء للمرة الثانية بموته

(ع ٢٢ و ٢٣، مر ٩ : ٣٠ - ٣٢، لو ٩ : ٤٣ - ٤٥)

« وفيما هم يترددون في الجليل قال لهم يسوع. ابن الإنسان سوف يسلم إلى أيدي الناس. فيقتلونه وفي اليوم الثالث يقوم. فحزنوا جداً »

عاد الرب إلى الجليل (مر ٩ : ٣٠)، وهناك عاد وأخبرهم بموته العتيد أن يكمل عن قريب. أما الإخبار الأول فكان في ص ١٦ : ٢١ — ٢٣.

وقد لاح لهم هذه المرة شيء من حقيقة كلامه فحزنوا جداً لأن صليب يسوع المسيح ينهي جميع الانتظارات العالمية. فلابد لمن لم يمت بعد للعالم أن يحزن حزناً شديداً عندما يدرك شيئاً صغيراً من معنى الصليب. ولكن بعد أن تتحقق موتنا للجسد والعالم بواسطة الصليب نبتدىء نفتخر به.

مركز أبناء الله كمجهولين في زمان النعمة

(ع ٢٤ — ٢٧)

« ولما جاءوا إلى كفرناحوم تقدم الذين يأخذون الدرهمين إلى بطرس وقالوا أما يوفي معلمكم الدرهمين؟ قال، بلى. فلما دخل البيت سبقه يسوع قائلاً، ماذا تظن يا سمعان. ممن يأخذ ملوك الأرض الجباية أو الجزية، أمن بنيهم أم من الأجانب؟

قال له بطرس، من الأجانب . قال له يسوع ، فاذاً البنون أحرار . ولكن لئلا نعثرهم إذهب الى البحر وألق صنارة والسمكة التى تطلع أولاً خذها ومتى فتحت فاها تجد إستاراً فخذه وأعطهم عني وعنك » .

كان الدرهمان المذكوران هنا مبلغاً صغيراً من المال يوازي نصف شاقل وكان يجب على كل يهودي أن يدفعه لأجل نفقات الهيكل والعبادة المتعلقة به . ولعله مؤسس على ما جاء فى (خر ٣٠ : ١١ - ١٦ ، ٣٨ : ٢٦ و٢ اخ ٢٤ : ٤ و٥ ، نح ١٠ : ٣٢ و٣٣) كان المنتظر من كل يهودى أمين لديانته أن يدفع هذا الرسم سنوياً بمحض اختياره . فسألوا بطرس أما يوفى معلمكم الدرهمين ؟ أى ، هل معلمكم يهودى أمين لديانته ، فجاوبهم ، بلى أى أنه يقوم بكل ما يجب القيام به . وكان فى ذلك ناسياً ما للرب يسوع من مركز وحقوق كالمسيح ابن الله الحى حسب إقراره السابق . لذلك عند دخوله ابتدره المسيح بسؤاله عن الأساس الذى بنى عليه جوابه فسأله عن عادة ملوك الأرض فى أخذ الجباية ، أيأخذونها من بنيهم أى أهل بيوتهم أو العائلة الملكية أم من الاجانب أى من الرعية ؟ فأصاب بطرس بجوابه . «من الاجانب» ، لأنه من الامور المعلومة أن الملوك لا يضعون الضرائب على بنيهم .

« قال له يسوع فاذاً البنون أحرار » أى ليس عليهم أن يدفعوا الجباية . « ولكن لئلا نعثرهم إذهب الى البحر الخ » نرى هنا قصد الوحى من ادراجه هذه الحادثة . وهو أن الرب يجمع بطرس وبالتبعية غيره من خاصته مع نفسه كأبناء الله صاحب الهيكل . كان اليهود الآخرون بالصواب يدفعون هذه الجباية لله كرعية . وأما المسيح والذين أعطاه الله إياهم ، فبحكم مركزهم كبنين لم يكونوا من الموضوعين تحت قوانين الهيكل : (انظر أش ٨ : ١٦ - ١٨) حيث نرى المسيح مرفوضاً من اسرائيل ، وتلاميذه مفرزين له ، وهو مصطبر للرب الساتر وجهه عن بيت يعقوب . وأما تلاميذه فهم بالحقيقة أولاد معطون له من عند رب الجنود الساكن فى جبل

صهيون. وأيضاً انظر قوله «إني أصعد الى أبي(*) وأبيكم والهي والهكم» (يو ٢٠: ١٧) نعم هذه الحقائق الجميلة لم تعلن إعلاناً تاماً إلا بعد قيامته. ولكنه قد أشار إليها هنا وأمر بدفع الدرهمين عنه وعن بطرس لقطع أسباب العثرة فقط. وكما أنه أظهر معرفته الإلهية اذ سبق بطرس وسأله سؤالا عما جرى خارج البيت هكذا أظهر قدرته الالهية وسيادته على خليقة الله إذ جعل سمكة تأتي بالمبلغ المطلوب.

ولا حاجة لي أن أقول للقارىء المسيحي أن قول الرب «فاذاً البنون أحرار» لا يعني شيئاً من جهة واجباتنا المقررة نحو الحكام الذين يقيمهم الله بعنايته. لأنه يجب علينا أن نخضع لهم ونعطي الجزية لمن له الجزية (انظر رو ١٣: ١—٧، ١ بط ٢: ١٣ - ١٧).

ويجب أن نلاحظ أن جميع تعاليم الرب هنا توافق حالة رفضه واقامة الملكوت بعد موته. كان ابن الله ولكنه ترك حقوقه في العالم في الوقت الحاضر وعلم تلاميذه أن يتصرفوا مثله كقامين مقامه وهو غائب أي ليس كرؤساء وسلاطين بل بوداعة وتواضع القلب كغرباء ونزلاء.

(*) قال «أبي وأبيكم» للتمييز بين بنوته وبنوتهم ولم يقل أبينا. كذلك قال لبطرس «عني وعنك» ولم يقل عنا.

الأصحاح الثامن عشر

الاعظم فى ملكوت السموات

(ع ١ — ٥ ، مر ٩ : ٣٣ — ٣٧ ، لو ٩ : ٤٦ — ٤٨)

« فى تلك الساعة تقدم التلاميذ إلى يسوع قائلين فمن هو أعظم فى ملكوت السموات ؟ » (عدد ١) .

ان الموضوع المتضمن فى هذا الاصحاح مقترن مع ص١٦ : ١٣ — ٢٠ حيث رأينا الاعلان عن الكنيسة من حيث انها عتيدة أن تبنى على شخص المسيح مقاماً من الأموات ، ثم فتح ملكوت السموات والسياسة الإلهية فيه ، المعبر عنها بالربط والحل .

ويظهر من تقدم التلاميذ اليه بهذا السؤال أن أفكارهم لم تزل عالمية . وأنهم لم يتأثروا بما قال الرب عن موته إلا تأثراً وقتياً . وكنا نتعجب غاية العجب من سؤالهم هذا لولا معرفتنا بفساد الانسان وابتعاده عن الله ، وان الجسد الفاسد لا يزال فى المؤمن نفسه وانه ان لم يسلك فى الروح ويميت أعضاءه التى على الأرض فلا يوجد شر الا ويمكن أن يسقط فيه ان لم تحفظه نعمة الله . كان المسيح فى وسطهم كمن يخدم مع انه سيد الكل ، وله حق أن يستخدم الكل . وكان متجهاً نحو الصليب موضع الذل والعار والألم . فمن كان يظن ان تلاميذه يطمعون فى الرياسة فى ظروف كهذه ؟ نعم ويتحاجون أيضاً فى من منهم هو الأعظم ؟ ولكن هذه صفة الإنسان من الأول إلى الآخر . وقد برهن صليب المسيح تماماً على عدم وجود شيء صالح فى الطبيعة الانسانية الساقطة . لان المبدأ الأول للمسيحية هو أننا قدمتنا مع المسيح

وقتنا معه . وبناء على ذلك نحسب أنفسنا أمواتاً لكل ما كنا عليه كأولاد آدم (رو ٦ : ١ - ١٤) . والروح القدس لا يزال بعمله فينا يخصص لنا صليب المسيح عملياً. لا يخفى أن الكبرياء تحيط بنا كثيابنا، لا بل هي مغروسة في قلوبنا وتسري في عروق أبداننا كدمائنا . ولكن شكراً لله فالمسيح فينا ضد آدم . والاتضاع ضد الكبرياء .

« فدعا يسوع اليه ولداً وأقامه في وسطهم . وقال ، الحق أقول لكم إن لم ترجعوا وتصيروا مثل الأولاد فلن تدخلوا ملكوت السموات ، فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات . ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمي فقد قبلني » (عدد ٢ -- ٥) .

لا يخفى أن قصد الرب بما عمل وتكلم هنا أن يعلمهم ضرورة التواضع لدخول ملكوت السموات فإنه ينبغي لهم أن يرجعوا عن أفكارهم العالمية وعن طمعهم في الرياسة ويصيروا مثل الأولاد لكي يكونوا في الحالة المناسبة للملكوت . ومن الأمور المعلومة أنهم تركوا أفكارهم من هذا القبيل بعد موت الرب وقيامته . فانهم خضعوا له وهو مرفوض وصاروا مثل الأولاد من حيث نسبتهم للعالم وحقوقهم الإنسانية فيه . ان الولد الصغير لا يقدر أن يدافع عن نفسه في العالم ولا قيمة له في مجالس الملوك ومشروعاتهم. فمن اتصف بهذه الصفات يناسب الملكوت .

« فمن وضع نفسه مثل هذا الولد فهو الأعظم في ملكوت السموات» هذا هو جوابه على سؤالهم «فمن هو الأعظم؟» ومنه يتضح أن التواضع هو الشرط الوحيد للعظمة في الملكوت بعد دخوله ، كما سبق واتضح أنه مع الايمان هو شرط الدخول. وبهذا عمل الرب على أن يقتلع من قلوبهم كل حب للعظمة العالمية . كان قد أعطاهم نفسه قدوة كاملة لذلك . فاذاً كل من طلب أن يمتاز في الملكوت عليه أن يقتفي آثار خطوات سيده . فتكون له العظمة من قبل الله (انظر في ٢: ٥-٨) .

« ومن قبل ولداً واحداً مثل هذا باسمى » يذكر الرب هنا موضوعاً آخر وهو أن روح التواضع يجعلنا نقبل أى ولد باسم المسيح أى لأجل خاطره. وكلامه هذا خاص بالأولاد الصغار فعلا وقصده هو أن يوضح بعض صفات ملكوته المخالفة لأفكار التلاميذ على الخط المستقيم. قابل هذا مع ص ١٩ : ١٣ - ١٥ وأع ٢ : ٣٩ وشهادات أخرى فى الرسائل أيضاً تعلن جميعها نسبة أولادنا الصغار إلى سيدنا ورينا المرتفع إلى السماء. ولا شك عندى أننا نقبلهم بالمعمودية إذ نصادق فيها على نسبتهم للرب ونقر بأنهم له وينتج من ذلك أننا نربيهم بتأديبه وإنذاره (أف ٦ : ١ — ٤) ولو لم يكونوا له لما كان لنا حق أن نربيهم له «فقالت لها ابنة فرعون اذهبي بهذا الولد وأرضعيه لى وأنا أعطى أجرتك» (خر ٢ : ٩) لأنها خلصت الولد فصار لها. وبناء على ذلك أمرت أمه بأن ترضعه لها. ويجب أن نعتبر أولادنا هكذا. وبقبولنا إياهم نقبل المسيح أى نصادق على سلطانه عليهم وعلينا أيضاً. وهذا من المواضيع العظيمة الجميلة.

التحذير من إعثار الصغار

(ع ٦ — ١٠ ، مر ٩ : ٤٢ — ٤٨ ، لو ١٧ : ١ و ٢)

« ومن أعثر أحد هؤلاء الصغار المؤمنين بى الخ » فيميز هنا بين الأولاد مطلقاً وبين الأولاد الصغار المؤمنين به. وينطبق كلامه هذا على تربيتنا لأولادنا إذ يجب ألا نعمل على إبعادهم عنه بل إلى تقريبهم إليه. انظر تربية تيموثاوس وإيمانه (٢ تى ١ : ٥ و ٣ : ١٥) والعثرات عبارة عما يقودهم للعالم ويصدهم عن معرفة صليب المسيح. فإن ربيناهم تربية عالمية قد أعثرناهم. فالويل لنا. لأننا نجلب على أنفسنا تأديبات الله.

« ويل للعالم من العثرات. فلا بد أن تأتى العثرات، ولكن ويل لذلك الإنسان الذى به تأتى العثرة. فإن أعثرتك يدك أو رجلك فاقطعها وألقها عنك

خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع من أن تلقى فى أتون النار الأبدية ولك يدان أو رجلان . وإن أعثرتك عينك فاقلعها والقها عنك . خير لك أن تدخل الحياة أعور من أن تلقى فى جهنم النار ولك عينان» (عدد ٧ — ٩). لا يخفى أن العالم هو الفخ الأعظم لقلوب الناس إذ أنه مضاد لصليب المسيح مضادة تامة انظر قول الرسول بولس عنه «حاشا لى أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح الذى به قد صلب العالم لى وأنا للعالم» (غل ٦ : ١٤) لما صرح الرب بالويل لمن أعثر أحد الصغار المؤمنين به عاد تتكلم عن مصدر العثرات سواء كان هذا المصدر هو نحن أو العالم وأتى بكلام عام فى شأن هذا الموضوع. سبق وتكلم فى (ص ٥ : ٩ و ٣٢٠) عن بعض الشهوات التى تمنع الناس عن قبوله معبراً عنها بأعضاء الجسد. ويستعمل هنا هذه التشبيهات نفسها . لا يخفى أن الشهوات الردية هى فينا كحب الرفعة والعظمة والشهرة والراحة فى هذا العالم. وإبليس رئيسه يشغلنا بالحصول على هذه المرغوبات وبذلك يلهينا عن حمل الصليب. ويهمنا جداً أن نلاحظ أنه يمكن لنا أن نكون آلات فى يد العدو لالقاء عثرات للآخرين . كبطرس لما حاول أن يصد المسيح عن الصليب واستحق لقب شيطان (ص ١٦ : ٢٣). فالرب قد وضع لنا قانوناً دقيقاً مشدداً لإنكار ذواتنا ولو كان ذلك مؤلماً لنا كقطع بعض أعضاء أجسادنا . لأننا ان سمينا أنفسنا تلاميذ المسيح وعشنا عيشة عالمية إنما نخدع أنفسنا ونكون عثرة لكل من أراد أن يعيش للرب. والعالم هو مصدر العثرات الذين يدعى عليهم اسم المسيح. ولا يزال يغويهم ويقتادهم إلى معاشرته إهانة لسيدهم ، وبهذه الواسطة يجلب دينونة الرب عليه حين يأتى ليتنقى ملكوته .

ولابد أن تأتى العثرات ، كما قد رأينا فى الأمثال التى تتكلم عن ذلك فى (ص ١٢). ولكن يوجد بعض أشخاص هم بمثابة آلات خاصة فى يد العدو لإجراء عمله هذا فالويل لمثل هؤلاء لأن عملهم كعمل الأنبياء الكذبة مع إسرائيل قديماً

(انظر ٢ بط ٢ ويه ورؤ ٢ : ١٤و١٥و٢٠—٢٣وص١٨) فلابد من وقوع قصاص شديد على من أغوى شعب الله وجرهم إلى معاشرة العالم.(قابل تث١٣) « خير لك أن تدخل الحياة أعرج أو أقطع » و « أعور » إن المؤمنين سيدخلون السماء بأجساد كاملة ممجدة (١ كو ١٥ : ٤٢ — ٤٤) ولكن الرب كنى هنا عن الشهوات بالأعضاء ، فكنى مثلا عن الاقلاع عن شهوة العين بقلعها ، وعن الانقطاع عن شهود اليد والرجل بقطعها . كذلك أيضاً كنى عن الذى حرم عينه ورجله متعتهما المحرمة بالأعور والأعرج. ولكنه فى الواقع ليس حرماناً بل رحمة من الله .

التحذير من احتقار الصغار

(ع ١٠ — ١٤)

« انظروا لاتحتقروا أحد هؤلاء الصغار . لأنى أقول لكم أن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات. لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يخلص ماقد هلك . ماذا تظنون ؟ إن كان لإنسان مئة خروف وضل واحد منها أفلا يترك التسعة والتسعين على الجبال ويذهب يطلب الضال ؟ وإن اتفق أن يجده فالحق أقول لكم أنه يفرح به أكثر من التسعة والتسعين التى لم تضل.هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار » (عدد ١٠ — ١٤) .

هذا الفصل أيضاً هو عن الصغار حقيقة. قد سبق الرب وأشار إلى جميع تلاميذه كالصغار (ص ١٠ :٤٢) لأنهم متصفون بهذه الصفة بالنسبة إلى عظماء العالم . بل وينبغى فعلا أن يكون فيهم بعض صفات الأولاد الصغار كما قد رأينا . على أنه هنا يخاطب التلاميذ أنفسهم من جهة مايجب عليهم من نحو الصغار حقيقة قائلا « انظروا لاتحتقروا أحد هؤلاء الصغار » وهذا يناقض أفكارهم العالمية من جهة

الملكوت لأنهم كانوا يتصورونه نظاماً عالمياً يقتضى له أول كل شيء وزراء وأبطال حرب نظير مملكة داود وسليمان (٢ صم ٢٣ ، ١ مل ٤) وكان أمراً بعيداً عن فكرهم أن الأهمية العظمى فيه تكون للصغار بالحقيقة . وأن العظمة من قبل الله تكون لمن اتصف بصفاتهم فانهم كانوا فى تجربة ان يحتقروا الصغار وقد عملوا ذلك كما سنرى فى (ص ١٩ : ١٣) .

« لأنى أقول لكم إن ملائكتهم فى السموات كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات» قال هذا ليبرهن على مكانتهم عند الآب ومحبته لهم .

«ملائكتهم» اى الملائكة المخصصون لخدمتهم (انظر ايضاً مز ٩١ : ١١ ، عب ١ : ١٤) عن خدمة الملائكة لجميع ورثة الخلاص . قد استنتج البعض من قوله «ملائكتهم» ان كل واحد من الأولاد وكذلك كل واحد من المؤمنين له ملاك خاص به يحفظه . على انى لست ارى هذا الاستنتاج صواباً . لأنه إذا اقتضت الحاجة فى وقت ما يمكن لله ان يرسل جيشاً من الملائكة لحفظ ولد واحد او مؤمن واحد (انظر ٢ مل ٦ : ١٧ و ١٨) حيث نرى الجبل مملوءاً خيلا ومركبات نار للمحافظة على اليشع وغلامه . إن خدمة الملائكة تنسب دائما الى عناية الله لأجل حفظنا من الأخطار التى تتعرض لها من خارج ولا دخل لهم فى الأمور الروحية .

« كل حين ينظرون وجه أبى الذى فى السموات » اى انهم دائماً يمثلون أمامه ليتقبلوا أوامره الخاصة بخدمتهم للصغار الضعاف فى وسط مظالم هذا العالم وتشويشاته . ولاشك بأن هذا يصدق أيضا على خدمتهم لورثة الخلاص جميعاً فاذا كان الملائكة لا يحتقرون الصغار بل يخدمونهم فكيف نحتقر نحن الصغار؟

« إن كان لإنسان مائة خروف وضل واحد منها الخ» هنا يذكر الرب المثل الجميل المعروف بمثل الخروف الضال ويخصصه هنا بخلاصه للصغار . وأما فى لوقا ١٥ : ١ - ٧ فيطلقه على أى خاطىء كان . وهناك كان توبيخا للفريسيين أما هنا فتعليم للتلاميذ . وهذا مما يبرهن لنا ان السيد كان يكرر اقواله وامثاله بحكمته الكاملة

بحسب اقتضاء الحاجة. وهذا لا يقلل من شأنه كمعلم بل يعظمه جداً. لأنه إذا كرر أحد الأمثال عرف فى كل مرة كيف يستخرج منه، وهو مثل واحد، وجه الشبه الخاص بالموضوع الذى كان فى صدده، لإفادة السامعين. وقوله «لأن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك» (ع ١١) يدل على أن الصغار كالكبار يحتاجون إلى مخلص لأنهم على حالة الهلاك وذلك لنسبتهم إلى آدم الأول ووراثتهم لطبيعته الساقطة (رو ٥ : ١٢). ولا يجوز لنا مطلقاً أن ننسب خلاص الذين يموتون فى طفوليتهم إلى طهارة طبيعية فيهم. لأن ذلك ضد كلمة الله على خط مستقيم «من يخرج الطاهر من النجس؟ لا أحد» (أى ١٤ : ٤) انظر أيضاً (مز ٥١ : ٥) وشهادات أخرى كثيرة جداً تصرح أن الجميع هالكون بحسب حالتهم الطبيعية ويصدق عليهم قول الرب «ينبغى أن تولدوا من فوق» (يو ٣ : ٧). ولا نقدر أن نعلق خلاصهم أيضاً على إيمان والديهم. لأن الرب إنما يعلق ذلك على شخصه قائلا «لأن ابن الإنسان قد جاء لكى يخلص ما قد هلك» ولأولاد المؤمنين امتيازات عظيمة جداً من حيث كونهم ضمن الدائرة المسيحية التى فيها يعترف باسم الرب ولكن هذا ليس هو موضوع كلام الرب هنا لأنه إنما يخصص هذا المثل الجميل لخلاص الصغار كما الكبار (ع ١٤).

«هكذا ليست مشيئة أمام أبيكم الذى فى السموات أن يهلك أحد هؤلاء الصغار». فما أجمل هذه الحقيقة!! وما أبعدها عن أفكار التلاميذ وقتئذ!! كان الآب قد أرسل ابنه لأجل الجنس البشرى أجمع. ولم يغض نظره عن الأطفال الذين هم قسم كبير منه. قد حسب البعض أن ما يقرب من نصف المولودين يموتون وهم أطفال. وإن كانت هذه من المسائل الزهيدة عند عظماء هذا العالم فليست هكذا أمام الآب السماوى. ولا يخفى أن الوالدين أنفسهم وإن كانوا متصفين بالحنو إنما ينوحون عند فقدهم الأولاد إلى حين نظراً إلى إحساساتهم الطبيعية وقلما يفتكرون فى كونهم خلصوا أو هلكوا بعد الموت. لأنه لا يوجد كثيرون

منهم يهتمون بأمر خلاص أنفسهم ، وإذ ذاك كيف يهتمون بخلاص أولادهم؟ حتى المؤمنون الأتقياء مقصرون جداً من هذا القبيل . فانهم أوقاتاً كثيرة يجتهدون فى مصالح أولادهم الزمنية أكثر من الروحية . فاذاً إن جعلنا خلاص الأطفال يتوقف على إيمان والديهم يكون أساسه واهياً جداً . ولكن الحقيقة هى أن أساس خلاص جميع الذين يموتون أطفالا هو عمل المسيح الكفاوى الكامل على الصليب ، الذى مات لحمل الله ليرفع خطية العالم .

تسليم سلطان الربط والحل للكنيسة

(ع ١٥ — ٢٠)

« وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما . إن سمع منك فقد ربحت أخاك . وإن لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكى تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلاثة . وإن لم يسمع منهم فقل للكنيسة . وإن لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار » . لا حاجة إلى تكرار القول أن الرب فى هذا الفصل كله يعطى تلاميذه تعليمات لارشادهم عند إقامة ملكوته وعند ابتدائه ببناء كنيسته أيضاً (ص١٦ : ١٨ و ١٩) لأنه من الحقائق الواضحة أن العاملين كانا مستقبلين بعد . وبدأا يوم الخمسين (اع ٢) . فالتعليم ليس لهم وحدهم بل لنا أيضاً باعتبار كوننا تلاميذ المسيح وخاضعين لسلطانه كربنا . ومجرد اعترافنا باسمه يقرننا مع تلاميذه الآخرين ، ويقتضى أن نعاشرهم بالتواضع والمحبة ، متجنبين التعدى عليهم فى شيء ، والأسباب التى من شأنها أن تعثرهم ولكنه يذكر هنا التعديات الشخصية وكيف يجب أن نعمل عند حدوثها .

« وإن أخطأ إليك أخوك فاذهب وعاتبه بينك وبينه وحدكما إن سمع منك فقد ربحت أخاك » انه من الأمور المحزنة اننا لا نقدر أن نسلك معاً ، رغم إننا إخوة مفديون بدم المسيح ، بدون حدوث أسباب مكدرة لسلامنا . ومنها التعديات

الشخصية اما بالكلام أو بالعمل وبحسب الطبيعة نغتاظ ممن تعدى علينا ونطلب الانتقام منه . ولكن نعمة الله تعلمنا أن نعمل خلاف الطبيعة تماماً اذ وضعت على الأخ المذنب اليه أن يهتم قبل كل شيء برد نفس أخيه المذنب ويذهب اليه على انفراد بالتواضع والمحبة فانه ربما يقر بذنبه ويرجع عن طريق السوء الذي ابتدأ يتهور فيه . وإذ ذاك ينتهي الأمر إذ يسامحه الأخ المذنب اليه ولا يمتد الشر أكثر . ويكون له فرح لانه قد ربح أخاه أي أرجعه عن شره الى حالة تناسب الشركة الروحية . أما إن عاتبه أمام الآخرين فقد يعرضه هذا بالنظر لضعفه لأن يثور لما يحسبه اهداراً لكرامته أمام الآخرين ، أو على الأقل لأن يستحي من الإقرار أمامهم بخطئه ، ولأن يأخذ في تبرير نفسه فيقسو قلبه ويتعسر رد نفسه .

ولنلاحظ أن الرب يفرض ان الصعوبة هي في معاملة الأخ المذنب لا المذنب اليه . أما إذا وقعت مخاصمة بين أخوين ، وكان كل منهما يحاول أن يبرر نفسه ويستذنب الآخر فكلاهما على حالة رديئة ويستحقان توبيخ الآخرين ولكن هذا ليس هو الموضوع هنا .

« وان لم يسمع فخذ معك أيضاً واحداً أو اثنين لكي تقوم كل كلمة على فم شاهدين أو ثلثة » فربما يهاب الأخ المذنب بعض اخوته ويتواضع أمام الله ويقر بذنبه ولا شك بانه يجب علينا أن نميز مَن ومَن من اخوتنا يكونون أنسب لخدمة كهذه لأنه ليس للجميع منسوب واحد في الحكمة (انظر ١ كو ٦ : ٥) . ولا يليق بنا أن نأخذ معنا أخاً يُظن فيه أنه يحابي بالوجوه أو يتحزب لأحد الفريقين لأن هذا مما يحرمه الثقة الأخوية من الجميع .

« وان لم يسمع منهم فقل للكنيسة » ان كان المذنب مصمماً على طريقه ولا يخضع لأخويه اللذين زاراه برفقة الأخ المذنب اليه وتكلما معه كما يجب ، فعلى الأخ الاول ان يأتي الى الكنيسة بدعواه . ويكون الآخران شاهدين له أمام الكنيسة انه قد أفرغ جهده بروح المحبة لينهض ضمير الاخ المذنب ويربحه .

«وان لم يسمع من الكنيسة فليكن عندك كالوثنى والعشار» أى يكون لك حق أن لا تعاشره كأخ ما دام لا يسمع من الكنيسة . ولنلاحظ جيداً أن الرب لا يقول هنا ماذا يجب على الكنيسة أن تفعل فى دعوى كهذه . لا شك أنها ملتزمة بأن تعزل الاخ المذنب المعاند . «ألستم أنتم تدينون الذين من داخل ؟» (١ كو٥: ١٢) على أن الرب لا يوضح هنا واجبات الكنيسة فانه انما يضع قوانين لإرشاد تلاميذه فى تصرفاتهم الشخصية ويرى أن مسئوليتك الشخصية فى دعوى الاخ المعتدى عليك تنتهى عندما تبلغها للكنيسة ولا يسمع هو من الكنيسة ، لانه مهما حكمت الكنيسة بعد ذلك فليس عليك أنت أن تعاشر الاخ المذنب ما دام معانداً للكنيسة .

يذكر الرب الكنيسة هنا باعتبارها معروفة لانه سبق فى (ص١٦: ١٨) وقال انه مزمع أن يبنى كنيسته ، وقد رأينا انها مؤلفة من المؤمنين به المعبر عنهم بحجارة حية ، وكل قوة العدو لن تقوى عليها . كانت شيئاً جديداً لم يسبق له مثيل . ومن لا يسلم بذلك يناقض النصوص الالهية الصريحة . ولفظة كنيسة تعنى جماعة وتظهر صفات هذه الجماعة مما ورد لنا فى سفر الاعمال والرسائل فى شأنها ولا ينبغى أن نبحث هنا فى ماهيتها بالتفصيل لان الرب انما يشير بكلامه هذا الى وجودها وتبليغ بعض الدعاوى التأديبية اليها للفصل فيها . كان تلاميذه مزمعين أن يجتمعوا معاً باسمه (ع ٢٠) بعد أن يفارقهم . ويسميهم وهم مجتمعون هكذا «الكنيسة» أو الجماعة . (قابل ١ كو١٤: ٢٣) وقد تم ذلك تماماً كما نرى من يوم الخمسين فصاعداً اذ انضم كل من آمن إلى الجماعة المجتمعة (اع ٢ : ٤٢ — ٤٧) ومن تزعزع فى الإيمان ترك الاجتماع معها (عب١٠: ٢٥) لان حضوره اليها جلب عليه اضطهاداً من غير المؤمنين . فبقوله هنا «قل للكنيسة» يشير إلى جماعة من تلاميذه معروفة فى مكان ما بأنهم جماعة الله أو كنيسته فى ذلك المكان (اع ١٤: ٢٣) كالكنيسة التى فى كورنثوس أو افسس مثلاً . ويجوز لنا أن نسميها كنيسة محلية تمييزاً لها عن الكنيسة العامة

أو جميع المعترفين باسم المسيح في المواضع الاخرى . ونميز أيضاً بين الكنيسة كما تكلم عنها المسيح فى (ص ١٦) وكما هى موصوفة فى بعض الرسائل خصوصاً فى رسالة أفسس ، و بين عموم المنتسبين إلى المسيح فى كل المسكونة ، فالكنيسة بحسب تلك الشهادات مؤلفة فقط من أعضاء حية للمسيح ، ولو أن الرب خاطب الجماعات المسيحية المحلية فى مجموعها فى آسيا مثلا باعتبار أنها « الكنائس » (رؤ ١: ١١) مع أن أحوالها على وجه الاطلاق أصبحت عاراً على اسم الرب كحالة المسيحيين بالاسم الآن . وان كنا نستعمل لفظة الكنيسة عليهم عموماً نعنى بها ملكوت السموات كما يوضحه انجيل متى.

قد قال البعض أن الرب قصد أن يقيم الكنيسة مقام المجمع اليهودى من حيث ترتيبها ، وإن الرسل قد رتبوها هكذا عندما أخذ المؤمنون يجتمعون معاً . و بناء على زعمهم هذا قد استنتجوا نتائج شتى وذهبوا كل واحد الى اثبات الترتيبات الكنسية التى حسنت فى عينيه . ولكن هذا الزعم غير صحيح للاسباب الآتى ذكرها :

أولاً — كانت فى أيام الرب مجامع محلية لليهود فى مدنهم وفى بعض المدن الاجنبية أيضاً كما لا يخفى عند من طالع الاناجيل والاعمال. وكانوا معتادين أن يجتمعوا فيها كل سبت لقراءة التوراة ولكن المجمع اليهودى كان ترتيباً بشرياً لانه لم يرد ذكره في التوراة . وهذه الحقيقة تكفى وحدها لدحض الزعم بأن الرب أخذ منه شيئاً للكنيسة المسيحية . وفضلاً عن ذلك أقول أن بداءة المجامع ليست معروفة ولا ترتيبها . على انه من الامور المؤكدة انها إنما انشئت بعد سبى بابل ولم تتمكن إلا بعد زمان المكابيين[1] ويظهر أن ترتيبها كان يتغير من وقت الى

---

(١) المكابيون هم بنو يهوذا المكابى وقد حرروا أورشليم جزئياً من سيادة الامم عليها. وكان ذلك قبل ظهور المسيح بنحو ١٧٠ سنة تقريباً.

آخر كسائر الترتيبات البشرية . فكيف يتجاسر أحد على القول بأن الرب نظم الكنيسة على ترتيبها بينما لم ترد شهادات من كلمة الله عن ذلك. صحيح أن رؤساء المجامع استعملوا القطع اذ كانوا يخرجون بعض أشخاص خارج المجمع (يو ٩:٢٢) ولكن ليس بسلطان المى لان الله لم يسلم القضاء إلا للكهنة (لا ١٣ : ٣ و ٤٥ و ٤٦ ، ٢ أى ٢٦ : ١٦ – ٢١) والحكام (تث ٢١ : ١٨ – ٢١) فى النظام الاسرائيلى . فاذا من اراد أن يقيس على ذلك يتخذ قياساً فاسداً بلا أصل فى كلمة الله التى لا تشير أبداً الى أن الله كان يصادق على حكم أولئك الرؤساء .

ثانياً — الكنيسة أخذت روحياً مقام الهيكل كرمز لها « أما تعلمون انكم هيكل الله وروح الله يسكن فيكم ؟ » (١ كو ٣ : ١٦) وجميع المؤمنين هم كهنة (١ بط ٢:٥ ، رؤ ١:٥ و٦) ، قريبون لله بدم المسيح بدون حجاب. ولا يخفى أن الهيكل كان هو موضع السجود لله (يو ٤:٢٠) ولم يخطر على بال يهودى انه يقدر أن يسجد لله إلا هناك . وكان سجودهم مؤسساً على الذبيحة التى بدونها لم يستطيعوا الاقتراب الى الله . والكهنة لم يقدروا أن يمارسوا وظيفتهم إلا فى الهيكل . وأما المجامع فلم يكن فيها مذبح ولذلك لم يكن اجتماعهم فيها للسجود البتة بل لاجل استماع كلمة الله . وكان ذلك من الامور النافعة بدون شك ولكنه لم يكن أساساً لترتيب الكنيسة .

ثالثاً — قد وردت شهادات كثيرة جداً فى الكتاب المقدس على ترتيب الكنيسة وعبادتها تغنينا عن البحث فى شأن المجامع اليهودية . ويتضح منها جلياً انه إن أخذ شىء لها من النظام القديم على سبيل الرمز فلا يكون من المجمع بل من الهيكل والعبادة الكهنوتية (انظر ١ كو ٥ : ٧ ، ٩ : ١٣ و ١٤ ، ١٠ : ١٥ – ١٨ ، اف ٢ : ١٩ – ٢٢) والرسالة الى العبرانيين كلها فانها تقرن ترتيب المسيحيين وعبادتهم كحقيقة مع المسكن والكهنوت اللاوى كرمز ، لا مع المجمع مهما

كان . ولكن لا حاجة الى اطالة الكلام . فكل من يحاول أن يثبت شيئاً فى ترتيب الكنيسة زاعما انها قامت مقام المجمع من بعض الوجوه فانما يظهر عدم خضوعه لاقوال الله وجهله لماهية الكنيسة . راجع الشهادة الواردة فى (١ كو٥) حيث ترى انه كما تم فى موت المسيح مدلول الفصح الوحيد الكفارى هكذا أخذ عشاء الرب الاسبوعى (اع ٢٠ : ٧ ، ٢ : ٤٢) موضع عيد الفصح السنوى التذكارى وكان يجب على المؤمنين فى كورنثوس أن يجروا التأديبات الكنسية بالنظر الى ذلك لان مائدة الرب هى المركز لاجتماعنا ولعبادتنا ولاجراء كل ما يلزم من التأديب للمحافظة على طهارتها . وقد عزل الاخ المذنب من بينهم لكونهم جماعة مفدية بدم المسيح، نعم وهيكل الله ايضاً والقداسة تليق ببيته (مز٩٣:٥).

« الحق اقول لكم كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً فى السماء » (ع ١٨) . لا يخفى أن هذا هو نفس القول الذى قاله الرب للرسول بطرس(١٦: ١٩) ، ولا يوجد أدنى ريب هنا بأنه قيل لكل جماعة محلية من المؤمنين بالمسيح كما قد رأينا فى قوله «فقل للكنيسة الخ » ويجب أن نلاحظ هنا :

أولاً — أن سلطان الرب لاجل الربط والحل مسلم للكنيسة . ويفرض هنا أن المؤمنين المجتمعين فى مكان ما يستطيعون أن يحصلوا على معرفة أفكاره وحكمه فى جميع المسائل التى يطلب منهم أن يحكموا فيها . فالواضح انهم لا يباشرون عملا كهذا بموجب وظيفة رسمية ولا بحسب حكمتهم البشرية التى هى جهالة فى أمور الله « وأما نحن فلنا فكر المسيح » (١ كو ٢ : ١٦) واذا لم نؤمن بأن الكنيسة لها نور الهى وارشاد خاص من العلاء فقد انكرنا حقيقتها الموضحة فى الكتاب المقدس . وفضلا عن ذلك اقول انه ان كانت جماعة مؤمنين فى مكان ما لا تقدر أن تعرف فكر المسيح فى الدعاوى الواقعة فى دائرة مسئوليتها حتى تحكم حكما صحيحاً باسم الرب فلا داعى لان تحكم بشىء. لانه لا يجوز مطلقاً أن نحكم بين اخوتنا ان لم نقدر أن نحكم بموجب افكار ومشيئة سيدنا وربنا أو

أن نقول ما نقوله باسمه . انى مسلم كل التسليم بأن هـــذا الأمر يتطلب أن نكون روحيين سالكين مع الرب وهذا مطلوب منا فى جميع تصرفاتنا سواء كانت اجتماعية أو فردية . ولـكن هذه الاحكام هى مسئوليتنا الدائمة باعتبارنا كنيسة الله في مكان ما . وان لم نكن كنيسته فمن التجاسر والاختلاس أن نحاول اجراء شيء من الافعال الـكنسية . وينتج من هذه اللاحظات أن العمل بوصفنا كنيسة والاجتماع والحكم باسم الرب ليس من الامور الزهيدة . ومن أسرع اليها بخفة أظهر أنه لا يفهم شيئاً منها . ومن اتخذ لنفسه مقاماً ممتازاً بين اخوته ليترأس عليهم فقد نسى أن الرب يحاسبه يوماً ما على عمله (٣ يو) . فلذلك ينوفى من الجهة الواحدة أن لا نجفل جبناً من القيام بمسئوليتنا كـكنيسة الله فى مكان ما . ومن الجهة الاخرى ينبغى لنا أن نحترس كل الاحتراس من أن نتخذ لانفسنا ما لم يضمه الرب علينا لانه يحب الـكنيسة وقد بذل نفسه لاجلها وأقامها مقامه فى العالم ، فـكيف يغض نظره عن سوء التصرف فيها؟ لوكانت نظاماً بشرياً كمجمع يهودى لـكان من الامور المحتملة انه يصادق على بعض الاشياء الممارسة فيها كقراءة التوراة ويتغاضى عما سواها كما عمل فى أيام حياته على الارض ، ولـكن أمر الـكنيسة ليس هكذا كما يتضح من مطالعتنا سفر الاعمال والرسائل . لانه يغار عليها وقد جعل معها سلطان اسمه الجليل ووعد انه يصادق على كل ما تحكم به لمجده.

ثانياً — السياسة المعبر عنها بالربط والحل تجرى بمناسبة حدوث أسباب سيئة مكدرة لازالتها وعلاجها . ويجب أن نذكر هذا. لان الحكم يناسب المعصية. نشكر الله الذى من أجل نعمته المتفاضلة قد أنعم علينا بأشياء كثيرة جداً لبنياننا لا دخل للربط والحل فيها فأعطانا كلمته العزيزة والروح القدس والمحبة الاخوية (رو ٥ : ٥ ، ١ بط ١ : ٢٢) والوعظ والتعليم والصـــلاة والتبشير . ولا يخطر على بالنا أن نستعمل الربط والحل فيها . ولـكن القداسة تليق ببيت الله

ونحن بيته ! ولا يمكن أن تثبت الشركة الروحية ان لم تحفظ مما يخل بها . فوضع الرب الربط والحل فى الكنيسة لهذه الغاية .

قد رأينا فى ص ١٦ أن الرب الذى له كل السلطان شاء وأقام رسله المختارين فى مركز خاص فى الكنيسة وألبسهم سلطاناً حتى انه كان يمكن لاى منهم أن يربط ويحل فضلاً عن امتيازات اخرى اختصوا بها كرسل المسيح. كان الرسول بولس يقدر أن يقول للقديسين في كورنثوس . « ماذا تريدون . أبعصا آتى اليكم أم بالمحبة وروح الوداعة ؟ » (١ كو ٤ : ١٨ ـ ٢١) وأيضاً « لذلك اكتب بهذا وأنا غائب لكى لا استعمل جزماً وأنا حاضر حسب السلطان الذى أعطانى إياه الرب للبنيان لا للهدم »(٢ كو ١٣ : ١٠) فيصرح بهذا الكلام ان له سلطاناً رسولياً خاصاً لاجراء التأديب على انه لم يشأ ان يستعمله بعجلة بل فضل على ذلك انهم يصلحون احوالهم بحسب كلمة الله وبمقتضى واجباتهم كجماعة قديسين . فلا حاجة بى الى القول بأن كلاماً كهذا لا يليق بأحد أن يقوله غير رسول ،وان كان انسان أو مجمع يتجاسر على كلام كهذا فلا بد ان يوجد كاذباً عند الفحص وطلب البرهان على سلطانه . إن الضرورة تحوجنا الى اطالة الكلام فى هذا الموضوع بسبب الادعاءات الاكليريكية التى تمكنت بين المسيحيين وملأتهم وساوس وخرافات لا أساس لها فى كلمة الله ، وجعلتهم يهملون واجباتهم الخاصة المحلية ككنيسة الله تاركين السياسة الروحية فى يد رؤسائهم .

قال الرب « فقل للكنيسة الخ » وأيضاً « الحق أقول لكم ، كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً فى السماء الخ». فالواضح انه لا يعنى طغمة من المؤمنين. لقد قيل أن الرؤساء يمارسون الاحكام بالنيابة عن جمهور الكنيسة . فأقول اولاً ان لا أصل مطلقاً فى كلمة الله لهذا القول. فضلاً عن كونه بلا معنى ومنقوضاً من نفسه اذ انه لا يجوز لاحد أن يحكم بالنيابة عن غيره . فانه من المبادىء المعلومة أن الحكم يمارسه من له سلطان كالحاكم أو الملك مثلاً ، أو من يفوض من قبلهما .

و يجب اذ ذاك على من يمارس الحكم أن يسير فيه بمقتضى واجباته كوالٍ مثلاً يقيمه مولاه فى منصب و يفوض اليه مأمورية يقوم بواجباتها ، ليس بموجب سلطان ذاتى له بل باسم الملك . ولا يقال أبداً انه يحكم بالنيابة عن الملك . فكم بالحرى لا يكون حاكما بالنيابة عن الرعية . لان الملك نفسه حى موجود ساهر على مملكته ولا يتخلى عن شىء من سلطانه وانما يستخدم بعض عبيده كيدٍ لتنفيذ اوامره . أما القول بسلطان خاص بالرعية فهو من المبادىء السياسية المعروفة بالجمهورية وليس من المبادىء الكنسية . ثانياً السياسة المعبر عنها بالربط والحل هى سياسة روحية لا عالمية ونمارسها كواجب علينا طاعة الرب ،ولا تصدق عليها التشبيهات المستعارة من الممالك العالمية إلا من حيث انها تظهر أن السلطان يختص بذات شخص الرب يسوع ، وأن ما نمارسه من الاحكام انما هو من باب الواجب علينا للرب طاعة له كعبيده للقديسين بدمه فداء تاماً حتى اننا لسنا لانفسنا بل للذى مات لاجلنا وقام. لايخفى ان الرؤساء الكنسيين يحبون التشبيهات والاقيسة المأخوذة من المراتب العالمية لانها تناسب رغبة قلوبهم ، ولا يخطر على بالهم اننا فى حقيقتنا جماعة كهنة وملوك مع اننا فى ذات الوقت عبيد للذى اقتنانا .

فلنلتفت الآن إلى بعض الشهادات الواردة فى الرسائل على ممارسة الربط والحل عن يد أشخاص غير الرسل . لا يخفى ان رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثوس معروفة ومتصفة بما فيها من ترتيب كنيسة الله فى مكان ما . ونرى أن الرسول يخاطب الكنيسة كلها . و يعاتبهم على ما حدث بينهم من الإهانة للرب ، وافساد شركتهم كقديسين . انى لا أجزم فى المسألة أ كان لهم شيوخ أو مدبرون محليون أم لا . كان الرسول معتاداً أن يهتم بالكنائس التى زارها ويقيم لهم أناساً أهلاً لخدمة المناظرة أو التدبير ، ولا تزال هذه الخدمة نافعة للقديسين وآيلة الى بنيانهم وهى من عطايا الرب لكنيسته ما دام له أعضاء على الأرض . ولكن سواء سلمنا بأنه يوجد مدبرون محليون فى كورنثوس أم لا فالواضح ان الرسول يخاطب الكنيسة كلها

من جهة عزل الأخ المذنب أو ربط خطيته عليه ثم من جهة حــله من خطيته أو مسامحته وقبــوله (انظر ١ كو ٥ ، ٢ كو ٢:٥ — ١١) . ويذكر بصريح اللفظ أن القصاص كان من الاكثرين أى ليس من فرد بل من الجماعة . ونرى أيضاً أن التأديب لم ينف ان الشخص المؤدب حاصل على التبرير الـكامل من قبل الله . لأن الرسول يفرض أن ذلك الأخ من أولاد الله المخلصين حتى ولو أنه قد ُسلم للشيطان ، إلا أن ذلك كان فقط لهلاك الجسد الذى لم يعرف أن ينكره ويقمعه . لــكن وان كان مبرراً بالإيمان ، إلا أنه لا يمكن أن يتمتع مع الـكنيسة بالشركة المقدسة وهو في حالته السيئة هذه . .

وللتأديب غايتان : الأولى — تنقية الجماعة وتبرئتها ، فإنها تكون مذنبة اذا حدث شر فيها وسكتت عليه . لأنها بذلك تكون مصــادقة عليه الى أن تتخذ الوسائط اللازمة لعزله من وسطها . والغاية الثانية — اصلاح المذنب نفسه .

وان كنا لا نحكم على انفسنا فى الامور التى لا تليق باسم المسيح فلا بد انه يحكم علينا . (انظر ١ كو ١١:٢٩ ــ ٣٣). وان كان القارىء يسأل، وكيف يكون الحال ان كانت الـكنيسة نفسها تسكت عن حدوث شر فيها مهين للرب ولاتقوم بواجباتها لله فى علاجه حسب كلمته ؟ فأقول انه من المحتمل أن الرب فى هذه الحالة يتداخل رأساً ليؤدب المذنبين كما عمل في كنيسة كورنثوس ، اذ ضرب كثيرين بأمراض ، بل و بالموت أيضاً .لانه ان كنا نحن نتهاون فيما يهين اسمه بيننا ونتقاعد عن القيام بما اوجبه علينا فى شأن ذلك فلا ينتج انه هو يتغاضى ايضاً . ولــكنه يدعونا اولاً أن نحكم على انفسنا و إن عملنا ذلك لا يحكم علينا . ونرى هنا جوهر موضوعنا . وأرجو ان القارىء يلاحظه كل الملاحظة وهو أن الحـكم لا يزال فى يد الرب . ومع انه يريد ان يشركنا معه ان كنا فى حالة تناسب ذلك إلا انه لا يتخلى عن سلطانه . ويمكنه ان يمارسه رأساً.ولا بد من ذلك ان كنا لا نحكم على انفسنا اولاً ثم نهتم بطهارة الـكنيسة . وان كانت جماعة ما عالمية الى هذا المقدار

حتى أنها لاتنفار على مجد اسم الرب ، ولا يمكن انهاض ضميرها فان الرب يزحزح منارتها من مكانها (رؤ ٢:٥) ولا يعود يعاملها كجماعة غير انه يستمر يتعامل مع اولاد الله فيها كل واحد على حدته لتنقيته بمفرده حيث ان المعاملات الاجتماعية ليست ممكنة لسوء حالة الجميع . لان الرب لايصادق عليهم ككنيسة ، وهم تاركون كل ما تتصف به الكنيسة وهو الاقرار بالحق (١ تى ٣ : ١٥) من جهة ، والمحافظة على السلوك الحسن قدام العالم من جهة اخرى . ولو صادق علينا ونحن لسنا هكذا لأظهر انه راض بما يهينه و يكذب كلمته . ولكنه لا يفعل ذلك بل يتركنا كجماعة ولكنه لا يتركنا كأفراد ان كنا من اولاد الله . وقد وردت على ذلك شهادات كثيرة جداً لا اقدر أن أشير اليها هنا .

فى (يع ٥ : ١٤ و ١٥) نجد امراً آخر يتعلق بحكم الرب . فنرى أخاً قد مرض ولم يظهر بعد إن كان مرضه تأديباً خاصاً من قبل الرب ام لا. لانه ان كان مخطئاً فى شىء فلم ينكشف بعد للكنيسة. بل والوحى يفرض ايضاً أن المريض نفسه لا يعرف . ولكنه يجب عليه فى ضيقه أن يستدعى شيوخ الكنيسة ليصلوا عليه و يدهنوه بزيت باسم الرب . لان هذا جزء من خدمتهم . والقصد من حضورهم هو طلب الشفاء للاخ المريض . ولكن ان كان قد جاء المرض بسبب ارتكاب خطية من الخطايا المهينة لله ، والتى من شأنها ان تجلب التأديب فينكشف امره عند الصلاة فان ضميره يتعبه و يضطره الى الاقرار بها ، فتغفر له . والرب يقيمه . لا يقول ان الشيوخ يغفرون له . غير ان خطيته انما تغفر له عند اعترافه بها . انى لا اقدر أن ابحث هنا فى موضوع الشيوخ لان ذلك يتعلق بدرس بعض الرسائل على انى اقول انه إن وجد أناس بيننا معروفون ومتصفون بالصفات اللازمة لمناظرة وملاحظة اخوتهم روحياً (١ بط ٥ : ١ — ٤) فذلك من مراحم الله العظيمة التى يجب ان نشكره لاجلها . واقول ايضاً ان العمل المنسوب اليهم هنا هو خدمتهم للمؤمنين افراداً ولا دخل له فى الاعمال الاجتماعية. لانه ان كانت دعوى ما تصل

الى الكنيسة فيكون الجميع مسئولين عن الحكم فيها كما قد رأينا لانه يطلب منهم أن يعلموا معاً تبرؤهم من الشر ، وذلك لا يتم ان كان بعضهم فقط هم الذين يحكمون عليه ولو كانوا شيوخاً . وأقول ايضاً ان جانباً كبيراً من خدمة الشيوخ هى أن يناظروا أو يلاحظوا اخوتهم من جهة أحوالهم الروحية وسيرتهم قدام العالم لكى يصلحوها بمعالجة أسباب الشر حتى لا تأتى الى الكنيسة. هذا من جهة كثير من الأسباب التى يمكن علاجها على انفراد. ولكن ان كان أحد يرتكب ذنباً معروفاً عند الجميع فلا بد أن الجميع يحكمون فيه ولا يليق بالبعض أن يحكموا فيه فى الخفاء ، ولا أن يحكموا ثم يخبروا الآخرين بما عملوا لان عملا كهذا أساسه ان الحكم مفوض الى البعض لا الى الكل . ولكن ما أحلى الخدمة الحبية التى من شأنها ان تستأصل أصول الشر وتمنعها عن الامتداد الى الكنيسة لتكدر الجميع. ونرى فى (يع ٥) أنه من الامور الممكنة لاى أخ أن يقوم بهذه الخدمة الجميلة حيث يقول « ايها الاخوة ان ضل أحد بينكم عن الحق فرده أحد فليعلم أن من رد خاطئاً عن ضلال طريقه يخلص نفساً من الموت و يستر كثرة من الخطايا» (يع ٥ : ١٩ و ٢٠) . فالضال أو الخاطىء هنا هو واحد بيننا أى أخ ، ولكنه متهور فى طريق مهين لله . وان لم يرجع عنه فيضربه الله بالموت . لان التأديبات تنتهى بموت الجسد ان كنا لا نتذلل ونتوب . فالاخ الروحى الذى يعالج الاخ الضال و يرجعه عن ضلال طريقه ، يخلصه من الموت . وليس ذلك فقط بل يستر كثرة من الخطايا ايضاً ولهذا القول معنى عظيم الاهمية . لانه ان كان الاخ الضال يستمر فى خطيته ولا يتعامل معه أحد لارجاعه يزداد الشر بين المؤمنين فيضطر الرب أن يتداخل رأساً ليؤدب واذا ألزمناه بالتداخل يضرب حيثما يوجد ما يستحق الضرب . فتكون لا خطية واحدة يقتضى لها التأديب بل خطايا كثيرة . فطوبى للاخ الذى يقدر أن يساعد على اقتلاع الشر لكي لا ينمو ويمتد لانه ينفع أخاه المذنب و يستر خطايا كثيرة عن نظر الرب فى الحكم . لا يريد الرب أن يأتينا

بالعصا واذا سلكنا بالمحبة وحكمنا على انفسنا نسلم من التأديب .

وقد وردت شهادة اخرى على هذا الموضوع فى (١ يو ٥ : ١٦ ، ١٧) حيث يقول الرسول « ان رأى أحد أخاه يخطىء خطية ليست للموت يطلب فيعطيه حياة للذين يخطئون ليس للموت . توجد خطية للموت . ليس لاجل هذه أقول أن يطلب . كل اثم هو خطية . وتوجد خطية ليست للموت » . يتضح ان هذا الكلام من جهة اخ قد ارتكب خطية من شأنها ان تجلب عليه تأديباً ،وقد وقع فى مرض بسببها ، ويفرض ان أخاً آخر عرف بحالته واستطاع ان يصلى لاجله ولا يذكر اذا كان قد حضر اليه عند ماصلى لاجله ام لا . ولكنه طلب،والرب اعطى حياة للاخ المخطىء ، أى شفاه . ولكنها خطية يمكن غفرانها اجابة للصلاة .

« توجد خطية للموت » أى يجب ألا يطلب أحد من الرب لإجلها . فلا بد انها تنتهى بموت الاخ الذى ارتكبها . واذا سأل القارىء ما هو نوع الخطية التى للموت ؟ اقول انها ليست من نوع خاص لان « كل اثم هو خطية » . ولا تختلف خطية عن اخرى إلا من حيث ظروف مرتكبها والحالة التى هو عليها . لا شك بأن الرب يعاملنا بحسب مقدار النور الذى قد انعم علينا به. فبالتبعية مَن كان عنده نور اكثر واخطأ وأصر على ذلك فانه يغيظ الرب على نوع خاص . ويمكن انه يصل الى حالة تقتضى ان ينزعه الرب بالموت. ويفرض الرسول هنا وجود تمييز روحى فينا به نعرف حكم الرب فى حالة كهذه . وان كان غيظه مشتعلا لا نقدر ان نطلب شفاء الاخ المذنب . كانت خطية حنانيا وامرأته من هذا النوع . راجع قول الرسول يوحنا فى هذه القرينة ، وهو قوله السابق لعباراته السالفة «وهذه هى الثقة التى لنا عنده أنه ان طلبنا شيئاً حسب مشيئته يسمع لنا. وان كنا نعلم انه مهما طلبنا يسمع لنا نعلم أن لنا الطلبات التى طلبناها منه » (ع ١٤ و ١٥) فاذا كنا نحاول الصلاة لاجل اخ قد أدبه الرب بمرض وقصد ان ينزعه من الارض لا نقدر ان نطلب شفاءه بثقة . لان الروح القدس لا يعيننا على ذلك . ليست كل الامراض

تأديباً خاصاً ولـكن ان شاء الرب فى وقت ما فانه يستعملها هكذا . لا يذكر الرسول الكنيسة هنا ولا خدمة الشيوخ لانه يمكن وقوع حادثة كهذه ولا تعرف إلا عند الاخ المريض والاخ الروحى الذى يطلب لاجله. توجد خطايا كثيرة مستترة بين شعب الله فى كل مكان ومع انها تحزن الروح القدس وتمنعه الى درجة ما عن العمل لاجل فرحنا و بنياننا فلا يزال الرب بأناته وصبره يعمل بيننا قاصداً أن يأتى بكل اخ مذنب الى الحـكم على نفسه وترك الامور التى يعرف فى ضميره انها مخالفة لـكلمة الله . لانه لا يحب ان يشهرنا و يخجلنا . وخير لنا إن كان لطفه يقودنا الى التوبة . وكثيراً ما ينبهنا بكلام مناسب لحالتنا ، بل و يؤدبنا تأديبات من شأنها ان تنخس ضمائرنا بدون ما يكشف امرنا للاخرين. ولكن مع انه يتأنى علينا كثيراً إلا انه لا يتأنى الى الابد. لانه إما أن يأتينا بما يكسرنا و يحطنا لاجل استخفافنا بالشر الخفي أو يتركنا لانفسنا حتى ينكشف امرنا قدام الجميع . فليعلم يقيناً كل مسيحى ان الرب لا يغض نظره عنا دقيقة واحدة. وان كنا غير روحيين لا نقدر ان نشترك معه فى السياسة المعبر عنها بالربط والحل فلايزال هو يربط علينا خطايانا للتأديب ثم يحلها عند توبتنا وتذللنا أمامه . انه من الامور المحزنة ان أولاد الله الحقيقيين قد اصبحوا على حالة سيئة جداً لاننا نراهم كغنم مشتتة لا يسأل عنهم أحد وإن كنا نجول بينهم بالمحبة يزداد الحزن كلما اختبرنا حقيقة أحوالهم. كم منهم قد انسبقوا فأخذوا فى فخاخ العـدو. وكم منهم قد انتبهوا لوجود شهوات قوية فيهم و يئنون بسببها ولا يعرفون كيف يغلبونها. وكم يهينون الله بأفعالهم وليس أحد من اخوتهم يحزن أو يقول لهم قد اخطأتم. وكم يظهرون كأن ضمائرهم قد ماتت تماماً .ولكن مع هذا كله فالرب موجود ولا يكف عن العمل لتنقية قديسيه وتقويمهم. والاليق بنا أن نقول «هلم نرجع الى الرب لانه افترس فيشفينا . ضرب فيجبرنا» (هو ٦ : ١).

١٩ وأقول لـكم ايضاً ان اتفق اثنان منكم على الارض فى أى شىء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل ابى الذى فى السموات. لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى

فهناك اكون فى وسطهم (عدد ١٩ و٢٠). الرب يضيف هذا الكلام الى الموضوع السابق ذكره ، ويقرن الربط والحل بالصلاة الاتفاقية أو الاجتماع باسمه . وقد اتضح من بعض الشهادات التى راجعناها (يع ٥ ، ١ يو ٥) بخصوص السياسة التأديبية أنها يجب ان تقترن بالصلاة . لانه ان كنا لسنا فى روح الصلاة ومتمتعين بالشركة مع الرب ومع بعضنا البعض فلا يليق بنا ان نباشر عملاً كهذا باسم الرب. على ان الوعد الجميل المتعلق بالصلاة الاتفاقية هنا مطلق وليس محصوراً فيما يختص بالتأديبات الاجتماعية حيث يقول « ان اتفق اثنان منكم على الارض فى أى شيء يطلبانه فانه يكون لهما من قبل ابى الذى فى السموات » . فقوله : « فى أى شيء يطلبانه » يجعل الوعد عاماً ويطلقه على جميع الاشياء التى تدخل فى دائرة الصلاة بحسب مشيئة الله . كما ان قوله « كل ما تربطونه على الارض يكون مربوطاً فى السماء الخ» اطلق الربط والحل على كل مايتعلق بهما بحسب مشيئة الله وكلمته لانه أمر بعيد عن قصد الرب ان يجعلنا مستبدين بل كل قصده ان نكون خاضعين كل الخضوع . وان كان هو ليس عاملاً معنا وفينا فلا يصادق على حكمنا ولا على صلاتنا وبقوله: « ان اتفق اثنان الخ» قد اخرج الارادة الذاتية أوانه محتمل ان المؤمن الفرد ، ولو كان تقياً يكون متأثراً بأغراض شخصية . ولا يقدر ان يحصل على ارشاد الرب تماماً . ولكن ان كان الروح القدس يجعل لأثنين ارادة واحدة ورغبة واحدة فذلك مما يدل على ان الامر من الرب . ولا يخفى ان الاتفاق المقصود هو روحى وليس بالكلام فقط. ولكن لا يفوتنا انه توجد ايضاً مواعيد كثيرة خاصة باجابة صلوات المؤمن الفرد فى كل الامور حتى فى حل الخطايا المربوطة على اخوته للتأديب كما مر بنا فى (١ يو ٥ :١٦) « لان طلبة البار تقتدر كثيراً فى فعلها » ولو كان المؤمن الامين وحده كما كان ايليا وحده فى اسرائيل .

«لانه حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك اكون فى وسطهم » لا يقول الرب صريحاً ان اثنين أو ثلاثة مجتمعين باسمه هم الكنيسة فى مكان ما ولكنه

يقرن معهم ما تتميز به الكنيسة المحلية من حيث اجتماعهم باسمه بالاتفاق الروحى وسواء أكان الاجتماع للتأديب أو لرفع طلبات أو للعبادة يضع الرب هذا المبدأ العظيم بأنه ، حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمه فهناك يكون فى وسطهم . ولا يوجد ماهو أحلى أو اكثر تشجيعاً من هذا . وانى اعتقد ان الرب كان يرى أمامه خراب الكنيسة الحاضر وانه قد لا يوجد فى وقت ما إلا القليلون جداً يجتمعون باسمه على الوجه الصحيح فى الطاعة لكلمته وتنفيذها بحسب مشيئته .

ولكن قد يسأل أحد : هل يوجد من هم على هذا الاساس ؟ فأجيب بأن المسيحيين الذين يعتمدون على كلمة الله وحدها ويقرون بوجود الروح القدس فى الكنيسة على الارض يجب ان يكونوا على هذا الاساس . واذا كان لا يتطرق الى قلوبنا الشك فى كافة الارشادات الواردة فى كلمة الله ، فلماذا نشك فى كيفية اجتماع المؤمنين معاً للسجود والبنيان وهى موضحة فى الكتاب ؟ اذا كانت لا تقيدنا القواعد البشرية ، ولا نبغى إلا اتباع كلمة الله وحدها فلنا تمام الحرية فى تنفيذ ارشاداتها . ولكن ونحن نتكلم هكذا بثقة ، ألا يجب علينا من الناحية الاخرى ان نأخذ مركز الاتضاع ؟ طالما ان أعضاء جسد المسيح مشتتة هنا وهناك فلا يليق بنا إلا مكان الاتضاع . من الخطأ البين ان ندعى باننا الكنيسة ، ولكن ان كنا ولو اثنين أو ثلاثة مجتمعين باسم المسيح فلنا حضور المسيح فى وسطنا وكل امتيازاته كما لو كان معنا الاثنا عشر رسولا . اذا كانت الكنيسة بسبب الضعف وعدم الايمان قد انقسمت وتشتتت ، ولكن وُجد فى وسط هذا التشويش اثنان أو ثلاثة فقط لهم الايمان بان يتمموا مشيئة الرب فلهم الوعد «حيثما اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمى فهناك أكون فى وسطهم» . فاذا كانت الكنيسة الاسمية قد فشلت فالواجب على الذين يشعرون بهذا أن ينفصلوا عما يعرفون انه مخالف لمشيئة الرب « كفوا عن فعل الشر . تعلموا فعل الخير » . علينا دائماً أن نرجع إلى المبادىء الأولى التى صار الانحراف عنها . هذا هو الالتزام الموضوع على كل مسيحى حقيقى .

الغفران بغير نهاية لمن يتوب

(ع ٢١ ــ ٣٥ ، لوقا ١٧ : ٣ و ٤)

« حينئذ تقدم اليه بطرس وقال يارب كم مرة يخطىء إليّ أخى وأنا أغفر له هل إلى سبع مرات قال له يسوع لا أقول لك الى سبع مرات بل سبعين مرة سبع مرات » (ع ٢١ و ٢٢). ان سؤال بطرس هذا مقترن مع ع ١٥ حيث قال الرب « ان أخطأ اليك أخوك الخ » . والرب بجوابه يشرح الروح التى ينبغى أن يسلكوا بها كما يليق بهم كبنى الملكوت وهى المسامحة المتبادلة بلا نهاية مع افتراض توبة الأخ المتعدى (لو ١٧ : ٤) . سبق الرب فعلمهم كيفية التصرف مع اخ غير تائب بحيث يجب تبليغ دعواه الى الكنيسة لاجل الحكم فيها باسم الرب . وأما فى حالة توبته فالقانون له المسامحة بلا حدود . واذا سلكنا معاً بهذه الروح فيمكننا ان نربح اخوتنا المخطئين لفرح الجميع و بنيانهم .

« لذلك يشبه ملكوت السموات انساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده . فلما ابتدأ فى المحاسبة قدم اليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة[1] . واذ لم يكن له ما يوفى أمر سيده أن يباع هو وامرأته وأولاده وكل ما له ويوفى الدين . فخر العبد وسجد له قائلا يا سيد تمهل علىّ فأوفيك الجميع . فتحنن سيد ذلك العبد وأطلقه وترك له الدين . ولما خرج ذلك العبد وجد واحداً من العبيد رفقائه كان مديوناً له بمئة دينار[2] . فامسكه وأخذ بعنقه قائلاً أوفنى ما لى عليك. فخر العبد رفيقه على قدميه وطلب اليه قائلاً تمهل علىّ فاوفيك الجميع . فلم يرد بل مضى

(١) الوزنة تساوى قنطاراً من الذهب أو من الفضة ويساعدنا على تصور جسامة مبلغ العشرة الآلاف الوزنة أن نعرف أن كل ما استخدم من الذهب لخيمة الاجتماع كان ٢٩ وزنة فقط (خر ٣٨ : ٢٤). (٢) العشرة الآلاف وزنة تعادل المائة دينار تسعمائة الف مرة .

وألقاه فى سجن حتى يوفى الدين . فلما رأى العبيد رفقاؤه ما كان حزنوا جداً وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى فدعاه حينئذ سيده وقال له : ايها العبد الشرير كل ذلك الدين تركته لك لانك طلبت الى . أفما كان ينبغي انك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا ؟ وغضب سيده وسلمه الى المعذبين حتى يوفى كل ما كان له عليه . فهكذا ابى السماوى يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لاخيه زلاته » (ع ٢٣ ــ ٣٥) .

هذا المثل من تشبيهات ملكوت السموات ، ووجه الشبه فيه هو وجوب المسامحة المتبادلة بالنظر إلى رحمة الله العظيمة التى قد أظهرها لنا ، والا فاننا نجلب حكمه علينا .

وقد رأينا هذا الموضوع نفسه مراراً عديدة فى هذا الانجيل خصوصاً فى (ص ٦ : ١٤ و١٥) فعاد الرب وأوضحه هنا أكثر مبيناً أن «الحكم هو بلا رحمة لمن لم يعمل رحمة » (يع ٢ : ١٣) .

« لذلك يشبه ملكوت السموات انساناً ملكاً أراد أن يحاسب عبيده . فلما ابتدأ في المحاسبة قُدم اليه واحد مديون بعشرة آلاف وزنة» (ع٢٣) لا شك أن العبد المديون بهذا المبلغ الباهظ هو عبارة عن حالة الجميع من جهة خطاياهم التى هم مذنبون بها الى الله . فانه لو أراد الله أن يطالبنا بما علينا لشعرنا بحاجتنا الشديدة إلى الرحمة .

« تمهل علي فأوفيك الجميع » ان من اقتنع بخطاياه اقتناعاً حقيقياً لا يمكن أن يقول للرب هذا القول بل يقر بما عليه للعدل الالهي ويتبرر بالايمان بدم المسيح . ولكن هذا ليس هو موضوع المثل وانما هو يتعلق بسياسة الله أو معاملاته معنا على الأرض . فالمحاسبة إنما هى لكشف حالة العبد المديون الذى حين ضاق به الأمر تضرع إلى سيده وطلب منه المهلة . وعند ذلك ترك له الدين كله . فالواضح أن

الحقيقة المعبر عنها بترك الدين ليست تبريرنا الكامل الابدى وادخالنا تحت العهد الجديد حيث لا يذكر الله خطايانا وتعدياتنا فيما بعد (عب ٨ : ٨-١٢) « لأن هبات الله ودعوته هى بلا ندامة » (رو ١١:٢٩) ، بل ترك الدين كناية عن الغفران السياسى أو الوقتى المقترن بشروط منها الصفح القلبى عن الآخرين (لو ٦ : ٣٧ ، مر ١١ : ٢٥ و ٢٦) .

وقد صار غفران كهذا للامة الاسرائيلية إجابة لطلب المسيح لاجلها على الصليب (لو ٢٣:٢٤) لأنها أضافت الى خطاياها الأخرى خطية قتل المسيح . ولما حل الروح القدس ألهم بطرس فى حدود الغفران المؤقت أن ينسب ذلك إلى الجهالة ويدعوهم إلى التوبة والخضوع لرحمة الله ولكنهم على وجه الإجمال استهانوا بالنعمة ورفضوها خصوصاً عند ما جعله الله يعمل بين الأمم. انظر (اع ٢٢:٢٢ و ١تس ٢: ١٥ و ١٦) . كان الأممى عندهم بمنزلة العبد الرقيق الذى عليه دين صغير إذ كانوا قد تعدوا على اليهود وظلموهم . فلم يريدوا أن يسمعوا عن رحمة لهم يحتاج اليها اليهودى مثل الأممى (رو ٩:١٥ ، ١١:٢٠-٣٢) . ولما رفضوا الرحمة عادالعدل الالهى وجرى مجراه وقد أدركهم الغضب إلى النهاية . كان الله قد تمهل عليهم زماناً طبقاً لطلبة المسيح . وأما الآن فلا موضع للمهلة بعد، فحسب عليهم الدين الأصلى. ولا يخفى أن الأمة لا تزال فى يد المعذبين إلى أن توفى الدين كله أولا — باحتمالها التأديب (اش ٤٠:٢ ، زك ٩:١٢) . ثانياً — بأنها تتوب وتقبل الرحمة التى سبق ورفضتها ، فتتخلص من التأديب السياسى ، وتدخل تحت العهد الجديد ، عهد التجديد والغفران الأبدى (أر ٣١:٣١-٣٤) .

« فهكذا أبى السموى يفعل بكم ان لم تتركوا من قلوبكم كل واحد لأخيه زلاته » . الرب فى تخصيصه هذا المثل لتلاميذه يؤكد لهم أن كل من لا يسامح أخاه يقع تحت تأديب الآب حتى يذوق مرارة الكأس التى أراد أن يسقى أخاه إياها

لان الآب يحكم الآن فى بيته بغير محاباة حسب عمل كل واحد (١ بط ١ : ١٧) . والسلوك بالحقد والضغينة يغيظه أكثر من كل ما سواه . والتسليم إلى يد المعذبين عبارة عن التأديبات التى تجرى فى هذا العالم ، ولا يعنى بها العذاب الأبدى فى جهنم النار لأن هذه قد نجا منها المؤمنون الحقيقيون إلى الأبد (يو ١٠ : ٢٧ — ٣٠) .

ولنلاحظ ان العبيد الآخرين لما رأوا ما كان « حزنوا جداً ، وأتوا وقصوا على سيدهم كل ما جرى » إذاً يليق بنا عند ما نشاهد الشر فى اخوتنا أن نحزن عليهم ونصلى للرب ليرد نفوسهم .

الاصحاح التاسع عشر

ذهاب المسيح الأخير من الجليل لأورشليم

(ع ١ و٢ ، مر ١٠ :١ و٣٢ ، لو ٩ :٥١ ، ١٧ :١١)

« ولما أكمل يسوع هذا الكلام انتقل من الجليل وجاء إلى تخوم اليهودية من عبر الاردن وتبعته جموع كثيرة فشفاهم هناك » (عدد ١ و٢)

لا يخفى أن الرب هنا صاعد إلى أورشليم آخر مرة قبل موته بمدة وجيزة تبلغ نحو ثلاثة أشهر أو أقل من ذلك (أنظر يو ١٠ :٢٢ـ٤١). متى لا يذكر حضوره إلى أورشليم وقت عيد التجديد بل مدة اقامته في عبر الاردن بعد تركه الجليل. فانه جاء إلى هناك ثم حضر إلى أورشليم عند العيد المذكور. ورجع أيضاً إلى هناك من جراء اضطهاد الرؤساء ثم عاد إلى بيت عنيا لاقامة لعازر (يو ١١ :١٧). وبسبب الاضطهاد أيضاً مضى من هناك إلى مدينة افرايم ومكث بها حتى قبل عيد الفصح بستة أيام. ثم عاد منها إلى بيت عنيا (يو ١١ :٥٣ ـ ٥٥ ، ١٢ :١).

شريعة الزواج في الجنة هي شريعته في ملكوت السموات

(ع ٣ـ١٢ ، مر ١٠ :٢ـ١٢)

« وجاء اليه الفريسيون ليجربوه قائلين له هل يحل للرجل أن يطلق امرأته لكل سبب ؟ فأجاب وقال لهم ، أما قرأتم أن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى ؟ وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً . إذاً ليسا بعد اثنين بل جسد واحد . فالذي جمعه الله لا يفرقه

انسان . قالوا له ، فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق ؟ قال لهم إن موسى من أجل قساوة قلوبكم أذن لكم أن تطلقوا نساءكم . ولكن من البدء لم يكن هكذا. وأقول لكم،إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنا وتزوج بأخرى يزنى. والذى يتزوج بمطلقة يزنى » (ع٣-٩) . راجع ص ٥: ٣١و٣٢ حيث رأينا فى كلام الرب هناك موضوع الطلاق ، وانه ليس جائزاً البتة إلا بسبب الزنا . وهنا قال لهم الرب « أما قرأتم ... الخ ؟ » فهو يستشهد فى شأن الزواج بما جاء فى تك١: ٢٧،٢: ٢٤ « خلقهما ذكراً وأنثى » أى ذكراً واحداً لأنثى واحدة وأنثى واحدة لذكر واحد . فلا طلاق (ملا ٢: ١٤-١٦ ، أم٢: ١٧) ولا تعدد زوجات .

« يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً » أى أن اقتران أحدهما بالآخر كاقتران أعضاء الجسد ببعضها ، هذا الاقتران الذى يدوم بدوام الحياة ولا يفككه وينهيه إلا الموت (١ كو٧: ٣٩ ، رو٧: ٢و٣ ، مر١٠: ١٢). فضلاً عن انه يدل على اتحادهما قلباً وقالباً وعلى اهتمام كل منهما بالمحبة لإسعاد الآخر (أف ٥: ٢٨ و٢٩).

« فالذى جمعه الله لا يفرقه انسان » يتبين من هذا أن الزواج رباط إلهى لا بشرى . ومن ثم لايقوى انسان على فكه . والخلاصة هى أن مبدأ الزواج هو ترتيب الله الأصلى الذى رتبه للانسان وقت الخليقة. فبحسب مشيئة الله عقد الزواج لا يحل ولا يفسخ ، لانه ينظر إلى الذكر والأنثى المقترنين معاً كجسد واحد ، فلايجوز للانسان أن يفرقهما. وان زنى واحد منهما فقد أبطل العقد . ويصح هذا على الرجل وعلى المرأة على حد سواء .

«قالوا له، فلماذا أوصى موسى أن يعطى كتاب طلاق فتطلق؟ قال لهم، إن موسى من أجل قساوة قلوبكم ... » . قال « قلوبكم » مع أن الكلام عن أسلافهم ، ليس فقط لأن اليهود فى نظره أمة واحدة ، بل وأيضاً لان قلوبهم فى نفس قساوة قلوب آبائهم . وإلا لما سألوه عن الطلاق .

« أذن لكم » قال الفريسيون فى سؤالهم « أوصى » فقال المسيح فى جوابه « أذنَ » و بين اللفظتين فرق فى المعنى لا يخفى .

« وأقول لكم ، إن من طلق امرأته إلا بسبب الزنى وتزوج بأخرى يزنى والذى يتزوج بمطلقة يزنى » كان الإذن لهم تحت الناموس بتطليق نسائهم كاشفاً لأمرين: أولاً — عجز الطبيعة البشرية بسبب سقوطها عن تنفيذ شريعة الله الأصلية للزواج. ثانياً — عجز الناموس نفسه عن اصلاح الطبيعة البشرية الساقطة.

فالمسيح بفضل نعمته فى بنى الملكوت رجع بهم من حيث الزواج الى شريعة الله فى الجنة متجاوزاً عما حصل تحت الناموس كجملة معترضة ، مصادقاً على ما رتبه الله فى الخليقة لبركة الانسان ولم يصادق على القساوة التى وصلت إلى قلب الانسان عن طريق دخول الخطية . إذن ، موسى كمشترع أذن لهم بالطلاق . ولكنه لم يكن بحسب قانون الله الأصلى للزواج . فأرجعه المسيح إلى أصله . وهذا هو قانوننا المسيحى المطلق . وجميع الرؤساء والمجامع الكنائسية لا يستطيعون أن يحللوا ما حرمه الله . معلوم ان اكثرهم قد أجاز الطلاق لأسباب غير الزنا ولكنهم انما أظهروا قساوة قلوبهم وعصيانهم على تعليم الرب الصريح . ومن حاول أن يتداخل بين الرجل وامرأته زاعماً أن له سلطاناً كنائسياً فى ذلك يظهر نفسه ضد المسيح تماماً .

« قال له تلاميذه إن كان هكذا أمر الرجل مع المرأة فلا يوافق أن يتزوج . فقال لهم ليس الجميع يقبلون هذا الكلام بل الذين أُعطى لهم . لأنه يوجد خصيان وُلدوا هكذا من بطون أمهاتهم . و يوجد خصيان خصاهم الناس . و يوجد خصيان خصوا أنفسهم لأجل ملكوت السموات . من استطاع أن يقبل فليقبل » .

فحتى التلاميذ استصعبوا القانون الإلهى للزواج . و بحسب أفكارهم اليهودية وقتئذ قالوا أن الأوفق للرجل أن لا يتزوج البتة إن كان ملتزماً بالارتباط مع امرأته التزاماً مطلقاً غير منقطع كل مدة حياتهما الطبيعية . فقال لهم الرب ليس الجميع

يقدرون أن يقبلوا هذا الكلام أى كلامهم فى الامتناع عن الزواج لأن الإنسان قد خلق محتاجاً إلى الزواج (تك ٢: ١٨—٢٤) ولا يوجد إلا القليل من الناس يستطيع أن يعيش بدونه . (أنظر ١ كو ٧: ١—٧ و ٩ و ٣٦) . غير أن بعض الذكور قد ولدوا بأجساد معابة أو غير كاملة التركيب . ومن ثم فهم بطبيعتهم غير قابلين للزواج . والبعض الآخر قد أصبحوا هم أيضاً ، بظلم الناس ، غير قابلين للزواج بأن أجروا لهم عملية جراحيــة . وهذا النوع من الخصيان هو الذى كثر ذكره فى الكتاب(*) . (أنظر أر ٢٩: ٢ ، دا ١: ٣، أع ٨: ٢٧، ٢ مل ٩: ٣٢) . ولكن يوجد أيضاً فريق ثالث هم الخصيان معنوياً لا حرفياً . وهم الذين يستطيعون الامتناع عن الزواج اختيارياً لأجل خدمة الرب ، إذ أنهم بنعمة خاصة من الله يضبطون أنفسهم غير منهمكين بالهموم المقترنة بحالة الزواج . أنظر ١ كو ٧: ٧ و ١٧ .

البركة والملكوت من حق الأولاد

(ع ١٣—١٥ ، مر ١٠: ١٣—١٦ ، لو ١٨: ١٥—١٧)

« حينئذ قدم اليه أولاد لكى يضع يديه عليهم و يصلى . فانتهرهم التلاميذ . أما يسوع فقال دعوا الأولاد يأتون إلىّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات . فوضع يديه عليهم ومضى من هناك» (عدد ١٣ — ١٥) .

لا شك أن الذين أتوا إلى المسيح بأولادهم الصغار كانوا من الأتقياء . و بما أنهم تذوقوا حلاوة نعمته لأنفسهم لم يكتفوا بذلك بل رغبوا فى أن يقدموا أولادهم له أيضاً ولا بد من وجود هذه الرغبة فى قلوب الوالدين المتصفين بالتقوى فى كل حين . لأن الوالد الذى لا يهتم بصوالح أولاده الروحية يشبه النعامة فى البرية التى تقسو على أولادها كأنها ليست لها وتترك بيضها وتحميها فى التراب وتنسى أن الرجل

(*) وأحياناً كان المتزوجون من موظفى قصور الملوك يسمون أيضا خصياناً بحكم وظيفتهم كفوطيفار الخصى المتزوج (تك ٣٩: ١) .

تضغطها وحيوان البريدوسها (أي ٣٩:١٣—١٧) .

« فانتهرهم التلاميذ » نرى هنا كم كانت أفكار التلاميذ تختلف عن أفكار سيدهم ! لانهم احتقروا الصغار مع أن الرب سبق وحذرهم من ذلك (ص ١٨: ١٠) فعاد الرب وصرح برضاه بالأولاد وأن ملكوت السموات لهم ولأمثالهم . كان النظام يشمل أولاد الإسرائيليين (تك ٧:١٧) وكان الاسرائيليون يقدمون أولادهم لله بالختان (تك ١٧: ١٠) لتربيتهم له (تك ١٨: ١٩) كما نقدم نحن له أولادنا بالمعمودية لتربيتهم أيضاً له (أف ٦:٤) ولا يمكن أن يكون النظام الجديد أضيق من القديم (أع ٢: ١٧ و٣٩) . على أن القديم وإن كان قد شمل الصغار إلا اننا لا نقدر أن نقول أنه كان لهم ، أو بمعنى آخر ، انه كان نظاماً يتصف أتباعه بصفات الأولاد . فانه لم يكن كذلك . لأن داود وأبطاله كانوا مناسبين له أكثر من الاولاد الصغار . وأما النظام الجديد فيتطلب صفات الاولاد . لان عبيد المسيح لا يحاربون ولا تليق بهم البسالة الطبيعية . هذا من جهة الاختلاف بين النظامين القديم والجديد .

« دعوا الأولاد يأتون إليّ ولا تمنعوهم لأن لمثل هؤلاء ملكوت السموات » .

لا بد لي من أن أكرر هنا الملاحظة التي سبق ذكرها عن ملكوت السموات بحسب انجيل متى ، فانه يستعمل فيه كنظام أو تدبير في مباينته مع النظام أو التدبير الذي سبقه . ولذلك فهو لا يرد دائماً بمعنى ملكوت الله . ومما يثبت ذلك أن البشير متى نفسه يعدل عن ذكر عبارة « ملكوت السموات » في بعض المواضع ويستعمل بدلها عبارة « ملكوت الله » كما قد رأينا . ويجب أن يكون لهذا أهمية عندنا في درس أقوال الوحي لأن ألفاظ الوحي كاملة ولم يكتب شيء منها اتفاقاً . وإذا صح استعمال العبارتين المذكورتين لمعنى واحد في موضع ما فهذا لا يبرهن على عدم وجود فارق بينهما في المواضع الاخرى ، لأنه إنما ينتج من أن الحقيقة المعبّر عنها فيهما تصدق على الوجهين كقول الرب هنا عن الأولاد مثلاً أنه « لمثل هؤلاء

ملكوت السموات » بينما في مر ١٠: ١٣—١٦ ولو ١٨: ١٥—١٧ يقال عنه « ملكوت الله » لان هذه الحقيقة هي من الحقائق التي يصح أن تنظر اليها من وجهة تدبيرية ، ومن وجهة مطلقة أيضاً ، أعني بقطع النظر عن التدبيرات الإلهية المختلفة . لأن الله ينظر إلى الصغار بعين الرضى في كل التدابير ويمكنه أن يفعل فيهم بروحه القدس حيثما وحينما شاء . وهذه من البركات الروحية مدة المُلك العتيد (أش ٤٤: ٣ و ٤ ، ٥٩: ٢١) .

الشـــاب الغني

(ع ١٦—٢٦ ، مر ١٠: ١٧—٣١ ، لو ١٨: ١٨—٣٠)

« وإذا واحد تقدم وقال ، أيها المعلم الصالح ، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الابدية ؟ فقال له ، لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » .

ان المتقدم بهذا السؤال هو شاب (ع ٢٠) وغني (ع ٢٢) ورئيس (لو ١٨: ١٨) . فيما سبق قد رأينا لطف الرب ومحبته للاولاد . ولكننا نرى هنا أن أساس ذلك ليس هو الصلاح البشري بتة . لأن هذا الشاب المزيّن ببعض المزايا الحسنة التي جعلت الرب يحبه (مر ١٠: ١٧ و ٢٠—٢٢) قد وُجد عند الامتحان ناقصاً لا يستطيع أن يمتلك الحياة الابدية أو أن يدخل ملكوت السموات بموجب ما عنده من الصلاح البشري . فتقدم إلى الرب وسأله سؤالاً مهماً جداً . اعترف أولاً بأن المسيح معلم صالح ثم سأله أي صلاح يعمل لتكون له الحياة الأبدية . قابل إقراره هذا مع إقرار نيقوديموس (يو ٣: ١ و ٢) . لانه يتضح من جواب الرب لكل منها أن المسيح كمعلم لا يكفي لحاجة الانسان الساقط . لان المعلم الإسرائيلي المعتاد على إرشاد الآخرين والشاب الإسرائيلي الغني التقي يحتاجان كلاهما إلى أكثر من التعليم . فتعجب الواحد من ضرورة الولادة من فوق ، ومضى الآخر حزيناً « فقال له لماذا تدعوني صالحاً ؟ ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله » لا شك عندي أن قصد

الرب من جوابه هذا هو أن ينفي وجود الصلاح البشري نفياً مطلقاً . اعتبره الشاب معلماً صالحاً يرشد الناس إلى عمل الصلاح الذي يؤهلهم للحياة الابدية . فجاوبه الرب حسب ما في فكره مصرحاً له بأن الصلاح لا يوجد إلا في الله وحده ، وأنه إن كان هذا الشاب الطالب التعليم لا يقدر أن يرى في يسوع أنه عمانوئيل ويهوه إله إسرائيل حاضراً في وسط شعبه، بل مجرد إنسان معلم فعبثاً يلقبه معلماً صالحاً لأن ليس أحد صالحاً إلا واحد وهو الله . يضاف إلى هذا أن الحياة الابدية متعلقة بمعرفة حقيقة شخصه كالمسيح إبن الله (يو ١٧: ٣ ، ٦: ٦٨ و٦٩) ، وليس بفكرة أنه معلم من المعلمين الذين كان الله يقيمهم لشعبه من وقت إلى آخر .

« ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له أية الوصايا ؟ فقال يسوع ، لا تقتل . لا تزن . لا تسرق . لا تشهد بالزور . اكرم أباك وأمك وأحب قريبك كنفسك . قال له الشاب ، هذه كلها حفظتها منذ حداثتي . فماذا يعوزني بعد . قال له يسوع ، ان أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز في السماء وتعال اتبعني . فلما سمع الشاب الكلمة مضى حزيناً . لانه كان ذا أموال كثيرة » (عد ١٨—٢٢) .

الرب نفى أولاً وجود الصلاح البشري ثم امتحن الشاب بواسطة الشريعة التي وضعها الله لكي يطالب بها الصلاح من الانسان ويقيسه عليها ليكشف له حقيقة حالته كخاطىء ولا حق له في الحياة « لأن بالناموس معرفة الخطية » (رو ٣: ٢٠ ، ٧: ٧)

« ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا » فالرب يصادق على الناموس الذي لامتحان الانسان قرن الحياة مع حفظ الوصايا (أنظر تث ٨: ١ وحز ٢٠: ١١ ورو ١٠: ٥ وغل ٣: ١٢). ولكن ينبغي أن نلاحظ جيداً أن الحياة المذكورة في الناموس هي حياة للاسرائيلي على الارض وليست الحياة الابدية . ولا يوجد ذكر لدخول السماء بموجب الناموس. لان الحياة الابدية هي هبة الله بيسوع المسيح (رو ٦: ٢٣). كان سؤال الشاب بأي صلاح يمكنه أن يحصل على الحياة الابدية . والرب

من بعد نفيه وجود الصلاح فى البشر امتحنه بالناموس الذى كان مفتخراً به كيهودى. ولم يقل إن أردت أن تدخل الحياة الأبدية بل « الحياة » فقط ، كما هى مذكورة فى الناموس ولكن الناموس لم يقدر أن يحيى أحداً (غل ٣: ٢١) بل حكم على الكل بالموت (غل ٢: ١٩ ، رو ٣: ١٩) إذ أخطأ الجميع (رو ٣: ٢٣) .

وقد اقتبس المسيح للشاب من الناموس الوصايا المتعلقة بما يجب عليه من نحو الآخرين فقط .

« قال له الشاب ، هذه كلها حفظتها منذ حداثتى » بدون شك قد أخطأ الشاب فى جوابه هذا وأظهر أنه على جانب عظيم من الجهالة الروحية لانه ليس أحد من البشر قد حفظ الناموس حفظاً حقيقياً .

« فماذا يعوزنى بعد ؟ » هذا يدل على أنه رغم غروره فى نفسه لم يكن حاصلاً على كمال راحة الضمير. إذ ليس من شأن الناموس أن يعطى هذه الراحة بل المسيح. فقال له الرب « إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع أملاكك واعط الفقراء فيكون لك كنز فى السماء ، وتعال اتبعنى » المسيح فى رده هذا على الشاب عاد وامتحنه بما كشف له تماماً خطيته وخطأ رأيه فى نفسه وأنه لم يكن يحب الرب إلهه بكل قلبه ولا قريبه كنفسه. لأن المحبة للرب تظهر بالطاعة له. والمحبة للآخرين تحملنا إلى مساعدة المحتاجين بسرور فلو كانت له المحبة التى هى جوهر مطلوب الناموس لما استصعب العمل بحسب قول الرب .

كان الرب إلهه الذى وضع الشريعة واقفاً أمامه متكلماً معه بالنعمة ، ولكنه لم يميز من هو ولا عرف صوته . صحيح أن الناموس لم يطلب منه أن يبيع أملاكه لانه إنما وعد الأتقياء بخيرات زمنية جزاء لتقواهم ، ولكنه طلب الطاعة الكاملة للرب إلههم مع المحبة للآخرين كمحبة الانسان لنفسه . فبهذا الامتحان انكشفت للشاب حالته تماماً انه إنما أحب نفسه بل وماله ، وهذا أصل كل الشر (١ تى ٦: ٩ و ١٠) .

ثم لاحظ قول الرب له « ان أردت أن تكون كاملاً » وقابله مع (ص ٥ : ٤٨). فان الكمال هو السلوك بحسب المبدأ الذى يضعه الله لسلوكنا فى زماننا ، وهو الآن كلمة المسيح وقدوته . فمعنى قول الرب له هو ان أردت أن تسلك بحسب المبدأ الالهى الآن فاذهب و بع الخ . كان السلوك قبلاً على مبدأ الناموس أما الآن فقد صار على مبدأ آخر هو مبدأ اتباع الرب فى روح انكار الذات وحمل الصليب (غل ٢ : ١٩ و ٢٠ ، ٥ : ١٦—٢٦) . ولكن كان قلب ذلك الشاب بعيداً عن الخضوع لهذا المبدأ ، والعمل به « فلما سمع الكلمة مضى حزيناً لأنه كان ذا أموال كثيرة » .

« فقال يسوع لتلاميذه الحق أقول لكم انه يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات . وأقول لكم أيضاً ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله . فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين ، إذاً من يستطيع أن يخلص؟ فنظر اليهم يسوع وقال لهم ، هذا عند الناس غير مستطاع ولكن عند الله كل شيء مستطاع » (ع ٢٣—٢٦)

« يعسر أن يدخل غنى إلى ملكوت السموات » ان قوله هذا ملحق لما قاله فى آخر جوابه للشاب الغنى « بع أملاكك الخ » وهو يظهر الفرق العظيم بين النظام العتيق والنظام الجديد المعبر عنه بملكوت السموات إذ أن الغنى الذى كان لليهودى علامة رضى الله فى النظام العتيق قد أصبح أكبر عائق عن الدخول إلى النظام الجديد . لا يخفى أن الرسول بطرس فتح ملكوت السموات لليهود يوم الخمسين وفى الظروف الكائنة وقتئذ كان ينبغى لمن أراد أن يدخله أن يعترف بمسيح مرفوض وغير منظور ، الأمر المخالف لما كان ينتظره تماماً ، والمبدأ الذى دعى أن يسلك فيه اختلف تماماً عن المبدأ العتيق كما رأينا فى حادثة الشاب الغنى هنا . فكان ذلك عسراً على الجميع خصوصاً على ذوى الاموال الكثيرة إذ أن مجرد اعترافهم بالمسيح جلب عليهم الاضطهاد العنيف ، وغناهم إنما عرضهم أكثر كغرض للمضطهدين الذين

أظهروا بغضهم لاسم المسيح وفى الوقت نفسه أرادوا أن يحصلوا على ما يناسب طمع قلوبهم أنظر (عب ١٠:٣٤) . كانت الدينونة مقبلة على الامة التى رفضت مسيحها، والنظام العتيق أوشك أن يخرب (ص ٢٣ : ٣٧—٣٩ ، يع ٥ : ١—٦) فكان الاليق باليهودى الغنى أن يبيع أملاكه و يطعم الفقراء حتى يكون له كنز فى السماء لانه لا يقدر أن يتمتع بها فى أرض كنعان زماناً طويلاً بعد ، ولكن إذا أودعها السماء فتحفظها له على هيئة أفضل و بعد ذلك يتبع المسيح المرفوض ، على أن هذا كان من الأمور العسرة . ولكننا لا نقدر أن نقول أن الدخول إلى ملكوت السموات عسر علينا كمسيحيين الآن لاننا قد ولدنا فيه . وعدا ذلك قد صار الملكوت نفسه على حالة سيئة وكثرت فيه المعاثر وفعلة الإثم .

« وأقول لكم أيضاً أن مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غنى إلى ملكوت الله» الدخول الى ملكوت الله عبارة عن الخضوع لله خضوعاً حقيقياً ، وما قاله الرب هنا عنه يصدق عليه مطلقاً فى كل حين ، واختلاف النظامات أو التدابير لا يجعل فرقاً فيه . وقوله مرور جمل من ثقب ابرة عبارة عن عمل مستحيل على الانسان الغنى يربط قلب صاحبه بهذا العالم ويعطيه مقاماً سامياً فيه ويمنع عنه دخول كلمة الله لتمنحه الحياة (ص١٣:٢٢) لان قلبه مشغول ولاهٍ بما يناسب شهواته بكيفية ملذة له دون أن يخوف ضميره الطبيعى، فيستمر متمتعاً بالخيرات التى ينسبها للخالق مع أنها تستعبده وتمنعه عن الخضوع الحقيقى له تعالى. لا شك أن الشخص الفاجر محمول أيضاً بشهواته ولكنه يرتكب أعمالا يبكته ضميره عليها فلا يقدر أن يرتاح ، ومن ثم يمكن لكلمة الله أن تدخل لانها تدخل دائماً من باب الضمير . وأما الغنى فيظل على راحته متمتعاً بما عنده و ينام إلى أن يفاجئه الموت والدينونة. لا شك أنه يمكن لنعمة الله أن توقظه لأن كل شيء مستطاع عند الله. ولكن مع ذلك فخلاص الأغنياء من الأمور النادرة بحسب ما قد ورد لنا فى الكتاب المقدس (١ كو ١:٢٦-٢٨ و يع ٢:٥—٧). ثم قابل ما قيل فى (مر ١٠:٢٣—٢٦، لو ١٨:٢٤—٢٧) لأنه

يطابق ما ورد فى العدد الذى نحن بصدده الآن من جهة تعسر دخول ذوى الأموال إلى الملكوت إذ يسميه ملكوت الله لا ملكوت السموات .

« فلما سمع تلاميذه بهتوا جداً قائلين ، إذاً من يستطيع أن يخلص ؟ » لم يقولوا أى غنى يستطيع أن يخلص ، بل من يستطيع أن يخلص ان كانت طريق الخلاص عسرة إلى هذا المقدار حتى يكون الغنى من أعظم العوائق . وبالحقيقة ينبغى للجميع أن يولدوا من فوق إن كانوا أغنياء أو فقراء غير أن هذا ليس هو الموضوع هنا .

« فأجاب بطرس حينئذ وقال له . ها نحن قد تركنا كل شىء وتبعناك ، فماذا يكون لنا ؟ . فقال لهم يسوع ، الحق أقول لكم إنكم أنتم الذين تبعتمونى ، فى التجديد متى جلس ابن الانسان على كرسى مجده تجلسون أنتم أيضاً على اثنى عشر كرسياً تدينون أسباط اسرائيل الاثنى عشر » (ع ٢٧ و ٢٨) .

« فى التجديد » أى فى وقت ملك الالف السنة حين يجازى الرب تلاميذه جزاء خاصاً إذ يشركهم معه فى الحكم على الأمة الاسرائيلية . راجع (ص ١٦ : ٢٧) .

« وكل من ترك بيوتاً أو أخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً أو حقولاً من أجل اسمى يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية . ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرون أولين » (عدد ٢٩ و ٣٠) الرب بهذا الكلام يتكلم عن الجزاء لكل من فضل اسمه أى شخصه على راحته فى هذا المشهد الذى رفضه ولا يزال يرفضه . فان كان الذى يعترف به يضطر لترك كل ما عنده لا يجعله الرب يخسر شيئاً لأنه يأخذ مئة ضعف ويرث الحياة الأبدية . قيل فى (مر ١٠ : ٣٠ ، لو ١٨ : ٣٠) انه يأخذ الآن جزاء مضاعفاً مع اضطهادات لأنه ينضم إلى المؤمنين الآخرين الذين يقبلونه فى بيوتهم ويخدمونه بكل ما عندهم لأن بيوتهم وأموالهم ونفوسهم جميعها للرب . وهذا صحيح ان كان إيماننا نشيطاً ومحبتنا حارة

كما يجب وفضلاً عن ذلك يرث الحياة الابدية . والحياة الابدية عبارة عن التمتع بها على الوجه الاكمل فى المستقبل . قد حصلنا عليها بالإيمان الآن لأن المسيح هو حياتنا ، ولكننا لا نزال فى الظروف المتعبة إلى أن يظهر بمجد فنظهر نحن حينئذ معه فى المجد (كو ٣ : ١ — ٤) ونتمتع به إلى الابد .

« ولكن كثيرون أولون يكونون آخرين وآخرين أولين » الرب يظهر بهذا أن المجازاة لا توزع على حسب أفكار الناس وامتيازاتهم كما يرام الآخرون . وضرب لهم المثل الآتى فى الاصحاح التالى لأجل ايضاح ذلك ولإرجاع أمر الجزاء إلى مشيئة الله المطلقة ونعمته المجانية .

الاصحاح العشرون

مثل الكرم والفعلة (عدد ١—١٦)

«فان ملكوت السموات يشبه رجلاً رب بيت خرج مع الصبح ليستأجر فعلة لكرمه . فاتفق مع الفعلة على دينار فى اليوم وأرسلهم إلى كرمه . ثم خرج نحو الساعة الثالثة ورأى آخرين قياماً فى السوق بطالين . فقال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فأعطيكم ما يحق لكم. فمضوا. وخرج أيضاً نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياماً بطالين فقال لهم، لماذا وقفتم ههنا كل النهار بطالين ؟ قالوا له ، لأنه لم يستأجرنا أحد . قال لهم اذهبوا أنتم أيضاً إلى الكرم فتأخذوا ما يحق لكم. فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله، ادعُ الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئاً من الآخرين إلى الأولين . فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا ديناراً ديناراً فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون اكثر . فأخذوا هم أيضاً ديناراً ديناراً. وفيما هم يأخذون تذمروا على رب البيت قائلين، هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر ؟ فأجاب وقال لواحد منهم، يا صاحب، ما ظلمتك. أما اتفقت معى على دينار ؟ فخذ الذى لك واذهب. فانى أريد أن أعطى هذا الأخير مثلك. أو ما يحل لى أن أفعل ما أريد بما لى ؟ أم عينك شريرة لانى أنا صالح ؟ هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين. لان كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » (عدد ١—١٦) .

«فان ملكوت السموات يشبه الخ» أى أن النظام الجديد الذى كان مزمعاً أن يقيمه الرب مدة غيابه يشبه من بعض الوجوه عمل رب البيت المذكور. وغاية المثل العظمى هى إظهار مبدأ الخدمة التى تقع عنده موقع القبول من حيث أنه ينبغي أن يكون مصدرها الوحيد النعمة والثقة القلبية بالرب. فالأولون هم الذين اتفقوا على دينار وعملوا

بحسب المبدأ الناموسي إذ ظلوا يخدمون للدة المعينة على أمل أنهم يأخذون المبلغ المتفق عليه. وأما الآخرون فهم جميع الذين قبلوا خدمة صاحب الكرم بدون اتفاق متكلين على جودته إذ قال لهم « فأعطيكم ما يحق لكم ». وهذا جلُّ قصد الرب بالمثل. لأن من حاول خدمة الرب بروح ناموسي، روح الأجير، فليست له ثقة بسيده و بالتبعية ليست له شركة معه. فإنما يمارس خدمته كعبد بروح العبودية. وهذا خلاف ترتيب المسيح لأتباعه « إن كان أحد يخدمني فليتبعني. وحيث أكون أنا هناك أيضاً يكون خادمي، و إن كان أحد يخدمني يكرمه الآب » (يو ١٣ : ٢٦). فالأولون أظهروا بتذمرهم أن ليست فيهم محبة لصاحب الكرم ولا معرفة بالنعمة. لأنهم لو أحبوه لارتضوا بما يعطف به على الآخرين، لا بل وافتخروا به لكونه صالحاً وكريماً، فضلاً عن كونه عادلاً ومستقيماً لأنه وفى بعهده معهم وتفاضل باللطف على الآخرين. لم يظلمهم بشيء مع أنه أعطى الآخرين ما يحق لهم بحسب حكمه هو. فهكذا صار الآخرون أولين من حيث الجزاء إذ أخذوه أولاً و بدون اتفاق رسمي، و بحسب استحسان وصلاح الذي استخدمهم، واستطاعوا أن يفرحوا معه. وأما الأولون فصاروا آخرين. لأنهم أخذوا الجزاء آخر الكل. ثم أنهم لم يرضوا بعدله ولا سروا بنعمته.

وأما من حيث أوجه تخصيص هذا المثل فأقول :

أولاً — أن مبدأه يصدق على جميع المؤمنين من حيث كونهم خدام المسيح. لاشك أن البعض يخدمون أكثر من البعض. ولكن للجميع مبدأ واحد في خدمتهم. فانه يجب أن يخدموا الذي دعاهم متكلين على نعمته ولا يقولوا مع بطرس « ها نحن قد تركنا كل شيء. فماذا يكون لنا ؟ » صحيح أن الرب من لطفه صرّح لبطرس وسائر التلاميذ أنه لا بد أن يجازيهم، ولكنه عاد وحذرهم من الروح الناموسي الذي يفسد الخدمة فلا تكون رائحة طيبة لله.

ثانياً — ليس لهذا المثل دخل في ذهابنا إلى السماء. ولا يفرض أنه يمكن

للبعض أن يفوزوا بالدخول إلى السماء ويتذمروا على الرب هناك

ثالثاً — القصد به إيضاح مبدأ عام تقاس عليه خدمتنا جميعاً لا وصف صنف من الناس يوجدون هكذا وقت المحاسبة ، لأنه من المستحيل أن أناساً مسيحيين بالحق يظهرون أمام الرب بحالة التذمر . وفضلاً عن ذلك لأن خدمة الجميع خليطة من جيد ورديء واذا صفَّاها الرب فلا شك أنها توجد ناقصة جداً . غير أن الرب يوضح بهذا المثل أنه يصادق على كل ما عملناه بروح المحبــة والاعتماد على نعمته تاركين أمر الجزاء له بالكلية، حتى لو أراد أن لا يمدحنا فى شيء من خدمتنا نرضى بذلك كل الرضى، ولكنه سيرفض أيضاً كل ما صدر منا بروح ناموسى كأن لنا حقاً أن نحكم فى شأن الجزاء، ومن ثم نأخذ نمدح أنفسنا الآن قائلين «نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر» وندين العبيد رفقاءنا إذ نمدح البعض ونذم البعض الآخر . كان المؤمنون فى كنيسة كورنثوس قد وقعوا فى هذه الروح نفسها فوبخهم الرسول بولس أنظر ١ كو ٣: ١ـــ ٤ و ٤: ١ـــ ٥ . فالخدمة بهذه الروح ليست مرضية عند الرب مهما كانت وافرة وجميلة فى أعين الناس

ثم انى أعود وأقول للقارىء أن لا يتصور فى أفكاره أن هذا المثل يطلق على دخول الناس إلى السماء . لأن خلاص نفوسنا وتمتعنا بالحياة الأبدية وحضورنا كبنين فى بيت الآب انما يتوقف على ايماننا بالمسيح وليس فيه دخل لخدمتنا مهما كانت . وأما فى سياسة الملك مدة الألف السنة فيعين الرب لكل واحد من المفديين مقاماً بحسب أمانته التى أظهرها فى سلوكه وخدمته على الأرض والمقام الأول يكون للرسل كما قال لهم الرب فى ص ١٩: ٢٨. ولا يمكن أن يكون شيء من الحسد والتذمر فينا عند ظهورنا فى المجد مع الرب لأننا سنكون مثله (١ يو ٣: ١ـــ ٣). ومن المبادىء الأولية عندنا أنه يحل له أن يفعل ما يريد بماله . فعلينا أن نخدم الآن ونحن فى نفس الروح الذى سنكون عليه فى المجد . قد تكون لنا هنا عين شريرة وتفسد جانباً عظيماً من خدمتنا، ولكنها لا تعترينا هناك لأننا سنراه كما هو . لا شك أننا جميعاً

فقال لها ، ماذا تريدين ؟ قالت له ، قل أن يجلس ابناى هـذان واحد عن يمينك والآخر عن اليسار فى ملكوتك » (ع ٢٠ و ٢١).

يتضح من هذه الحادثة أن التلاميذ لم يتأثروا بما سمعوا عن رفض سيدهم وموته. ولم تزل بينهم غيرة ومحاسدات من جهة الرياسة العالمية. وفيما هو مستعد ليأخذ الوضع الأدنى تنافسوا معاً فى من منهم يأخذ الوضع الأعلى. والمحتمل أنهم فهموا أن قول الرب فى ص ١٩ : ٢٨ عتيد أن يتم فى الحال عند وصوله إلى أورشليم

« فأجاب يسوع وقال ، لستما تعلمان ماتطلبان. أتستطيعان أن تشربا الكأس التى سوف أشربها أنا ، وأن تصطبغا بالصبغة التى أصطبغ بها أنا ؟ قالا له ، نستطيع. فقال لهما ، أما كأسى فتشربانها وبالصبغة التى أصطبغ بها أنا تصطبغان وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى » (ع ٢٢و٢٣).

كانت قلوب التلاميذ غليظة بعد ، ولم يدركوا ماروح الله . بادرت أم يعقوب ويوحنا وقدمت طلبة ابنيها . ولم يرفض الرب طلبتهما صريحاً بل اتخذ من طمعهما فى المجلس الأول فى ملكوته فرصة ليوجه أفكار الجميع إلى موته وطاعته الكاملة لمشيئة أبيه

« أتستطيعان أن تشربا الكأس... الخ ؟ » الكأس عبارة عن الآلام والصبغة كذلك . ولعل الكأس أعم من الصبغة ، اذ انها (الكأس) تستعمل كثيراً على سبيل المجاز للتعبير عن التمتع بالخير (مز ١٦ : ٥ ، ٢٣ : ٥) أو عن مكابدة البلايا (مز ١١ : ٦ ، مت ٢٦ : ٣٩ و٤٢) فأضاف الرب اليها هنا الصبغة (ومعناها المعمودية) ليوضح انه يشير بها هنا إلى آلام خاصة عتيدة أن تغمره كالمياه .

« أما كأسى فتشربانها ... الخ » عاد الرب وقال لهما انهما فعلاً عتيدان أن يشربا يوماً ما كأسه ويصطبغا بصبغته ، أى انهما يشتركان فى آلامه التى تألمها من أيدى الناس ، الآلام المعبر عنها بهاتين اللفظتين وصار كذلك فيما بعد . ويجب أن

فلاحظ جيداً انه انما يشير إلى ما تألم به من أيدى الناس لا إلى ما تألم به من يد الله كفارة عنا . لاشك أنه كابد آلاماً شديدة ومهينة من يد البشر. ولا يليق بنا أن نستخف بشيء منها (ص ٣٦:٤٧ — ص ٢٧:٤٤). ولكنه تألم أيضاً رأساً من يد الله الذي سر أن يسحقه بالحزن لما جعل نفسه البـــــــارة ذبيحة اثم لأجلنا (اش ٥٣:١٠) . واذا عبرنا عن هذه الآلام بكأس فلايمكن ليعقوب أو يوحنا أو غيرهما أن يشربوا منها . والقول بغير ذلك نوع من التجديف على كفارة المسيح. من الممكن أن نشترك فى شدائده التى ألمت به من أيدى الأئمة فى حياته أو فى ساعة موته ولكنه تألم أيضاً من يد الله بدلاً عنا . ان شربنا نقطة واحدة من تلك الكأس معناه الدينونة المؤبدة لنا. فبما عذبته أيدى الناس فقد كانت عاجزة كل العجز عن اجراء حكم الله فيه من حيث كونه نائباً عنا وقائماً مقامنا كأئمة لدى العدل الإلهي

« وأما الجلوس عن يمينى وعن يسارى فليس لى أن أعطيه إلا للذين أعد لهم من أبى » . يشير هنا إلى موضوع المجازاة وقت سياسة الملكوت على الأرض مدة الألف السنة ويصرح انه حتى فى ملكه يحكم ويجازى بالخضوع الكامل لمشيئة الآب . لانه فى حالة الاتضاع وحالة الارتفاع يتصرف كما يليق بمقامه كانسان مع انه الله ظاهراً فى الجسد

« فلما سمع العشرة اغتاظوا من أجل الأخوين . فدعاهم يسوع وقال ، أنتم تعلمون أن رؤساء الأمم يسودونهم والعظماء يتسلطون عليهم فلايكون هكذا فيكم. بل من أراد أن يكون فيكم عظيماً فليكن لكم خادماً. ومن أراد أن يكون فيكم أولا فليكن لكم عبداً . كما أن ابن الانسان لم يأت ليخدم بل ليخدم ويبذل نفسه فدية عن كثيرين » (ع ٢٤ــ٢٨) .

ما أجمل لطف سيدنا ! وما أطول أناته ! يليق بأبناء هذا العالم أن يترأسوا بعضهم على بعض كل واحد بحسب رتبته. ولا لوم عليهم فى ذلك. لان هذا من نظام

العالم الحاضر . ولكن للمسيح أبداً نظاماً آخر يقتضى أن نتصرف فيه بخلاف روح العالم تماماً . وكان هو قدوتنا فى ذلك . ومن اقتفى أثر خطواته أكثر فاز أكثر بالعظمة الحقيقية من قبل الله . لا يخفى أن حب الذات يحملنا نطلب المجلس الأول حتى يكون الآخرون بمنزلة خدم لنا . ولكن المحبة الحقيقية تحملنا إلى ترك ما هو لنا لكى نخدم الآخرين بالاتضاع والحق . ما أجمل القانون الذى وضعه لنا الرسول بولس (فى ٢ : ١ ـ ١١) ، حيث يجعل قدوة المسيح يسوع دستور تصرفنا بعضنا مع بعض !!

فتح أعين أعميين

(ع ٢٩ـ ٣٤ ، مر ١٠: ٤٦ـ٥٢ ، لو ١٨: ٣٥ـ٤٣)

« وفيما هم خارجون من أريحا تبعه جمع كثير . واذا أعميان جالسان على الطريق . فلما سمعا أن يسوع مجتاز صرخا قائلين ، ارحمنا ، ياسيد ياابن داود . فانتهرهما الجمع ليسكتا . فكانا يصرخان أكثر قائلين ، ارحمنا ياسيد يا ابن داود . فوقف يسوع وناداهما وقال ، ماذا تريدان أن أفعل بكما ؟ قالا له ، ياسيد ، أن تنفتح أعيننا . فتحنن يسوع ولمس أعينهما فللوقت أبصرت أعينهما فتبعاه » (عدد ٢٩ ـ ٣٤)

« وفيما هم خارجون من أريحا الخ » . فانهم باتوا فى أريحا وصارت هذه الحادثة عند خروجهم منها صباحاً . مرقس انما يذكر واحداً من الأعميين (مر ١٠: ٤٦ ـ ٥٢) ولوقا يذكر أعمى ثالثاً فتح الرب عينيه عند اقترابه إلى أريحا فى اليوم السابق (لو ١٨: ٣٥ ـ٤٣) والبشيرون الثلاثة يتفقون فى حضور المسيح إلى أريحا وانه من هناك ابتدأ يصعد إلى أورشليم ، كملكها الحقيقى ، صعوداً علنياً .

« تبعه جمع كثير » كانت جماهير صاعدة لتحضر عيد الفصح الذى كان قريباً . وشاء الله أن يعمل فيهم على نوع خاص حتى انتبهوا إلى يسوع وتأثروا بمشاهدته وأظهروا إلى حين انهم مزمعون أن يخضعوا له كابن داود . وترى فى لو ١٩ : ١١

انهم كانوا يظنون أن ملكوت الله عتيد أن يظهر فى الحال

« ارحمنا، ياسيد ، يا ابن داود » لم يُعطِ الرب للرسل سلطاناً على فتح أعين العميان (ص ١٠ : ١ و ٨ ، مر ١٦ : ١٧ و ١٨ ، ١ كو ١٢ : ٢٨). اذ قد احتفظ الرب بذلك لنفسه علامة له كابن داود (اش ٣٥ : ٥) ومعظم الذين فتح الرب أعينهم كانت لهم فرصة الاعتراف به كابن داود (مر ٨ : ٢٢ ، ص ٩ : ٢٧ ، لو ١٨ : ٣٥ ، ص ٢٠ : ٢٩ و ٣٠ ، يو ٩ : ١) . وهكذا لن يفتح الرب أعين شعبه القديم لرؤيته إلا متى اعترفوا به انه ابن داود وحيوه كالملك

« فانتهرهما الجمع الخ » لم يحسبوا انه من الأمور اللائقة بالرب وهو فى طريقه إلى الملك حسب فكرهم أن يصرف وقتاً مع العمى المتسولين العديمى النفع . ولكن أفكار الله ليست كأفكار الناس . فشفى العمى إجابة لايمانهم وشهادة لحضور ابن داود وسط اسرائيل

« فكانا يصرخان أكثر » وهذا يرينا أن الضيق الشديد لا يدع المتضايق يسكت ولو كانت الظروف مضادة له

ثم لنلاحظ أن متى لايدرج قصة زكا الجميلة مع انه كان مع الرب فى ذلك الوقت وأما لوقا الذى لم يكن معه فيدرجها . لانها توافق قصد الوحى الخاص بانجيل لوقا الذى ألهم بادراج كل ما يظهر نعمة الله المطلقة بخلاف متى الذى يوضح معاملات الله النظامية السياسية نحو اسرائيل

الأصحاح الحادي والعشرون

المسيح يقدم نفسه لأورشليم كملكها الشرعي

(ع ١ـ١١ ، مر ١١: ١ ـ ١١ ، لو ١٩: ٢٩ـ ٤٠ ، يو ١٢: ١٢ـ ١٩)

« ولما قربوا من أورشليم وجاءوا الى بيت فاجى عند جبل الزيتون حينئذ أرسل يسوع تلميذين قائلاً لهما إذهبا الى القرية التى أمامكما . فللوقت تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً معها فحلاهما وأتيانى بهما . وإن قال لكما أحد شيئاً فقولا الرب محتاج اليهما . فللوقت يرسلهما . فكان هذا كله لكى يتم ما قيل بالنبى القائل . قولوا لابنة صهيون هوذا ملكك يأتيك وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان . فذهب التلميذان وفعلا كما أمرهما يسوع . وأتيا بالأتان والجحش ووضعا عليهما ثيابهما فجلس عليهما . والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم فى الطريق . وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر وفرشوها فى الطريق . والجموع الذين تقدموا والذين تبعوا كانوا يصرخون قائلين ، أوصنا لابن داود . مبارك الآتى باسم الرب ، اوصنا فى الأعالى . ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة ، من هذا ؟ فقالت الجموع هذا يسوع النبي الذي من ناصرة الجليل »

« ولما قربوا من أورشليم .. الخ . » كانت أعمال يسوع المسيح دائماً فى وقتها وفى محلها . وكان الوقت قد حان لدخوله الى مدينة داود على هيئة ملكية رسمية بمحفل عظيم من شعبه لكى يقبلوه أو يرفضوه علناً ورسمياً ولم يفعل ذلك قبل الآن إذ كان عليه أولاً أن يعلن حقيقة أنه الملك الشرعى بتعاليمه ويقيم الدليل عليها بمعجزاته

« بيت فاجى » معناها بيت الفج أو التين النىء وهى فى الطريق بين أريحا وأورشليم ، وبالقرب منها شمالاً بيت عنيا

« جبل الزيتون » هو شرقي أورشليم يفصل بينهما وادي قدرون (يو ١٨: ١) على بعد ميل . وهذه المسافة تعتبر عند اليهود سفر سبت (أع ١: ١٢). وعلى سفحه الغربي يقع بستان جثسيماني (قابل لو ٢٢: ٣٩ مع ١٤: ٣٢) . وعلى سفحه الشرقي بيت فاجي من الجنوب و بيت عنيا من الشمال

« تجدان أتاناً مربوطة وجحشاً » اقتصر مرقس ولوقا على ذكر الجحش فقط. وزادا على قول متى أنه لم يجلس على ذلك الجحش أحد قبل المسيح (ع ٢)

« فللوقت يرسلهما » (ع ٣) اتخذ المسيح سيادته المطلقة وقدرته الإلهية ليهيء كل الظروف المتعلقة به حسب نبوة زكريا

« فكان هذا كله لكي يتم ما قيل بالنبي القائل » (ع ٤) أصل النبوة المقتبسة هنا هو « ابتهجي جداً يا إبنة صهيون اهتفي يا بنت أورشليم . هوذا ملكك يأتي اليك ، هو عادل ومنصور ، وديع وراكب على حمار وعلى جحش ابن أتان » (زك ٩: ٩). وقد ترك الوحي لفظتين من كلام النبي هما « عادل ومنصور » لأنه لم يحضر وقتئذ مجرياً العدل ومنتصراً على أعدائه . لا شك أنه سيأتي هكذا في المستقبل أنظر مز ٢ و٤٥، رؤ ١٩: ١١ — ٢١. وابنة صهيون التائبة المتذللة سترحب به ترحيباً قلبياً . ولكنه أتاها أولاً بالوداعة والتواضع فلم تقبله

على أن الجموع الذين كانوا يرافقونه في الطريق تأثروا تأثراً وقتياً وأظهروا علامة الفرح والخضوع له ولكن غيرتهم الشديدة وإن كانت في محلها لكنها لم تلبث أن فترت تجاه مقاومة الرؤساء

« والجمع الأكثر فرشوا ثيابهم في الطريق . وآخرون قطعوا أغصاناً من الشجر وفرشوها في الطريق » (ع ٨) صارت قلوب بني اسرائيل منتدبة وخاضعة لأمره الى برهة من الزمان . أخذهم فرح عظيم مؤقتاً فرحبوا بملكهم كمن أتاهم وديعاً راكباً على أتان وجحش ابن أتان . ولكن فرحهم لم يمكن أن يدوم لأنهم لم يكونوا تائبين

« كانوا يصرخون قائلين ، أوصنا » (ع ٩) اقتبسوا شهادة جميلة وموافقة من (مز ١١٨: ٢٦) ومعنى « أوصنا » « خلص الآن » لا شك أن هذا المزمور كله سيتم فى اسرائيل فى المستقبل . واعترافهم المتضمن فى أوله يهيئهم ليقبلوا مسيحهم ويرحبوا به بحسب الكلام فى آخره

« ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة ، من هذا ؟ » قابل هذا مع اضطراب المدينة وقت أن بلغها الخبر بولادته (ص ٢: ٣) . ولكن أورشليم لم تعرف إلهها وملكها . فاضطربت عند ولادته العجيبة وارتجت عند دخوله اليها بموكب ملكى لانها لا تزال مركز الكتبة والفريسيين ولا تنتبه ليوم افتقادها .

« فقالت الجموع ، هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » (ع ١١) . فلم يكن فى نظرهم سوى نبى . فانهم مع كل تهليلهم لم يروا « عمانوئيل » الذى تفسيره « الله معنا » فى ذلك الشخص الوديع . ستعود أورشليم ترتج بمجىء المسيح اليها وتتهيأ للخضوع له كملك المجد قائلة « ارفعن ، أيتها الارتاج رؤوسكن وارتفعن ، ايتها الأبواب الدهريات ، فيدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد؟ . الرب القدير الجبار ، الرب الجبار فى القتال . ارفعن ، أيتها الارتاج ، رؤوسكن وارفعنها ، أيتها الأبواب الدهريات ، فيدخل ملك المجد . من هو هذا ملك المجد؟ رب الجنود هو ملك المجد » (مز ٢٤: ٧—١٠) .

تطهير الهيكل للمرة الثانية وشفاء عمي وعرج

(ع ١٢ — ١٧ ، مر ١١ : ١٥ — ١٨ ، لو ١٩ : ٤٥ — ٤٧)

« ودخل يسوع الى هيكل الله وأخرج جميع الذين كانوا يبيعون ويشترون فى الهيكل وقلب موائد الصيارفة وكراسى باعة الحمام . وقال لهم ، مكتوب بيتى بيت الصلاة يدعى وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (ع ١٢ و ١٣) .

كان قد طهر الهيكل فى أول خدمته انظر (يو ٢ : ١٤ — ١٦) . وانما قال وقتئذ « لا تجعلوا بيت أبى بيت تجارة » . ولكن الاصلاحات الدينية لا تدوم .

معلوم أن الأشياء التى كانوا يتاجرون فيها كانت تتعلق بالعبادة وبهذا أراحوا ضمائرهم مع أنهم جعلوا بيت الله بيت تجارة . وكانوا كل واحد يطلب الأرباح المالية فقال لهم الرب هذه المرة « وأنتم جعلتموه مغارة لصوص » (قابل أر ٧ : ١١) . وهذا يظهر أن حالتهم تطورت إلى أسوأ . فطهر الهيكل بموجب سلطانه وحقوقه الالهية . وكان عمله هذا من الأعمال القضائية . كان قد دخل المدينة اليوم السابق كالسيد المطلق السلطان ، وملك صهيون (مز ٤٨ : ٢) ثم فى اليوم التالى افتقد الهيكل وتصرف فيه كما يليق بشأن صاحبه قابل هذا مع (مر ١١ : ١١ — ١٩) .

« وتقدم اليه عمى وعرج فى الهيكل فشفاهم . فلما رأى رؤساء الكهنة والكتبة العجائب التى صنع ، والأولاد يصرخون فى الهيكل ويقولون ، اوصنا لابن داود . غضبوا وقالوا له ، أتسمع ما يقول هؤلاء .؟ . فقال لهم يسوع ، نعم . أما قرأتم قط من أفواه الأطفال والرضع هيأت تسبيحاً . ثم تركهم وخرج خارج المدينة إلى بيت عنيا . وبات هناك » (ع ١٤-١٧) .

كما تمجد يسوع اغتاظ أولئك الرؤساء العظام . فأجابهم من المزمور الثامن الذى يصرح أنه يتمجد كابن الانسان فوق السموات . وأما أضداده على الأرض فيسكتهم الله حتى بتسبيحات الصغار الذين كانوا فى تلك الساعة ينطقون بما يناسب مجده . راجع ما سبق نقاله فى شأن الأولاد الصغار (ص ١٩ : ١٤) . ونرى هنا الفرق العظيم بين أفكار الصغار وأفكار الكبار . فقد امتلأ الصغار تسبيحاً بالهام من الله . فى حين امتلأ الكبار غيظاً وغضباً . وتآمراً على قتله (يو ١٢ : ١٩ ، مر ١١ : ١٨) فياللعار ! (أنظر ص ١١ : ٢٥)

لعنة للتينة المدعية الثمر

(ع ١٨ — ٢٢ ، مر ١١ : ١٢ — ١٤ و ٢٠ — ٢٤)

« وفى الصبح إذ كان راجعاً إلى المدينة جاع . فنظر شجرة تين على الطريق

وجاء اليها فلم يجد شيئاً إلا ورقاً فقط . فقال لها ، لا يكن منك ثمر بعد الى الابد . فيبست التينة فى الحال . فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين كيف يبست التينة فى الحال ؟ » . هـذه التينة ترمز إلى اسرائيل كأمة معترفة بالله وملتزمة بأن تأتى بثمر له وإلا فهى تعطل أرضه . (انظر يؤ ١ : ٧ ولو ١٣ : ٦ـ٩) . وكان قد طلب منهم ثمراً زماناً طويلاً ولم يجد . وكان من جملة مقاصده بإرساله المسيح اليهم أن يمتحنهم امتحاناً نهائياً ليظهر أيمكن لإسرائيل ، أو بالأحرى للانسان بحسب الجسد . أن يأتى بثمر أم لا . ولكن بعد كل تعبه فيهم لم يجد إلا ورقاً فقط وهو عبارة عن المظاهر الدينية التى كانت موجودة بكثرة . و إذ ذاك حكم الرب باللعنة على تلك الامة الغير المثمرة . قائلاً « لا يكن منك ثمر بعد إلى الأبد » هذا حكمه على اسرائيل بحسب الجسد وبالتبعية على الانسان الساقط أيضاً لأنه لا يمكن لأحد أن يأتى بثمر لله ان لم يولد من فوق ، كان الله قد امتحن البشر بامتحانات عديدة منذ السقوط الى وقت حضور المسيح . ولكن رفضهم اياه قد برهن تماماً على أنه لا يوجد فيهم بشىء صالح لله . وانتظار الصلاح من الانسان الغير المتجدد بالروح القدس كانتظار الثمر من تلك التينة المحكوم عليها بأن لا يكون منها ثمر بعد الى الابد . لا شك أن التينة الإسرائيلية ستعود تفرخ وتخرج أغصاناً فى المستقبل (لو ٢١:٢٩) . ويكون ذلك من العلامات التى تدل على أن صيف دينونة الله قد اقترب للامم ولإسرائيل أيضاً ، ويكون اجراء هذه الدينونة بشير قرب ظهور الرب واقامة الملكوت (لوقا ٢١:٣١) . لانهم سيرجعون الى أرضهم بالقوة البشرية مصرين على عدم ايمانهم ولكنهم سيعودون للدوس والدينونة ولا يأتون بثمر الى أن يكونوا قد ماتوا كأمة وصاروا كأنهم قاموا من الاموات وحينئذ يجعل الله روحه فيهم ويكتب نواميسه على قلوبهم « فى المستقبل يتأصل يعقوب . يزهر ويفرع اسرائيل ويملأون وجه المسكونة ثماراً » (أش ٢٧:٦ انظر أيضاً حز ٣٦: ٢٢ ـ ٣٨ و ٣٧ : ١ ـ ٢٧ ودا ١٢ : ١ ـ ٣)

لا حاجة الى أن أقول أن الرب لم يكن منتظراً ثمر الأوان من تلك التينة . لان الوحى يذكر صريحاً أنه لم يكن وقت التين (مر ١١ : ١٣) . ولكن مادامت التينة قد أورقت كان ينتظر أن يجد بها باكورة التين لذلك قيل « جاء لعله يجد فيها شيئاً » من التباشير . وعلى أى حال فقد قصد المسيح بالحادثة إفادتنا على سبيل الرمز .

« فلما رأى التلاميذ ذلك تعجبوا قائلين . كيف يبست التينة فى الحال ؟ . فأجاب يسوع وقال لهم ، الحق أقول لكم ان كان لكم ايمان ولا تشكون فلا تفعلون أمر التينة فقط بل ان قلتم أيضاً لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر فيكون . وكل ما تطلبون فى الصلاة مؤمنين تنالونه » (ع ٢٠—٢٢) .

« فلما رأى التلاميذ الخ » لا يقصد فى اليوم التالى (مر ١١ : ٢٠) سبق الرب وذكر لهم فاعلية الايمان الثابت (فى ص ١٧ : ٢٠ و ٢١) . تعجبوا لأن التينة يبست بحكم الرب عليها ، وكان ذلك من أعمال القوة . فقال لهم الرب انه ان كان فيهم ايمان ثابت بدون تردد وشك يستطيعون اجراء أعمال كهذه . وليس ذلك فقط بل يزيلون أعظم الصعوبات التى تعرض لهم فى خدمتهم ولكن ليس بأمر قضائى بل بصلاة الإيمان لانه لم يقصد أن يرسلهم ليحكموا ويلعنوا بل ليخدموا حاجات الناس بأعمال الرحمة . ويجب أن نلاحظ هنا صفات أعمال المسيح من حيث أنها كانت غالباً متصفة بالرحمة وكان من النادر أن يجرى عملاً من باب القضاء واللعن ، كعمله فى التينة ، وفى قطيع الخنازير وفى تطهيره للهيكل

« وكل ما تطلبونه فى الصلوة مؤمنين تنالونه » . يدلهم بهذا على كيفية الخدمة المطلوبة منهم وصفتها بحيث يجب عليهم أن يمارسوها بذلك الروح عينه الذى كان سيدهم متصفاً به فى أعماله . وقد عملوا هكذا فيما بعد . ولذلك قالوا « وأما نحن فنواظب على الصلاة وخدمة الكلمة » (أع ٦ : ٤)

اعتراض الرؤساء على سلطانه

(ع ٢٣ — ٢٧ ، مر ١١ : ٢٧ — ٣٣ ، لو ٢٠ : ١ — ٨)

«ولما جاء إلى الهيكل تقدم اليه رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب وهو يعلّم قائلين بأى سلطان تفعل هذا ؟ ومن أعطاك هذا السلطان ؟ فأجاب يسوع وقال لهم ، وأنا أيضاً أسألكم كلمة واحدة فان قلتم لى عنها أقول لكم أنا أيضاً بأى سلطان أفعل هذا. معمودية يوحنا، من أين كانت؟ من السماء أم من الناس؟ ففكروا فى أنفسهم قائلين ان قلنا من السماء ، يقول لنا فلماذا لم تؤمنوا به ؟ و إن قلنا من الناس ، نخاف من الشعب لأن يوحنا عند الجميع مثل نبي . فأجابوا يسوع وقالوا، لا نعلم. فقال لهم هو أيضاً ، ولا أنا أقول لكم بأى سلطان أفعل هذا » (ع ٢٣—٢٧) .

فأصابوا في فكرهم أنه ينبغى أن يكون سلطان لمن يتخذ على عاتقه أن يعلّم و يرشد الآخرين .لأن الأمر هكذا بالفعل. ولكنهم أخطأوا بجعلهم أنفسهم مصدر هذا السلطان لأن السماء هى مصدره الوحيد . و إن كان الله يقيم أنبياء ومعلمين فى أى وقت كان،فلا بد أن يصادق على خدمتهم و يؤكد لشعبه الخاضع لكلمته أنهم من الله.لم يكن يوحنا قد صنع آية واحدة ومع ذلك فقد عملت كرازته تأثيراً عميقاً فى ضمائر البسطاء ولم يرفضها إلا الرؤساء المتكبرون الذين أرادوا أن يختلسوا حقوق السماء ولا يدعون أحداً يعلم ولو كان مرسلاً من قبل الله ، إن لم يصادقوا عليه،كأن الله لا يقدر أن يعلم شعبه بدون مصادقتهم. كل من يدّعى أن له سلطاناً على الآخرين فى شأن الخدمة الإلهية فقد نسى هذه الحقيقة الخطيرة أن الله لم يفوّض سلطانه إلى أحد،ولا يمكن أن يتخلى عن شيء منه: لأنه لو عمل ذلك لأمسينا فى الظلام الدامس الدائم إلى الأبد . لأنه من المستحيل أن الرؤساء يدعون النور الإلهى يدخل بين الذين قد تمكن فيهم سلطانهم المختلس .هكذا كان الأمر حين أرسل الله ابنه الحبيب كالنور الحقيقى إلى العالم.ولا يزال الأمر كذلك إلى الآن. فلما تعرضوا للرب بهذا

السؤال ، كأن لهم حقاً بأن يفحصوا معلمى اسرائيل ، أجابهم جواباً من شأنه أن يمتحنهم من جهة أهليتهم لهذه الوظيفة التى اتخذوها فان كانوا بالحقيقة أهلاً لفحصه فلا بد أن يكونوا قد جزموا رسمياً فى إرسالية يوحنا المعمدان . فمن أعطى سلطاناً ليوحنا ؟ لأنه من الأمور الواضحة أنه لم يتوظف من البشر . فأُخذوا بالشبكة التى قصدوا أخذ الرب بها وقالوا لا نعلم . فاذ ذاك لايليق به أن يجيبهم عن سلطانه لأنهم بحسب إقرارهم ليسوا أهلاً أن يجزموا فى مسألة كهذه . ونرى أيضاً أن الذين يترأسون على شعب الله بغير حق يخافون منه ، مع أنهم حسب الظاهر يتسلطون عليه . والسبب لخوفهم هو شعورهم الداخلى بأن سلطانهم كاذب وليس له أساس إلهى.

« ماذا تظنون؟ كان لانسان ابنان فجاء إلى الأول وقال، يا ابنى، اذهب اليوم اعمل فى كرمى. فأجاب وقال، ما أريد. ولكنه ندم أخيراً ومضى. وجاء إلى الثانى وقال كذلك. فأجاب وقال، ها أنا ياسيد ولم يمض . فأى الاثنين عمل إرادة الآب؟ فقالوا له، الأول. قال لهم يسوع، الحق أقول لكم، إن العشارين والزوانى يسبقونكم إلى ملكوت الله . لأن يوحنا جاءكم فى طريق الحق فلم تؤمنوا به . وأما العشارون والزوانى فآمنوا به وأنتم إذ رأيتم لم تندموا أخيراً لتؤمنوا به » (ع ٢٨-٣٢) .

كان الرب بحكمته الكاملة قد جعل رؤساء اسرائيل يظهرون أنفسهم قدام الجموع أنهم ليسوا سوى قادة عميان . وفى هذا المثل برهن أنهم أردأ من العشارين والزوانى وأبعد منهم عن ملكوت الله. كان يوحنا قد جاء إلى اسرائيل فى طريق الحق أى فى طريق البر إذ وبخهم على خطاياهم، ودعاهم إلى التوبة التى هى من أول أثمار البر، راجع ص٣ ووجد اسرائيل مقسوماً إلى صفين فالبعض ، وهم المعبر عنهم بالابن الأول، كانوا متمردين غير متظاهرين بالخضوع لله وأما الآخرون، وهم الكتبة ورؤساء الكهنة، فكانوا متظاهرين بالطاعة لله. فانهم اعتنوا غاية الاعتناء بالطقوس والفرائض مع أن قلبهم مبتعد عن الذى وضعها. فكان كلامهم ككلام الابن الثانى « ها أنا يا سيد » ولكنهم استمروا على حالتهم ولم يتأثروا لا بكرازة يوحنا،

ولا بمشاهدة علامات التوبة التي ظهرت حتى في الذين كانوا محسوبين أنهم أشر الجميع. كان ينبغي أن يؤثر فيهم هذا المنظر إذ كان لكلمة الله بواسطة عبده يوحنا فعل قوى في قلوب العشارين والزواني وأتت بهم إلى التوبة، فلو كان أولئك رعاة حقيقيين لفرحوا برجوع الضالين، بل لأصغوا للكلمة الإلهية التي عملت فيهم هذا العمل الحسن . ولكنهم ما ندموا أولاً ولا أخيراً

« إن العشارين والزواني يسبقونكم إلى ملكوت الله » . لنلاحظ أن الرب يستعمل هنا عبارة «ملكوت الله» وليس «ملكوت السموات» لأنه يشير بها إلى شيء حاضر. وقصد أن العشارين والزواني كانوا يدخلون ملكوت الله أو يخضعون لسلطانه. لأن التوبة تجعلنا نشعر بنسبتنا إلى الله كمن قد أخطأنا اليه، ونخضع له كمن له الحكم علينا، بل ونحكم على ذواتنا مقرين أنه بار وحق في أعماله وأقواله ولو دائنا . وهذه من الحقائق الدائمة

مثل الكرم والوارث

(ع ٣٣—٤٤ ، مر ١٢ : ١—٩ ، لو ٢٠ : ٩—١٩)

« اسمعوا مثلاً آخر . كان انسان رب بيت غرس كرماً وأحاطه بسياج وحفر فيه معصرة و بنى برجاً وسلمه إلى كرامين وسافر . ولما قرب وقت الأثمار أرسل عبيده إلى الكرامين ليأخذ أثماره . فأخذ الكرامون عبيده وجلدوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً . ثم أرسل أيضاً عبيداً آخرين أكثر من الأولين . ففعلوا بهم كذلك . فأخيراً أرسل اليهم ابنه قائلاً ، يهابون ابنى . وأما الكرامون فلما رأوا الابن قالوا فيما بينهم، هذا هو الوارث. هلموا نقتله ونأخذ ميراثه. فأخذوه وأخرجوه خارج الكرم، وقتلوه . فمتى جاء صاحب الكرم ماذا يفعل بأولئك الكرامين ؟ قالوا له ، أولئك الأردياء يهلكهم هلاكاً ردياً ويسلم الكرم إلى كرامين آخرين

يعطونه الأثمار فى أوقاتها . قال لهم يسوع أما قرأتم قط فى الكتب : الحجر الذى رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية . من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا لذلك أقول لكم ، إن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره ، ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه (عدد ٣٣-٤٤)

فى هذا المثل يوضح الرب لهم معاملات الله معهم منذ رضعهم كأمة مختارة فى أرض كنعان إلى تكميل إثمهم بقتل ابنه والصورة التى رسمها طابقت الحال إلى هذا المقدار حتى التزموا أن يحكموا حكماً صائباً . لا يخفى أن أصل هذا المثل موجود فى (أش ٥ : ١-٧) على أن الرب يكمله ويخصصه لحالتهم وقتئذ . كان الله قد أنعم عليهم ببركات وامتيازات لم يكن مثلها لشعب آخر انظر قوله «ماذا يصنع أيضاً لكرمى ، وأنا لم أصنعه له؟» ثم أرسل عبيده الأنبياء يطلب ثمراً يليق بنسبتهم الفريدة له وتعبه بهم . ولكنهم أظهروا بغضهم لصاحب الكرم بما عملوا بعبيده . لنلاحظ الصبر الإلهى المدلول عليه بإرسال عبيد آخرين مرة بعد أخرى ثم عند حضور الابن لم يقصروا عن تقديم الأثمار فقط بل وصمموا على قتله لكى يكون لهم الميراث (مز ٢) وبذلك أكملوا إثمهم ، وفقدوا امتيازاتهم القديمة التى لم يعرفوا قيمتها . ثم عاد الرب فبرهن لهم من كتبهم أن الحجر المرفوض منهم لا بد أن يرتفع ويصير رأس الزاوية (مز ١١٨ : ٢٢ و ٢٣) .

«من قبل الرب كان هذا وهو عجيب فى أعيننا» (ع ٤٢) لم يتم هذا القول حينئذ لأن إسرائيل كانوا مصابين بالعمى . كانت لهم أعين ولم يبصروا بها ولكن سينزع الله البرقع عن قلوبهم فيما بعد (٢ كو ٣ : ١٦) وينظرون مجد الحجر المرفوض (٢ كو ٣ : ١٨ ، زك ٤ : ٧) ويعترفون بهذا الاعتراف .

«لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره» (ع ٤٣) قال هذا طبقاً لجوابهم الوارد فى ع ٤١ . ولنلاحظ أنه لم يقل هنا ، ينزع

منكم ملكوت السموات بل «ملكوت الله» ولا يصح هنا تبديل العبارتين. لانه يقصد هنا بملكوت الله عمل نعمة الله الفعال الذى ينتج ثمراً «فجاهر بولس وبرنابا وقالا كان يجب أن تكلموا أولا بكلمة الله ولكن إذ دفعتموها عنكم وحكمتم أنكم غير مستحقين للحياة الأبدية هوذا نتوجه إلى الأمم» (اع ١٣: ٤٦) فان الله كف الآن عن العمل بينهم بعد الصبر الكافى وجعل يعمل بين الأمم ولكن ليس قصد الرب هنا أن يوضح ذلك فانه إنما ينبههم إلى أن الله مزمع أن يتركهم ولا يعمل بينهم . كان قد عمل معهم منذ أن ابتدأ يعاملهم ككرمة (خر ١٩: ٤-٦، مز ٨٠: ٨) وعلى نوع أخص عند حضور ابنه (ص ١٠: ٥ و٦) وكان ملكوت الله حاضراً بينهم بهذا المعنى . ولكنه قال لهم انه عتيد أن ينزع منهم . ولم يمكن أن يقول أن ملكوت السموات عتيد أن ينزع منهم لأنه لم يكن قد فتح بعد ، كما قد رأينا وفضلا عن ذلك أقول أن ملكوت السموات لم ينزع من اليهود . لاشك أنهم رفضوه لما فتح على يد الرسول بطرس ومن ثم لا نقدر أن نقول عنهم الآن أنهم فيه بالمعنى الذى يصدق على النصارى لاعترافهم به . لأنهم لم يعترفوا مثلهم به ومع ذلك فهم محسوبون فيه من حيث مسئوليتهم . وسيحاسبهم الرب عند مجيئه كقسم من رعيته رافض لسلطانه (لو ١٩: ١٢ و١٤ و٢٧) .

« ويعطى لأمة تعمل أثماره» يشير بهذا إلى عمل نعمة الله بين الأمم ، ونرى هنا أن الله حين ترك شعبه إسرائيل وأرسل كلمة نعمته للآخرين إنما عمل ذلك طالباً الثمر فبالتبعية إن كان الأمم لا يأتون بالأثمار المطلوبة فلا بد أن يدينهم أيضا كما دان أولئك (انظر رو ١١: ٢٢-٢٤) غير أن هذا المثل لا يوضح ذلك بالتفصيل

« ومن سقط على هذا الحجر يترضض» (ع ٤٤) أى كل من لا يؤمن به يهلك . لأنه كان صخرة عثرة للذين لا يؤمنون (١ بط ٢ : ٣-٩) ولا يزال هكذا إلى الآن .

«ومن سقط هو عليه يسحقه» هنا يشير إلى سقوط هذا الحجر على أعدائه بالدينونة . انظر ما قيل «كنت أنظر إلى أن قطع حجر بغير يدين فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما الخ» (دا ٢: ٣٤و٣٥و٤٥)

«ولما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله عرفوا أنه تكلم عليهم . وإذ كانوا يطلبون أن يمسكوه خافوا من الجموع لأنه كان عندهم مثل نبي» (ع ٤٥ و ٤٦) وهنا قد انكشف أمر رؤساء إسرائيل تماماً . فانهم صمموا على الاحتفاظ بسلطانهم الكاذب مهما كانت النتيجة . ومن الجهة الواحدة أبغضوا المسيح وقصدوا القاء القبض عليه في حين أنهم من الجهة الأخرى خافوا من الجموع .

الاصحاح الثاني والعشرين

وليمة عرس ابن الملك (ع ١ — ١٤)

«وجعل يسوع يكلمهم أيضاً بأمثال قائلا : يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه . وأرسل عبيده ليدعو المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا . فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلا : قولوا للمدعوين هوذا غدائى أعددته ثيرانى ومسمناتى قد ذبحت وكل شيء معد . تعالوا إلى العرس ، ولكنهم تهاونوا ومضوا واحد إلى حقله وآخرون إلى تجارته . والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم . فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم » (ع ١-٧) . كان الرب قد أوضح بمثل الكرم مسئولية إسرائيل ورؤسائهم أن يأتوا بالثمر مصوراً نفسه فيه أنه (كالناموس والأنبياء ويوحنا المعمدان) أتاهم فى طريق البر (أى طالباً ثمراً) ، وأما فى مثل العرس فأتاهم فى طريق النعمة . فإننا فى هذا المثل لا نرى الله طالباً ثمراً بل مقدماً دعوة النعمة للجميع ، أولا لليهود ثم لغيرهم .

«يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه» (ع٢) فالعرس أو الوليمة الملكية عبارة عن البركات المرتبطة بحضور المسيح بالمقابلة مع البركات التى كانت قبل ذلك ولنلاحظ جيداً أنه لا توجد علاقة بين مثل غداء عرس ابن الملك المذكور هنا وعشاء عرس الخروف المذكور فى (رؤ ١٩ : ١-٩) .

أما هذا المثل فان الغرض منه هو أن الله أعد وليمة عظيمة تليق للملك وابنه ثم إرسال الدعوة إلى الجميع ليتمتعوا بما فى الوليمة مجاناً ، وقبول الدعوة أو رفضها ومحاكمة الذين تهاونوا بها ، وكل هذا مما يجرى على الأرض لا فى السماء .

« وأرسل عبيده ليدعو المدعوين إلى العرس فلم يريدوا أن يأتوا »(ع ٣) قد تم هذا فى زمان حياة المسيح . كان اليهود شعباً مدعواً من قبل ، ولما حضر المسيح بالبركات الجديدة أرسل تلاميذه ليدعوا اسرائيل أن يأتوا إليه لكى يتمتعوا بها كما قد رأينا فى هذا الإنجيل ، ولكن لم يريدوا .

« فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلا ، قولوا للمدعوين ، هوذا غدائى أعددته ، ثيرانى ومسمناتى قد ذبحت الخ » (ع ٤) هذا تم بعد موت المسيح وارتفاعه وحلول روحه حين أخذ الرسل يدعون اسرائيل الى التوبة وقبول المسيح ولنلاحظ أن هذه الدعوة الثانية هى أيضاً لنفس المدعوين الأول . ونرى هنا أيضاً صبر الله الذى صبره على شعبه القديم إذ أرسل لهم أيضاً دعوة أخرى فى زمان الإنجيل على يد عبيد آخرين كما عمل معهم قديماً فى زمان الناموس حين كان يرسل لهم عبيده الأنبياء ليطلب منهم ثمراً ، ولكنه فى إرساليته لهم الآن لا يطلب منهم شيئاً إلا أن يتمتعوا مجاناً بالبركات التى كان قد أعدها بواسطة موت المسيح من حيث كونه الأساس الوحيد لكل بركاتنا .

« ولكنهم تهاونوا ومضوا واحداً إلى حقله وآخر الى تجارته والباقون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوهم » (ع ٥ و٦) . هكذا عمل اليهود مع الذين بشروهم بالإنجيل إذ أن البعض لم يبالوا به ، والآخرون اضطهدوا المبشرين كما كانوا قد اضطهدوا المسيح (١تس ٢ : ١٤ و١٥) .

« فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم » (ع ٧) تم هذا بخراب أورشليم ، وتشتت اليهود فان المدينة المحبوبة المختارة التى بكى الرب يسوع عليها مرة أصبحت أخيراً مدينة القاتلين فقط (أش ١ : ٢١) ولا يخفى أن جنوده المذكورة هنا هى جيش الرومانيين الذى استخدمه الله بعنايته لخراب أورشليم .

« ثم قال لعبيده وأما العرس فمستعد وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين

فاذهبوا الى مفارق الطرق وكل من وجدتموه فادعوه إلى العرس» (ع٨و٩) .
لا يخفى أن هذا يشير إلى المناداة بالإنجيل للأمم . وهذا يوافق ما ورد في سفر الأعمال إذ كلما رفض اليهود الإنجيل اتجه الرسل والمبشرون نحو الأمم (أع ١٣: ٤٦ ، ٢٨ : ٢٨) .

« فاذهبوا إلى مفارق الطرق » فالمدينة عبارة عن اليهود جميعاً من حيث امتيازاتهم القديمة كشعب مختار ومدعو أيضاً وكان ينبغي للمبشرين الأولين أن ينادوهم أولا كقول الرب . « وأن يكرز باسمه بالتوبة ومغفرة الخطايا لجميع الأمم مبتدأ من أورشليم » (لو ٢٤ : ٤٧) . وأما مفارق الطرق فعبارة عن الناس خارج تلك الامتيازات .

« فخرج أولئك العبيد الى الطرق وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين فامتلأ العرس من المتكئين . فلما دخل الملك لينظر المتكئين رأى هناك انساناً لم يكن لابساً لباس العرس . فقال له ياصاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس . فسكت . حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجليه ويديه وخذوه واطرحوه في الظلمة الخارجية . هناك يكون البكاء وصرير الأسنان . لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون » (ع١٠—١٤).

« وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين » (ع ١٠) أى أتوا بالناس كلهم بغض النظر عن صفاتهم . ولا يعنى أن البعض صالحون حسب حالتهم الطبيعية قبل أن تبلغهم الدعوة لأن الشيء الوحيد الذى يؤهل للحضور هو دعوة الملك ولباس العرس .

« فامتلأ العرس من المتكئين » يصدق هذا على مدة المناداة بالإنجيل كلها . قابل هذا مع قوله فى مثل الشبكة « فلما امتلأت أصعدوها الى الشاطىء » (ص ١٣: ٤٨) . يجب أن تلاحظ جيداً ان العرس لا يعنى شيئاً عن دخول السماء فانه

عبارة عن بركات الإنجيل التى يدعو الله الناس إلى التمتع بها هنا ، ونرى أن وقت النعمة لابد أن ينتهى ويليه وقت القضاء .

« فلما دخل الملك لينظر المتكئين » (ع ١١) مهما كانت الدعوة عامة ولطيفة فلابد أن صاحب الوليمة ينظر المتكئين ، هل افتكروا فى ما يليق بشأن العرس الملكى من اللباس المعين لهم أم لا ؟

« ورأى إنساناً هناك لم يكن لابساً لباس العرس » لايخفى أن هذا الإنسان الواحد عبارة عن جميع الذين عملوا مثله وإلا فكنا نستنتج من هذا المثل أنه لا يوجد وقت القضاء إلا شخص واحد قد تهاون بنعمة الله ، ولكننا قد عرفنا أن كثيرين سيوجدون على هذه الحالة فى ذلك اليوم (انظر ص٧ : ٢١ — ٢٣) ولنلاحظ أيضاً أن المثل لا يفرض مرور زمان طويل ، فإن صورة الكلام إنما تشير الى إعداد العرس وإرسال الدعوة مرة لا بل مرتين للمدعوين ثم إجراء القصاص على الأولين وإرسال الدعوة لآخرين . والحوادث المذكورة تجرى على الأرض لا فى السماء .

« فقال له ياصاحب كيف دخلت إلى هنا وليس عليك لباس العرس ؟ فسكت » (ع١٢) كان المدعوون الأولون قد تهاونوا بدعوة الملك وشتموا وقتلوا عبيده وهكذا أظهروا بغضهم له وأما هذا فتهاون بها على كيفية أخرى من حيث أنه لم يفتكر فى مايجب عليه من الاحترام للملك وابنه . ولباس العرس عبارة عن المسيح نفسه ، فكل من تظاهر بأنه قبل بشارة نعمة الله ولم يتخذ المسيح براً له قدام الله فهو على حالة هذا الإنسان الذى دخل العرس بثيابه (بره الذاتى) تاركاً لباس العرس . ويتضح من سكوته أنه لم يكن له أى عذر فيما فعل ، لأن لباس العرس كان ماهو معد للمدعوين مجاناً كالا كل تماماً .

« حينئذ قال الملك للخدام اربطوا رجليه الخ » (ع١٣) ، وكلمة « الخدام » فى الأصل اليونانى تختلف عن كلمة « العبيد » (ع ١٠) لأن العبيد الذين دعوا الناس إلى الوليمة هم المبشرون بالإنجيل أما الخدام الذين يؤمرون بربط المغضوب

عليهم وطرحهم فى الظلمة الخارجية أو أتون النار فهم الملائكة (ص ١٣ : ٤٠ — ٤٢ و ٤٩ و ٥٠) . ولا شك أن كل من لا يؤمن بالمسيح إيماناً قلبياً يهلك إلى الأبد بعد موته ، ولكن ليس هذا هو الموضوع هنا . قد أجرى الله الحكم على اليهود ومدينتهم لأنهم رفضوا الإنجيل . وهو مزمع أن يحاكم عموم الذين تظاهروا بقبوله مع أنهم لم يخضعوا خضوعاً صحيحاً للمسيح كبرهم قد دان الأولين لأنهم لم يدخلوا ، وسيدين هؤلاء لأنهم دخلوا ، ولكن على هيئة مهينة لنعمته . وكما أن تلك المحاكمة أجريت على الأرض هكذا ستجرى هذه أيضاً ، فهو ذا لطف الله وصرامته . أما الصرامة فعلى الذين سقطوا . وأما اللطف فلك ان ثبت فى اللطف والا فأنت أيضاً ستقطع» (رو ١١ : ٢٢) .

«لأن كثيرين يدعون وقليلين ينتخبون». (ع ١٤) قد كرر الرب هذا القول مراراً عديدة . ويصرح به أن كل شيء يتوقف على نعمة الله الفعالة. فإن الدعوة الإنجيلية مهما كانت جامعة ولطيفة لا تكفى وحدها إذ أنه يمكن رفضها صريحاً أو التظاهر بقبولها مع أن القلب لا يزال معتداً ببره الذاتى . جميع المعترفين بالمسيح قد حضروا بحسب الظاهر إلى العرس الانجيلى وقد فازوا بامتيازاته ولكن لو دخل صاحب العرس لينظر المتكئين فما أقل عدد الذين قد لبسوا المسيح حقيقة، المسيح الذى يؤهلهم وحده أمام الله . ولكن القصد الخاص من المثل هو أن يظهر أنه لا بد من إتيان المحاسبة عند انتهاء وقت النعمة .

يذكر لوقا فى (ص ١٤ : ١٥ — ٢٤) مثلا مشابهاً ولكن على هيئة أخرى حيث يعبر عن البركات المتعلقة بحضور المسيح بعشاء عظيم ليس بعرس ابن ملك ، ولا يذكر المحاكمة إلا أن الذين تهاونوا بالدعوة لا يذوقون من العشاء لأن قصد الوحى بإدراجه ذلك المثل فى لوقا إيضاح النعمة الإلهية فقط . وأما فى متى فيوضح هذا مع بعض معاملات الله على الأرض لليهود وللأمم أيضاً ، كل منهما بحسب نظامه أو التدبير الدينى الرسمى الذى له من الله . ومما يؤيد أن مثل متى غير مثل لوقا ليس فقط

إن مثل متى ضرب فى الهيكل فى أورشليم (٢١ : ٢٣) أما مثل لوقا فضرب فى بيت أحد الفريسيين أثناء صعود الرب إلى أورشليم (لو ١٣ : ٢٢ مع ١٤ : ١) بل أيضا أن الأول غداء أما الثانى فعشاء وكان الداعى فى الأول عبيداً كثيرين أما فى الثانى فعبد واحد . فى الأول تعدى المدعوون على الداعين أما فى الثانى فقد اعتذروا فقط . فى الأول أهلك المدعوون ، كما فى مثل الكرم (ص ٢١ : ٤١) أما فى الثانى فقد حرموا فقط ولكن نهائيا من أكل العشاء .

رد المسيح على الفريسيين والهيرودسيين فيما يتعلق بما لقيصر وما لله

(ع ١٥ - ٢٢ ، مر ١٢ : ١٣ — ١٧ ، لو ٢٠ : ٢٠ — ٢٦)

« حينئذ ذهب الفريسيون وتشاوروا لكى يصطادوه بكلمة فأرسلوا اليه تلاميذهم مع الهيرودسيين قائلين ، يامعلم نعلم أنك صادق وتعلم طريق الله بالحق ولا تبالى بأحد لأنك لا تنظر إلى وجوه الناس . فقل لنا ماذا تظن ؟ أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ . فعلم يسوع خبثهم وقال ، لماذا تجربوننى يا مراؤون ؟ أرونى معاملة الجزية . فقدموا له ديناراً . فقال لهم ، لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له ، لقيصر . فقال لهم ، أعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله . فلما سمعوا تعجبوا وتركوه ومضوا » (ع ١٥ - ٢٢) .

كان اليهود منقسمين إلى مذاهب مختلفة يفتخر كل مذهب على الآخر فيما اختلف به عنه ولكنهم كانوا جميعاً مخطئين أمام الله فى ذات الأشياء التى كانوا مفتخرين بها . كانوا تحت نير الأمم من زمان سبى بابل . وكان ذلك الاستعباد أعظم عار لهم كشعب منتسب لله . وكان يجب أن يعترفوا بأن خطاياهم هى التى جلبت عليهم هذا القصاص . ولم يكن منهم فى كنعان سوى بقية صغيرة ردها الله من السبى ، وحفظها ليأتى منها بالمسيح وليقدمه لهم كملكهم الشرعى . ولكنهم على قدر ما كانوا مفتخرين بامتيازاتهم كانوا منحطين فى أخلاقهم وزادوا على ذلك أنهم رفضوا رجاء

إسرائيل الحقيق . كان يليق بهم أن يتواضعوا تحت يد الله القوية حاملين نيرهم القاسي إلى أن ينقذهم الله . فالهيرودسيون تساهلوا في شأن عبودية إسرائيل وقبلوا أسيادهم الأجنبيين كما لو كان الاستعباد ودفع الجزية من الأمور التي تليق بهم وهكذا خانوا الله مستهينين بخياناتهم له . أما الفريسيون فكانوا يقومون من وقت إلى آخر ضد الرومانيين ليتخلصوا من سلطتهم محافظين على امتيازاتهم كشعب الله مع أنهم كانوا قد فقدوها بحكم الله العادل لأجل خطاياهم . ومع أنهم أبغضوا الهيرودسيين كل البغض وحسبوهم خونة لله منافقين دائرين مع الزمان إلا أنهم اتفقوا معهم في مقاومة الرب .

« أيجوز أن تعطى جزية لقيصر أم لا ؟ أرسلوا جواسيس من تلاميذهم (لو ٢٠ : ٢٠) مع الهيرودسيين إلى يسوع لكي يصطادوه بكلمة ، وظنوا بحسب حماقة أفكارهم أنه لا يستطيع أن ينجو من شبكتهم ، فانه كيفما كان جوابه لهم سيكون بحسب فكرهم ملوماً لأنه إن قال لا يجوز أن تعطى الجزية لقيصر يشتكى عليه الهيرودسيون للحكام كخائن للقيصر ومهيج فتنة عليه كما افتروا عليه كلهم بذلك فيما بعد (لو ٢٣ : ١ و ٥ ، يو ١٩ : ١٢) وإن قال يجوز أن تعطى له الجزية فيكون في نظرهم قد أنكر حقوقه كالوارث الشرعي لعرش داود ؛ وفي هذه الحالة لا يكون هو مخلص إسرائيل الذي ينقذهم من نير الأمم ظالميهم ، ويستطيع الفريسيون حينئذ أن يبرهنوا من النبوات على أنه مضل مادام ليس له صفات القوة التي يجب توافرها في مسيحهم الحقيق .

« لمن هذه الصورة والكتابة ؟ قالوا له ، لقيصر ، فقال لهم ، اعطوا إذاً ما لقيصر لقيصر وما لله لله » فبجوابه هذا وضع كل شيء في محله . فترك إسرائيل تحت يد الامبراطور الروماني الذي كانت معاملته (أي عملته) هي المتداولة بينهم وكأنه يقول لهم مادام الله سلط عليكم قيصر بسبب خطاياكم فاخضعوا لله والدينار الذي لقيصر إذ عليه صورته أعطوه لقيصر ومن الجهة الأخرى لله حق عليكم أن تحبوه

وتطيعوه فيما له كما قال لهم فى موضع آخر عن المطلوب منهم أيضاً بالنسبة له « هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالذى هو أرسله » (يو٦ : ٢٩) .

ويستفاد من عبارة الرب هذه لهم أن المسيحى وإن كان ليس من هذا العالم (يو١٧ :١٤) ، وغريب فيه (١بط٢ :١١) ، وانتسابه هو للسماء (فى ٣ : ٢٠) إلا أنه من واجبه أن يخضع للسلاطين الكائنة التى هى مرتبة من الله حتى أن من يقاوم السلطان يقاوم ترتيب الله (انظر رو ١٣ :١—٧ ، ١بط٢ :١٣—١٧) .

رد المسيح على الصدوقيين فيما يتعلق بخلود النفس وقيامة الجسد

(ع ٢٣ — ٣٣ ، مر ١٢ : ١٨ — ٢٧ ، لو ٢٠ : ٢٧ — ٣٨)

« فى ذلك اليوم جاء اليه صدوقيون الذين يقولون ليس قيامة . فسألوه قائلين يامعلم قال موسى إن مات أحد وليس له أولاد يتزوج أخوه بامرأته ويقيم نسلا لأخيه ، فكان عندنا سبعة إخوة وتزوج الأول ومات . وإذ لم يكن له نسل ترك امرأته لأخيه . وكذلك الثانى والثالث الى السبعة . وآخر الكل ماتت المرأة أيضاً . ففى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة فانها كانت للجميع » (ع٢٣ - ٢٨) . كان الصدوقيون مذهباً ثالثاً من اليهود ، واتصفوا برفضهم الاعتقاد بقيامة الأموات والمحتمل أنهم رفضوا الوحى أيضاً وخلود النفس لأنهم قاوموا الفريسيين فى كل عقيدة دينية . وكانوا بالحقيقة هم الكفرة بين اليهود (انظر أيضاً أع٢٣ :٨) ولكن البحث بتفصيل فى تاريخهم وآرائهم لاينفعنا . فأتى قوم منهم الى الرب لكى يجربوه بحكمتهم . فما أوقح الإنسان لأنه لا يمتنع عن أن يجاوب الله نفسه او كانت مشكلاتهم هذه بحسب أفكارهم دحضاً كاملا لعقيدة القيامة . وطالما جادلوا بها أخصامهم وربما لم يوجد أحد منهم أمكنه أن يرد عليها رداً سديداً . وأما الرب فأبطلها بكل سهولة وبرهن على أنها قائمة على أساس فاسد .

« فاجاب يسوع وقال لهم تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله . لأنهم

فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء » (ع ٢٩ و ٣٠) فهذا هو الجواب لسؤالهم «فى القيامة لمن من السبعة تكون زوجة؟» «الإنسان الطبيعى لا يقبل ما لروح الله لأنه عنده جهالة ، ولا يقدر أن يعرفه لأنه إنما يحكم فيه روحياً» (١ كو ٢: ١٤) . كان هؤلاء طبيعيين ، وقاسوا كل شيء على الحالة الحاضرة ، ورفضوا كل ما لا يوافق العقل بينما قيامة الأموات من الحقائق التى لا نقدر أن نعرفها إلا بإعلان من الله ولا تتم الا بقوته .

والرب بجوابه هذا أظهر أن حالة المقامين من الأموات بقوة الله فى القيامة الأولى ، ستكون حالة سامية مقدسة فيها يكون كل شيء مناسب للأرض والزمان قد زال وانتهى إلى الأبد ، حتى الترتيبات المرتبة من الله للإنسان هنا كالزواج سوف لا يوجد لها موضع هناك ، فإن الجسد نفسه يتغير ويصير على صورة جسد مجد الرب (فى ٣: ٢١ ، ١ كو ١٥: ٤٤) لكى يكون على حالة تناسب المجد السماوى . ولا يوجد ناموس من نواميس الطبيعة يوجب إقامة هذه الأجساد الترابية من بعد ما انحلت واندثرت وربما تفرقت موادها الأصلية إلى الأربع الرياح . ولكن الرب سيقيمها بحسب عمل استطاعته أن يخضع لنفسه كل شيء .

« وأما من جهة قيامة الأموات ، أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أنا إله إبراهيم وإله إسحق وإله يعقوب ؟ ليس الله إله أموات بل إله أحياء فلما سمع الجموع بهتوا من تعليمه » (ع ٣١ — ٣٣) .

عاد الرب فأثبت حقيقة القيامة وأظهر أنها من الإعلانات القديمة ، ومن أصول إيمانهم كنسل ابرهيم . كان الله قد اختار آباءهم وأقامهم أمامه فى نسبة خاصة معه يعامل نسلهم بموجبها الى الأبد . فبعد موت ابرهيم واسحق ويعقوب بزمان طويل قال الله لموسى « أنا إله ابرهيم وإله اسحق وإله يعقوب » وأضاف إلى ذلك قوله « هذا إسمى إلى الأبد . وهذا ذكرى إلى دور فدور » (خر ٣: ١٥) فاسمه التذكارى يدحض كفر الصدوقيين لأنه لو كان ابرهيم وإسحق ويعقوب قد كفوا بالموت عن

الوجود لما كان من الأمور اللائقة بالله أن يقول لموسى ، أنا إلهم لأنه ليس إله غير الموجودين . كان يمكن أن يقول ، أنا كنت إلههم . فإذاً الموت أو انحلال الجسم الفانى لم يقطع العلاقة الكائنة بين الله و بينهم وهذه العلاقة نفسها توجب إقامتهم لأن الموت حالة استثنائية دخيلة على الإنسان لأن الله خلقه جسداً و نفساً وروحاً . ومن ثم فلابد أن يقيم الجسد حتى يكون مفديوه أمامه إلى الأبد فى حالة الكمال بحسب القصد الذى قصده للانسان لما خلقه غير أنه تعالى فى القيامة سيغير الأجساد بقوته لتكون على هيئة تناسب المجد (١ كو ١٥ . ٣٥-٥٥) ولنا مثال ذلك فى جسد الرب بعد قيامته . فقوله « ليس الله إله أموات بل إله أحياء » يشير إلى هذه النسبة الحقيقية الدائمة بين الله و الإنسان خليقته قبل وأثناء و بعد الموت .

الوصيتان العظيمتـــــان

(ع ٣٤ — ٤٠ ، مر ١٢ : ٢٨ — ٣٤ ، لو ١٠ : ٢٥ — ٢٨)

« أما الفريسيون فلما سمعوا أنه أبكم الصدوقيين اجتمعوا معاً وسأله واحد منهم وهو ناموسى ليجربه قائلا . يا معلم . أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ فقال له يسوع ، تحب الرب إلهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ومن كل فكرك . هذه هى الوصية الأولى والعظمى . والثانية مثلها . تحب قريبك كنفسك . بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء » .

« أية وصية هى العظمى فى الناموس ؟ » لا يخفى أن الفريسيين افتخروا بالناموس واستعملوه كقائمة أعمال صالحة يصنعون بها لأنفسهم براً قدام الله وطالما تجادلوا معاً من جهة المسألة الباطلة وهى ، ما هى الأعمال الفضلى التى إذا عملها الإنسان يكون له فضل أكثر عند الله ؟ كأنه يمكن لهم أن يقفوا أمامه بحسب أعمالهم بل و يمتاز بعضهم على البعض واتضح أنهم لم يعرفوا الناموس ولا ماهو الإنسان « لأن بالناموس معرفة الخطية » (رو ٣ : ٢٠) وليس هو للانسان سوى

الدينونة والموت (٢ كو ٣ : ٤-٩) وعوضاً عن أن يكسب به البركة إنما يحصل على اللعنة .

ولم يكن سؤالهم عن إخلاص بل لكى يجربوا الرب على أمل أنهم يحصلون على شيء من جوابه يمكنهم أن يشتكوا به عليه . وأما الرب فقد اقتبس فى جوابه شهادتين من التوراة ، من تث ٦: ٥ ومن لا ١٩: ١٨ . واستخرج منهما جوهر الناموس بحسب فكر الله . فيتضمن فى الأولى ما يجب على الانسان من نحو الله وهو محبته له تعالى من كل القلب ومن كل النفس ومن كل الفكر ، وفى الشهادة الثانية يتضمن ما يجب على الإنسان من نحو الآخرين وهو محبته لقريبه كمحبته لنفسه .

والرب فى جوابه قد أبطل أيضاً تقسيمهم الناموس إلى وصايا متفاوتة ، عظمى وصغرى (ص ٥ : ١٧ - ٢٠) لأنه إن كانت الوصية الواحدة عظيمة جداً فالثانية مثلها . وإن كان الله يأتينا من باب الطلب فانه لا يمكن أن يطلب أقل من الكمال فى كل ما وضعه علينا . ومن عثر فى نقطة واحدة فقد صار مجرما فى الكل (يع ٢ : ١٠) .

والرب يسوع فى تقسيمه لهم الناموس إلى وصيتى المحبة لله والمحبة للقريب أثبت عليهم كسرهم للناموس فى رفضهم لشخصه إذ كان هو الله والقريب فى شخص واحد .

« بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله» لأن الأولى تشمل الوصايا الأربع الأولى منه . والثانية تشمل الوصايا الست الباقية .

« والأنبياء » . كان الأنبياء الذين أقامهم الله من وقت إلى آخر يدعون إسرائيل إلى حفظ الناموس ، ويوبخونهم على مخالفتهم إياه كما يقول الرب هنا « بهاتين الوصيتين يتعلق الناموس كله والأنبياء» فعبثاً ينتظر الإنسان أن يقوم بمطلوب الناموس لكى يحصل بر يؤهله للقبول عند الله ، والناموس لا ينفعه

ولو انقسم إلى أقسام متفاوتة القيمة لأنه لا يقدر أن يحفظ أقل وصية من وصاياه ، ويظهر اعوجاج قلبه في زعمه أنه يقدر على ذلك ، وفي بحثه في ماهي الوصية العظمى كأنه يستطيع أن يكتسب بحفظها برا أزيد .

امتحان المسيح لممتحنيه

(ع ٤١ - ٤٦ ، مر ١٢ : ٣٥ - ٣٧ ، لو ٢٠ : ٤١ - ٤٤)

« وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم يسوع قائلا ماذا تظنون في المسيح ابن من هو ؟ قالوا له ابن داود . قال لهم فكيف يدعوه داود بالروح ربا قائلا . قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك ؟ فان كان داود يدعوه ربا فكيف يكون ابنه ؟ فلم يستطع أحد أن يجيبه بكلمة . ومن ذلك اليوم لم يجسر أحد أن يسأله بتة » .

كان رعاة إسرائيل ومعلموهم قد حضروا إلى الرب ليقاوموه وكانوا على ثلاثة مذاهب الهيرودسيين والصدوقيين والفريسيين وأفرغوا جعبة حيلهم لتخطئته ولو بكلمة ولم يقدروا . كان قصدهم أن يبينوا أنه معلم مضل ولكنه أبكمهم وأظهر عدم أهليتهم للوظيفة التي اتخذوها كرعاة شعب الله قابل هذا مع قوله «وأبدت الرعاة الثلاثة في شهر واحد وضاقت نفسي بهم وكرهتني أيضا نفسهم . فقلت لا أرعاكم من يمت فليمت ومن يبد فليبد والبقية فليأكل بعضها لحم بعض» (زك ١١ : ٨و٩) . فالويل لإسرائيل الرافضين لراعيهم الحقيقي لانقيادهم إلى رعاتهم المنافقين فليس لهم الآن إلا الحكم المتضمن في آخر هذه الشهادة بحيث يكون كقطيع غنم متروك لا بل يأكلون بعضهم بعضا كما صار فيهم بعد رفض المسيح وموته

« وفيما كان الفريسيون مجتمعين سألهم الخ» كان الفريسيون في ذلك الوقت هم المذهب المتقدم بين اليهود فسألهم الرب سؤالا بسيطا عن المسيح «ماذا تظنون في المسيح؟» أي في المسيح المتنبأ عنه . فانهم كانوا قد رفضوا يسوع الناصري

زاعمين أنه ليس متصفا بصفات المسيح الحقيقي فاذاً لا بد وأنهم قد بحثوا بحثاً دقيقا فى جميع النبوات المتعلقة بهذا الموضوع .

« ابن من هو ؟» لقد أجابوا على سؤاله الأول هذا بلا توقف قائلين انه « ابن داود » ولكنهم عجزوا عن الإجابة على سؤاله الثانى الذى بناه على (مز ١:١١٠) وهو « كيف يدعوه داود بالروح رباً قائلا قال الرب لربى؟ » لأنهم لم يعرفوا حقيقة شخص المسيح بحسب ماورد لهم عنه فى كتبهم . لأنه وإن كان ينبغى حسب نبوات الكتاب عنه أن يكون ابن داود بحسب الجسد إلا أنه حسب إعلانات الكتاب عنه رب داود أيضا بحسب اللاهوت لكونه هو بذاته منذ الأزل الله المبارك إلى الأبد .

ويجب أن نلاحظ أيضا أن هذه الشهادة أتت فى وقتها ومحلها لأنه قد رفض من مملكته على الأرض وهو مزمع أن يموت ويقوم ويرتفع إلى السماء والله مزمع أن يقول له حينئذ « اجلس عن يمينى » (قابل أع ٢: ٣٠-٣٥) ويراد باليمين اعظم مكانة للاكرام . لم يكن له قبول عند اسرائيل حينئذ ليجلس على كرسى داود ولكنه مزمع أن يفوز بالقبول فى السماء ويجلس هناك كرب داود على عرش أبيه

« حتى أضع اعداءك موطئا لقدملك » فسيظل جالسا هناك الى ان يضع الآب اعداءه تحت قدميه (عب ١٣:١ ، ١٠ : ١٢ و١٣) واعداؤه هم اليهود الذين لم يريدوا انه يملك عليهم فى ذلك الوقت (لو ٢٧:١٩) . على انه سيكون له اعداء كثيرون غيرهم كما لا يخفى .

« ومن ذلك اليوم لم يجسر احد ان يسأله بتة » لم يقدر احد من هؤلاء المقاومين المنافقين ان يسأله سؤالا بعد ذلك خوفا من ان يضيع صيتهم الكاذب عند الشعب . وفضلوا السكوت على الكلام ما دام الكلام يفضح جهالتهم .

الأصحاح الثالث والعشرون

بعض صفات الكتبة والفريسيين

(ع ١ - ١٢ ، مر ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ، لو ٢٠ : ٤٥ - ٤٧)

« حينئذ خاطب يسوع الجموع وتلاميذه قائلا على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون . فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون » (ع ١-٣) .

أخذ الرب يسوع يخاطب الجموع وتلاميذه من جهة بعض واجباتهم فقال لهم « على كرسى موسى جلس الكتبة والفريسيون » (ع ٢) لم يكن النظام العتيق قد انتهى بعد فإن كرسى موسى كان لم يزل موجوداً . وكان يجب على جميع الاسرائيليين أن يسمعوا كلام التوراة . قابل قول الرب هنا مع قول يعقوب « لأن موسى منذ أجيال قديمة له فى كل مدينة من يكرز به إذ يُقرأ فى المجامع كل سبت » (أع ١٥: ٢١) فالواضح أنه يستعمل اسم موسى للتعبير عن التوراة كلها . وكانت غاية اجتماعهم فى المجامع استماع كلمة الله المتضمنة فى التوراة . وكان الكتبة والفريسيون قد أخذوا على عاتقهم أن يقرأوها للمجتمعين ، على نسق ما فعل عزرا الكاتب ورفاقه (عز ٨) وهذا من الأمور الحسنة التى كان يمكن للرب أن يصادق عليها .

« فكل ما قالوا لكم أن تحفظوه فاحفظوه وافعلوه » (ع ٣) وأما تفاسيرهم للتوراة وأقوالهم وخرافاتهم فكانت مرفوضة عند الرب كما رأينا فى ص ١٥ . لأنها كانت على وجه الإجمال منحرفة كل الإنحراف ولا يمكن للرب أن يصادق عليها البتة . ولا نرى أن الرب أو واحداً من رسله اقتبس شيئاً منها مصادقاً عليه .

كان الوحي يستطيع أن يقتبس أقوالا من بعض الشعراء الوثنيين (أع ١٧ : ٢٨ وتى ١ : ١٢) وأما التعاليم الدارجة وقتئذ بين اليهود فلم يذكرها إلا ليظهر تحريفها .
لا يخفى أن كثيرين من المسيحيين قد استنتجوا من كلام الرب هنا استنتاجات غريبة جداً إذ قالوا أنه يجب علينا أن نخضع للرؤساء الدينيين ولو كانت أعمالهم رديئة اعتباراً لوظيفتهم . وزعموا وجود سلطان كنسي لهم يوجب ذلك . وغضوا النظر عن أهم ما فى الموضوع وهو : كيف حصل هؤلاء الرؤساء على هذه الوظيفة؟ وهل هي من الله ؟ قد وجدوا أنه كان لموسى كرسي . فظنوا أنه لابد أن يكون له كرسي حتى الآن . ويجب أن نخضع للذين قد جلسوا عليه . فأقول :

أولا ـ أن الاستماع لكلمة الله من واجباتنا المسيحية ويجب أن نصغى لها فى كل حين . وإن كان الذى يأتينا بها يحاول أن يفسرها أيضاً نمتحن تفاسيره بواسطة الكلمة نفسها . فإن كانت صحيحة نفرح ونستفيد منها ونشكر الرب الذى هو مصدر كل عطية صالحة وكل موهبة تامة (يع ١ : ١٧) وإلا فنرفضها .

ثانياً ـ لا يوجد فى الكنيسة كرسي لموسى أو لغيره . حتى الرسل أنفسهم لم يكن لهم كراسى ، لأن السيادة والسلطان ليسا لهم بل للرب الذى كانوا يكرزون به (٢ كو ٤ : ٥ ، يو ١٣ : ١٣) ولكلمته التى نطقوا بها لاشك أن الرب استخدمهم بخدمة عظيمة جداً . ولكننا لا نسمع أنه كان لواحد منهم منصب يعبر عنه بكرسى . فإنهم جالوا مبشرين بكلمة الله الصافية . وكل من كان خاضعاً لله كان يسمع لهم أيضاً (١ يو ٤ : ٦) وكان يجب على السامعين أن يفحصوا الكتب المقدسة ليتحققوا أتعاليمهم صحيحة أم لا (أع ١٧ : ١١) وقال بولس « ولكن إن بشرناكم نحن أو ملاك من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما الخ » (غل ١ : ٦ - ١٠) ومع ذلك فقد ابتعد كثيرون عن كلمة الله واخترعوا تعاليم غريبة ويطلبون من الناس أن يخضعوا لهم لكونهم قد جلسوا فى منصب نظير كرسي موسى .

ثالثاً - نرى من شهادات كثيرة واردة فى العهد الجديد أن الرسل والمؤمنين الأولين من اليهود أخذوا من بعد يوم الخمسين يتركون الكتبة والفريسيين رويداً رويداً رغم وجود التوراة عندهم وأخيراً تخلوا تماماً عن الحضور فى المجامع، بل وعن نفس العبادة الطقسية فى الهيكل . كان النظام الأول من الله وقد استنفد غايته فى مجيء المسيح وموته (رو ٧ : ١ - ٦ ، ١٠ : ٤ ، غل ٣ : ٢٤ - ٢٦ ، ٤ : ١ - ٧ ، عب ١٠ : ٨ - ١٠) . ولكن لأنه كان منه تعالى احتمله زماناً طويلا حتى بعد بداءة الإيمان المسيحى بما يقرب من نحو ٤٠ سنة وفى ذلك الوقت كان يجب على جميع اليهود المؤمنين بالمسيح أن يخرجوا إليه خارج المحلة حاملين عاره (عب ١٣ : ١٣) ثم أخربه أخيراً على يد تيطس الرومانى كما أنبأهم المسيح بذلك (ع ٣٨) .

رابعاً - كرسى موسى مهما كان لم ينصب لنا نحن المؤمنين من الأمم . ومن قال بأن الكنيسة المسيحية إنما هى اتساع وامتداد للنظام اليهودى يقر جهاراً أنه من الذين قد تهودوا وأصبحوا لا يهوداً ولا مسيحيين .

« ولكن حسب أعمالهم لا تعملوا لأنهم يقولون ولا يفعلون » الأقوال المقصودة هنا هى التى قالوها من كلمة الله . وكانوا ملومين لأنهم لم يعملوا بها . قرأوا أقوال التوراة على الآخرين وشددوا على حفظها مع أنهم هم لم يحفظوها .

« فإنهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس . وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم . وكل أعمالهم يعملونها لكى تنظرهم الناس . فيعرضون عصائبهم ويعظمون أهداب ثيابهم . ويحبون المتكأ الأول فى الولائم والمجالس الأولى فى المجامع والتحيات فى الاسواق وأن يدعوهم الناس، سيدى سيدى . وأما أنتم فلا تدعوا سيدى لأن معلمكم واحد المسيح وأنتم جميعاً إخوة . ولا تدعوا لكم أباً على الارض . لان أباكم واحد الذى فى السموات . ولا تدعوا معلمين لان معلمكم واحد المسيح ، وأكبركم يكون خادماً لكم . فمن يرفع نفسه يتضع ومن يضع نفسه يرتفع (ع ٤ - ١٢) .

فى هذا الفصل يذكر الرب بعض صفات الكتبة والفريسيين كريائهم وحبهم للشهرة والتبجيل من الناس والنفوذ الدينى. وقصد بذلك أن يحذر تلاميذه من قدوتهم السيئة. فعندما نقرأ كلامه يجب أن نخصصه لأنفسنا لان قلوبنا الرديئة تميل الى الاشياء المنهى عنها. وهى خائنة الى هذا المقدار حتى انه من الامور الممكنة أن نذم الموصوفين هنا ونستقبح فعلهم ونحن سائرون سيرهم. لاننا نستطيع أن ننظر عيوب الآخرين بسهولة فى حين يعسر علينا جداً أن نرى ما فينا من عيوب. ولو لم يكن تلاميذ المسيح مائلين الى كل ما كان أولئك عليه لما كان موجب لإنذارات الرب لهم أن لا يعملوا حسب أعمالهم. وقد رأينا طمعهم فى الترؤس بعضهم على بعض، وذلك فى ظروف مؤثرة، وقدوة سيدهم الوديع قدام أعينهم، وأقواله تطرق آذانهم (ص ٢٠ : ٢٠-٢٨) وأن كان القارىء أو الكاتب يظن أن انذارات الرب الخطيرة لا تعنيه فقد تغافل عن حالة قلبه البشرى كل التغافل. فالأليق بنا جميعاً عند تأملنا فى ما نطق به الرب فى شأن الذين اتخذوا الدين علة لرفع ذواتهم فى الدنيا أن نقول ما قاله التلاميذ فى وقت آخر «هل أنا هو يارب ؟» (ص ٢٦ : ٢٢). معلوم أنه لا يمكن للجميع أن يفوزوا بالمجالس الاولى فى المجامع ولكن الفرق قليل جداً بين من جلس هناك وبين من استظرف واستحسن هذه الجلسة الرئيسية. إذ أن أصل العملين واحد وهو الكبرياء التى تحملنا دائماً وأبداً على أن ننسى مجد المسيح ونرفع ذواتنا أو الآخرين. وبالحقيقة عندما نعظم غيرنا نحن فى ذات الوقت نعظم ذواتنا أيضاً لاننا إنما نعمل ذلك لكى نفتخر بهم لكونهم من مذهبنا أو طائفتنا.

«فانهم يحزمون أحمالا ثقيلة عسرة الحمل ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بأصبعهم» كان نظام الناموس مع فرائضه الكثيرة نيراً لا يمكن حمله (أع ١٥ : ١٠). والله جعله هكذا عن قصد لكى يقنع الانسان أنه لا يستطيع أن يصنع براً لنفسه. ولم يمكن لمن قرأ الناموس على الناس أن يخفف أحماله العسر الحمل. ولكنه كان ملوماً إذا قرأه عليهم طالباً أن يحفظوه وهو نفسه يستعفى

من ذلك كما فعل أولئك المعلمون . وهذه التجربة قريبة منا جميعاً ولذلك قال يعقوب « لا تكونوا معلمين كثيرين يا إخوتي عالمين أننا نأخذ دينونة أعظم » (يع ٣ : ١) نعم الديانة المسيحية ليست نيراً ولكنها تطلب الطاعة للرب في كل شيء ومن يعلم الآخرين نكران الذات وحمل الصليب ينبغي أن يكون لهم قدوة (١ تي ٤ : ١٣) فان الرب يحاسبه بحسب النور الذي كان عنده .

« وكل أعمالهم يعملونها لكي تنظرهم الناس » يقصد أعمالهم الدينية . وهذا هو الرياء بعينه (راجع ص ٦ : ١ و ٢ و ١٥ و ١٦) .

« فيعرضون عصائبهم » العصابة عند اليهود كانت شريطاً من جلد كتبوا عليها آيات من التوراة وجعلوها على الجبهة أو الصدر أو العنق أو اليد علامة للتقوى والتدين . وغاية أولئك من تعريض عصائبهم التظاهر بغيرة دينية فوق العادة ولكن الله طالب أن كلمته تكتب على القلب لا على الثياب .

« ويعظمون أهداب ثيابهم » كان عندهم أمر في (عد ١٥ : ٣٨) بأن يصنعوا لثيابهم شريطاً من الاسمانجوني تمييزاً لهم عن الأمم . وربما دل ذلك اللون على سلوك سماوي أي موافق لأفكار السماء . على أن الكتبة والفريسيين إنما اتخذوها علامة للافتخار بعضهم على البعض ومن عظم الشريط الاسمانجوني أكثر ظهر في عيني نفسه أقدس من الآخرين ، فبالحقيقة لا يوجد نوع من الأعمال الصبيانية إلا ويمكن للقلب البشري أن يذهب إليه ويفتخر به تحت ستر التدين .

« ويحبون المتكأ الأول في الولائم والمجالس الأولى في المجامع » (ع ٦) حباً في تقدير الناس لهم وتبجيلهم واحترامهم .

« والتحيات في الأسواق » (ع ٧) حباً في الشهرة .

« وأن يدعوهم الناس ، سيدي ، سيدي » حباً في النفوذ الديني . فان كنا مثلهم ننتظر اعتبار الناس لنا بسبب تقوانا ومعرفتنا لكلمة الله فاننا نكون مظهرين نفس الروح الذي كان فيهم ، وكلما حصلنا على ذلك احتقرنا سيدنا الذي كان مهاناً

من الناس وعلم تلاميذه أن يكونوا كذلك .

« وأما أنتم فلا تدعوا سيدى إلخ » فنرى أن الكرامة العالمية باسم التدين ممنوعة من الجهتين . فأولا لا يجوز أن نقبلها من الآخرين ، وثانياً لا يجوز أن نعطيها لهم . فقد قال الرب « لا تدعوا ولا تدعوا » لأن من يقبل كرامة كهذه يخون سيده الذى هو وحده المستحق لكل كرامة ومجد . ومن يكرم الآخرين بهذه الألقاب التى تخص الله بهيبته تعالى ، إذ أنه بذلك يضعهم فى منزلته . فليس لنا إلا سيد ومعلم واحد هو المسيح ، وأب واحد هو الآب السماوى ، ويكفينا أن نكرمهما كل الإكرام تاركين البشر جميعاً ، وخصوصاً ذواتنا فى التراب الذى هو الموضع اللائق بنا فى دائرة الأمور الروحية .

« فمن يرفع نفسه يتضع الخ » أى أن كل من خالف أقوال الرب هذه قابلا الاكرامات الدينية أو مقدماً إياها لغيره فسيوضع فى الحضيض ، وقت الدينونة .

ولا حاجة إلى القول هنا أن هذا الكلام لا دخل له بما يجب علينا من إكرام للحكام الذين أقامهم الله بعنايته . ولا بما نستعمله بروح اللطف من التسليمات والتحيات طبقاً لما تقتضيه اللياقة فى كل حال لأننا لسنا نقصد بها تقديم الإكرامات الدينية . فاننا يجب أن نكرم الجميع ولاسيما الملك (١ بط ٢ : ١٧) .

وأيضاً لا دخل لكلام الرب هنا بالكرامة الروحية المتبادلة بيننا والتى يجب أن نقدم بعضنا بعضاً فيها (رو ١٢ : ١٠) ، كما لا دخل له فى واجب تقديم الكرامة للذين يعملون عمل الرب بأمانة (فى ٢ : ٢٩ ، ١ تس ٥ : ١٣ ، ١ تى ٥ : ١٧) ، صحيح أنه ليس من واجبهم أن يطلبوها (١ تس ٢ : ٦) . ولكن من واجبنا نحن أن نقدمها لهم بطرق روحية لائقة وليس بكلام ملق أو ألقاب إكرامية تميزهم بها عن الاخرين . وهذا ما يجب علينا . وإذا قصرنا عنه فالمحتمل أن يكون السبب هو نفس الكبرياء التى لا تليق بنا كتلاميذ المسيح . وإن القلب ليميل من ذكر كل الإهانات التى قد حصلت بسببه

المخالفة لكلام الرب الذى نحن بصدده هنا . وإنى مرة أخرى أعيد قولى السابق أننا جميعاً فى تجربة أن نهين الاب والابن بتعظيم الانسان الذى قصدالله أنه لا يفتخر أمامه (١ كو ١ : ٢٩) . وإن افتخر إلى حين فلابد وأنه يرجع إلى التراب ويأكله الدود . نعم، ويكفى خزياً عند وقوفه أمامه تعالى للمحاسبة .

نداء الرب بالويلات على الكتبة والفريسيين

(ع ١٣ - ٣٦ ، مر ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ، لو ٢٠ : ٤٦ و ٤٧ مع ١١ : ٣٩ - ٥٢)

« ولكن ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس فلا يدخلون أنتم ولا تدعون الداخلين يدخلون » (ع ١٣) .

فى هذا الفصل الذى وصلنا اليه ينادى الرب بثمانية ويلات خطيرة على أولئك المعلمين الذين أضلوا شعبه وقادوهم إلى رفضه . كان قد أتاهم ببركات لا توصف ولم يكن فى قلبه من نحو إسرائيل سوى المحبة ولكنهم حولوه إلى قاض لهم . كان يحب فى بداءة خدمته الجهارية أن يقول طوبى لكم (ص ٥ : ٣ - ١١) ولكنه التزم أن ينهيها قائلا « ويل لكم » وفى ذلك مثال لمدة المناداة بالإنجيل أيضاً إذ أنها ابتدأت بالنعمة وستنتهى بالدينونة .

« أيها ... المراؤون » قال لهم هذا سبع مرات (ع ١٣ و ١٤ و ١٥ و ٢٣ و ٢٥ و ٢٧ و ٢٩) ومرتين قال لهم « أيها القادة العميان » (ع ١٦ و ٢٤) ومرتين « أيها الجهال والعميان » (١٧ و ١٩) ومرة « أيها الفريسى الأعمى » (ع ٢٦) ومرة « أيها الحيات أولاد الأفاعى » (ع ٣٣) فما أشد وطأة الدينونة !

« لأنكم تغلقون ملكوت السموات قدام الناس الخ » فالويل الأول لهم لأنهم أغلقوا ملكوت السموات قدام الذين كانوا تحت سطوتهم . والغلق مجاز يشير إلى ما عملوا مع الناس الذين كانوا يستمعون للمسيح بسرور (مر ١٢ : ٣٧) ليصدوهم عن الاستماع له .

لم يكن الملكوت قد فتح بعد . ولما فتح لم يقدر أولئك المقاومون أن يغلقوه حرفياً . غير أنهم قدروا أن يغلقوه معنوياً بمنع اسرائيل عن الدخول اليه. كان يكرز به من أيام يوحنا المعمدان فقاوموه قبل موت المسيح وبعده أيضاً .

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تأكلون بيوت الأرامل ولعلة تطيلون صلواتكم . لذلك تأخذون دينونة أعظم» (ع١٤) .

لم تكن لهم شفقة على الذين بحكمة الله السامية فى أعمال عنايته قد حرموا من حمايتهم الطبيعية . وصاروا محتاجين إلى من يقوم بالمطالبة بحقهم والدفاع عنهم ضد ظلم الآخرين (اش ٤ : ١) . وأما أولئك فمع كل تظاهرهم بالتقوى كانوا بسبب مطامعهم من أكبر الظالمين . واستغلوا مركزهم الدينى فى اختلاس أرزاق الأرامل ضداً للشريعة التى أمرت الجميع بالشفقة على مثل هؤلاء وبحفظ أنصبتهم فى أرض الرب . ولكن صلوات أولئك المرائين الطويلة لا تخفى خبثهم عن نظر الله ولا تنجيهم من دينونته .

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تطوفون البحر والبر لتكتسبوا دخيلا واحداً . ومتى حصل تصنعونه ابناً لجهنم أكثر منكم مضاعفاً » (ع ١٥) .

فى عملهم هذا نرى كيف أنه يمكن أن نغار غيرة شديدة على التبشير إيماننا مع أنه لم يعمل فينا نحن عملا صحيحاً منتجاً للأثمار المرضية لله وإذ ذاك يكون الدخلاء مثل الذين تلمذوهم لا بل وأشر إذ أنهم لم يتخلصوا من أضاليل دياناتهم العتيقة إلا فى الظاهر فقط وما استفادوا شيئاً من الجديدة إلا الرياء فقط . لكن لم يشمل هذا جميع الدخلاء بل كان منهم الأتقياء (أع ١٣ : ٤٣) .

« ويل لكم أيها القادة العميان القائلون من حلف بالهيكل فليس بشيء ولكن من حلف بذهب الهيكل يلتزم . أيها الجهال والعميان، أيما أعظم؟ الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب؟ ومن حلف بالمذبح فليس بشيء، ولكن من حلف بالقربان

الذى عليه يلتزم . أيها الجهال والعميان أيما أعظم القربان أم المذبح الذى يقدس القربان؟ فإن من حلف بالمذبح فقد حلف به وبكل ما عليه . ومن حلف بالهيكل فقد حلف به وبالساكن فيه . ومن حلف بالسماء فقد حلف بعرش الله وبالجالس عليه » (عدد ١٦-٢٢) . ينبغى على كل من يأخذ على عاتقه أمر تعليم الديانة أن يعلم الذمة أيضاً أى أن يخصص حقائق الديانة وأضوءها لضمائر الناس وأحوالهم عملياً . ومن ثم يحتاج إلى الحكمة والاختبارات الروحية التى لا يقدر أن يحصل عليها إلا بالسير مع الله . وكان من اختصاصات رئيس الكهنة أن يرشد إسرائيل ويحل لهم المشاكل المتعلقة بما يحل وما لا يحل بحسب كلمة الله (تث ١٧ : ٨-١٣ ، عز ٧ : ١٠) ولكن بعد انحطاطهم وخضوعهم للاجانب انهمك رؤساء الكهنة فى الأمور السياسية وتهييج الفتن مرة وإخمادها أخرى . فتارة يتآمرون على الدولة الرومانية وأخرى يطيعونها . وقلما همهم شىء من وظيفتهم السامية سوى شرفها فقط . فأصبح الشعب تحت قيادة الكتبة والفريسيين تماماً .

« أيها القادة العميان » (ع ١٦) لما وكل الأمر إلى الكتبة اخترعوا مبادىء فاسدة يتضح فسادها حالا لكل من له تمييز روحى فلذلك أشهرهم الرب ولقبهم بقادة عميان وجهال .

«أيما أعظم ، الذهب أم الهيكل الذى يقدس الذهب ؟ ... ، القربان أم المذبح الذى يقدس القربان ؟ » .

كان الحلف ممنوعاً وإنما أشار الرب إلى الحلف هنا لكى يبين جهالة المعلمين الذين ميزوا فى تعاليمهم للشعب بين الهيكل وذهبه وبين المذبح وقربانه .

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون والمراؤون لأنكم تعشرون النعنع والشبت والكمون وتركتم أثقل الناموس الحق الرحمة والإيمان . كان ينبغى أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك . أيها القادة العميان الذين يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل » (ع٢٣و٢٤) « تعشرون النعنع الخ» . كانوا مدققين فى بعض مطاليب الناموس

التى مارستها هينة وتركوا كل مايكلفهم نكران الذات . كان يجب عليهم أن يعشروا جميع محاصيل الأرض للاويين سنوياً (لا ٢٧ : ٣٠).

« وتركتم أثقل الناموس الخ » لأن الذى أمرهم بتلك العشور قال لهم أيضاً «تحب قريبك كنفسك» (لا ١٩ : ١٨) ولكنهم اهتموا بالعرض وأعرضوا عن الجوهر «يصفون عن البعوضة ويبلعون الجمل». كان الجمل أكبر الحيوانات النجسة عندهم (لا ١١ : ٤) والبعوضة أصغرها (لا ١١ : ٢٣) فكانوا معتادين فى غيرتهم الزائدة أن يصفوا مشروباتهم خوفاً من التنجس تبلع بعوضة ولكنهم لم يحتسبوا لأكبر علة تسبب النجاسة إن كانت مما يؤول الى تتميم أغراضهم الذاتية.

«ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تنقون خارج الكأس والصحفة وهما من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة . أيها الفريسى الأعمى نق أولا داخل الكأس والصحفة لكى يكون خارجهما أيضاً نقياً» (ع ٢٥ و ٢٦). يجب أن نكون أوانى نقية لله لا من الخارج فقط بل بالأولى من الداخل أيضاً «فوق كل تحفظ احفظ قلبك ، لأن منه مخارج الحياة » (أم ٤ : ٢٣) فالقلب المنقى بكلمة الله هو المصدر الوحيد للسلوك الطاهر . ولكن ليس من يقدر أن ينقى ويطهر داخل الانسان الا الله وحده . وان كانت أفكار القلب ونياته ليست منتظمة أمام الله فأعمالنا الظاهرة انها حسنة ليست سوى مكرهة عنده .

« من داخل مملوآن اختطافاً ودعارة» كان أولئك محمولين من الطمع فخطفوا أرزاق الأرامل وظلموا المساكين . وعندما نقرأ كلام الرب هذا علينا أن نتذكر الانذارات العديدة لنا كمسيحيين من جهة محبة المال التى هى أصل لكل الشرور .

« ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تشبهون قبوراً مبيضة تظهر من خارج جميلة وهى من داخل مملوءة عظام أموات وكل نجاسة . هكذا أنتم أيضاً من خارج تظهرون للناس أبراراً ولكنكم من داخل مشحونون رياء وإثماً » .

«تشبهون قبوراً مبيضة» . فى الفصل السابق ذكر الرب ظلمهم فى اكتساب

المال وذخارتهم أو تمتعهم بما اكتسبوه بالمقابلة مع تظاهرهم بالتقوى. وأما هنا فيشبههم بقبور قد حوت الموتى ولكن يد الأحياء قد بيضتها حتى تظهر جميلة لمن مر بها وتلهيه عن التفكر فى الحزن التى كانت قادرة أن تقصها عليه لو تأمل فى حقيقة الموت كما هى. هكذا كانت قلوب الكتبة والفريسيين وهكذا قلوبنا نحن أن كنا غير مولودين من فوق. فبهذا التشبيه يمثل حالتهم كغير متجددين فمهما اجتهدوا ليظهروا أبراراً للناس لم يزل الإثم الأصلى متنناً فى داخلهم لا بل أضافوا اليه الرياء بما عملوه لكى ينظرهم الناس (ع ٥).

ويل لكم أيها الكتبة والفريسيون المراؤون لأنكم تبنون قبور الأنبياء وتزينون مدافن الصديقين وتقولون لو كنا فى أيام آبائنا لما شاركناهم فى دم الأنبياء فأنتم تشهدون على أنفسكم أنكم أبناء قتلة الأنبياء فاملأوا أنتم مكيال آبائكم أيها الحيات أولاد الأفاعى كيف تهربون من دينونة جهنم؟ (ع ٢٩ - ٣٣). لقد أظهروا غاية الاحترام لعبيد الله الأمناء الذين أرسلهم ليشهدوا ضد شرور شعبه وقتلوا لأجل أمانتهم فى أيامهم وكان من الأمور الهينة لأولئك المرائين أن يزينوا قبورهم الصامتة التى لم يكن لها لسان لتوبخهم على إثمهم ولكن رفضهم المسيح وقتلهم اياه، واضطهادهم وقتلهم بعد ذلك لرسله وقديسيه شهد شهادة صريحة على أنهم أبناء قتلة الأنبياء. ولو كانوا فى أيام آبائهم لعملوا امثل آبائهم. معلوم انه من الأمور الهينة علينا أن نكتسب صيتنا كأتقياء عند العالم باظهارنا إعتبار الذكر الشهداء القدماء متظاهرين بأننا مثلهم مع أن سلوكنا ليس بمتصف بشيء من الأمانة التى امتازوا بها. وربما لو كنا فى أيامهم لكانت أيدينا عليهم قبل الكل لقتلهم.

« فاملأوا أنتم مكيال آبائكم » هذا مما يبرهن على أن الرب ينظر اليهم كأمة واحدة، وأن معاملات الله لهم تجرى معهم على اعتبار كونهم شعباً واحداً تحت مسئولية خاصة واحدة من أول تاريخهم إلى آخره. وكان قد عين لهم كأمة مقداراً من الصبر عليهم والاحتمال لهم يعبر عنه بمكيال فابتدأ الآباء يملأونه والأبناء يكملونه

لـكن كان الابناء أعظم ذنباً من الآباء إذ كان لهم نور أكثر . ومن ثم فلن يمكن أن ينجوا من دينونة جهنم . (انظر يو ٨ : ٢١) .

« لذلك ها أنا أرسل اليكم أنبياء وحكماء وكتبة فمنهم تقتلون وتصلبون ومنهم تجلدون فى مجامعكم وتطردون من مدينة إلى مدينة لـكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق إلى دم زكريا بن برخيا الذى قتلتموه بين الهيكل والمذبح . الحق أقول لـكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل » (ع ٣٤ — ٣٦) . بقوله « ها أنا أرسل إليكم أنبياء وحكماء وكتبة الخ » . يشير إلى إرساله رسله وخدامه الآخرين إلى اليهود ببشارة النعمة بعد يوم الخمسين (راجع ص٢٢ : ٦) فانهم أكملوا مكيال آبائهم برفضهم النعمة وقتلهم خدام العهد الجديد كما قتل آباؤهم خدام العهد القديم .

« لـكى يأتى عليكم كل دم زكى سفك على الأرض من دم هابيل الصديق » معلوم أن نسل إبرهيم لم يقتلوا هابيل البار ولـكن بقتلهم الأبرار المعاصرين لهم أظهروا أنهم من أولاد قايين لا بل أولاد إبليس الذى كان من البدء قتالا للناس . (انظر ١ يو ٣ : ١٢) فاذاً باستمرارهم على قتل جميع الذين شهدوا على أعمالهم الشريرة رغم وجود نور كلمة الله عندهم أصبحوا خلفاء قايين وورثة ذنبه بل خلفاء أو أبناء كل قتلة الأبرار والأنبياء (ع ٣١) .

« إلى دم زكريا بن برخيا » المرجح * أنه يشير إلى زكريا بن يهوياداع الذى قتلوه فى دار بيت الرب (٢ أى ٢٤ : ٢٠ - ٢٢) لقد قتلوا أنبياء كثيرين بعده . ولـكن الرب يذكر قتل هذا مع قتل هابيل الصديق لأنه عند موته قال « الرب ينظر ويطالب » كما قال الله لقايين « دم أخيك صارخ إلى من الأرض (تك ٤ : ١٠) .

(*) وقد يكون المقصود هو « زكريا » بن برخيا بن عدو النبى للربط بين هابيل كأول من قتل و « بن عدو » كآخر من قتل فى العهد القديم اذ قرر ترجوم اليهود أن « زكريا بن برخيا بن عدو » النبى « كان كاهناً أيضاً وأنه قتل فى بيت الرب » .

« الذى قتلتموه » يوحدهم مع آبائهم فى ارتكاب الجريمة لأنهم قد جروا بجرائم . كان هابيل ، وهو أول من قتل ، باراً ، وكان زكريا وهو آخر من قُتل نبياً . فاتصف اليهود بأنهم قتلة الأبرار والأنبياء .

كان زكريا كاهناً أيضاً . وقد تجاسروا وقتلوه بين الهيكل والمذبح أى فى مواجهة الله نفسه جل شأنه فكان ذكر موته فى ظروف كهذه فى مسامع أولئك المرائين فى غاية المناسبة لتحفزهم فى ذلك الوقت لقتل ابن الله ذاته .

« الحق أقول لكم أن هذا كله يأتى على هذا الجيل » يعنى أن الله مزمع أن ينتقم من أمة اليهود لأجل سفك كل الدم الزكى الذى سفك على الأرض ولا يخفى أنهم تحت قصاص خاص إلى الان . يجب أن نلاحظ أيضاً أن النظام المسيحى بالاسم المعبر عنه ببابل العظيمة عتيد ان يقع تحت هذا الحكم عينه (رؤ ١٨ : ٢٤) لأنه قد اشترك مع أورشليم فى خطاياها فيقاص بقصاصها .

الرب يرثى أورشليم

(ع ٣٧-٣٩ ، لو ١٣ : ٣٤ و ٣٥ قابل لو ١٩ : ٤١ و ٤٢)

« يا أورشليم يا أورشليم يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها ، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا؟ هوذا بيتكم يترك لكم خراباً لأنى أقول لكم أنكم لا ترونى من الآن حتى تقولوا مبارك الآتى باسم الرب » .

« هوذا بيتكم يترك لكم خراباً » الرب بهذه الكلمات الخطيرة يصرح بالحكم النهائى على أورشليم المدينة المحبوبة . كان قد بكى عليها عند إقباله اليها (لو ١٩ : ٤١ - ٤٤) ولكن الان قد صار وقت الحكم . على أنه يظهر لطفاً وحزناً لا مزيد عليهما . كان قد حضر اليها كمسيحها وإلهها وباللطف

الإلهى أراد أن يجمع أولادها (ص ١١ : ٢٨ - ٣٠) أى جميع أسباط إسرائيل اليه ويحميهم ويباركهم ، فرفضوه . ومن ثم فلابد أن تجرى الدينونة مجراها إلى أن يتوبوا ويصرخوا كما صرخ الأولاد الصغار فى الهيكل « مبارك الآتى باسم الرب » ، وحينئذ يظهر لهم ليباركهم بالبركات التى أنبأ بها الانبياء الذين سبق وقتلوهم . ولنلاحظ أن هذا النوع من المعاملة الإلهية هو نوع سياسى خاص بالأمة الإسرائيلية على الأرض ولا يطابق عمل نعمته معنا كأفراد فى خلاص نفوسنا .

الاصحاح الرابع والعشرون

النبوة بخراب الهيكل

(ع ١ و ٢ ، مر ١٣ : ١ و ٢ ، لو ٢١ : ٥ و ٦)

«ثم خرج يسوع ومضى من الهيكل . فتقدم تلاميذه لكى يروه أبنية الهيكل فقال لهم يسوع أما تنظرون جميع هذه ؟ الحق أقول لكم أنه لا يترك ههنا حجر على حجر لا ينقض» (ع ١ و ٢) قد صار ذلك الهيكل الجليل مغارة لصوص وتمكن فيه سلطان قتلة أنبياء الله فتركه الرب خراباً إذ لم يعد هو بيت أبيه بل بيتهم هم ، على أن قلوب التلاميذ لم تزل متعلقة به . ولما تقدموا إلى سيدهم لكى يروه أبنيته العظيمة عاد فأنبأهم بخرابه . ونرى فيهم كم هو شديد ذلك الميل الطبيعى فى قلب الإنسان الأبنية الدينية الفخمة والعبادة المصحوبة بالاحتفالات الجمهورية ! كان التلاميذ يحبون المسيح ولكنهم كانوا مفتخرين بالهيكل أيضاً . وما كان أقل تأثرهم بما قال المسيح سابقاً عن خرابه ! وكان من الأمور الجائزة لليهودى ، لا بل والواجب عليه أن يطلب سلام أورشليم ، والحضور إلى هيكل الله . ولكنه صار ضرورياً لتلاميذ المسيح المرفوض أن يكفوا عن أفكارهم القديمة اليهودية ويتعلقوا كل التعلق بمركزهم الجديد الذى هو شخص الرب الذى قام مقام الهيكل .

سؤال التلاميذ الثلاثى ورد المسيح عليهم بخلاصة للموضوع كله مع إشارة خاصة إلى «مبتدأ الأوجاع»

(ع ٣ — ١٤ ، مر ١٣ : ٣ — ١٥ ، لو ٢١ : ٧ — ١٦)

«وفيما هو جالس على جبل الزيتون ، تقدم إليه التلاميذ على انفراد قائلين قل لنا متى يكون هذا ؟ وماهى علامة مجيئك وانقضاء الدهر ؟» .

الآن قد انتبه التلاميذ إلى بعض كلمات الرب في شأن خراب الهيكل، وإتيانه ثانية. فسأله أربعة منهم (مر ١٣ : ٣) على انفراد ثلاثة أسئلة : الاول - متى يكون هذا ، أى خراب الهيكل. الثانى - ما هى علامة مجيئك؟ الثالث - ماهى علامة انقضاء الدهر ؟؟ فربطوا بين الثلاثة كأنها حادثة واحدة ذات ثلاثة أوجه .

ولا يخفى أن مرقس ولوقا يدرجان فقط السؤال الخاص بخراب الهيكل فينبغى أن لا نرتاب البتة بأن الوحى قد ألهم كل واحد من الثلاثة البشيرين في إدراج كل ما أدرج وفى عدم إدراج كل ما عدل عن إدراجه .

ولا يفوتنا أيضا أن المسيح لم يكلم التلاميذ فى هذا الفصل كمسيحيين بل كاسرائيليين إذ كانت كل أفكارهم يهودية متعلقة بالنظام القديم وانتظار الملكوت على الأرض ، لذلك نرى الرب يخاطبهم كمن يمثلون البقية الإسرائيلية التقية العتيدة أن تؤمن به بعد اختطاف الكنيسة .

« فأجاب يسوع وقال لهم انظروا لا يضلكم أحد . فان كثيرين سيأتون باسمى قائلين أنا هو المسيح ويضلون كثيرين وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب ، انظروا لا ترتاعوا ، لأنه لابد أن تكون هذه كلها . ولكن ليس المنتهى بعد ، لانه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن. ولكن هذه كلها مبتدأ الأوجاع . حينئذ يسلمونكم إلى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الامم لأجل اسمى. وحينئذ يعثر كثيرون ويسلمون بعضهم بعضا ويبغضون بعضهم بعضا . ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين . ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين . ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص ، ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتى المنتهى » (عدد ٤ — ١٤) .

كان الرب قد صرح بخراب مركز عبادة اليهود وزوال كل ما كانت قلوب التلاميذ متعلقة به على الأرض فأخذت كلماته الخطيرة توقظهم من الغفلة الشديدة .

وحملتهم على أن يطلبوا منه إيضاحاً أكثر لما نطق به باختصار . بل ونفس الظروف التى كانوا فيها جعلت تأثيراً زائداً لما سمعوا إذ كانوا جالسين على جبل الزيتون تجاه الهيكل المكشوف بكل جماله قدام نظرهم . إنى لا أقول أنهم فهموا معانى أسئلتهم لانه من الأمور الواضحة انهم لم يزالوا على غاية الجهالة قبل صعود الرب الى السماء وحلول الروح القدس . فشرع الرب يجيب على أسئلتهم ليس بحسب أفكارهم بل بحسب معرفته الكاملة كالنبى العظيم الذى أقامه الله لشعبه . ففى جوابه أول كل شيء يحذرهم من التزعزع عند حدوث الانقلابات العنيفة أن تقترن بتتميم هذه النبوات .

« أنظروا ، لا يضلكم أحد لان كثيرين سيأتون باسمى قائلين ، أنا هو المسيح ويضلون كثيرين » أى أنهم يتخذون كل واحد إسم المسيح مدعياً أنه هو المتنبأ عنه . وهذا تم جزئياً (١يو ٢ : ١٨) ، قبل خراب الهيكل وأورشليم فى سنة ٧٠ م على يد الجنود الرومانيين كما سيتم مستقبلاً فى الضد الأكبر المسيح أو المسيح الكذاب (١ يو ٤ : ٢٢ ، ٢ تس ٢ : ٦-٨) .

« وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب . انظروا لا ترتاعوا ، لانه لا بد أن تكون هذه كلها ، ولكن ليس المنتهى بعد » هذا ما سيكون بعد الاختطاف (رؤ ٦ : ٣-٤) . ولكن لا يخفى ان حوادث مكدرة كهذه صارت أيضاً ما بين صعود المسيح وخراب أورشليم عن يد الجنود الرومانيين .

« لا ترتاعوا لانه تقوم أمة على أمة ومملكة على مملكة . وتكون مجاعات وأوبئة وزلازل فى أماكن » هذا أيضاً سيكون بعد اختطاف الكنيسة (حجى ٢ : ٢٢ ، رؤ ٦ : ٥ و٦ و١٢) ولكنى أعود وأقول أنه من الامور المعروفة أن حوادث كهذه تمت أيضاً فى زمان خراب أورشليم على يد الرومان غير أن الرب هنا لا يذكر هذا الخراب صريحاً لانه انما ينظر هنا الى أحوال الامة اليهودية من ذلك الوقت الى نهاية تأديبات الله لها فى المستقبل . وأما فى لوقا فيذكر خراب أورشليم صريحاً مع

العلامة التى أعطيت لتدلهم على ذلك للفرار منها (لو ٢١: ٢٠ ـ ٢٤) . غير أننا لا نقدر أن نبحث الآن فى كلامه فى شأن هذا الموضوع ، لان الانفع لنا أن نتبع كلام كل من الثلاثة البشيرين فى محله الخاص .

« ولكن هذه كلها مبتدأ الاوجاع » أى للأمة اليهودية لان الله ابتدأ وقتئذ يؤدبها تأديبات خاصة لاجل رفضها المسيح إذ «غضب الملك وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم » (ص ٢٢: ٧) . ولكن لم ينته أمرهم بتلك الحادثة ولو أنها كانت عظيمة جداً كقول لوقا « ويقعون بفم السيف ويُسبون الى جميع الامم . وتكون أورشليم مدوسة من الامم حتى تكمل أزمنة الامم (لو ٢١: ٢٤). غير ان متى لا يذكر تشتتهم بين الامم ولا أزمنة الأمم لانه انما يتتبع الحوادث المتصلة بالهيكل وأورشليم . فبحسب قول هذا البشير قد ابتدأت أوجاعهم بخراب الهيكل ولكنها تنتهى بإقامة رجسة الخراب فيه فيما بعد كما سنرى .

« حينئذ يسلمونكم الى ضيق ويقتلونكم وتكونون مبغضين من جميع الامم لاجل اسمى وحينئذ يعثر كثيرون و يسلمون بعضهم بعضاً و يبغضون بعضهم بعضاً » سبق فحذرهم من جهة الاسباب التى من شأنها أن تزعزعهم من الخارج . وهنا ينبئهم عن حدوث أسباب مكدرة أخرى فيما بينهم فى الداخل إذ يعثر كثيرون منهم ويرتدون بسبب الاضطهادات العنيفة . ثم يبغضون الذين كانوا سالكين معهم قبلاً ويسلمونهم الى المجالس والحكام . (قابل هذا مع عب ١٠: ٢٥ــ ٣١) حيث نرى أن مَن تزعزع فى الايمان ترك الاجتماع وتحول الى خصم . وكما حدث هذا قبل الخراب السالف للهيكل هكذا سيحدث بعد اختطافنا فى زمان المسيح الكذاب .

« ويقوم أنبياء كذبة كثيرون ويضلون كثيرين » الانبياء الكذبة هنا هم المعلمون المضلون وليسوا هم القائلين أنا هو المسيح ، المشار اليهم فى ع ٥ .

«ولكثرة الإثم تبرد محبة الكثيرين » نرى فى أع ٢١: ٢٠ و٢١ ان ربوات من اليهود اعترفوا بالمسيح وكانوا لا يزالون غيورين للناموس ولما طال الوقت

وتكاثرت الضيقات على أمتهم ولم يروا نجاة تزعزع كثيرون منهم وبردت محبتهم للمسيح وارتدوا عنه لان قلوبهم كانت متعلقة بالارض ولم يعرفوا المسيح المرتفع الى المجد ولا دعوة المؤمنين به وقت غيابه فكانت حالتهم كالمزروع فى الاماكن المحجرة الذى جف عند خيبة الآمال الجسدية (ص١٣: ٢٠و٢١) . هكذا صار عند خراب الهيكل وأورشليم فى ذلك الوقت ، وهكذا سيصير أيضاً فى المستقبل (دا ١٢: ١٠) لانه ينبغى أن نلاحظ كل الملاحظة ان كلام الرب هنا يماثل كلامه فى ص١٠ حيث رأينا انه ابتدأ بما ناسب ارسالية التلاميذ أولاً ثم تقدم إلى ذكر ما يتم لأمثالهم عند المنتهى .

« ولكن الذى يصبر إلى المنتهى فهذا يخلص » راجع ص ١٠ : ٢٢ . لفظة «المنتهى» تذكر بالارتباط مع تاريخ اسرائيل. فهى تشير إلى وقت معين ومعروف فى تاريخ اسرائيل . فلا يجوز لنا أن نحيد عن معناها هذا . صحيح ان المبدأ الذى تتضمنه العبارة كلها يناسب المعترفين باسمه فى كل زمان من حيث الثبات على اعترافهم خصوصاً فى وقت الضيق والاضطهاد. فكان يجب على جميع التلاميذ الاسرائيليين أن يحتملوا الضيقات المتعلقة بانقلاب نظامهم القديم. فان كل من ارتد فى هذه الظروف عن الايمان المسيحى برهن على انه تلميذ بالاسم فقط ولم تبق له سوى الدينونة المخيفة (انظر عب ٦ : ٤ ـ ٨، ١٠: ٢٦ـ٣١) . ومع ان ذلك كله صحيح الا انى أقول ان الرب يشير بكلمة « المنتهى » الى منتهى أوجاع اسرائيل كأمة ، ونجاة البقية التقية الثابتة إلى أن يظهر هو بالقوة لينقذهم. ونراه هنا ينتقل بنا من الأحوال التى اتصف بها خراب الهيكل وأورشليم سابقاً عن يد الرومانيين إلى أحوال اخرى نظيرها فى المستقبل .

« ويكرز ببشارة الملكوت هذه فى كل المسكونة شهادة لجميع الأمم . ثم يأتى المنتهى » . بشارة الملكوت هى المناداة بسيادة المسيح . لاشك انه يجب أن ننادى بذلك فى كل حين (اع ٢٠: ٢٥) ولكنه مذكور هنا بالارتباط مع الكرازة بعد

اختطاف الكنيسة إلى جميع الأمم شهادة لهم قبل المنتهى . والكرازة بهذه البشارة الملكية ستتم على يد أمناء اليهود فى ذلك الوقت (رو ١٤:٦و٧)

« ثم يأتى المنتهى » لنلاحظ جيداً أن خراب أورشليم قديماً لم يكن هو المنتهى بل مبتدأ أوجاع اسرائيل . وهنا أشار الرب الى ذلك قال صريحاً « ولكن ليس المنتهى بعد » (ع ٦) وكذلك فى مر ١٣:٧ ولو ٢١:٩ . انى معتقد بأن خرابها عن يد تيطس القائد الرومانى كان حادثة عظيمة الأهمية فى طرق الله مع اسرائيل، ولكنه لم يكن الكل . معلوم أن ذلك القائد الشهير لم يقصد حرق الهيكل ولكن الله قصده وأكمله رغماً عن اجتهاد تيطس فى تلافيه لأنه تعالى اراد أن يتمم القول « لا يترك حجر على حجر لا ينقض » . وإن قيل أن تلك الحادثة هي المنتهى . فيا ترى منتهى أي شيء؟ لانها لا أنهت أوجاع أمة اسرائيل ولا أنهت الاضطهادات التى كانت على المسيحيين فان هذه الاضطهادات للمسيحيين قد تكاثرت جداً بعد خراب أورشليم إلى وقت الامبراطور قسطنطين فى بداءة القرن الرابع . واما تلك الأوجاع للأمة الاسرائيلية فلا زالت باقية الى الآن .

رد المسيح على سؤالهم « متى يكون هذا ؟ » باشارته

إلى « الضيقة العظيمة » أو « الوحش والنبي الكذاب »

(ع ١٥ — ٢٦ ، مر ١٣ : ١٤ — ٢٣)

« فمتى نظرتم رجسة الخراب التى قال عنها دانيال النبي قائمة فى المكان المقدس . ليفهم القارىء . فحينئذ ليهرب الذين فى اليهودية إلى الجبال . والذى على السطح فلا ينزل ليأخذ من بيته شيئاً . والذى فى الحقل فلا يرجع إلى ورائه ليأخذ ثيابه . وويل للحبالى والمرضعات فى تلك الأيام . وصلوا لكى لا يكون هربكم فى شتاء ولا فى سبت . لانه يكون حينئذ ضيق عظيم لم يكن مثله منذ ابتداء العالم إلى الآن

ولن يكون . ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد ولـكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » (ع ١٥ ـ ٢٢).

« فمتى نظرتم رجسة الخراب » انه من الحقائق المؤكدة ان الرب فى هذا الفصل يشير إلى الحوادث التي ستتم فى وقت المنتهى أى فى النصف الأخير للأسبوع النبوى الذى تنبأ عنه دانيال. ورجسة الخراب عبارة عن اقامة عبادة الأصنام فى الهيكل الذى سيبنيه اليهود بعد رجوعهم الى أرضهم (٢تس٢:٣و٤ ، رؤ١١:١و٢) والرجسة هى العبادة الصنمية . وتضاف اليها هنا لفظة الخراب لانها هى التى توجب الخراب . لا أقدر أن أبحث فى نبوات دانيال فى شأن هذا الموضوع لان ذلك يقتضى وقتاً طويلاً . غير انى اقول انه واضح من كلامه فى ص ٩: ٢٤ـ٢٧ ان الله قضى على شعبه مدة معينة قبل أن يحصلوا على البركة والراحة. ونرى إن الأهمية العظمى هى لقطع مسيحهم دون ان يأخذ شيئاً من المملكة على الارض و بذلك تم تسعة وستون أسبوعاً من المدة المذكورة و بقى أسبوع واحد عبارة عن سبع سنين . ثم يذكر النبي فى ع ٢٦ خراب المدينة والقدس أى الهيكل، الخراب الذى صار بواسطة الرومانيين و بعد ذلك يشير إلى مدة غير محدودة تتصف بحروب وخرب. ثم فى ع٢٧ يشير الى «رئيس آت» ولاشك عندى انه الوحش الذى سبق وأشار اليه هو نفسه فى ص٧ ، وهو الوحش المتنبأ عنه فى سفر الرؤيا (ص١٣) وعند اتيانه الى اليهود يكون عهد بينه و بينهم لمدة أسبوع واحد أى سبع سنين . وهذا هو الاسبوع الباقى من السبعين أسبوعاً الأصلية . وفى نصف هـذه المدة يبطل الرئيس الآتى الذبيحة والتقدمة أى عبادة اليهود الطقسية لله فى هيكلهم ويقيم بدلها عبادة الاصنام، وفى نهايته يكون ظهور المسيح لبركتهم الابدية (دا ٩: ٢٤ ، ١٢: ٧).

قد قال البعض ان قول الرب عن رجسة الخراب فى المكان المقدس يشير إلى حضور الجنود الرومانية الى اورشليم والهيكل تحت قيادة تيطس المذكور آنفاً وان الراية

الرومانية التى كانت تحمل صورة النسور هى الرجسة. فلما نظرها المسيحيون فى المكان المقدس أخذوها علامة للفرار من المدينة . فأقول :

أولاً — ان احاطة اورشليم بالجيوش (لو ٢١ : ٢٠) كانت هي العلامة للمؤمنين فى ذلك الوقت لا إقامة رجسة الخراب فى الهيكل أو فى المكان المقدس . معلوم ان القائد الرومانى حاصر أورشليم أولاً . ثم بلغه الخبر بفتنة حدثت فى جهة اخرى. فالتزم أن يتنحى عن أورشليم الى حين فسحب الجيش ليخمد الفتنة . فعند ذلك انتهز جميع المسيحيين الفرصة للفرار اذ عرفوا من كلام الرب ان احاطة المدينة علامة اقتراب خرابها. واما اليهود الغير المؤمنين فاستنتجوا خلاف ذلك تماماً اذ ظنوا أن الرومانيين قد ارتدوا عنهم خوفاً ولا يتجاسرون على الرجوع . فمكثوا فى المدينة معتزين ومفتخرين بقوتهم ولم يمض زمان طويل حتى رجع تيطس وحاصرهم ولم ينفك عنهم حتى أكمل عمله .

ثانياً — ظهور الراية الرومانية خارج أورشليم أو داخلها لم يكن من الأمور الغريبة لليهود حتى يعد علامة . لان الرومانيين كانوا قد فتحوا أورشليم واليهودية من زمان، وكان بيلاطس الوالى الرومانى هناك وقت المسيح ، وهو الذى حكم عليه بالموت . وكان عنده جيش رومانى داخل المدينة مع أعلامهم المعروفة بعلامة النسور الرومانية. وكثيراً ماقام اليهود ضد هذه الدولة لكى يتخلصوا من سلطتها ولم يقدروا وكان عصيانهم هو السبب الذى أوجب حضور تيطس فى الوقت الذى نتكلم عنه.

ثالثاً — الراية الرومانية لم تقم فى المكان المقدس الذى هو الهيكل وقت مجىء تيطس. لأنه فتح ثغرة فى سور المدينة بعد قتال عنيف جداً . وظل اليهود يقاومونه أشد مقاومة ولما ارتد بعضهم إلى الهيكل مدافعين عنه ببسالة تشبه الجنون أخذ بعض أفراد الجيش الرومانى يشعلونه بالنار ضد أوامر قائدهم الذى كان قد أصدر أمراً مشدداً بحفظه كزينة أو تحفة بحسب عادة الرومانيين . فلما بلغه انه يحترق سعى لا نقاذه ولم يقدر فاذاً الراية الرومانية لم تظهر فى المكان المقدس كعلامة لتلاميذ المسيح وليست

هى رجسة الخراب التى بحسب قيامها فى المكان المقدس علامة للفرار من المدينة . لوقا يشير إلى هروب المسيحيين قبل حضور تيطس (لو ٢١ : ٢٠ ـ ٢٣) . وأما متى فيذكر هروباً آخر عند المنتهى. ولوقا يقول عن ذلك الوقت « انه يكون ضيق عظيم على الأرض وسخط على هذا الشعب » وكان كذلك . ولكنه لا يقول كمتى أنه « ضيق عظيم لم يكن مثله ولن يكون » لايخفى انهما كلاهما يستعملان كلاماً واحداً فى بعض الحوادث . ولكن يوجد بعض اختلافات مهمة بينهما نفعل حسناً اذا انتبهنا اليها. فيتفقان فى مايدل على الهروب بعجل ، وعلى الويل للذين أعاقهم سبب من الأسباب . ولكن متى ومرقس أيضاً يذكران بعض ألفاظ لا تناسب الا هروب اليهود الأتقياء زمان الوحش والنبى الكذاب فلنلاحظ خصوصاً مايتصف به الضيق انه « لم يكن مثله منذ ابتداء العالم ولن يكون » ونقابله مع دا ١٢ : ١ فانه يظهر أن النبى دانيال يتكلم عن الضيق الأخير لشعبه ، ولكنهم سينجون فان ميخائيل الرئيس العظيم يقوم لأجلهم . فالواضح

أولاً — ان هذا لم يتم وقت خراب أورشليم على يد تيطس . لأن شعب دانيال لم ينج فى ذلك الوقت بل أسلموا الى أيدى أعدائهم تماماً ولا يزالون هكذا الى الآن .

ثانياً — الضيق المذكور فريد لم يكن مثله بحسب دانيال وقد أضاف الوحى إلى ذلك فى متى ومرقس « ولن يكون » . فالضيق الذى من هذا القبيل لا يحدث إلا مرة واحدة . وفضلاً عن ذلك يقرن الوحى معه خلاص اسرائيل منه فى جميع المواضع التى يرد فيها هذا الكلام بعد اجتيازه فيه ١٢٦٠ يوماً (دا ١٢ : ٧ ، رؤ ١١ : ٢ و٣ ، و١٣ : ٥) . انظر ايضاً قوله « آه. لأن ذلك اليوم عظيم وليس مثله وهو وقت ضيق على يعقوب ولكنه سيخلص منه . ويكون فى ذلك اليوم ، يقول رب الجنود ، انى اكسر نيره عن عنقك واقطع ربطك ولا يستعبدك بعد الغرباء » (قابل ار ٣٠ : ٥ ـ ٨ مع زك ١٤ : ٢ و٣) .

« ولو لم تقصر تلك الأيام لم يخلص جسد. ولكن لأجل المختارين تقصر تلك الأيام » تقصير أيام ضيق اسرائيل يصير بحسب قصد الله إذ يحصره في الوقت المحدد له وهو ثلاث سنين ونصف. لأنه لو طالت مدة الضربات العتيدة أن تنسكب عليهم لا يمكن أن يبقى أحد حياً. ولا حاجة لى أن اقول للقارىء المسيحى ان قول الرب « لم يخلص جسد » لا يعنى خلاص النفوس ولا مدخل له فى حالتنا نحن كمسيحيين الآن لأن الضيق هو نصيبنا للموجود وهو نافع جداً لنا روحياً (أنظر يو ١٦:٣٣، رو ٥:٣، ٢ كو ٤:١١، ١ بط ٤:١٢-١٩، ٥:٨-١٠). فهو إذاً يخص اسرائيل فى ظروفه الأرضية، فى زمانه العتيد.

« ولكن لاجل المختارين تقصر تلك الأيام». المختارون هنا هم أتقياء اليهود الذين فى ذلك الوقت سيرفضون السجود للوحش والنبى الكذاب. فالواضح ان كل من يفسر نبوة الرب هذه ويطلقها على الكنيسة المسيحية فهو لم يتعلم بعد ماهى دعوتنا الخاصة من حيث اننا قد صرنا متحدين مع المسيح فى المجد ودعينا الى الذهاب اليه هناك. فالحروب وأخبار الحروب والحوادث التى تدل على اقتراب المنتهى والهرب فى شتاء أو فى سبت، والوعد بتقصير أيام الضيق العظيم المتنبأ عنه، هذه وكل ماشاكلها، ليست لنا كمسيحيين، لاننا ننتظر الرب من السماء ليأخذنا اليه، ومهما حدث لنا من الضيق انما ينقينا روحياً ولا يستطيع أن يقطع سبيلنا أو يحرمنا من نصيبنا.

« حينئذ ان قال لكم أحد هوذا المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا. لانه سيقوم مسحاء كذبة وأنبياء كذبة ويعطون آيات عظيمة وعجائب حتى يضلوا لو أمكن المختارين أيضاً. هاأنا قد سبقت واخبرتكم. فان قالوا لكم هاهو فى البرية فلا تخرجوا. هاهو فى المخادع فلا تصدقوا » ع ٢٣ - ٢٦. حينئذ أى قبيل المنتهى حين يكون اليهود منتظرين حضور مسيحهم تعظم بينهم قوة الشيطان للغش والخداع فانهم يكونون فى تجربة شديدة أن يقبلوا من يأتيهم مدعياً انه هو المتنبأ عنه، الذى

ينقذهم من شدائدهم ويريحهم من أعدائهم. سيقوم بينهم غواة كثيرون . ويجب أن نلاحظ كلام الرب عنهم انهم يعطون آيات عظيمة وعجائب. لاشك ان واحداً منهم سينجح أخيراً ويفوق جميع رفقائه ويفوز بالقبول عند جميع اليهود عدا المختارين الذين سيحفظهم الله . وأما من جهة الآيات العظيمة والعجائب التى ستجرى بقوة الشيطان في ذلك الوقت. فانظر ٢ تس ٢ : ٩ ورؤ ١٣: ١٣-١٦ و١٩: ٢٠ وان قيل ان هذا قد تم فى المضلين الذين قاموا بين اليهود قبل خراب اورشليم. اقول لا. لانه لم يرد عنهم ان واحداً منهم صنع آيات عظيمة وعجائب. راجع كلام الرب عنهم (ع ٥) فانه لا ينسب لهم صنع العجائب ولا يلقبهم مسحاء كذبة مع أن كثيرين ادعوا بأنهم مسيح اليهود. لاشك انهم سببوا تزعزعاً. وكان المؤمنون فى تجربة أن يرتاعوا وكثيرون من اليهود الغير المؤمنين قد انخدعوا بهم وهاجوا ضد الرومانيين لهلاك ذواتهم. ولكن القوة الشيطانية لصنع العجائب لم تظهر عن يدهم .

«ها أنا سبقت وأخبرتكم» سيكون البعض من اليهود فى أيام المسيح الكذاب متمسكين بكلمة الله وشهادة يسوع المسيح (رؤ ٦: ٩، ١٢: ١٧) وهؤلاء فى ذلك الوقت سيعتبرون أقوال المسيح النبوية هذه مساعدة على حفظهم من أضاليل الشيطان التى ستعظم إلى هذا المقدار حتى انها تضل المختارين لو أمكن .

فائدة: مدة السبع السنين المذكورة فى النبوات حين يكون اليهود فى أرضهم تنقسم إلى نصفين يتميز أحدهما عن الآخر ففى نصفها الأول تكون شهادة فى أورشليم ومدن اسرائيل من اليهود الأتقياء المتمسكين بأقوال الوحى والذين لم ينقادوا للكفر المستولى على الآخرين على يد المسيح الكذاب فيكون عليهم اضطهاد ويقتل أناس منهم وأما عند بداءة النصف الثانى فيتمكن سلطان الوحش والنبى الكذاب وحينئذ تنتهى هذه الشهادة العامة بفرار المختارين من أورشليم واختبائهم (أنظر رؤ ص ١٢) حيث يعبر عنهم بالمرأة التى ستهرب ثلاث سنين ونصف من وجه الاضطهاد الشديد . وهؤلاء يكونون هم الأمة الاسرائيلية حقيقة أمام الله وليس الآخرون

سوى جثة (ع ٢٨) ولكن فى هذه المدة نفسها تكون شهادة أخرى فى أورشليم (ع ١٠—١٣) عن يد الشاهدين اللذين سيحفظهما الله كما حفظ موسى فى مصر وايليا النبى فى اسرائيل وتكون شهادتهما شهادة ممتازة إذ انهما يقفان أمام رب الأرض ويشهدان ضد اليهود والنصارى الذين سيكونون جميعاً وقتئذ فى حالة الارتداد والعداوة للوحش والنبى الكذاب ويزدادون فى الشر إلى أن يكملوا إثمهم بقتل الشاهدين وحينئذ يظهر الرب (رؤ ١١ :١—١٨) .

ردّ المسيح على سؤالهم
« ما هي علامة مجيئك ، وانقضاء الدهر ؟ »
(ع ٢٧— ٣١ ، مر ١٣ : ٢٤ — ٣٧ ، لو ٢١ : ٢٥ — ٣٦)

« لأنه كما أن البرق يخرج من المشارق ويظهر إلى المغارب هكذا يكون ايضاً مجيء ابن الانسان. لأنه حيثما تكن الجثة فهناك تجتمع النسور » (ع ٢٧و ٢٨) .

لايخفى أن أتقياء اليهود يكونون منتظرين حضور المسيح اليهم بحسب النبوات القديمة التى تذكر وقوف قدميه على جبل الزيتون وضربه أعداءهم وإنقاذ أورشليم (زك ١٤ :٣—١١ ، أع ١ :٩—١٢) فيحتاجون غاية الاحتياج إلى إنذارات كهذه لكى لا يصدقوا من قال ها هو قد حضر فى البرية أو فى المخادع لأنه ينبغى لهم ان يتعلموا جيداً انه يقدم عليهم من السماء مثل البرق أى علناً (لا سراً كما فى اختطاف المؤمنين) فلذلك يثبتون على ايمانهم إلى أن يظهر لهم بغتة من السماء . وعندئذ يضرب أعداءهم بغتة .

« لأنه حيثما تكون الجثة فهناك تجتمع النسور » فستكون ضرباته كانقضاض النسور على الجثة . والجثة عبارة عن الأمة خصوصاً الأمة اليهودية المذنبة، والنسور كناية عن ضربات الله وأدوات نقمته المغيرة عليهم، فهو إذاً لن يخطىء الهدف. (أنظر ع ٤٠ و ٤١). فان دينونته ستكون من الدقة بحيث تميز بين أكثر الناس قرباً

والتصاقاً لبعضهم غير أن الرب لم يصل بعد فى كلامه إلى موضوع مجيئه فانه انما أشار اليـه هنا باختصار ليخبرهم بكيفيته متى جاء لكى يصونهم من ضلال انتظاره على كيفية أخرى .

« وللوقت بعد ضيق تلك الأيام تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع . وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء . وحينئذ تنوح جميع قبائل الارض ويبصرون ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير » (ع ٢٩ و٣٠) .

« وللوقت بعد ضيق تلك الايام » هذا مما يؤيد أن الضيق العظيم الفريد المتنبأ عنه هو مستقبل بعد ويحصل قبل ظهور المسيح علانية . وان قال قائل ان الضيق المذكور قد أصاب اليهود وقت حصار أورشليم من الجيش الرومانى فانى أسأله : وماذا صار للوقت بعد ضيق تلك الايام ؟ لأنه من الأمور المؤكدة كل التأكيد ان العلامات المذكورة هنا لم تحصل ، لا بل ومجىء الرب نفسه بقوة ومجد كثير لم يحصل حالاً بعد ذلك الضيق . فمن جهة اليهود انما كانت تلك الحادثة لهم مبتدأ الأوجاع ، والمسيحيون لم يكونوا فى أورشليم وقت الحصار الاخير البتة كما قد رأينا . وإن قيل أن هذا الكلام الخطير عبارة عن انقلاب النظام اليهودى وانتصار تيطس على أورشليم فلا يليق بنا أن نحسب قولاً كهذا إلا من الأقوال الصبيانية التى تنتج عن الجهالة وتضع من شأن الوحى وتقود الناس إلى الاستخفاف به .

« تظلم الشمس والقمر لا يعطى ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوات السموات تتزعزع » هذه العلامات تسبق ظهور المسيح بقليل . قابل هذا مع كلام الرسول بطرس الذى اقتبسه من نبوة يوئيل النبى عن انسكاب الروح القدس ، وحصول تلك العلامات قبل يوم الرب العظيم الشهير الذى هو ظهور المسيح بقوة ومجد كثير من السماء (أع ٢ : ١٧ — ٢١ ، رؤ ١٩ : ١١ — ١٦) . وأما من جهة الروح القدس فقد انسكب يوم الخمسين . ولكن لم تحصل تلك العلامات لأنه انما انسكب فى ذلك

الوقت لكى يبتدىء وقت النعمة أى الوقت المقبول الذى فيه كل من يدعو باسم الرب يخلص ولكن بعد اختطاف الكنيسة بسبع سنين أى عند ظهور الرب تحصل تلك العلامات ثم ينسكب الروح القدس على الباقين وهم الأتقياء لجمعهم كالحنطة إلى المخزن .

ولقد وردت فى النبوات شهادات أخرى كثيرة من جهة العلامات العتيدة أن تحدث فى الاجرام السماوية عند رجوع الرب لكى يتبوأ عرشه فى ملكوته فينبغى أن نقبلها ببساطة ولا نصغى دقيقة واحدة للاعتراضات الكفرية المبنية على علم النجوم التى فحواها أن خالق السموات والارض لا يستطيع أن يزعزعهن إذا شاء ذلك. ربما يقول قائل أنه من الامور الممكنة أن الشمس تظلم والقمر لا يعطى ضوءه ولكن كيف تسقط النجوم بدون أن يخرب الكون؟ ليلاحظ القارىء المسيحى أن من اعترض اعتراضات كهذه يهتم كثيراً جداً بحفظ الكون على ترتيبه الحالى وتراه كأنه تكلف بهذه الوظيفة السامية (أنظر ٢ بط ٣: ٣—٥). ولكنه لايليق بنا أن نضطرب من كلام الذين يعتبرون العلوم الكاذبة الاسم أكثر من كلمة الله . فانه هو سبحانه وتعالى الذى «يحصى عدد الكواكب. يدعو كلها بأسماء. عظيم هو ربنا وعظيم القوة. لفهمه لا إحصاء» (مز ١٤٧: ٤و٥) فكل ما سبق وأنبأ به لا بد أن يتممه، ومع ذلك يظل محافظاً على أعمال يديه. نحن لا نشك فى وجود كلام مجازى فى كلمة الله ، ولكنى لا أرى مجازاً فى ما ورد من جهة العلامات التى ستسبق ظهور الرب بقوة ومجد كثير. وفى الحقيقة حضوره هكذا هو من أعجب الأعمال.

«وحينئذ تظهر علامة ابن الانسان فى السماء» المحتمل أن علامة ابن الانسان هى شعاع مجده (ع ٢٧) فانه سيأتى حينئذ كشمس البر (ملا ٤: ٢) وكما كان يونان آية أو علامة لأهل نينوى بخروجه لهم من بطن الحوت بعد طرحه فى أعماق البحر هكذا سيكون المسيح آية أو علامة لاسرائيل والعالم الذين صلبوه فى مفاجأتهم

بظهوره لهم حياً من السماء . وكان ما جاء فى الأعداد من ٢٧ — ٣٠ هو رده على سؤالهم ، ما هى علامة مجيئك ؟

«وحينئذ تنوح جميع قبائل الارض ويبصرون ابن الانسان آتياً على سحاب السماء بقوة ومجد كثير» «هوذا يأتى مع السحاب وستنظره كل عين والذين طعنوه وينوح عليه جميع قبائل الارض» (رؤ ١ : ٧ أنظر أيضاً مز ٥ : ١ — ٦) وشهادات أخرى كثيرة لا أقدر ان أدرجها . ونرى هنا الفرق العظيم بين مجيء الرب سراً لنا نحن المسيحيين كرجائنا المبارك ليأخذنا اليه وبين ظهوره علناً كابن الانسان لجميع قبائل الارض فانه فى هذا الظهور يقدم على البشر بغتة وهم فى كل إثمهم ضده، وأما نحن فيجيئنا أولاً ونحن فى انتظار قدومه الينا وفى غاية الشوق للقائه وقد لقننا الروح القدس أن نقول له « تعال ، أيها الرب يسوع » .

« فيرسل ملائكته ببوق عظيم الصوت فيجمعون مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء السموات إلى أقصائها » .

مختاروه هنا هم المختارون من أسباط اسرائيل (رؤ ١٢ : ١ و ٦ ، ٧ : ١ — ٨) الذين سيجمعهم بعد ظهوره . لا شك أنه يزمع أن يجرى أعمالاً أخرى ليست مذكورة هنا . لأنه بنبوته هذه انما يشير بصفة خاصة إلى ما يختص باسرائيل «ويكون فى ذلك اليوم انه يضرب ببوق عظيم فيأتى التائهون فى أرض أشور والمنفيون فى أرض مصر ويسجدون للرب فى الجبل المقدس فى أورشليم» (أش ١٣ : ١٣ ، ٦٦ : ١٩ — ٢١ ، حز ٢٠ : ٣٤ — ٣٨) هذا من جهة جمع أسباط اسرائيل لا بل البقية منهم لكى يتمتعوا بالبركات الأرضية تحت ملك المسيح .

واذا قابلنا كلام الوحى الوارد فى شأن ذلك نرى أنه يختلف اختلافاً عظيماً عما ورد فى موضوع انتظارنا الرب ليقيم الراقدين فيه ويخطفنا نحن الأحياء اليه لكى نكون معه ومثله فى المجد . (انظر ١ تس ٤ : ١٥ — ١٨) على أن هذا ليس مجال البحث بتدقيق فى اختطاف الكنيسة ، ولا فى جمع أسباط اسرائيل وحالتهم فى مدة الألف السنة ،

مثل شجرة التين

(ع ٣٢—٣٥ ، مر ١٣: ٢٨—٣١ ، لو ٢١: ٢٩—٣٣)

« فمن شجرة التين تعلّموا المثل متى صار غصنها رخصاً وأخرجت أوراقها تعلمون أن الصيف قريب . هكذا أنتم أيضاً متى رأيتم هذا كله فاعلموا أنه قريب على الابواب . الحق أقول لكم لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله . السماء والارض تزولان ولكن كلامى لا يزول » .

لنلاحظ أن الرب لم يقل من شجرة التين تعلموا مثلاً ، بل « المثل » لأن شجرة التين هى المثل المعروف المختص بأمة اسرائيل التى قد يبست بحكم الرب كل هذه الاجيال . والصيف هو وقت الحصاد (رؤ ١٤: ١٤—١٦) . والبيدر يسبّر به عن وقت الدينونة ، فاذاً متى ابتدأت هذه الأمة تحيا وتنهض من حالة الذل يكون ذلك دلالة على اقتراب الضيق العظيم الذى قد سبق ذكره . فبعد رجوعهم الى أرضهم يكونون فى تجربة عظيمة أن يفتخروا ظانين أن وقت راحتهم قد حان ويعتمدوا على عهدهم مع الوحش المقتدر ، ولكنه لا يفى بعهده بل ينقضه فى نصف الاسبوع ويزيدهم ضيقاً (أنظر أش١٨: ٤-٦ ، ٢٨: ١٤-٢٢ ، دا ٩: ٢٧ ، يؤ ٣: ٩-١٧) هذه مع شهادات أخرى كثيرة جداً تذكر صريحاً ما سيصيب اليهود بعد رجوعهم الى أرضهم وبالتحديد ما بين اختطاف الكنيسة وظهور المسيح . لاحظ أيضاً أن مثل التينة ليس مذكوراً فى الكلام عما اختص بخراب أورشليم عن يد الرومانيين لأنه لم يكن مناسباً لحالتهم وقتئذ إذ أنهم لم يكونوا بعد قد تفرقوا من بلادهم ولا صاروا كتينة يابسة تماماً .

« لا يمضى هذا الجيل حتى يكون هذا كله » يقصد أن الجيل أو الجنس اليهودى لا يتلاشى بل يظل محفوظاً بعناية الله الى أن يتم كلام الرب هذا . لا يخفى أنه قد قيل أن الرب انما يشير بهذا الجيل الى أهل ذلك العصر قاصداً أن الموجودين وقتئذ يبقون الى خراب أورشليم العتيد أن يتم بعد ذلك بنحو أربعين سنة . فأقول :

أولاً — ان لفظة جيل بمعنى جنس قد وردت فى الكتاب (أنظر تث ٣٢ : ٥ و ٢٠ ، مز ١٢ : ٧) وفى هذا الانجيل نفسه ١١ : ١٦ ، ١٢ : ٤٥ ، ٢٣ : ٣٥ و ٣٦ .

ثانياً — يتضح من قرائن الكلام أن المقصود بها هنا الجنس الإسرائيلى إذ يقول « لا يمضى هذا الجيل أى لا ينقرض هذا الجنس حتى يكون هذا كله » وقوله « هذا كله » يشمل كل ما سبق وذكره فى هذا الاصحاح ، وكله متعلق بالجنس الإسرائيلى حتى إتيان المسيح اليهم من السماء كابن الانسان على السحاب بقوة ومجد كثير .

ثالثاً — قوله « السماء والأرض تزولان ولكن كلامى لا يزول » يؤيد هذا المعنى . قابل هذا مع كلامه الخطير فى حفظه شعبه من اللاشاة رغماً عن التأديبات الشديدة المستطيلة « هكذا قال الرب ، الجاعل الشمس للاضاءة نهاراً ، وفرائض القمر والنجوم للاضاءة ليلاً ، الزاجر البحر حين تعج أمواجه ، رب الجنود اسمه .... هكذا قال الرب ، إن كانت السموات تقاس من فوق وتفحص أساسات الارض من أسفل فانى أنا أيضاً أرفض كل نسل اسرائيل من أجل كل ما عملوه يقول الرب » (ار ٣١ : ٣٥ — ٣٧) . كان الله قد حلف لإبرهيم أنه يبارك نسله ويجعلهم بركة للأمم أيضاً (تك ٢٢ : ١٦ — ١٨) فيليق بالرب وهو متنهىء عن ذلك الضيق العظيم الذى سيشتد إلى هذا المقدار حتى أنه لو طال لا يخلص جسد أن يضيف الى كلامه هذا التأكيد . وقوله الذى يكرره فى العهد الجديد وأعنى به « الحق أقول لكم » هو كقوله فى العهد القديم « هكذا يقول الرب » . وبالحقيقة المتكلم هو واحد . معلوم أن كل من يعترض على مجيئه ثانية وعلى الحقائق العظيمة المتعلقة به يسند حججه الى سير الطبيعة ونواميسها مدعياً أنها ثابتة وغير قابلة لحدوث شىء خارج مجراها المعروف ، ويتعظم بمعرفته الجزئيـة بالسماء والارض المحكوم عليهما بالزوال ، ويقلل الإعتبار لكلمة الرب التى لا تزول . والرسول

بطرس قد أشار إلى أمثال هذا بقوله « عالمين هذا أولاً أنه سيأتى فى آخر الأيام قوم مستهزئون سالكين بحسب شهوات أنفسهم وقائلين ، أين هو موعد مجيئه ؟ لأنه من حين رقد الآباء كل شىء باقٍ هكذا من بدء الخليقة » (٢ بط ٣:٣ و٤) . هؤلاء لا يشتهون سرعة مجىء يوم الرب الذى فيه تزول جميع هذه الاشياء التى تتعلق بها قلوبهم وقد جهلوا بإرادتهم حقيقة عظيمة جداً وهى أن كل شىء ليس باقياً هكذا من بدء الخليقة لأن الله قد أهلك العالم القديم وقت الطوفان (٢ بط ٣:٥-٧) نعم وقد عمل أعمالاً كثيرة جداً خارقة للعادة فى معاملاته للبشر الأثمة وخصوصاً لشعبه اسرائيل فلا غرو إن كان يفعل كذلك أيضاً . ولكن شهادات كلمة الله الصريحة لا تفعل كثيراً فى المعجب بذاته ، فإنه أهون عليه أن يحرّف أو يكذّب كلمة الله من أن يكذّب نفسه ويقر بأنه من أمس ولا يفهم شيئاً (أى ٨:٩) .

تحريضات على السهر والانتظار

(ع ٣٦—٥٠ ، مر ١٣:٣٢—٣٧ ، لو ٢١:٣٤—٣٦)

« وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بهما أحد ولا ملائكة السموات إلا أبى وحده . وكما كانت أيام نوح كذلك يكون أيضاً مجىء ابن الانسان . لأنه كما كانوا فى الأيام التى قبل الطوفان يأكلون ويشربون ويتزوجون ويزوجون الى اليوم الذى دخل فيه نوح الفلك . ولم يعلموا حتى جاء الطوفان وأخذ الجميع . كذلك يكون أيضاً مجىء ابن الانسان . حينئذ يكون اثنان فى الحقل . يؤخذ الواحد ويترك الآخر . اثنتان تطحنان على الرحى . تؤخذ الواحدة وتترك الأخرى » .

« لا يعلم بهما أحد . . إلا أبى وحده » قد جعل الآب الأزمنة والاوقات فى سلطانه (أع ١:٧) . لا شك أنه قد عين يوماً فيه يدين المسكونة بيسوع المسيح (أع ١٧:٣١) ولكنه لم يشأ أن يجعل ساعة رجوع الرب من الحقائق المعلنة ، بل والإبن نفسه كإنسان يشغل مركز العبد الذى لا يعلم ما يصنع سيده لم يكن يعلم

ذلك (مر ١٣: ٣٢) حتى يعلنه للتلاميذ . فانه لم يتكلم إلا بما يعلنه له الآب وهذا لا يخل بحقيقة لاهوته البتة . لأنه كان قد أخلى نفسه آخذاً صورة عبد صائراً فى شبه الناس (فى ٢: ٥-٨) بينما فى ذات الوقت كان هو الله نفسه العالم بكل شيء (يو ٢١: ١٧ ، ٤٢: ٢ و٢٥ ، ١٦: ٣٠) .

« وكما كانت أيام نوح كذلك الخ » يرينا الرب هنا كيف يكون حال إسرائيل والعالم وقت مجيئه . فانه يكون كحال العالم زمان الطوفان تماماً فانه يجدهم لاهين ومنهمكين بأمور هذه الحياة . لا يذكر هنا شرورهم وفجورهم لأن قصده أن يظهر عدم انتباههم لأقوال الوحى فى شأن إقبال الدينونة نظير الذين عاشوا فى زمان نوح قبل الطوفان . كانت الدينونة مقبلة ولم يعلموا لأنهم لم يريدوا أن يصغوا لشهادة الله لهم فلم يخلص منهم سوى بقية قليلة .

« حينئذ يكون إثنان في الحقل يؤخذ الواحد و يترك الآخر » لا شك أن هذا من جهة الضربات لأن القرينة تدل على ذلك . لقد جاء الطوفان فاخذ به الاحياء على الارض ولم يُترك إلا نوح و بيته لوراثة الارض كما سوف لا يترك على قيد الحياة بعد الضربات المستقبلة إلا الأبرار للملك الألفى وأما في وقت اختطاف الكنيسة فسيكون الامر بعكس ذلك تماماً بحيث أن الذى يخطف يصبح مع الرب إلى الابد والذي يُترك يكون على الأرض فى وقت الضربات. كان نوح مثالاً للذين سيحفظهم الرب ليرثوا الارض وأما أخنوخ الذى نُقل إلى السماء قبل الطوفان فمثال لنا نحن من حيث أننا سوف لا تكون لنا علاقة بالارض ولا وجود عليها عندما تنسكب ضربات غضب الله على الارض .

« اسهروا إذاً لانكم لا تعلمون فى أية ساعة يأتى ربكم . واعلموا هـذا أنه لو عرف رب البيت فى أى هزيع يأتى السارق لسهر ولم يدع بيته ينقب. لذلك كونوا أنتم أيضاً مستعدين لانه فى ساعة لا تظنون يأتى ابن الانسان » (ع٤٢-٤٤) .

الرب من الآن فصاعداً يتكلم بما يناسب حالة تلاميذه طول مدة غيابه بحيث يجب عليهم أن يسهروا و يكونوا دائماً مستعدين لمجيئه . لانه سيقدم على العالم كلص فى الليل ولـكنه لا يأتينا نحن هكذا .

« فمن هو العبد الامين الحكيم الذى أقامه سيده على خدمه ليعطيهم الطعام فى حينه ؟ طوبى لذلك العبد الذى إذا جاء سيده يجده يفعل هكذا . الحـق أقول لكم أنه يقيمه على جميع أمواله . ولـكن إن قال ذلك العبد الردىء فى قلبه . سيدى يبطىء قدومه . فيبتدىء يضرب العبيد رفقاءه ويأكل و يشرب مع السكارى . يأتى سيد ذلك العبد فى يوم لا ينتظره وفى ساعة لا يعرفها فيقطعه و يجعـل نصيبه مع المرائين . هناك يكون البكاء وصرير الاسنان » (ع ٤٥ — ٥١) .

فى الفصـل السابق يتكلم الرب عن وجوب السهر على الجميع بالنظر الى عدم معرفتهم ساعة مجيئه حتى انه عندما يجىء لا يفاجئهم كلص وأما هنا فيذكر بنوع خاص الذين لهم مركز خدمة فى بيته مدة غيابه . فقصـده بإقامة البعض فى خدمة خاصة أن يعطوا أهل بيته الطعام المناسب و يمارسوا خدمتهم باعتبـار مسئوليتهم لسيدهم العتيد أن يرجع و يحاسبهم فالعبد الامين الحكيم يكمل خدمته هكذا و يحظى برضى السيد الذى سيجازيه جزاء عظيماً فإنه يقيمه على جميع أمواله. وجميع أموال الرب هى كل شىء لأن الآب دفع ليده كل شىء (يو ١٣: ٣) فاذاً عندما يملك على كل شىء كابن الإنسان يشرك عبيده الأمناء معه. وعلى ذلك شهادات كثيرة.

« ولكن إن قال ذلك العبد(*) الردىء فى قلبه الخ » توجد هنا حقيقة أخرى هي أنه يمكن أن يكون واحد منتسباً اليه كعبد و يتغافل عن سرعة مجيئه فاذ ذاك يبتدىء يتسلط على العبيد رفقائه و يعاشر العالم « لأن الذين ينامون فبالليل ينامون والذين يسكرون فبالليل يسكرون » (١ تس ٥ : ٧) . لا يقول عن العبد الردىء

(*) العبد الردىء هو من أقام نفسه أو أقامه الناس . لأن الرب لا يقول فى المثل أن السيـد أقام عبداً ردياً .

أنه أنكر رجوع سيده بل أنه قال فى قلبه «سيدى يبطىء قدومه» ومن ثم استولى عليه روح هذا العالم وخالف قول الرب السابق « فلا يكون هكذا فيكم » (ص ٢٠: ٢٦).

وأما من جهة تخصيص هذا المثل الخطير فأقول :

أولاً — ان غايته العظمى هي إيضاح الخدمة الأمينة للرب فى غيابه من حيث انتظار مجيئه دائماً . سبق وحذرهم من الروح الناموسى كفعلة عاملين بحسب اتفاق رسمى فى كرم لواحد أجنبي عنهم ليست لهم معه شركة . وأما هنا فيشجعهم على الأمانة والسهر والاجتهاد إذ أن موضع خدمتهم هو بيت سيدهم . وان كانوا أمناء فى القليل يقيمهم أخيراً على الكثير . ويحذرهم وإيانا أيضاً من الفكر فى القلب أنه يبطىء قدومه .

ثانياً — التغافل عن سرعة رجوع الرب هو مما فتح الباب للرياسة الإكليركية . لا شك فى ذلك لأن الرب يذكر صريحاً هنا أن العبد قال فى قلبه أولاً « سيدى يبطيء قدومه » ومن ثم أخذ يترأس على الذين هم داخل البيت ويعاشر العالميين من خارج . ولكن مع هذا كله ينبغى لنا أن نذكر أن المراد بهذا المثل ليس فريقاً من الأشخاص بل وصف الخدمة نفسها والروح المطيع الذى يجب أن يتصف به الخادم فى أى وقت كان . إننا لا نزال فى تجربة شديدة عندما نقرأ هذا المثل وخلافه من الأمثال أن نتصور أشخاصاً ونظن أننا نقدر أن ندل عليهم ونقول هؤلاء عبيد أمناء وأما أولئك فهم ممن يمثلهم الرب بالعبد الردىء . وبالحقيقة نحاول أن نقيم أنفسنا مقام قضاة لنحكم . ولكن ليس هذا هو العمل اللائق بنا ، لأن الله أعطانا كلمته لتجعلنا نحكم على أنفسنا لا على الآخرين . تود قلوبنا الخائنة أن تفتخر عندما نرى فى أنفسنا شيئاً من الصفات الممدوحة ونظن أننا من الصف الممتاز ونأخذ نفتش على الذين لا توجد فيهم هذه الصفات . فينبغى أن نحترس من ذلك كل الإحتراس ، فمن صفات الخدمة الحقيقية أن الخادم يشعر بمسئوليته الشخصية للرب أن يعتنى بأمور السيد وقت غيابه متذكراً أنه لا بد أن يرجع ويحاسبه على وكالته . لقد

أوصى الرسول بولس ابنه تيموثاوس وصية مشددة من جهة خدمته فقال له: «أوصيك أن تحفظ الوصية بلا دنس ولا لوم الى ظهور ربنا يسوع المسيح» (١تى ٦: ١٤. أنظر أيضاً ٢ تى ٤: ١—٨، ١بط ٥: ١ — ٤) لأن الخدمة تقترن دائماً مع ظهور الرب. وليس مراد كلامنا المعرفة التعليمية أو العقلية بحقيقة مجيء الرب فانه يمكن لنا أن نقر بذلك ونسلمه للآخرين بغيرة شديدة بينما ليست أفكارنا وحياتنا مرتبة بموجبه. ومن الجهة الأخرى فلا شك انه قد كان للرب عبيد كثيرون خدموه بأمانة كل واحد حسب طاقته مع أن معرفتهم بكيفية مجيئه كانت قليلة جداً. ولكنهم كانوا يحبون ظهوره العادل وواظبوا على خدمتهم له ناظرين الى وقوفهم كعبيد أمامه لتقديم حسابهم. ولا بد لي أن أكرر القول أن وقت المحاسبة ليس عند الموت بل عند ظهور المسيح. فان بطرس وبولس وتيموثاوس لا يزالون منتظرين تلك الساعة الخطيرة حين تظهر صفات خدمتهم وأثمارها. لا شك أن كثيرين من غير المتجددين قد اتخذوا منصب خدمة وعاشوا وماتوا هكذا وذهبوا الى مكانهم الخاص مثل يهوذا الاسخريوطي. ولكنهم لم يهلكوا لكونهم عبيداً أردياء بل لعدم وجود الايمان القلبي فيهم. ان سوء تصرفهم كعبيد يزيد عذابهم ولكنه لم يسبب هلاكهم.

الاصحاح الخامس والعشرون

مثل العشر العذاري (ع ١ — ١٣)

« حينئذ يشبه ملكوت السموات عشر عذارى أخذن مصابيحهن وخرجن للقاء العريس . وكان خمس منهن حكيمات وخمس جاهلات . أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن ولم يأخذن معهن زيتاً في آنيتهن مع مصابيحهن . وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن . ففي نصف الليل صار صراخ هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه . فقامت جميع أولئك العذارى واصلحن مصابيحهن . فقالت الجاهلات للحكيمات اعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا تنطفىء . فأجابت الحكيمات قائلات لعله لا يكفي لنا ولكنّ بل اذهبن إلى الباعة وابتعن لكنّ . وفيما هن ذاهبات ليبتعن جاء العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس وأغلق الباب . أخيراً جاءت بقية العذارى أيضاً قائلات ياسيد ياسيد افتح لنا . فأجاب وقال ، الحق اقول لكنّ انى ما أعرفكن . فاسهروا إذاً لأنكم لا تعرفون اليوم ولا الساعة التي يأتي فيها ابن الانسان » (ع ١—١٣).

هذا المثل المشهور مقترن مع ما قيل عن العبيد في آخر ص ٢٤ وخصوصاً مع القول « يأتي سيد ذلك العبد الخ » لأن قوله « حينئذ » يشير الى ذلك ومعناه في ذلك الوقت أي وقت مجيئه . هذا المثل من تشبيهات ملكوت السموات . ومن خواصه أن يوضح حالة هذا الملكوت وقت مجيء المسيح من حيث تغافل الجميع عنه وعدم استعداد البعض للقائه عندما يأتي .

« عشر عذارى » العذارى عبارة عن جماعة مجتمعة لأجل غرض خاص هو لقاء العريس .

« وكان خمس منهن حكيات وخمس جاهلات » انى لا أرى أهمية لتقسيم العشر عذارى فالعشر العذارى فى خروجهن للقاء العريس عبارة عن جميع المعترفين باسم المسيح فى غيابه من حيث أن جميع الذين أقروا بالاقرار المسيحى أظهروا أنهم قد خرجوا من العالم روحياً لكى ينتظروا رجوع المسيح من السماء. « لانهم هم يخبرون عنا أى دخول كان لنا اليكم وكيف رجعتم إلى الله من الأوثان لتعبدوا الله الحى الحقيقى وتنتظروا ابنه من السماء ، الذى أقامه من الأموات ، يسوع ، الذى ينقذنا من الغضب الآتى » (١ تس ١ : ٩ و ١٠).

« أما الجاهلات فأخذن مصابيحهن » المصباح عبارة عن الاعتراف المسيحى من حيث انه أداة الاضاءة . (أنظر ص ٥ : ١٦ ، لو ١٢ : ٣٥ ، فى ٢ : ١٥)

« وأما الحكيات فأخذن زيتاً فى آنيتهن » الزيت فى الآنية عبارة عن نعمة الله فى القلب ، النعمة الممنوحة بواسطة الروح القدس أو هو الولادة بالروح (يو ٣ : ٦) ومما يجب ملاحظته فى هذه المناسبة انه يقال صريحاً فى ع ٣ عن الجاهلات انهن « لم يأخذن معهن زيتاً » فاذاً المشار اليهم بالجاهلات هم المسيحيون بالاسم الذين ليس عندهم سوى مجرد الاعتراف فقط ، ثم انه لا يقال عنهن انه كانت لهن آنية يأخذن فيها الزيت لإضاءة المصابيح . أى انه لم يكن للمشار اليهم بهن قلب مسلم للرب بالتوبة اليه والايمان به .

« وفيما أبطأ العريس نعسن جميعهن ونمن » كان الابطاء من وقت اجتماعهن عند الغروب مثلاً ، إلى نصف الليل . لان الرب لا يفرض مرور زمان طويل فكان مجيء العريس منتظراً فى وقت أسرع من ذلك . فتغافلن جميعهن عن الغرض الوحيد الذى اجتمعن لأجله وهو لقاء العريس ، فان ذلك احتجن إلى أن يوقظن .

« صار صراخ هوذا العريس مقبل » صار هذا الصراخ قبل وصول العريس بوقت يكفى لاظهار حالة العذارى . فقمن جميعهن وأخذن باصلاح مصابيحهن . ولكن ظهرت حالة الجاهلات اذ لم يكن عندهن زيت . ومن المعلوم ان الفتيلة

الجاهلة انما تتوقد وتلتهب قليلاً ثم تنطفىء وتترك صاحبها فى ظلمة أشد مما كان فيه. وفى حيرتهن التفتن إلى صاحباتهن. ولكنهن لم يقدرن أن يساعدنهن بشىء. وفى أثناء الاضطراب حضر العريس والمستعدات دخلن معه إلى العرس.

وأما من حيث تخصيص وتفصيل هذا المثل فنرى :

أولاً — دعوة المسيحيين الأصلية التى ذكرناها سابقاً. ويقال لها « دعوة الله العليا فى المسيح يسوع » (فى ٣: ١٤) من حيث اننا مدعوون لان نذهب للقاء المسيح فى المجد. لاشك انه توجد حقائق أخرى كثيرة مما نمتاز به كمسيحيين، ولكن المراد بهذا المثل هو أن يظهر تصرفات المسيحيين من جهة تغافلهم عن رجوع سيدهم وحالتهم وقت حضوره.

ثانياً — الجميع قد فقدوا حقيقة مجيئه كموضوع انتظارهم بعد زمان الرسل ولكنهم لم يتركوها دفعة واحدة لانه معلوم من الكتب التاريخية أن البعض لبثوا زماناً متمسكين بها كتعليم الرب ورسله وفى كتاباتهم الباقية للآن يذكرون رجوع الرب وملكه الألف السنة والقيامة الأولى ولكن روح العالم استولى على الكنيسة رويداً رويداً فصاروا على وجه العموم فى حالة النعاس والنوم من جهة هذه الحقائق. وقد فسر البعض الكلام الوارد فى موضوع مجىء الرب تفسيراً معنوياً أى ان الرب لا يأتى فعلاً لأخذ المؤمنين اليه بل يبارك على التبشير بالانجيل، ويصلح الكنيسة، ويصير العالم أجمع مسيحياً. وقالوا عن هذا التفسير انه حديث ولم يكن قد سمع قبلاً. ثم فى أول عصرنا هذا نهضت بعض الجماعات المسيحية بغيرة على نشر الانجيل فى الأماكن البعيدة، ولكنهم فى الأول انما قالوا ان هذا من واجباتهم بحسب قول الرب « فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم ». وقد أسست جمعيات كثيرة لأجل هذا العمل الحسن. ثم بعد ذلك أخذ البعض يقدمون الأمل للذين اشتركوا فى هذا المشروع بأن العالم لابد أن يصير مسيحياً. ثم بعد ذلك صاروا يجزمون بذلك كأنه من الحقائق الواضحة، وأن كل من قال بمجىء الرب هو عدو لانتشار الانجيل.

وهذا هو اعتقاد كثيرين الآن . ولكن الله قد عمل بنعمته ونبه كثيرين إلى درس كلمته وأقنعهم بالحقائق المختصة باتيان ابنه من السماء . غير أنه من الأمور المعلومة انه كلما انتشرت هذه الحقائق بين المسيحيين اشتدت أيضاً مقاومة الذين يرفضونها ، حتى ان كثيرين لايخجلون من القول بصريح اللفظ ان الرب لايأتى قبل الف سنة انى لاأقول أن كل من يناقض مجيء المسيح قبل الألف السنة هو كالمشار اليه بالعبد الرديء . حاشا وكلا !! لان ذلك قال « فى قلبه سيدى يبطىء قدومه » فانه يمكن لانسان مسيحى من سوء التعليم أن يتفوه باعتراضات على مجيء الرب وهو يخاف الله حقيقة ولا يرفض سرعة مجيء الرب فى قلبه . والمحتمل أن جميع المقرين بهذه الحقيقة الآن ناقضوها أولاً ولم يقتنعوا بها إلا بعمل نعمة الله . فاذاً ليس لهم فضل . غير انى أقول ان مناقضة حقيقة عظيمة كهذه ليست من العلامات الحسنة خصوصاً بعد سماعنا البراهين التى تدل عليها من كلمة الله . لانه يحتمل أن عدم الاقتناع ناتج عن سوء حالة القلب لا من اعوجاج العقل فقط . قال الرسول بولس « وأخيراً قد وُضع لى اكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضاً »(٢تي ٤ : ٨) . وموضع المحبة هو القلب لا العقل . غير ان الذى يحب ظهور سيده لايقدر أن يقاوم بشدة الاعتقاد بسرعته ولو كانت فى عقله بعض أفكار ووساوس لا تطابق ذلك . ولا يستطيع أحد أن ينكر أن الكلام الذى وضعه الوحي فى أفواه المؤمنين فى الرسائل يدل على انتظارهم كل حين رجوع السيد . كقول الرسول « ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف الخ »(١تس ٤ : ١٧) . ثم فى سفر الرؤيا الذى كُتب بعد خراب أورشليم وشتات اليهود بزمان طويل لم يرد شيء خلاف ذلك ، لا بل ورد كثير مما يطابقه كقوله فى آخر السفر « ها أنا آتى سريعاً ... والروح والعروس يقولان تعال »(رؤ ٢٢ : ١٢ و١٧) فمن خطايا الكنيسة الاسمية انها فقدت الرجاء بمجيء سيدها كموضوع انتظارها .

ثالثاً — إذا سألنا هل صار الصراخ فى نصف الليل ، المتنبأ عنه فى هذا المثل ؟

فالجواب لهذا السؤال يتوقف على تمييزنا الروحي. ولا نقدر أن نجزم به كأن كلامنا موحى به. ولكني لا أشك بأن هذا الصراخ قد سُمع في أيامنا. وإن كان هذا صحيحاً فقد وصلنا إلى ساعة خطيرة جداً في تاريخ النظام المسيحي في هذا العالم. لاشك انه يبدو أن المسيح قد أبطأ مجيئه «كما يحسب قوم التباطؤ» فقد حصل التغافل الكلي عن هذا الموضوع زماناً طويلاً. ولكن قد صار أيضاً انتباه عظيم اليه في هذه الأيام بحسب قول الرب هنا «هوذا العريس مقبل فاخرجن للقائه» وان كنا نرتضي بهذا التعليم أم لا فلا يزال الأمر صحيحاً أن ألوفاً من المسيحيين قد انتبهوا لكلمة الله واقتنعوا بقرب مجيء الرب فقد سُمع هذا الصراخ في جميع الممالك المسيحية. وحيثما سُمع جعل تأثيراً في الذين سمعوه. ونرى الجهود والمشروعات الدينية تكثر وتتزايد في كل الجهات.

رابعاً — ما هو معنى القول «أعطيننا من زيتكن فان مصابيحنا تنطفىء» ؟ إني أفهم منه أن المعبر عنهم بالجاهلات في وقت كهذا لا يلتفتون إلا الى المصادر البشرية فقط. ثم جواب الحكيمات «بل اذهبن الى الباعة وابتعن لكن». يدلهن على طريق للحصول على النعمة خارج المصادر البشرية، كخطاب الوحي للعطاش «أيها العطاش جميعاً، هلموا الى المياه. والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن خمراً ولبناً» (أش ٥٥: ١) فالباعة عبارة عن الذين عندهم النعمة لأجل المحتاجين اليها، والذين يمنحونها مجاناً لمن طلبها في الوقت المقبول. فنرى في هذا الكلام أمراً محزناً جداً وهو أن جانباً عظيماً من المسيحيين يظلون منهمكين بمسألة الزيت أو كيفية الحصول على نعمة الله الى أن يفوتهم الوقت ويصبحون من المرفوضين الى الأبد وفي هذا الصدد يقول الرب «اجتهدوا أن تدخلوا من الباب الضيق. فاني أقول لكم، ان كثيرين سيطلبون أن يدخلوا ولا يقدرون من بعد ما يكون رب البيت قد قام وأغلق الباب وابتدأتم تقفون خارجاً وتقرعون الباب قائلين، يا رب يا رب افتح لنا الخ» (لو ١٣: ٢٤-٢٨) وكقوله هنا «أخيراً جاءت

بقية العذارى أيضاً قائلات ، يا سيد يا سيد ، افتح لنا » لنلاحظ أن الرب لا يفرض أن أحداً من المعبر عنهم بالجاهلات يناقض حقيقة مجيئه ، فانه لا يتكلم هنا عن الذين يرفضونها، فان الوحي يسمى أولئك « مستهزئين » (٢ بط ٣:٣) ولا ريب عندى أن كل من استمر يقاوم هذه الحقيقة يصير أخيراً من الذين يستهزئون بها . غير أنه من الممكن أن يكون أحد قد أقر بها ولكنه يعتمد على أعماله لأجل الخلاص ويوجد بلا زيت. لأنه وان كانت معرفة مجيء الرب مهمة جداً فليست هي المسألة العظمى . وان كنا نتمسك بها بشدة وننادى بها بغيرة فلا تغنينا عن غفران الخطايا ولا عن الولادة الثانية وعطية الروح القدس لأنه « إن كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له » (رو ٨ :٩) أى ليس للمسيح . فان الروح القدس بسكناه فينا يخصصنا للمسيح . والمسيح فى مجيئه لا يأخذ إلا خاصته « ولكن كل واحد فى رتبته . المسيح باكورة : ثم الذين للمسيح فى مجيئه » (١ كو ١٥ : ٢٣) وهم الراقدون من قديسى العهدين والباقون على قيد الحياة الى مجيء الرب من قديسى العهد الجديد . غير أن كلامه فى هـذا المثل انما يطابق على هؤلاء الأحيـاء فقط كما لا يخفى إذ هم المسئولون عن انتظار مجيء الرب لأخذهم اليه . ولا تذكر الكنيسة كالعروس هنا لأنها كل جمهور المفديين لا الموجودون أحيـاء فقط ساعة حضور الرب ولا شك أن المعبر عنهم بالخمس العذارى الحكيمات هم من العروس . ويجوز لنا أن نسمى أنفسنا عروس المسيح لان ذلك من امتيازاتنا فى أى وقت على أن هذه التسمية انما تطابق المسمى تماماً وقت حضورنا جميعاً أمامه فى الجسد (٢ كو ١١ :٢ ، أف ٥: ٢٥—٢٧ ، رؤ ١٩ :٧ و٨) .

أخيراً أقول أن موضوع مجيء الرب هو الحقيقة التى يستعملها الروح القدس لتنبيه المتغافلين فى أيامنا وهى التى تجعل الناس يسألون عن نسبتهم الى الآتى أهم له أم لا . « هوذا العريس مقبل » فمن هو؟ وماذا أنا بالنسبة له ؟ أهو مقبل كقاض لى، أو فاد ومخلص ؟ أهو حبيب نفسى التى أشتاق اليه غاية الاشتياق، أو أجنبى

عنى وغير معروف لي ؟ فلا بد أن هذا الموضوع ينهض أفكار السامعين رغماً عنهم ، ويحملهم على البحث في الحقائق المختصة بشخص المسيح وعمله أيضاً . وهكذا الحالة الآن . وكما أن البعض يتقدمون في معرفة كلمة الله والخضوع لها هكذا البعض الآخر يزداد في الأفكار الكفرية من جهة كمال الوحي ، ولا يرى قيمة دم ابن الله ، ولا يؤمن به للخلاص النفسي . فأسأل القارىء العزيز أن يجزم في هذه المسألة العظيمة : أهو من المشار اليهم بالحكيمات أو الجاهلات ؟ اني لا أسأله أهو قد اقتنع بحقيقة مجيء الرب أم لا ؟ لأن ذلك من الامور الممكنة له وهو على حالة الجهالة بعد معتداً ببر نفسه . قد قلت عن بعض الأمثال السابقة أن المراد بها وصف صفات الخدمة لا فريق من الناس . ولكن هذا المثل ليس كذلك فانه يمكن لنا أن نخلص بالنعمة وخدمتنا ناقصة جداً نعم وممتزجة بأشياء كثيرة مرفوضة عند الرب . أما المعبر عنهم بالجاهلات فهم أشخاص موصوفون بعدم وجود نعمة الله الحقيقية فيهم . فاذاً نقدر أن نجزم في هذه المسألة الآن ونقول عن كل من له صورة التقوى بدون قوتها ، أنه من غير المستعدين للقاء الرب . وان كان لا يتوب قبل أن ينتهي زمان النعمة يفلت منه وقت التوبة إلى الأبد . ووقت التوبة هو اليوم لا غداً . لاننا لا نعرف ساعة مجيء الرب .

قيل في المثل « أخيراً جاءت بقية العذارى أيضاً قائلات ، يا سيد يا سيد ، افتح لنا . فأجاب وقال ، الحق أقول لكن اني ما أعرفكن » اني لا أقدر أن أجزم فيما يشير اليه الرب في هذا القول . لا شك أن الاختطاف يُشعَر به عند كثيرين خصوصاً عند الذين كانت لهم المعرفة بمجيء الرب . وانه ليس من الامور الوهمية ان نقول انه يحتمل انهم ينتبهون لحادثة الاختطاف انها قد تمت وانهم قد تُركوا . واذ ذاك عبثاً يقولون « يا سيد يا سيد افتح لنا » لان صراخهم لا ينفعهم .

قد ظن البعض أن هذا المثل ليس لنا بل لليهود بعد اختطاف الكنيسة . ولكن ليس لهذا الظن أساس في كلمة الله ، ويدل على ذلك :

أولاً ـ ان كلام الرب من ص ٢٤ : ٤٢ الى ص ٢٥ : ٣١ كله لتلاميذه المسيحيين مدة غيابه .

ثانياً ـ اليهود ليسوا كالمسيحيين مدعوين للخروج الآن روحياً من العالم للقاء المسيح بل هم مدعوون للثبات على ايمانهم حيث هم الى أن يأتيهم و ينقذهم من أعدائهم ، و يبقيهم على الارض ، ويملك عليهم فيها .

ثالثاً ـ ستكون لهم علامات ، كما قد رأينا ، يجب أن يراقبوها . ولكن فى هذا المثل لا نرى أدنى علامة من تلك العلامات ، ولا ذكراً لأورشليم واليهودية ، ولا للظروف المختصة باليهود وقتئذ. وكان يجب على المشار اليهم بالعذارى أن ينتظروا الرب دائماً من وقت ان صعد الى السماء . وأما اليهود فلا يقدرون أن ينتظروه ما داموا متفرقين الى الاربع الرياح ، وأورشليم مدوسة ، وأزمنة الامم لم تُكمل . فلذلك ستعطى لهم علامات قرب ظهوره لإنتظاره . وأما الكنيسة فليس لها سوى وعد الرب بأنه يأتى سريعاً ، ثم الصراخ فى نصف الليل الذى أطلقه الله من نعمته لكى يوقظها من غفلتها ، و يهيء قديسيه حتى يقولوا كما كان يجب أن يقولوا دائماً « آمين . تعال أيها الرب يسوع » .

رابعاً ـ لا يجوز لنا ان نمزج هذا المثل مع عبارات كثيرة قد وردت فى العهد القديم من جهة أورشليم حيث يعبر عنها بملكة وعروس وألفاظ أخرى لتدل على نسبة خاصة بينها و بين الرب فى المستقبل . (أنظر مز ٤٥ : ٩ــ١٧ مثلاً) فان المسيح هو الملك كما لا يخفى . وأما أورشليم فهى الملكة . والعذارى صاحباتها هن مدن اسرائيل الأخرى . غير ان المراد بهذا الكلام الشعب الارضى فى حالة البركة والرفعة فى الارض فى زمان الملكوت . ولا يقال للمسيح « العريس » بل «الملك» (أنظر أيضاً أش ٥٤ : ٤ــ٦ ، ٦٢ : ٥) وشهادات أخرى لا أقدر ان أدرجها هنا . وجميع هذا مما يختص باسرائيل لا بالكنيسة.

مثل العبيد والوزنات

(ع ١٤—٣٠ ، لو ١٩: ١٢—٢٦)

« وكأنما انسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله . فأعطى واحداً خمس وزنات وآخر وزنتين وآخر وزنة . كل واحد على قدر طاقته وسافر للوقت . فمضى الذى أخذ الخمس وزنات وتاجر بها فربح خمس وزنات أُخر . وهكذا الذى أخذ الوزنتين ربح أيضاً وزنتين أخريين . وأما الذى أخذ الوزنة فمضى وحفر فى الارض وأخفى فضة سيده . وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم » .

الرب لا يقول ان هذا الكلام من تشبيهات ملكوت السموات ولكنه يصدق على حالة المنتسبين له كعبيد مدة غيابه ، ويظهر بعض وجوه الخدمة المسيحية . ويبدو لى أن وجه الشبه هو إعطاء الرب مواهب مختلفة ووجوب التصرف فيها بأمانة . رأينا فى ص ٢٤: ٤٢—٥١ عبيداً له فى مقام خدمة . وكان يطلب الامانة منهم بالنظر الى مقامهم . ولا يذكر انه أعطاهم مواهب ولكنه يذكر ذلك فى هذا الموضع ولهذا أهميته فهناك . فهناك ينظر الى التصرف بالنسبة الى المقام . وأما هنا فينظر الى حالة قلوب العبيد بالنسبة الى الموهبة ومعطيها . وقد رأينا انه يوجد مجال عام للخدمة المسيحية من حيث ان جميع المعترفين باسمه هم عبيده فى العالم ، وكذلك توجد مواهب عامة (أنظر ١٢: ٦—١٣) وشهادات أخرى تظهر ان الرب يعطى خدمة روحية لكل منا ، ويجب أن نخدمه بحسب ما أعطانا . ولكن توجد أيضاً مواهب خاصة كما ورد فى أف ٤: ١١ ومواضع أخرى . ويصدق كلام الرب هنا على الناحيتين لأنه لا يقصد به إيضاح موضوع المواهب نفسه بل المسئولية الشخصية التى على كل واحد بحسب ما أخذ من السيد ، سواء كان من المواهب العامة أو الخاصة .

« وكأنما انسان مسافر دعا عبيده وسلمهم أمواله » لنلاحظ أن هذا مما يبرهن على ان هذا المثل لا يختص باليهود . لان المسيح لم يتخذ عبيداً له حين ترك العالم ،

ولم يسلمهم أمواله . والاموال عبارة عن كل ما يعطيه المسيح من مواهب الروحية كما سبق ذكره . واختلاف الوزنات يدل على اختلاف المواهب كما لا يخفى .

« كل واحد على قدر طاقته » فالطاقة هي حالتنا وقدرتنا أو سعتنا روحياً كآنية له . وتختلف عن الاموال . ويمكن أن يكون الله قد هيأ الإناء بعنايته كما عمل مع بولس مثلاً (أع ٩: ١٥) ولكن مهما كانت طاقة الإناء أو سعته فهي ليست الموهبة فقد أعد كل اناء إعداداً خاصاً للخدمة المعيّن لها ثم وهب المواهب الروحية التي تمكنه من القيام بها . فلم يعد يلزمه بعد ذلك سوى الأمانة .

« فمضى الذي أخذ الخمس وزنات وتاجر بها وربح خمس وزنات أُخر » لنلاحظ أيضاً أن الذي أخذ موهبة من الرب لا يحتاج الى رخصة من قبل رفقائه . لأن إعطاء الرب ماله للعبد هو وحده الذي يوجب على العبد أن يتاجر بما أخذ . ولو امتنع عن الخدمة حتى يطلب سلطاناً من الآخرين لأنكر سلطان السيد وارتاب في حكمته أيضاً . فانه لماذا أعطاه الرب من أمواله؟ أليس لكي يتاجر بها ؟ والامانة تقوم في أن كل واحد يتاجر بما عنده ، واثقاً بجودة السيد في مكافأته .

« وبعد زمان طويل أتى سيد أولئك العبيد وحاسبهم » اعتبر أن الزمان طويل بالنسبة إلى قصر حياة الانسان لأن الرب لا يفرض مضي زمان طويل مطلقاً كمرور أجيال بين ذهابه إلى السماء ورجوعه منها .

« فجاء الذي أخذ الخمس وزنات وقدم خمس وزنات أخر قائلاً ، ياسيد خمس وزنات سلمتني . هوذا خمس وزنات أخر ربحتها فوقها . فقال له سيده ، نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك . ثم جاء الذي أخذ الوزنتين وقال ياسيد وزنتين سلمتني . هوذا وزنتان أخريان ربحتهما فوقهما . قال له سيده نعما أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً في القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك . ثم جاء الذي أخذ الوزنة الواحدة وقال، ياسيد ، عرفت أنك انسان قاس تحصد حيث لم تزرع وتجمع من حيث لم تبذر .

فخفت ومضيت وأخفيت وزنتك فى الأرض هوذا الذى لك. فأجاب سيده وقال له، أيها العبد الشرير والكسلان ، عرفت انى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر فكان ينبغى أن تضع فضتى عند الصيارفة فعند مجيئى كنت آخذ الذى لى مع ربا ، فخذوا منه الوزنة واعطوها للذى له العشر وزنات ، لان كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه ، والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الاسنان »

« فجاء الذى أخذ الخمس وزنات الخ » أتى العبد الأول وظهر انه كان أميناً فى وكالته وربح ، والثانى كذلك. والربح عبارة عن النمو الروحى الذي يحصل لنا شخصياً ان كنا أمناء فى ما أئتمننا عليه الرب، وعن الفوائد الحاصلة للآخرين أيضاً بواسطتنا (أنظر ١تى ٤: ١٢-١٦ و ٢: ١-٦) فيجازينا الرب الآن اذ ينمينا روحياً ويؤكد لنا انه معنا ومصادق على خدمتنا ويجازينا أيضاً وقت مجيئه ، ولكن التعليم الخاص هنا هو وجوب الأمانة للرب مع الثقة القلبية فيه

فى لو ١٩: ١٢-٢٦ نرى مثلاً مشابهاً ، ولكن على صورة اخرى ، فهناك أخذ جميع العبيد بالتساوى من مال السيد أى كل واحد منهم أخذ مناً ، أما هنا فأخذوا وزنات متفاوتة فى العدد رمزاً للتنوع والتفاوت فى المواهب الروحية المعطاة للبعض، وهناك ربح بعض العبيد اكثر من البعض الآخر واخذوا جزءاً على درجات متفاوتة كل واحد بحسب أمانته واجتهاده، وأما هنا فالربح على معدل واحد والجزاء هنا واحد ، إذ يقول السيد لكل عبد أمين قولاً واحداً هو « نعماً » أى حسناً فعلت «أيها العبد الصالح والأمين، كنت أميناً فى القليل فأقيمك على الكثير أدخل إلى فرح سيدك » (ع ٢١ و٢٣) لأن المراد هنا ليس هو اظهار درجات مختلفة من الامانة مع الجزاء المتنوع المطابق لها بل مجرد توفر مبدأ الامانة ومكافأتها

« ثم جاء أيضاً الذى أخذ الوزنة الواحدة وقال، ياسيد ، عرفت أنك انسان قاس الخ» هذا العبد غير الامين لم تكن له ، حسب اقراره ، ثقة فى سيده . ان خوفه

هذا الذى حمله على اخفاء ماأخذه هو من ثمر عدم الايمان. قيل فى لوقا أن العبد الغير الامين وضع فضة السيد فى منديل ، أى انه لم يستعملها وأما هنا فحفر فى الارض وأخفاها ، وانى لا أقدر أن أقول ان لهذا الاختلاف معنى خاصاً غير أن عمله هنا يذكرنا بما قيل عن العبد الردىء الذى أكل وشرب مع السكارى (ص ٢٤:٤٩) لا يوجد شيء يجعلنا أمناء للرب في سلوكنا وخدمتنا فى مدة غيابه الا الثقة القلبية فيه . وكلما فقدناها نقصر فى الامانة ، وننقاد للعالم ، ونتهور فى طرقه . هذه من الحقائق المطلقة . ولا نزال فى تجربة شديدة . لان أصل الخيانة هو عدم الايمان . ويجب أن نتذكر انه يمكن لانسان أن يظهر كل الامانة إلى حين ثم يرتخى ويحيد عن طريق الصليب ويتساهل مع العالم . ولكن شكراً لنعمة الله فانه يمكن لنا أيضاً أن نوقظ من الغفلة ، ونتصرف بأمانة بعد الخيانة والتقصير، فالصحو والسهر والصلاة من واجباتنا الدائمة لئلا ندخل فى تجربة .

لننظر قليلاً إلى الحكم على العبد الشرير والكسلان : فأولاً — أُخذ منه الذى كان عنده ، ثم طرح إلى الظلمة الخارجية . ولابد ان هذا القصاص يجرى على كل من قد انتسب للمسيح ان كان يستمر إلى النهاية فى حالة عدم الايمان . والمعبر عنه هنا بهذا العبد الشرير ليس بمؤمن حقيقى . غير أنى أذكّر القارىء بالقول السابق أنه لا يجوز لنا أن نتصور بعض أشخاص متصفين هكذا بمعنى ان العبيد الامناء عبارة عن أناس لم يظهر منهم سوى الكمال، وغيرهم لم يظهروا سوى الخيانة لان هذا ليس معنى المثل ، فان الرب قد رسم صورة كاملة بها صوّر الأمانة الكاملة من الجهة الواحدة وعدم الامانة على هيئة كاملة من الجهة الاخرى. ولكن بالحقيقة لم يوجد قط عبد كامل السلوك والخدمة إلا الرب وحده . صحيح أن صورة العبد الشرير لا تطابق تماماً إلا حالة الانسان الغير المتجدد ولكن يمكن لنا أن نستفيد منها من حيث التحذير من سوء التصرف فى ماأخذناه من سيدنا. فلذلك يجب أن نخصص لأنفسنا المبدأ المتضمن فى هذا المثل وما شاكله . وكل مسيحى حقيقى يعترف بعدم

أمانته فى أمور كثيرة جداً ، مهما كان عنده من المواهب المسيحية العامة أو الخاصة ومع ثقته فى نعمة الرب وجودته فانه يعرف يقيناً أيضاً أن الرب يحكم بالحق ولا يصادق إلا على الأمانة الناتجة من أثمار روحه القدوس العامل فينا

« أيها العبد الشرير والكسلان عرفت أنى أحصد حيث لم أزرع وأجمع من حيث لم أبذر فكان ينبغي أن تضع فضتى عند الصيارفة فعند مجيئى كنت آخذ الذى لى مع ربا »

ليس فى كلام الرب هذا ما يبيح لنا الربا . وكونه أباح استعماله لشعبه القديم مع الشعوب الغريبة فكان هذا من قبيل الدينونة على تلك الشعوب . أما المؤمنون فى العهد الجديد فهم أوانى رحمة لا أواني نقمة . ثم أن جواب الرب هذا يحمل لنا معنى آخر هو انه ليس لنا أدنى عذر لعدم أمانتنا ، وانه إذا قصرنا فى شىء ثم شرعنا نعتذر فالحجة التى نحتج بها هى تدينننا لأن الرب لا يرسلنا فى خدمته على نفقتنا بل نعمته تكفينا لضعفاتنا الكثيرة والصعوبات العظيمة التى تلاقيها فى الطريق . لأننا بدونه لا نستطيع شيئاً . ولكن ينبغى ان توجد فينا دائماً الثقة فى محبته لكى نستمد منه بالإيمان كل ما يلزمنا للقيام بواجباتنا . فلذلك لا عــذر لنا من جهة سقطاتنا . وفضلاً عن ذلك فالعذر نفسه أشر من التقصير لأنه يكشف حالة القلب . لان اليد لا تقصر عن العمل والرجل لا تزلق فى المشى إلا من كون القلب قد فقد الثقة فى السيد وصار يتصوره انساناً قاسياً . ثم اذا رأينا فى موضع ما حاجة الى خدمة لا نقدر نحن أن نقوم بها فعوضاً عن الاهمال والتماس الاعذار يمكن أن نسأل واحداً آخر يستطيعها كما عمل برنابا لما شاهد الاحتياج فى انطاكية الى خدمة أكثر مما كان يقدر هو عليه فذهب ليفتش على شاول واستحضره (اع ١١: ٢٥و٢٦) .

« فخذوا منه الوزنة واعطوها للذى له العشر وزنات لان كل من له يعطى فيزداد ومن ليس له فالذى عنده يؤخذ منه »

« مَن ليس له » أى لم يبد منه ما يدل على ايمانه وأمانته واجتهاده « فالذى عنده يؤخذ منه »

وبهذا الكلام وضع الرب مبدأ عاماً يعاملنا به دائماً . (راجع ص ١٣ : ١٢) ولا يعنى به ان الوزنة الواحدة ستؤخذ من العبد الشرير وتعطى للأمين فى وقت المحاسبة ، لأنه من الامور الواضحة أنه حينئذ ستنتهى خدمة الجميع ، فاننا لا نتاجر بأموال السيد فى السماء . ولكن الرب يعمل الآن بحسب هذا المبدأ لانه يحب الكنيسة ويقوتها ويربيها فلا يعوزها شىء من نعمته . فان كان أحد غير أمين ولا يقوم بما عليه من خدمة الرب فى موضع ما فلا بد أن الرب يقيم واحداً غيره لتكميل الخدمة المطلوبة . كما عمل لما عزل الملك شاول وأقام داود (١ صم ١٦). ويمكن انه لا يعزل عبداً مقصراً حالاً ، لانه ربما ينظر شيئاً من الامانة فيه وانما يستخدم واحداً آخر لتكميل النقائص سواء ارتضى العبد الاول بذلك أم لم يرتض. مثلاً ان كان للسيحيون فى جهة ما محتاجين الى كلمة الله ، وخدامهم لا يعطونهم إياها فلا بد أن يأتى بغيرهم ويكلفهم بهذه الخدمة إن كان الأولون يقبلون أم لا . هذه من المسائل الواضحة البسيطة . ولكن فى هذه الحالة تصير خسارة روحية على الذين كانوا فى مقام الخدمة الجهارية وأبوا أن يعملوا عمل الرب . وبقدر عدم رضاه عنهم يتركهم لقساوة قلوبهم فحينئذ يقاومون عمله وهو يكمله رغماً عنهم . انى أتكلم عن أحوال الكنيسة كما هى لانه ينبغى لنا أن نتذكر دائماً أن الرب يحكم بحسب حقيقة الاحوال . فكأنه يجد أناساً فى مقام الخدمة الجهارية لهم اعتبار عند المؤمنين وهم ينتظرون منهم كل ما يلزمهم لاحتياجاتهم الروحية . فلو جدّوا فى خدمتهم وأعطوا الطعام فى حينه لاهل بيت سيدهم لباركهم وجعلهم بركة . والا فعدم أمانتهم لا تجعله غير أمين ولا تمنعه عن مباركة خاصته الذين فى العالم ، لانه حين صعد الى العلاء أعطى عطايا ولا يزال يعطى (اف ٤ : ١٠ و ١١) وهو مطلق السلطان فلا بد أن يجد أوانى لنعمته . غير أننا إذا كنا عالميين فلا يستطيع الرب أن يستخدمنا كآنية للكرامة .

ولكن شكراً لنعمته لانه عند مجيئه يعلن كل الامانة التي قد أظهرناها لاسمه مدة غيابه ، إذ يقول « نعما ، أيها العبد الصالح والأمين كنت أميناً فى القليل » هذه مصادقته علينا علانية . ثم يقيمنا على الكثير أى يشاركنا معه فى ملكه على كل شيء . وأيضاً يجعلنا نشترك فى الفرح الذى له عند ما يرى مقاصد الله قد أكملت لمجده الى الأبد

ظهور المسيح ودينونة الأحياء على الأرض

(ع ٣١ — ٤٦)

« ومتى جاء ابن الانسان فى مجده وجميع الملائكة القديسين معه فحينئذ يجلس على كرسى مجده و يجتمع أمامه جميع الشعوب فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعي الخراف من الجداء . فيقيم الخراف عن يمينه والجداء عن اليسار . ثم يقول الملك للذين عن يمينه تعالوا يا مباركى أبى رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم . لأنى جعت فأطعمتمونى. عطشت فسقيتمونى. كنت غريباً فآويتمونى. عرياناً فكسوتمونى. مريضاً فزرتمونى. محبوساً فأتيتم إلى. فيجيبه الابرار حينئذ قائلين ، يارب متى رأيناك جائعاً فأطعمناك ، أو عطشاناً وسقيناك ؟ ومتى رأيناك غريباً فآويناك ، أو عرياناً وكسوناك ؟ ومتى رأيناك مريضاً، أو محبوساً فأتينا اليك ؟ فيجيب الملك ويقول لهم الحق أقول لكم بما أنكم فعلتموه بأحد اخوتي هؤلاء الاصاغر فبى فعلتم . ثم يقول أيضاً للذين عن اليسار اذهبوا عني يا ملاعين الى النار الأبدية المعدة لإبليس وملائكته لانى جعت فلم تطعمونى . عطشت فلم تسقونى . كنت غريباً فلم تأوونى . عرياناً فلم تكسونى. مريضاً ومحبوساً فلم تزورونى . حينئذ يجيبونه هم أيضاً قائلين ، يارب متى رأيناك جائعاً أو عطشاناً أو غريباً أو عرياناً أو مريضاً أو محبوساً ولم نخدمك؟ فيجيبهم قائلاً ، الحق أقول لكم بما أنكم لم تفعلوه بأحد هؤلاء الاصاغر فبى لم تفعلوا . فيمضى هؤلاء الى عذاب أبدى والابرار الى حياة أبدية »

هذا الفصل مقترن مع (ص ٢٤ : ٣٠) ولكنه واقع فى محله هنا بعد الكلام السابق عن أحوال المعترفين باسم المسيح وقت غيابه لانه متى جاء يدين ليس اسرائيل فقط بل الممالك المسيحية وجميع الأمم أيضاً . وليس المقصود بهذا الفصل ايضاح حادثة مجيئه للاختطاف بل اجراء دينونة خاصة بعد ظهوره عند ما يكون قد جلس على كرسى مجده . فانه سيجرى أولاً دينونة حربية على البعض ساعة ظهوره (رؤ ١٩: ١١ — ٢١) ثم بعد ذلك يجرى هذه الدينونة المذكورة هنا . فيجتمع أمامه جميع الشعوب وهؤلاء الشعوب هم الأحياء على الأرض وقتئذ . ولا يوجد أدنى اشارة الى إقامتهم من الأموات . ومن المعلوم أن البشر فى حالة القيامة لا يكونون كشعوب أو أمم أو دول بل كأفراد . ومن أهم ما يجب ملاحظته هنا أنه فى حالة الكنيسة عروس المسيح واختطافها تذكر لها قيامة ولا تذكر دينونه (١تس ٤ : ١٦ و ١٧) وفى حالة أولئك الشعوب ومحاكمتهم كدول تذكر لهم دينونة ولا تذكر لهم قيامة . وفى حالة الأموات ومحاكمتهم كأفراد تذكر لهم قيامة ودينونة (رؤ ٢٠ : ٤ — ٦ و ١١ — ١٥)

« فيميز بعضهم من بعض كما يميز الراعى الخراف من الجداء » فالواضح أن الشعوب المذكورين هنا هم أحياء على الأرض مختلطون معاً الى تلك الساعة لأن الموت يفصل بين الأبرار والاشرار الى الابد (لو ١٦ : ١٩ — ٣١) ومن ثم فلن يكون لهم أيضاً اختلاط عند اقامة أجسادهم ، إذ يكون نصيب الأبرار فى القيامة الاولى ، وأما الاشرار فلا يقومون الا بعد الالف السنة . فان كان الموت يفصلهم بعضهم عن البعض الآن فبالاولى جداً تفصلهم القيامة عن بعضهم . فكل من تصور البشر مقامين معاً فى حالة الاختلاط ، فانه لم يعرف بعد غبطة نصيب أولاد الله ، ويخلط دينونة الأحياء المذكورة هنا مع دينونة الأموات المذكورة فى (رؤ٢٠) خلافاً لإعلانات الوحي الصريحة . وعدا ذلك فانه يظن ان المؤمنين أنفسهم بعد قيامتهم الاموات سيقفون أمام كرسى الدينونة ليحكم فيهم أيستحقون دخول السماء أم

لا ، مع أن أكثرهم قد صرفوا عدة سنين وأجيال فى غبطة السماء قبل قيامتهم (لو١٦ : ٢٢ و ٢٣ ، ٢٠ : ٣٨) . وكأن تعليماً كهذا يوجب احضار هابيل وأخنوخ وابراهيم وداود و بولس وغيرهم من القديسين أمام الحكمة الالهية لكى يحكم فى مسألة أهليتهم أو عدم أهليتهم ليكونوا مع الله فى السعادة السماوية . ولكن هذا الفصل الذى نحن بصدده الآن لا يحوى شيئاً من جهة اقامة أناس صالحين أو طالحين من حالة الموت . لان موضوعه الخاص هو ديتونة الاحياء ، فلنتقدم للبحث فيها على قدر استطاعتنا ، فأقول :

أولا — بعد دور الكنيسة عن الارض (رؤ ٢ و ٣) واختطافها الى السماء (رؤ ٥) ستنسكب على الأرض ضربات شديدة متنوعة قبل ظهور الرب ، فتهلك جانباً كبيراً من الاحياء على وجه الارض، كما يتضح ذلك لمن طالع النبوات خصوصاً ما جاء فى سفر الرؤيا من (ص ٦ — ١٩) فى مدة السبع السنين السالفة الذكر . هكذا عمل الله وقت الطوفان، نعم ، وأوقاتاً أخرى حين أجرى دينونات على ممالك ومدن وهكذا سيفعل أخيراً

ثانياً — عند ظهوره بعد سبع سنى الضربات ، سيبيد بغتة الوحش والملوك المجتمعين معه ، وجيوشهم (انظر رؤ ١٧ : ١١ — ١٨ ، ١٩ : ١٧ — ٢١) . فان الرب سينقذ حينئذ أتقياء أورشليم واليهودية من هؤلاء الاعداء المضطهدين لهم ، غير أن الراحة والبركة التامتين لا تحصلان حالاً كما نعرف من كلام الملاك للنبى دانيال فى (ص ١٢ : ٥ — ١٣) حيث يتضح أن ابادة الوحش وجيشه تحصل عند نهاية الثلاث السنين والنصف التى هى النصف الثانى من الاسبوع السبعين . ثم يضيف إلى ذلك مدتين أى ثلاثين يوماً ثم خمسة وأربعين يوماً حتى يكون التطويب لشعبه ، فانه ستجرى بعض حوادث أخرى عظيمة بعد ابادة الوحش ، ولا يخفى على من درس النبوات أن جوج سيصعد مع جيشه الوافر العدد (حز ٣٨ و ٣٩) .

ضد اسرائيل بعد ذلك ، ويباد على جبال اسرائيل ، لأنه لا يبلغ الى المدينة ، وهذا مما يحدث قبل اجتماع جميع الشعوب أمام كرسي المجد للمحاكمة.

ثالثاً — موضع هذه المحاكمة ، يكون أمام كرسي مجد المسيح الذي في ظهوره ينزل إلى الارض حتى تمس قدماه جبل الزيتون فينشق وادياً عظيماً (زك ١٤: ٣ و ٤).

وهذا يطابق ما قيل بيوئيل «لأنه في تلك الايام ، أجمع كل الامم وأنزلهم إلى وادي يهوشافاط وأحاكمهم هناك على شعبي وميراثي ... وتنهض وتصعد الامم الى وادي يهوشافاط ، لأني هناك أجلس لأحاكم جميع الامم من كل ناحية ... جماهير جماهير في وادي القضاء لأن يوم الرب قريب في وادي القضاء» (يؤ ٣: ١ و ٢ و ١٢ و ١٤).

رابعاً — تنقسم الشعوب في هذه الدينونة الى قسمين ، يعبر عن الواحـــد بالخراف وعن الآخر بالجداء (ع ٣٢) ، وقاعدة المحاكمة خاصة بهم دون سواهم وهي كيفية معاملتهم لفريق ثالث ظهر في المشهد ، ليس هو الخراف ولا هو الجداء ، بل هو «أخوة الملك الاصاغر» (ع ٤٠ و ٤٥) ، ومن هم؟ ان لفظة «الاصاغر» هذه لا تعني الفقراء ، لأنها لم تستعمل قط في الكتاب بهذا المعنى. بل تعني «المحتقرين» وهم أتقياء من اليهود الذين سيتفرقون إلى كل الامم في أيام الوحش والنبي الكذاب فراراً من اضطهادهما لهم بسبب رفضهم تقديم العبادة لهما (دا ١٢: ٧؛ ص ٢٤: ١٥ — ٢٣). وما هي مهمتهم أثناء غيابهم عن بلادهم؟ هي أنهم ينادون لتلك الشعوب ببشارة أبدية هي بشارة الملكوت (ص ١٠: ٧؛ ٢٤: ١٤)

كما قيل «ثم رأيت ملاكاً آخر طائراً في وسط السماء معه بشارة أبدية ليبشر الساكنين على الأرض وكل أمة وقبيلة ولسان وشعب . قائلاً بصوت عظيم ، خافوا الله واعطوه مجداً لأنه قد جاءت ساعة دينونته . واسجدوا لصانع السماء والأرض والبحر وينابيع المياه. ثم تبعه ملاك آخر قائلاً ، سقطت سقطت بابل المدينة العظيمة

لأنها سقت جميع الأمم من خمر غضب زناها. ثم تبعهما ميلاك ثالث قائلاً بصوت عظيم ان كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضاً سيشرب من خمر غضب الله المصبوب صرفاً فى كأس غضبه ويعذب بنـار وكبريت أمام الملائكة القديسين وأمام الخروف . ويصعد دخان عذابهم الى أبد الآبدين ولا تكون راحة نهاراً وليلاً للذين يسجدون للوحش ولصورته ولكل من يقبل سمته» (رؤ ١٤ : ٦ـ١١). فالملائكة الطائرون هنا عبارة عن أشخاص مرسلين من قبل الله . والبشارة الأبدية هى النداء للأمم ان يخافوا الله ، ولا يسجدوا للوحش، لان الدينونة المخوفة صارت قريبة . وواضح ان هذا الـكلام كله انما ينطبق فقط على الظروف والاحوال زمان اشتداد قوة الوحش وتألهه. وليس له مدخل فى بشارة نعمة الله بيسوع المسيح الآن

ومن هم أولئك الأمم الذين ستبلغهم هذه البشارة الابدية على يد أولئك اليهود الاتقياء؟ واضح من كلمة الله انهم ليسوا شعوباً مسيحية لأنهم لا يعرفون من هو الملك المجيد . وحالة الامم الخراف فى إيوائهم لأولئك اللاجئين المبشرين تذكرنا بحالة راحاب فى إيوائها للجاسوسين . أما حالة الامم الجداء فتذكرنا بحالة أهل أريحا فى مطاردتهم لذينك الجاسوسين. فاذاً لا بد وان إخوة الملك كانوا قد تفرقوا بينهم ، ومن ثم صارت لهم الفرصة سانحة لان يظهروا لهم الاحسان أو البغضة. وفعلاً عاملهم البعض بالقساوة ، والبعض الآخر بالمعروف . وهذا هو أساس الحكم على الفريقين . فى حين واضح لنا ان الحكم على الممالك المسيحية بالاسم لا يجرى على مبدأ كهذا . وكذلك أيضاً فى الدينونة الابدية أمام العرش العظيم الابيض سيدين الله المالكين كل واحد حسب أعماله كلها وليس على نوع واحد من الاعمال . ثم انه لا يمكن أيضـاً إجراء الدينونة على جميـع البشر فى كل العصور بالنسبة الى نوع معاملتهم للمرسلين اليهم من الله ، فان الجانب الاكبر منهم عاشوا وماتوا فى جهالتهم ، ولم يرسل الله اليهم مرسلاً ببشارة سواء كانوا قبل موت المسيح أو بعده .

ولنلاحظ أيضاً جواب الرب لهم « وبما انكم فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الاصاغر فبي فعلتم » (ع ٤٠). فانهم لو كانوا مسيحيين لقال لهم « بما انكم فعلتموه بعضكم ببعض الخ » لأن المحبة والاحسان المسيحيين متبادلان . وفضلاً عن ذلك فان جوابهم للرب ، يا رب متى رأيناك كذا وكذا ، يظهر أيضاً انهم لم يعرفوا نسبة أولئك الاخوة الى الملك في وقت حضورهم بينهم ومعاملتهم لهم بالمحبة . وهذا خلاف حالتنا كمسيحيين ، اذ اننا في عملنا يجب أن نعمل الكل باسم المسيح. حتى إذا سقينا تلميذاً كأس ماء بارد نفعل ذلك بناء على كونه للمسيح . فالواضح انهم ليسوا مسيحيين

خامساً — جزاء الأبرار « تعالوا يا مباركي أبي . رثوا الملكوت المعد لكم منذ تأسيس العالم » . فالملكوت معد منذ تأسيس العالم . خلاف المجد السماوي الذي يخصنا نحن المسيحيين فانه لا يقال عنه أبداً انه أُعد منذ تأسيس العالم لانه أعد من قبل تأسيس العالم ووعدنا الرب انه يأتي بنا اليه حتى نكون معه هناك (أنظر يو ١٧: ٢٣ و٢٤ ، عب ٢: ١٠ ، رو ٨: ١٧ ، أف ١: ١٣ و١٤). وأما الملكوت على الارض مدة الألف السنة فلا يقال عنه أنه معد قبل تأسيس العالم . فان الله خلق آدم الانسان الاول وسلطه على جميع أعمال يديه وكان مثالاً للآتي أي المسيح (رو ٥: ١٤) إذ انه لما سقط الاول وفقد سلطانه أخذ الله يخبر بأن نسل المرأة يسحق رأس الحية ويقال لوقت تسلطه « أزمنة رد كل شيء التي تكلم عنها الله بفم جميع أنبيائه منذ الدهر » (أنظر أع ٣: ١٧-٢٤). فموضع تتميم هذا كله هو الارض لا السماء . لان أوقات الفرج وأزمنة رد كل شيء هي للارض فقط

سادساً — قصاص المعبر عنهم بالجداء : « فيمضي هؤلاء الى عذاب أبدي » (ع ٣٦) أي انهم يقطعون عن وجه الارض بكلمة الملك . ستقطع أجناد الوحش

بغتة كما بلهيب نار عند ظهور المسيح بدون فحص أو محاكمة لان اثمهم واضح وأما حالة هؤلاء فليست كذلك حيث ان سوء معاملتهم لاخوة الملك لا يظهر لهم فى أول الامر انه كرفضهم للملك نفسه ولبشارة الملكوت أيضاً . ولكن عند الفحص يتضح ذنبهم كذنب اليهود العاصين من قبلهم الذين حكم عليهم بأن لا يذوقوا العشاء العظيم لتهاونهم بالدعوة اليه (لو ١٤: ١٥ — ٢٤) ثم واهانتهم المرسلين اليهم (ص ٢٢: ١ — ٧) فبالحقيقة يستحقون القطع من الارض ومكابدة عذاب أبدى . سيطرح الوحش والنبي الكذاب حيين أى بجسديهما الى بحيرة النار المتقدة بالكبريت قبل هذه المحاكمة . وأما هؤلاء فيهلكون كما هلك أهل سدوم وعمورة وخلافهم من الذين دانهم الله دينونة أحياء وقطعهم من الارض . ولا شك انهم بعد ذلك سيطرحون بأرواحهم فى هاوية العذاب (لو ١٦: ٢٢ و ٢٣) ثم يظهرون جميعاً أمام العرش العظيم الأبيض بعد إقامة أجسادهم من التراب لكى يدانوا كل واحد حسب أعماله . لان الدينونات التى تجرى على الاحياء فى وقت ما تبيد الجميع من وجه الارض بسبب سوء حالتهم على وجه الاجمال بغض النظر عن اختلاف درجات اثمهم اذا نظر اليهم شخصياً . فإذ ذاك لا بد من وقوفهم اخيراً امام عرش العدل لينالوا كل واحد بحسب استحقاقه . فى دينونة الاحياء يقطع الاولاد بذنب آبائهم واما فى دينونة الاموات فيعاقب كل واحد على اثمه الخاص

سابعاً — دخول الابرار إلى حياة أبدية كقول الرب « والابرار الى حياة ابدية » (ع ٤٦) يعنى انهم يحصلون على الحياة الابدية بقبولهم بشارة الملكوت على يد اولئك اليهود الاتقياء . لانهم إذ كانوا مزمعين ان يرثوا الارض فى حالة البركة احتاجوا الى الحياة الابدية التى هي هبة الله فى يسوع المسيح ، وهى التى حصلنا عليها نحن الآن بقبولنا كلام ابن الله (يو ٥: ٢٤، ١ بط ١: ٢٣) ولكننا سنتمتع بها تماماً وأبدياً فى المجد السماوى . فدخول اولئك الى حياة ابدية ليس دخولاً الى السماء ، كما ان حصولنا نحن على الحياة الأبدية الآن بكلمة الله لا يعنى دخولنا الى السماء .

لا شك اننا سندخل السماء ولكننا نحيا روحياً قبل ذلك كما لا يخفى

اخيراً . الدينونة المذكورة في هذا الفصل هي للاحياء الباقين من الأمم وقت جلوس المسيح على كرسي مجده بعد ان يكون قد اظهر على السحاب بقوة ومجد كثير (مت ٢٤: ٣٠) وهي من جملة الافعال التي يفعلها لتنقية الأرض وليجمع من ملكوته جميع المعاثر وفعلة الاثم استعداداً للملك على الارض . وقد رأينا سوء حالة ملكوت السموات من حيث ان المسيحيين بالاسم على وجه العموم لم يثبتوا في لطف الله فأصبحوا مستوجبين القطع (رو ١١: ٢١ و٢٢) وكذلك استحق اليهود ايضاً ان يُقطعوا لانهم رفضوا الملكوت. فيخاصمهم الرب كجزء خاص من الرعية اما من جهة الامم فاننا نرى هنا ايضاً انه بعد اختطاف الكنيسة سيبلغ نداء عظيم على فم المار بين من البقية اليهودية التقية الى كل الامم الغير المسيحية في كل المسكونة يُدعَون به الى الخضوع لله نظراً الى اقتراب الدينونة . ويقال له بشارة أبدية لكونه يتضمن حقوق الله المطلقة على الانسان كخليقته في الوقت الذي يكون فيه الانسان في شخص الوحش قد عظم نفسه على الأرض مدعياً انه هو الله . فاذاً الذين يرفضون هذه البشارة لا يرثون الملكوت بل يبادون . ونقدر ان نقول ان الملكوت واحد من الاول الى الآخر مع انه قد اتخذ هيئات مختلفة . لأنه قد كُرز به من أيام يوحنا المعمدان . واليهود أولاً رفضوه واظهروا بغضهم للملك الحقيقي . ثم أقيم على هيئة أخرى بعد موت المسيح وارتفاعه والبعض دخلوه باعترافهم بالمسيح المرفوض فانتسبوا اليه انتساباً جهارياً ،هذا بغض النظر عما إذا كانوا قد تجددوا بروح الله ام لا. وهذا هو الحال الآن . وأما بعد اختطاف الذين هم للرب فينشر ببشارة الملكوت في كل المسكونة لكل الامم الغير المسيحية حتى تكون الفرصة للجميع أن يخضعوا له أو يرفضوه . ثم بعد ذلك سيقام الملكوت فعلاً على الارض. ولنلاحظ ان دانيال يشير الى إقامته فعلاً (دا ٢: ٣٤-٣٦) لا الى حالته وهو يكرز به. والمعبر عنهم بالخراف هم البقية الاممية المذكورة في رؤ ٧: ٩-١٧ وهي مذكورة بعد البقية

الإسرائيلية الوارد ذكرها فى الأعداد من ١ — ٨ . والبركات المنسوبة لهم هى مما يطابق وراثة الأرض . فان الجالس على العرش يحل فوقهم ويخدمونه فى هيكله . لأنه واضح ان ذلك وخلافه مما يذكر هو للارض وليس للسماء التى هى نصيبنا. فان اورشليم السماوية ليس فيها هيكل . ونرى صعودهم الى أورشليم الأرضية للسجود (أش ٦٦: ٢٣ و٢٤ ، وزك ١٤: ١٦—١٩ ، رؤ ٢١: ٢٤—٢٧). ثم فى مز ١٠٠ نرى اسرائيل وهم متمتعون بالراحـة والبركة فى أرضهم يدعون كل الأرض ان يحضروا الى هيكل الله فى المدينة المحبوبة للسجود لله ، لأن بيته لا بد ان يصير بيت الصلاة لجميع الأمم (أش ٥٦: ٧) الذين سيباركون فى ابرهيم ونسله (تك ٢٢: ١٨) . ولا يكون السجود الجمهورى حينئذ إلا فى أورشليم

لقد اعترض البعض على صعود الجميع الى أورشليم لما يبدو من استحالته ولكنى لا أرى أهمية لهذا الاعتراض لأنه أولاً — لا ينتج ان الجميع يحضرون فى وقت واحد مع ان ذلك ليس مستحيلاً لو شاء الله . وثانياً — هذا الاعتراض مبنى على جهالتنا لكيفية الملكوت وأحواله . وبما ان هذا الاعتراض ضد شهادات كلمة الله الصريحة فلا يليق بنا أن نهتم به كثيراً

الاصحاح السادس والعشرون

إنباؤه الأخير بموته . وتآمر رؤساء الكهنة عليه

(ع ١—٥ ، مر ١٤: ١ و٢ ، لو ٢٢: ١—٦)

« ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها قال لتلاميذه تعلمون انه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب . حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة الذى يدعى قيافا . وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه . ولكنهم قالوا ليس فى العيد لئلا يكون شغب فى الشعب »

قد وصلنا الى الفصل الأخير من انجيل متى الذى يشمل الحوادث المختصة بموت المسيح . معلوم انه تاريخ بسيط ولكن لا ينتج من ذلك انه قليل الفوائد أو عديم الفاعلية بل بالعكس . فانه لا يوجد ذكر لحادثة أخرى مما جرى على الأرض قد أثر فى قلوب ألوف وربوات من البشر مثل هذه الحادثة التى أتت بأثمار نفيسة وثمينة تدوم إلى الأبد لمجد الله وتوجب له التشكرات والتسبيحات الغير المتناهية من جمهور المفديين. فان كنا نقرأ قصة موت ابن الله غير متأثرين بها فالسبب هو قساوة قلوبنا وعمى أعيننا وليس هو ان الخبر غير مؤثر أو المنظر ليس عجيباً

« ولما أكمل يسوع هذه الأقوال كلها » أى ما تكلم به لتلاميذه على جبل الزيتون فى إصحاحى ٢٤ و٢٥ . وبانتهائه من هذه الأقوال انتهت شهادته كنبي وهنا نراه يستعد ليقوم على الصليب بخدمته ككاهن ، إذ يقدم نفسه ذبيحة . وهنا لا نرى أنفسنا أمام إيضاح تعاليم متنوعة عما يتعلق بطرق الله ومعاملاته السياسية على الارض، بل حتى ولا أمام أيضاح تعليم الفداء نفسه، بل نحن الآن أمام الفادى نفسه، ذلك الشخص الالهى الذى به يكمل الفداء ويقوم الكل. فى الرسائل نرى إيضاحات

لقيمة موت المسيح وتخصيصه لاحتياجاتنا كخطاة أو كمؤمنين . وأما هنا فنرى موته ذاته مع الظروف المتعلقة به

« تعلمون انه بعد يومين يكون الفصح وابن الانسان يسلم ليصلب » كان قد سبق وأنبأهم ثلاث مرات بموته (ص ١٦ : ٢١ ، ١٧ : ٢٢ ، ٢٠ : ١٨) ولكنه لم يحدد تاريخ وقوعه . وهنا بهدوء إلهي يخبرهم بموته ويحدده ومع أنه يترك نفسه هنيهة الى إرادة البشر وهو مجتاز في طريق الاتضاع الكامل لكن ليس ذلك إلا لتكميل مشيئة الله لان الوقت كان قد حان ليذبح الفصح الحقيقي حمل الله الذي يرفع خطية العالم.

« حينئذ اجتمع رؤساء الكهنة والكتبة وشيوخ الشعب الى دار رئيس الكهنة .. وتشاوروا لكى يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه ولكنهم قالوا ليس فى العيد» هكذا قصدوا فى بادىء الامر . ولكن خيانة يهوذا (ع ١٤—١٦) عدلت بهم عن هذا القصد لانه أراهم طريقاً يمسكونه بها خفية فلا يكون شغب. فلم يتم قصدهم بل قصد الله ليس بسبب ضرورة موت المسيح كالفصح الحقيقى فى الفصح الرمزى لابطال هذا وقيام ذاك فقط ، بل أيضاً وليسهل انتشار خبر موت المسيح وقيامته فى كل العالم على فم المعيِّدين فى أورشليم بعد عودتهم منها الى أوطانهم بعد أعياد الفصح والخمسين والمظال (تث ١٦ : ١٦ ، أع ٢ : ٥) .

«لئلا يكون شغب فى الشعب» كان الشعب قد أظهروا رضى عظيماً به وكانوا يبكرون اليه فى الهيكل كل يوم ليستمعوا الى تعاليمه (لو ٢١ : ٢٨). فكان الرؤساء يجتهدون غاية الاجتهاد أن لا يكون موت المسيح فى العيد خوفاً من الشعب . لأن الشرير يحسب دائماً ان شره موجود فى الآخرين . وبما أن أولئك الرؤساء كانوا معتادين ان يهيجوا الشعب لاجل غاياتهم الذميمة (مر ١٥ : ١١) ظنوا ان المسيح مثلهم ، وانه لا بد أن يلتجىء الى الشعب لكى يخلصوه . ولكن خوفهم هذا كان فى غير محله. لان ساعته كانت قد أتت ليصلب بحسب مشورة الله. وها هو كذبيحة منتدبة يطيع حتى الموت موت الصليب . والشعب أيضاً لا يُركَن اليهم لأنهم

متقلبون فينقادون بسرعة الى رؤسائهم. وعوضاً عن أن يدافعوا عن المسيح يصرخون طالبين قتله . واذ ذاك تظهر تماماً عداوة القلب البشرى لله فى قتل ابنه الحبيب .

مريم تدهن المسيح بالطيب

(ع ٦ - ١٣ ، مر ١٤ : ٣ - ٩ ، يو ١٢ : ١ - ١١)

« وفيما كان يسوع فى بيت عنيا ، فى بيت سمعان الابرص تقدمت اليه امرأة معها قارورة طيب كثير الثمن فسكبته على رأسه وهو متكيء . فلما رأى تلاميذه ذلك اغتاظوا قائلين لماذا هذا الاتلاف لانه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء . فعلم يسوع وقال لهم ، لماذا تزعجون المرأة ؟ فانها قد عملت بى عملاً حسناً . لان الفقراء معكم فى كل حين وأما أنا فلست معكم فى كل حين . فانها إذ سكبت هذا الطيب على جسدى انما فعلت ذلك لأجل تكفينى . الحق أقول لكم حيثما يكرز بهذا الانجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته هذه تذكاراً لها » .

« وفيما كان يسوع فى بيت عنيا الخ » جرت هذه الحادثة قبل العيد بستة أيام.

« فى بيت سمعان الابرص. » لا نعلم من هو سمعان الابرص هذا . ومعرفتنا من هو ليست من المسائل المهمة .

« تقدمت اليه امرأة » هذه المرأة هى مريم أخت لعازر . لم يذكر متى ومرقس اسمها ولكنهما ذكرا اسم قريتها (مر ١٤:٣) ويوحنا وحده هو الذى ذكر أسماء أفراد هذه العائلة المحبوبة واسم قريتهم .

ويجب أن نميز أيضاً بين هذه المرأة التى هى مريم والمرأة التى ذكرها لوقا فى ص ٧: ٣٦ — ٣٨ . لأن تلك كانت فى الجليل وهذه فى بيت عنيا . وتلك كانت خاطئة مشهورة وهذه شهد لها المسيح بأنها اختارت النصيب الصالح (لو ١٠ : ٤٢). وتلك كانت فى بيت سمعان الفريسى وهذه فى بيت سمعان الأبرص . وتلك دهنته فى أول كرازته وهذه دهنته فى نهاية كرازته .

وفى متى ومرقس يقال عن مريم انها «سكبته على رأسه» (ع ٣ ، مر ١٤: ٣) لأنها تمثل البقية التقية تمسح يسوع ملكاً ونبياً . أما فى يوحنا انجيل لاهوته فيقال عنها انها « دهنت قدمى يسوع ومسحت قدميه بشعرها » (يو ١٢ : ٣) وهذا كان حسبما يليق به من تعبد كالله فكان لهذه المرأة قلب مملوء من محبة المسيح ، ومحبتها له حملتها على ان تعمل العمل اللائق بشخصه فى تلك الساعة. وأما التلاميذ فاغتاظوا بما عملت ظانين ان كل ما أنفق على شخص الرب إنما هو اتلاف . وكان يهوذا الاسخر يوطي هو الذى قد ابتدأ بالغيظ والكلام. وهذا أول كلام ذكر له فى الانجيل. وقاله لانه كان سارقاً (يو ١٢: ٦) وانقاد اليه الآخرون . ونرى هنا ان الشر معدٍ كالوباء . « أما خاطىء واحد فيفسد خيراً جزيلاً » (جا ٩: ١٨) . لم يكن الاحد عشر تلميذاً طامعين كيهوذا فى المال . ولكنهم لم يكونوا كمريم فى الشركة الروحية مع الرب فى تلك الساعة فلذلك تأثروا بشر يهوذا الذى ستره تحت حجاب العطف على الفقراء وصادقوا على كلامه قائلين معه « لماذا هذا الاتلاف ؟ لانه كان يمكن أن يباع هذا الطيب بكثير ويعطى للفقراء » كأن الاحسان الى المحتاجين أفضل من إظهار المحبة للرب على الوجه الذى يوافق ظروفه فى تلك الساعة اذ كان مفتكراً فى الموت والقبر . وقد أظهرت مريم بما عملت أنها هي أيضاً مفتكرة فى ذلك . وأتت وسكبت قارورة الطيب الكثير الثمن على رأسه ، ذلك الرأس الذى كان عتيداً أن يكلل بالشوك ، وينكبس بالموت ، فعملها كان فى وقته ومحله . ان الاحسان إلى الفقراء من الأمور الواجبة وان كان التلاميذ غيورين على ذلك فلهم فرصة مناسبة فى كل حين . وأما الرب فلا يكون حاضراً معهم بالجسد كما كان وقتئذ إلا تلك الساعة فقط . ربما لم تدرك مريم بعقلها حقيقة موت الرب ، وقرب وقوعه ، وانما يجوز أن قلبها قد تأثر من أقواله التى كانت تسمعها منه وهى جالسة عند قدميه

قدر يهوذا قيمته بثلاثمائة دينار (يو ١٢: ٥) والدينار يساوى ٤٫٥ قرشاً تقريباً. فيكون ثمن الطيب نحو ثلاثة عشر جنيهاً ونصف .

فشعرت بقرب فراقه . لقد عملت العمل الوحيد الذى كان موافقاً لمقتضى الحال فى تلك الظروف إذ مسحته لتكفينه بينما كان الآخرون متشاجرين معاً فى من يكون الأعظم فى الملكوت (لو ٢٢ : ٢٤) ومهتمين بخدمة الفقراء ، ومنقادين الى نفاق يهوذا الاسخريوطى . وكان عملها هذا يستحق ذكراً مستمراً فرتب الرب أنه حيثما يكرز بهذا الإنجيل فى كل العالم يخبر أيضاً بما فعلته تذكاراً لها ، وهكذا قد صار ، فانه كان هناك قلب واحد فى ذلك الوقت هو قلب مريم يعتبر الرب أكثر من كل ما سواه .

خيانة يهوذا واشتراكه في المؤامرة مع رؤساء الكهنة

(ع ١٤ — ١٦ ، مر ١٤ : ١٠ و ١١ ، لو ٢٢ : ٣ — ٦ ، يو ١٣ : ٢٧ — ٣٠)

« حينئذ ذهب واحد من الاثنى عشر الذى يدعى يهوذا الاسخريوطى الى رؤساء الكهنة وقال ماذا تريدون أن تعطوني وأنا أسلمه اليكم . فجعلوا له ثلاثين من الفضة ، ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه » .

لقد كان طماعاً . وكان يختلس مما وضع فى الصندوق وقد حمله ذلك على التفاوض مع رؤساء الكهنة فى شأن تسليم السيد اليهم . لاحظ قوله لهم : « ماذا تريدون أن تعطوني ؟ » فان هذا أول سؤال يسأله القلب الطماع لأنه انما يشتهى ما هو لنفسه . لنلاحظ أيضاً طرق الله وتدبيره مع كل واحد حتى تنكشف حقيقة حاله . فقد كان الصندوق مع يهوذا ، فصارت له الفرصة للاختلاس فازداد طمعه . ثم أن حادثة الطيب فتحت الباب للشيطان ليظهر له طريقاً لتحصيل مبلغ كبير بتسليم الرب .

« فجعلوا له ثلاثين من الفضة » ولعلها ثلاثين شاقلاً من الفضة ، قيمة ثمن عبد (خر ٢١ : ٣٢) والشاقل من الفضة يساوى ١٣½ قرشاً . فيكون جملة ما أخذه يهوذا ٤٠٥ قرشاً والوحى يذكر المبلغ لكى يظهر أن القلب المملوء بالطمع يبيع الرب أو بالأحرى يبيع نفسه بأقل ثمن .

الإعـــداد للفصح الاخير

(ع ١٧ — ١٩ ، مر ١٤ : ١٢ — ١٦ ، لو ٢٢ : ٧ - ١٣)

« وفى أول أيام الفطير تقدم التلاميذ الى يسوع قائلين له أين تريد أن نعد لك لتأكل الفصح ؟ . فقال ، اذهبوا الى المدينة الى فلان وقولوا له ، المعلم يقول ، ان وقتى قريب . عندك اصنع الفصح مع تلاميذى . ففعل التلاميذ كما أمرهم يسوع وأعدوا الفصح » (ع ١٧ — ١٩) .

« وفى أول أيام الفطير الخ » هذا اليوم هو اليوم الرابع عشر من الشهر الأول ، شهر أبيب اليهودى (تث ١٦ : ١ و ٢) . وكان هذا اليوم موافقاً يوم الخميس فى السنة التى مات فيها الرب يسوع . فكان أكله الفصح مع تلاميذه فى ليلة الجمعة .

« فقال ، اذهبوا الى المدينة الى فلان الخ »

نراه هنا بهدوء إلهى يأمر باعداد الفصح ، و بعمله الالهى فى النفوس يستميل قلب صاحب العلية الى قبول أمره كما كان قد عمل مع صاحب الجحش (ص ٢١ : ٢ و ٣) وترتب كل شىء بموجب سلطانه الالهى لأنه بالحقيقة يهوه إله اسرائيل ولو بيع بثمن عبد .

كشف خيانة يهوذا وصرفه باللقمة أثناء أكل الفصح

(ع ٢٠ ــ ٢٥ ، مر ١٤ : ١٧ ــ ٢١ ، لو ٢٢ : ١٤ ــ ٣٠ ، يو ١٣ : ١ ــ ٣٠)

« ولما كان المساء اتكأ مع الاثنى عشر . وفيما هم يأكلون قال ، الحق أقول لكم ان واحداً منكم يسلمنى . فحزنوا جداً . وابتدأ كل واحد منهم يقول له هل أنا هو يا رب ؟ فأجاب وقال ، الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى . ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن

الأنسان . كان خيراً لذلك الرجل لو لم يولد . فأجاب يهوذا مسلمه وقال ، هل أنا هو يا سيدى . قال له أنت قلت »

يجب أن نلاحظ أن الامر المحزن هو أن واحداً من تلاميذه كان مزمعاً أن يسلمه . فحزنوا جداً لانهم أحبوه محبة حقيقية مع أنهم كانوا قد أظهروا ضعف قلوبهم مراراً عديدة خصوصاً عند حادثة الطيب . فأخذ كل واحد يسأله هل أنا هو يا رب ؟ فارتابوا فى أنفسهم لا فى صدق كلام الرب . وابتدأ كل واحد يشك فى نفسه لا فى رفقائه ، وكان ذلك فى محله

« فأجاب وقال ، الذى يغمس يده معى فى الصحفة هو يسلمنى » فيظهر أن هذا ليس علامة اللقمة المذكورة فى يو ١٣ : ١٦ التى أعطاها الرب اجابة لسؤال خاص من بطرس و يوحنا ، لكنه جواب عام فحواه أن مسلمه واحد منهم ، وأليف له ، ومعتاد أن يأكل معه ، كالقول « الذى يأكل معي الخبز رفع على عقبه » (قابل يو ١٣ : ١٨ مع ع ٢٦ ، مز ٤١ : ٩ ، ٥٥ : ١٣ و ١٤) فصار هذا قبل ما اعطى العلامة الخاصة

« ان ابن الانسان ماض كما هو مكتوب عنه . ولكن ويل لذلك الرجل الذى به يسلم ابن الانسان » كان الله مزمعاً أن يتمم مشورته الازلية . وكان الابن طائعاً كل الطاعة . ولكن ذلك لم يكن ليخفف خطية مسلمه وكانت خطيته عظيمة جداً . وكان خيراً له لو لم يولد . لا شك أن هذا القول يصدق على جميع المالكين ، ولكن الرب يستعمله هنا ليظهر عظم خطية يهوذا الذى كان يغمس يده مع الرب فى الصحفة . ولكن بعد الالفة الطويلة خانه و باعه بثلاثين من الفضة

« فأجاب يهوذا مسلمه وقال ، هل أنا هو ، يا سيدى ؟ » أخيراً التزم يهوذا أن يسأل نفس السؤال ، والرب فى جوابه « أنت قلت » ترك الأمر مبهماً عند الآخرين ، مع أنه كان معروفاً عنده وعند ضمير يهوذا أيضاً . كنا نظن أن يهوذا لا بد أن ينتبه بواسطة هذه الانذارات الصريحة ، ويتوب عن شره العظيم

قبل أن يصنعه . ولكنه قد فقد الحس وصار أسيراً فى يد العدو . وطمعه كان القيد الذى قيده به الشيطان . فما أشد هذا المنظر هولا ! ابليس نفسه مستول تماماً على واحد من تلاميذ الرب يديره الى حيث يشاء وهو بعد منتسب للرب يدعـــوه « سيدى » .

رسم العشاء الربانى

(ع ٢٦ — ٣٠ ، مر ١٤ : ٢٢ — ٢٦ ، لو ٢٢ : ١٩ و ٢٠)

« وفيما هم يأكلون أخذ يسوع الخبز وبارك وكسر وأعطى التلاميذ وقال ، خذوا كلوا . هذا هو جسدى . وأخذ الكأس وشكر وأعطاهم قائلاً ، اشربوا منها كلكم . لان هذا هو دمى الذى للعهد الجديد الذى يسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا . وأقول لكم انى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشربه معكم جديداً فى ملكوت أبى . ثم سبحوا وخرجوا الى جبل الزيتون » .

يتضح من (يو ١٣ : ٢٦ـ٣٠) أن يهوذا لم يكن حاضراً وقت العشاء الربانى ، لأن اللقمة التى غمسها الرب وصرفه بها كانت من عشاء الفصح . لأن العشاء الربانى ليس به إدام يغمس الخبز فيه . وقول الرب فى (لو ٢٢ : ٢١) « هوذا يد الذى يسلمنى هى معى على المائدة » لا ينفى هذه الحقيقة . لأن الرب قال ذلك وهم على المائدة يأكلون عشاء الفصح الذى بلقمة منه صرف يهوذا . وبعده ، وهم على نفس المائدة ، رسم العشاء الربانى . فذكر لفظة « المائدة » لا يدل على أكله من العشاء الربانى . لان المائدة استعملت للغرضين . ومهما كان الأمر من جهـــة يهوذا فانه لا يجوز لنا أن نقبل المنافقين الى مائدة الرب إذا كان نفاقهم قد ظهر . لا شك أنه من الأمور الممكنة أن أناساً غير مستحقين يفوزون بالقبول فى الكنيسة الى حين لأن

ابليس لا يزال يدخل اخوة كذبة خلسة (٢ كو ١١ : ٢٦) لكى يفسد الشركة الروحية . ولا نقدر أن نفصلهم إلى أن تظهر حقيقتهم ، ولكن إذا ظهرت فالقانون الدائم لنا أن نعزل الخبيث من وسطنا (١ كو ٥ : ١٣) . لا نقدر أن نعمل بحسب معرفة الله السرية غير أنه يجب أن نعمل بحسب ارادته المعلنة .

« وفيما هم يأكلون » أى فيما هم يأكلون الفصح لأن أكل الفصح يطلق على كل العبادة المتعلقة بذلك (لو ٢٢ : ١) ولعله يطلق أيضاً على حفظ العيد سبعة أيام (أنظر يو ١٨ : ٢٨) حيث يظهر أن اليهود لم يدخلوا إلى دار الولاية خوفاً من التنجس « فيأكلون الفصح » أى يكملون حفظ العيد . فانهم كانوا قد أكلوا الفصح بحصر اللفظ فى اليوم السابق ، ولكن لو تنجسوا بدخول دار الولاية لما قدروا أن يكملوه . فاذاً أكل الفصح عبارة عن حفظ العيد كله .

« وأخذ يسوع الخبز » أى أخذ من الخبز الموجود . « وبارك » . أى شكر أو قدم شكراً لله المصدر الوحيد لكل خير وبركة للانسان .

« وكسر » . الخبز يشير إلى المسيح باعتبار كونه متجسداً . أنظر قربان الدقيق (لا ص ٢) فانه كان من غلة الارض وكان رمزاً إلى جسد المسيح . ولكن فى العشاء الربانى يجب أن يكسر الخبز للدلالة على موت المسيح الذى كان أمراً ضرورياً لأنه لو ظل المسيح حياً على الارض لما أمكن أن يمنحنا بركة تامة أبدية ، فكان ينبغى أن يموت . وكسر الخبز يدل على الموت .

« وأعطى التلاميذ » أى أعطاهم الخبز المكسور .

« وقال ، خذوا كلوا » وأخذهم الخبز المكسور وأكلهم إياه هو للدلالة على انتفاعهم بالمسيح على أساس موته لأجلهم . لأنه لم يمكن أن المسيح ينفعنا نفعاً أبدياً لو لم يمت كقوله « الحق الحق أقول لكم ان لم تقع حبة الحنطة فى الأرض وتمت فهى تبقى وحدها ، ولكن ان ماتت تأتى بثمر كثير » (يو ١٢ : ٢٤) . كان هو حبة الحنطة الجيدة ، وكان قد اشترك حقيقة فى اللحم والدم وظهر بين الناس كانسان

مع أنه كان أعظم جداً من انسان . ولكنه كان ينبغي أن يجتاز الموت كفارة عنا لدى العدل الإلهي، ثم يقوم من الاموات ، ويباركنا وهو على حالة القيامة ، ويجعلنا متحدين معه بواسطة الروح القدس المرسل لنا منه وهو فى السماء . فاذاً الأساس الراسخ لجميع بركاتنا هو موت ابن الله فداء عنا . وأما البركات فهى بركات القيامة (١ بط ١:٣) ومصدرها هو شخص المسيح الممجد عن يمين الله .

« هذا هو جسدى » أى هذا الخبز كناية عن جسدى . لا يخفى أن كلامه مجازى . وقد ورد كلام كثير مثله كقوله : « أنا هو الباب » و « أنا الكرمة الحقيقية » (يو ١٠:٩ و ١٥ : ١) . كان جسده حياً وصحيحاً بعد ، ولم يمنحه حرفياً للتلاميذ . على أنه لا يوافق هذا الموضع ان أبحث فى موضوع العشاء الربانى بالتفصيل لان هذا البحث يأتى فى محله عند درس بعض الرسائل . فنرى هنا رسمه أو تأسيسه تاريخياً فقط .

« وأخذ الكأس » أى كأساً من الخمر الموجودة عندهم . قد قيل أن اليهود استعملوا عدة كؤوس عند الفصح ، ولوقا يذكر كأسين (لو ٢٢:١٧ و ٢٠) وكانت الاولى متعلقة بعيد الفصح وأما الثانية فبالعشاء الربانى .

« وشكر وأعطاهم قائلاً ، اشربوا منها كلكم » الفرق بين الخبز والخمر هو أن الخبز يشير إلى جسد المسيح ، وكسره يشير إلى ضرورة موته لكى يمكننا أن ننال الفداء . وأما الخمر فتشير إلى الدم الذى هو برهان حصول الموت ، فان الدم خرج من جنب المسيح وهو ميت (يو ١٩:٣٤) ولهذه الحقيقة أهمية عظيمة أنظر أيضاً (١ يو ٥: ٦) . توجد ثلاثة أشياء يجب أن يلتفت اليها ، أولاً آلام المسيح وهو معلق على الصليب متروكاً ومضروباً من الله لأن غضب الله العادل وقع عليه لأنه كان آخذاً مكاننا ولم يشغل هذا المكان إلا على الصليب . ثانيا ــ اهراق دمه الذى هو وضع حياته لان الحياة فى الدم (لا ١٧:١١) فلذلك قد اعطى الدم للتكفير على المذبح ، وكان الدم بعد ما سفك برهانا على أن حياة الذبيحة قد وضعت ، ثالثا ــ قبول الدم لدى

الله كفارة . إن محل آلام للمسيح ووضع حياته كان على الارض خارج المحلة . وأما محل تقديم دمه أى قيمته وقبوله فهو فى السماء أمام الله (أنظر عب ٩: ١٢) « بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الأقداس فوجد فداء أبدياً».

وقول الرب « اشربوا منها » انما يشير الى اشتراكهم فى فوائد دمه لاجل التكفير ولا يعنى أنهم يشربون منه حرفياً أو عن طريق الاستحالة كما زعم كثيرون كأننا نشرب به حقيقة لأن شرب الدم كان ممنوعاً منعاً مطلقاً (تك ٩: ٤ ، لا ١٧: ١٠- ١٤ ، أع ١٥: ٢٩) وقول الرب « من يأكل جسدى و يشرب دمى فله حياة أبدية وأنا أقيمه فى اليوم الأخير . لأن جسدى مأكل حق ودمى مشرب حق . من يأكل جسدى ويشرب دمى فهو يثبت فىّ وأنا فيه» (يو ٦: ٥٤-٥٦) لا يشير الى العشاء الربانى البتة . يدل على ذلك :

أولاً - ان يوحنا لا يذكر العشاء الربانى حتى ولا عند ذكره للحوادث المختصة بما جرى فى تلك الليلة التى أسلم فيها المسيح .

ثانياً - قرائن الكلام نفسها توضح معناه . فقد كان اليهود يطلبون أن المسيح يكون لهم مخلصاً حياً كما كان موسى لآبائهم . ولكنه أوضح لهم ضرورة موته وأنه لا يمكن أن يأتيهم ببركة تامة بدون أن يموت . فانه كان ينبغى لهم أن يأكلوا جسده ويشربوا دمه أى يؤمنون ببذل جسده وسفك دمه فيحصلون على الحياة الابدية المبنية على موته (يو ٦: ٣٥ و ٣٧) فحقيقة موته هذه أعثرتهم . وقالوا فى وقت آخر «قد سمعنا من الناموس أن المسيح متى جاء يبقى الى الأبد» (يو ١٢: ٣٤) إذ كان موت مسيحهم ذبيحة لأجل خلاصهم أمراً بعيداً عن أفكارهم . ولكنه من الحقائق الكتابية المقررة والاساسية فى إيماننا المسيحى أن الحياة الأبدية والخلاص من الغضب لا يمكن أن يكونا لنا إلا بموت ابن الله . وكل من آمن به يكون بذلك قد اشترك فى فوائد موته كفادٍ قد مات وقام . وبهذا المعنى يكون قد أكل جسده وشرب دمه . وكان كلام الرب هذا حقاً حتى ولو لم يرسم العشاء الربانى

تذكاراً لموته . ويجب أن يتم كلامه فينا قبل أن نستحق أن نتناول الخبز والخمر . وذلك اللص التائب آمن وحصل على الحياة والفداء بالمسيح وهو مرفوض ومتألم . وهو بذلك قد أكل جسده وشرب دمه بدون أن يأكل من العشاء الرباني وهكذا خلص أيضاً كثيرون غيره . فلا يظن القارىء أن الرب فى يو ٦ : ٥٤ — ٥٦ أشار الى العشاء الربانى أو أنه ينبغى لنا أن نمارسه لكي نخلص لأن فكراً كهذا غريب عن الكتاب .

ولنلاحظ أيضاً أنه فى ممارسة العشاء الربانى ليس أحد منا يتخذ مقام الرب . لقد ناول تلاميذه أما هو نفسه فلم يتناول . قال لهم كلوا واشربوا أما هو فلم يكن محتاجاً أن يأكل ويشرب من تلك العناصر ، إذ كان هو الفادى وكانوا هم المفديين . كرب البيت رسم لهم هذه الفريضة ليمارسوها كتذكار لشخصه الذى صار هو نفسه فصحهم الحقيقى مرة واحدة لخلاصهم والذى أكلوا جسده وشربوا دمه مرة واحدة أى آمنوا به فنالوا فيه الحياة الى الأبد كمفدييه . فلا يجسر أحد أن يضع نفسه فى مقام الرب كأنه صاحب البيت ، لأن الرب لا يزال محافظاً على مقامه ويبادر الى الحضور مع اثنين أو ثلاثة اذا اجتمعوا باسمه (ص ١٨ : ٢٠) لكى يتذكروا موته فى كسر الخبز (أع ٢ : ٤٦ و ٤٧ ، ٢٠ : ٧) وجميع المجتمعين هم ضيوفه ولا يحتاجون الى كاهن بشرى لأنهم هم كهنة (رؤ ١ : ٦ ، ١ بط ٢ : ٥) مجتمعون حول رئيس الكهنة نفسه . حتى الاسرائيليون لم يحتاجوا الى كاهن لحفظ الفصح . كان لهم كهنة ولكنهم هم أيضاً احتاجوا الى أن يأكلوا الفصح كالآخرين . لأن الله كان قد خلص الجميع سوية من عبودية مصر . فكل من حاول أن يقيم نفسه كاهناً على مائدة الرب لا يعرف حقيقة المسيح ولا احتياجه الشديد الشخصى الى الفداء ، ولا اننا قد أفتدينا مرة واحدة بذلك الدم الزكى . وفضلاً عن ذلك فان محل الكهانة هو فى الهيكل .

لا يخفى أنه يقال للعشاء الربانى مائدة الرب (يو ١٠:٢١) ولم يرد ذكر ممارسته في الأول إلا فى بيوت المؤمنين (أع ٢:٤٦ ، ٢٠:٧ و ٨) لا شك أن المسيحيين قد بنوا أبنية وزينوها بتحف على رسم هيكل اليهود . ومارسوا العشاء الربانى فيها كأنه من أعظم متعلقات الوظيفة الكهنوتية . ولكن لا يوجد أساس لذلك البتة فى العهد الجديد .

وأقول ايضاً أننا عند تناولنا الخبز والخمر لا نفعل ذلك لكى نخصص عمل الفداء لنا من جديد ، ولكن تذكاراً للفداء الكامل الابدى الذي قد حصلنا عليه. فاذاً يليق بنا ان نشكر ونسبح ، نعم ونقر اننا كنا فى احتياج شديد الى ذلك العمل الالهى الذى أكمل الى الأبد على الصليب ، العمل الذى لا يكرر لأنه كامل وحصّل لنا فداء أبدياً . والله قد خصصه لنا وقت ايماننا . فلا حاجة له تعالى ان يكرر عمله ، وقد تأكدنا ذلك بالايمان . إن كنا ندرس الاصحاحين ٩ و ١٠ من العبرانيين نتخلص من فكرة تخصيص موت المسيح لنا مرة بعد أخرى ، سواء كان بواسطة العشاء الربانى أو بشيء آخر من الوسائط . ونرى ايضاً فيهما أن لا حاجة لنا الى كاهن بشرى ليقف بيننا وبين الله كأنه أقرب الى الله منا ، أو ان له خدمة أو وظيفة تخصه دون غيره من المفديين . لا شك فى وجود أنواع خدمة فى الامور الروحية ولكن ليست مائدة الرب هى المحل المعين لممارستها . لأننا جميعاً نحضر هناك متساوين فى صفتنا كخطاة أشقياء ولكن مفديين وقريبين الى الله بدم المسيح . ومن لا يحضر هكذا لا يعرف ماذا يعمل . وأقول ايضاً ان ربنا يسوع المسيح نفسه لم يناول التلاميذ الخبز والخمر بصفة كاهن لأنه لما كان هنا على الارض لم يكن كاهناً (عب ٨:٤) لأنه لم يتخذ وظيفة كاهن للتكفير عنا بذبيحته إلا بعد ارتفاعه على الصليب فقط . فانه حينئذ « قدم نفسه لله بلا عيب» و «بدم نفسه دخل مرة واحدة الى الأقداس فوجد فداء أبدياً » .

ولو كان دم المسيح قليل القيمة نظير دم الذبائح القديمة لما كان للمسيح حق فى ان يقوم بقوة حياة لا تزول ، ولا ان يدخل السماء كفادٍ صائر على رتبة ملكي صادق له كهنوت لا يزول (عب ٥ : ٦ ، ٦ : ١٩ و ٢٠) ولكنه قدم نفسه مرة واحدة ثم جلس ، وجلوسه عن يمين الله يدل على ان ليس له بعد عمل من هذا القبيل بخلاف الكهنة الذين كانوا تحت الناموس ، والذين لم يكن لهم حق أن يجلسوا فى خدمتهم ولا ان يكفوا عن تقديم قرابينهم على الدوام لعدم انتهاء خدمتهم ، إذ لم تقدر ذبائحهم ان ترفع الخطية . ولكن دم المسيح قد رفع خطايانا وقد تأكدنا ذلك بالايمان وانما نتناول الكأس تذكاراً له . فليس العشاء الربانى ذبيحة بل تذكاراً للذبيحة .

« لأن هذا هو دمي الذى للعهد الجديد الذى يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا » . وهنا نلاحظ .

أولاً — أنه يوجد عهد جديد أساسه دم المسيح . كان العهد القديم لا يزال قائماً بعد . ولكن الرب أشار الى إقامة عهد جديد وهو مذكور صريحاً فى النبوات (أنظر أر ٣١ : ٣١ – ٣٤ وعب ٨ : ٧ – ١٣) . فالعتيق شاخ وزال ولم يبق له موضع بعد تأسيس الجديد . فبعد موت المسيح نودي بالعهد الجديد ابتداء من يوم الخمسين أولاً لليهود ولكنهم لم يقبلوه . فلم يثبت معهم كأمة . غير أن كل من آمن منهم حصل على فوائده . وكذلك كل من آمن من الأمم . لأنه عندما نؤمن نوضع تحت العهد الجديد ، و يصدق علينا قول الله « لأنى أكون صفوحاً عن آثامهم ولا أذكر خطاياهم وتعدياتهم فيما بعد » (عب ٨ : ١٢) . لا شك أن الله سيثبت هذا العهد مع بيت اسرائيل ومع بيت يهوذا في المستقبل و يباركهم بركات روحية وأرضية أيضاً . ولكن فى مدة عصيانهم وعدم توبتهم ينادى به فى بشارة الأنجيل ، والمؤمنون ينالون غفران خطاياهم و يقترنون بالمسيح اقتراناً سماوياً .

ثانياً - إن دم المسيح « يسفك من أجل كثيرين » أى انه ليس محصوراً فى اليهود فقط كما كانت الذبائح القديمة . كان الفصح لاسرائيل لا للامم ولكن دم الفصح الحقيقى مخصّص على دائرة أوسع من ذلك.

ثالثاً - إنه يُسفك « لمغفرة الخطايا » وهذا معناه أنه توجد مغفرة للخطايا . و بما أن دم المسيح هو أساسها فهى كاملة والى الابد ونحصل عليها بالايمان (أنظر رو ٣: ٢٢—٢٦، اف ١: ٦، كو ١: ١٤) وشهادات أخرى كثيرة جداً، وهى جميعها واضحة وعظيمة الأهمية ، لأن معرفة غفران خطايانا هى من المبادىء الأولية. ومن قال أنه مؤمن ولا يعرف ذلك فكأنه لا يعرف قيمة دم المسيح بعد أو لا يصدق شهادة الله التى شهدها فى الانجيل أن كل من يؤمن به ينال غفران خطاياه (أع ١٠: ٤٣). وان قال قائل أنا مصدق ذلك كله ، وانما أشك وأتردد فقط من جهة ايمانى إذ لا أعرف هل ايمانى صحيح أم لا . فأقول، ان الله لا يدعونا أن نؤمن بإيماننا، لأن يقيننا بالمغفرة لا ينتج من كوننا قد تحققنا أن ايماننا صحيح بل من تصديق كلمة الله والاتكال القلبى على المسيح . كانت خطايانا كلها مستقبلة حين وضعها الله على المسيح . فعندما نأتى اليه ونؤمن به نجد أنها قد رُفعت ونتأكد انه لا يعود يذكرها أيضاً . لو بقيت علينا خطية واحدة من خطايانا لم يضعها الله على المسيح لكانت تكفى لدينونتنا . فاذاً لو لم يغفر لنا الله خطايانا جميعها دفعة واحدة و يضعنا تحت العهد الجديد لكان معنى ذلك ان المسيح لم ينفعنا شيئاً .

« وأقول لكم إنى من الآن لا أشرب من نتاج الكرمة هذا الى ذلك اليوم حينما أشرب به معكم جديداً فى ملكوت أبى» (ع ٢٩)..

« نتاج الكرمة» هو الخمر مطلقاً ، والرب بقوله «هذا» لا يشير الى خمر كأس العشاء الربانى ، لأنه لم يشرب منها ، بل الى خمر كأس عشاء الفصح (أنظر لو ٢٢: ١٥—١٨) . أو الى الخمر على وجه الاطلاق (مز ١٤: ٢٥) باعتبار كونها كناية عن

الأفراح الانسانية . كان الرب قد صرف معهم مدة على الارض كانسان . وكانت له الاختبارات الانسانية ما عدا الخطية . وكانت له معهم على الارض أفـــراح كانسان اسرائيلى مع انها كانت من نوع إلهى، والروح القدس مصدرها . وكان يمكن له أن يمنحها لتلاميذه و يشاركهم فيها وهو معهم ، ولكنه هنا ينبههم الى أن شركته معهم من هذا القبيل عتيدة ان تنتهى وتنقطع الى حين .

وكان للرب أيضاً فرح خاص به كانسان و يسميه « فرحى » (يو ١٥ : ١١) وطلب أن يثبت فيهم بعد مفارقته لهم حين لا يعود فى الإمكان أن يشاركهم حضورياً هنا فى فرحه هذا . غير أنه يعطيهم الرجاء الأكيد باجتماعهم معه أيضاً حيث تعود وتكون لهم معه أفراح مشتركة كما قيل للعبد الأمين « أدخل الى فرح سيدك » .

« حينما أشرب معكم جديداً » لفظة جديد تشير الى هيئة الفرح الجديدة السامية حين يكون قد جمع شمل العائلة وألبسهم جميعاً أجسادهم السماوية ويبتدىء حينئذ الفرح العام الذى لا يخالطه شىء محزن أومكدر الى الأبد . وما ألذ الفكر بأننا سنفرح فى فرح الرب وهو أيضاً يفرح بأفراحنا ولا يعقب اجتماعنا فراق بخلاف اجتماعهم فى تلك الليلة إذ كان فرحهم ممتزجاً بأحزان شديدة .

« فى ملكوت أبى » ملكوت الآب هو الجزء السماوى من الملكوت العتيد (ص ١٣ : ٤٣) . وهو لنا على نوع خاص بسبب نسبتنا للآب كبنين مدعوين للمجد السماوى (عب ٢ : ١٠ مع ٣ : ١) لا شك أننا سنملك على الارض مع المسيح (رؤ ٥ : ١٠) ولكن نصيبنا الخاص لا يزال سماوياً ســـــواء كنا فى بيت الآب أو فى ملكوته . ووقت اجتماعنا جميعاً مع الرب لأجل الفرح المشترك هو عند مجيئه . أما عند ظهوره ورجــوع شعبه الارضى اليه (هو ٣ : ٥) فسيعود الى مشاركتهم فى أفراح ملكه الارضى عليهم .

« ثم سبحوا » كان من عادة الاسرائيليين فى عيد الفصح أن يرنموا بعض المزامير .

« وخرجوا الى جبل الزيتون » أى ذهبوا نحو الجبل قاصدين جثسيمانى عند اسفله . لا يذكر متى الجانب الأكبر من اقوال الرب التى تكلم بها فى العلية قبل خروجهم ولكنها مدرجة فى الاصحاحات ١٤ - ١٧ من انجيل يوحنا .

شك الجميع في المسيح وإنكار بطرس له

(ع ٣١ — ٣٥ ، مر ١٤ :٢٧ — ٣١ ، لو ٢٢ :٣١ — ٣٨ ، يو ١٣ :٣٦ — ٣٨)

« حينئذ قال لهم يسوع كلكم تشكون فىّ فى هذه الليلة . لأنه مكتوب انى أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية . ولكن بعد قيامي أسبقكم الى الجليل . فأجاب بطرس وقال له ، وان شك فيك الجميع فأنا لا أشك أبداً . قال له يسوع ، الحق أقول لك ، انك فى هذه الليلة قبل أن يصيح ديك تنكرنى ثلاث مرات . قال له بطرس ، ولو اضطررت أن أموت معك لا أنكرك . هكذا قال أيضاً جميع التلاميذ » .

« حينئذ » أى فى ذلك الوقت . والمرجح أنه قال لهم هكذا قبل خروجهم من العلية (أنظر لو ٢٢ : ٣١ و٣٩ و يو ١٣ :٣٨) وأخبرهم انهم يشكون فيه و يعثرون به بسبب ما يجرى له فى تلك الليلة .

وقد ذكّرهم بالنبوة القائلة أن الراعى يُضرب فتتبدد خراف الرعية (زك ١٣ : ٧) وكان قصده من ذلك أن يهيئهم للتجربة المتيدة أن تصيبهم حينما يرونه فى يد أعدائه، وقد أنذرهم بإنذارات أخرى كما ترى في لو ٢٢ :٣١ و٣٢ و ٣٥ — ٣٨ .

وخراف الرعية الذين يتبددون بعد رفض وضرب راعيهم هم هنا رسل المسيح الذين هربوا حين تم القبض عليه . ولكنهم صورة أيضاً لخرافه الاسرائيلية الذين سيتبددون من وجه الوحش فى نهاية الدهر (ص ١٠ :١٦ ، ٢٤ :٢٠ ، رؤ ١٢) ، ولكن مفهوم طبعاً أن جميع المؤمنين فى كل زمان هم خراف المسيح .

« ولكن بعد قيامى . . » يشير الى قيامته من الأموات كحقيقة مؤكدة .

« أسبقكم إلى الجليل » الجليل هو موضع اذل الغنم وقد تلاقى معهم هناك على الجبل الذى عينه لهم (ص٢٨:١٦) وأيضاً عند بحر طبرية (يو ٢١:١) واجتماعه بهم فى الجليل لا ينفى سبق اجتماعه بهم فى أورشليم فى يوم القيامة وفى الأحد التالى له (ص ٢٨ ، مر ١٦ ، لو ٢٤ ، يو ٢٠) .

« وان شك فيك الجميع فأنا لا أشك » كان يجب عليهم أن ينتبهوا الى إنذار الرب ولا يثقوا فى أنفسهم لأن التواضع وعدم الثقة فى ذواتنا مما يحفظنا فى وقت التجربة . ولكن بطرس بل الجميع صرحوا أنهم مستعدون أن يموتوا معـــه اذا أحوجهم الأمر إلى ذلك . وقصدوا أنهم يدافعون عنه بقوتهم حتى الموت . ولكن البسالة لا تنفعنا فى محاربة إبليس ، فان الثقة الذاتية إنما توقعنا بأكثر سرعة فى فخاخه . ولما كان بطرس واثقاً فى نفسه الى درجة عظيمة صرّح أنه يثبت ولو عثر الآخرون جميعاً . فقال له الرب أنه سينكره ثلاث مرات قبل صياح الديك فى تلك الليلة نفسها.

صلاة المسيح فى جثسيماني

(ع ٣٦ - ٤٦ ، مر ١٤ : ٣٢ - ٤٢ ، لو ٢٢ : ٣٩ - ٤٦ ، يو ١٨ : ١)

« حينئذ جاء معهم يسوع الى ضيعة يقال لها جثسيمانى فقال للتلاميذ ، اجلسوا ههنا حتى امضى وأصلى هناك . ثم أخذ معه بطرس ، وابنى زبدى وابتدأ يحزن ويكتئب . فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معى »

« جثسيمانى » معناها معصرة الزيت . وهى بذلك تحمل معنى ما انتجه الروح القدس فى المسيح كانسان من كمال الطاعة فى قبول الكأس .

قال لهم الرب قبل قيامهم من العلية . « لا اتكلم ايضاً معكم كثيراً لأن رئيس هذا العالم يأتى وليس له فىّ شىء . ولكن ليفتهم العالم انى أحب الآب وكما أوصانى

الآب هكذا افعل . قوموا ننطلق من ههنا» (يو ١٤ :٣٠ و ٣١) عند ما ندرس حياة ربنا يسوع المسيح وخدمته على الارض يجب ان نذكر دائماً انه هو الحق بذاته وانه مثل النور يظهر كل شيء كما هو ، فلا بد من ذلك لكونه الله ظاهراً فى الجسد . لانه اتى ليعلن الله بكمال صفاته . ولكنه بحضوره بين البشر وخدمته لهم اظهر حقيقة الانسان ايضاً ، اعنى عداوة القلب للنور الالهى كما قد رأينا فى هذا الانجيل. ولكن توجد حقيقة اخرى نحتاج الى أن نعرفها ايضاً وهى حقيقة الشيطان العدو العظيم المقتدر ونسبته لهذا الجنس البشرى الساقط . لا يخفى انه كان الواسطة لسقوط الانسان. فانه اغواه وأبعده عن الله ثم ظل يستعبده ويتسلط عليه تسلطاً هائلا الى وقت حضور ابن الله كنسل المرأة الى العالم . وعند ذلك حرك الملك هيرودس ان يسعي لقتله مع ان الكتاب لا ينسب ذلك له صريحاً . فانه كان من الاعمال التى يمكن للبشر ان يعملوها بدون تجربة خاصة من ابليس . ثم عند ما تقدم الى خدمته الجهارية وكانسان لبس قوة من الله اتاه ابليس بصفة مجرب وزعم ايضاً ان ممالك العالم ومجدها له (ص ٤) على ان الوحى الى ذلك الوقت لم يكن قد لقبه بعد برئيس العالم . كان قد اظهر نفسه كصاحب بيت قوى . وكان يحفظ البشر كأمتعته ولكن أمكن للانسان الثانى أن يقوى عليه ويمتلك الرياسة عنوة لان العدو عجز عن إغوائه و إسقاطه بحيلة ما. ولم يقدر ان يقف امامه مدة خدمته. فانه قدر بكلمة ان يخرج الشياطين من اجساد البشر . ولكننا قد رأينا ان سطوة العدو بقيت مستولية على قلوب الناس على وجه العموم وازدادت ايضاً على قدر ازدياد اضاءة النور ، فانهم احبوا الظلمة اكثر من النور . فحينئذ صارت المسألة واضحة كل الوضوح أن الانسان يحتاج الى قوة تفك قيوده وتنقذه من ابليس روحياً ولكن قد وُجد مانع لذلك عظيم جداً وهو حكم الله العادل على الانسان بالموت . وكان سلطان الموت لابليس (عب ٢ : ١٤) بمعنى انه بسقوط الانسان فى الخطية أصبح بيد ابليس الحجة التى تثبت استحقاق الانسان للموت .

و بعد تجربة المسيح فى البرية فارقه ابليس الى حين (لو ٤ : ١٣) . ولـكنه عاد وأقبل اليه فى الليلة التى اسلم فيها بصفته رئيس هذا العالم الذى له سلطان الموت. فاذاً ان كان المسيح قاصداً ان ينقذ البشر انقاذاً حقيقياً شرعياً فينبغى له ان يواجه العدو الآتى اليه على هذه الهيئة .

فلما جاء مع تلاميذه الى جثسيمانى ترك البعض عند مدخل البستان قائلاً لهم « اجلسوا ههنا حتى امضى وأصلى هناك » على انه اخذ معه اولئك الثلاثة الذين كانوا معه على الجبل وقت التجلى الى مكان ابعد فى البستان لكى يكونوا شهود رؤية لآلامه كما كانوا شهود رؤية لامجاده.

« وابتدأ يحزن ويكتئب » . لاحظ قول الوحى « وابتدأ » كان فى كل مدة حياته رجل اوجاع ومختبر الحزن (اش ٥٣ : ٣) ولـكن يقال هنا انه ابتدأ يحزن ويكتئب أى انه أخذ يجتاز اختباراً جديداً من هذا القبيل .

«فقال لهم نفسى حزينة جداً حتى الموت امكثوا ههنا واسهروا معى» (ع٣٨) لم يقدر ان يذكر لهم سبب حزنه العميق لان ذلك من الامور العظيمة التى لا يمكن ان يقولها الا للآب ولم يطلب انهم يصلون معه أو لاجله بل ان يسهروا معه فقط. كان يجب ان يتأثروا بحزن سيدهم الى هذا المقدار حتى يكونوا متيقظين بينما هو يصلى وحده منفرداً . كان يليق ببولس أو غيره من خدام الله ان يطلب صلوات القديسين لاجله. وأما الرب فما ورد ذكر لطلبه صلاة الآخرين لأجله ، أو أنه كان يصلى معهم . لأنه كان يصلى كما يليق بنسبته الفريدة لأبيه كالابن الوحيد وليس كمن يحتاج الى الفداء والرحمة كما نصلى نحن. وهكذا بينما نراه هنا على حالة بشرية حقيقية اذ كانت نفسه حزينة جداً حتى الموت نراه فى ذات الوقت محافظاً على مقامه الخاص كمن ليس له نظير. لم يكن من الامور المناسبة له كانسان ان يتعظم ويتجبر كأنه غير متأثر بما هو عتيد ان يأتى عليه ولكن فى الوقت نفسه لا يليق بجلال شخصه أن يتخلى عن مقامه الحقيقى فى شىء أو ينطق بكلمة تخالف نسبته الشخصية

الى أبيه . فيجب ان نلاحظ هذا جيداً لان الوحى دائماً يراعى مجد شخص المسيح فى جميع أحواله ويعلمنا ان نفعل ذلك ايضاً . معلوم انه كان انساناً حقيقياً لانه اشترك فى اللحم والدم حقيقة اذ صار الكلمة جسداً . ومن ثم فقد كان قابلا للاختبارات البشرية عدا الخطية . فحزنه وطلب الآخرين ان يسهروا معه ، وجهاده فى الصلاة كانت كلها من صفاته الكاملة كانسان . ولكن كيفية ذلك تدل على كونه اعظم جداً من انسان .

« ثم تقدم قليلاً وخر على وجهه وكان يصلى قائلاً ، يا أبتاه ان أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس ، ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت . ثم جاء إلى التلاميذ فوجدهم نياماً . فقال لبطرس أهكذا ما قدرتم أن تسهروا معى ساعة واحدة ؟ اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا فى تجربة . أما الروح فنشيط وأما الجسد فضعيف . فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك . ثم جاء فوجدهم أيضاً نياماً إذ كانت أعينهم ثقيلة . فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه » (ع ٣٩ — ٤٤)

« إن أمكن فلتعبر عنى هذه الكأس » . كل شيء مستطاع عند الله على وجه الإطلاق ، على انه فى أفعاله لا يعمل إلا ما يوافق صفاته وكمالاته لانه من المبادىء الأولية انه تعالى لا يقدر أن ينكر نفسه (٢ تى ٢ : ١٣) أى أنه لا يعمل شيئاً مخالفاً لطبيعته ، ويقال لتصرفه هكذا « مشيئته » . ان الدائرة المعينة للصلاة هى واسعة جداً ، فانها تقاس على سلطانه المطلق لعمل الخير والرحمة لخلائق يديه ، فيجوز لنا الطلب على هذا القياس الغير المحدود، على أن طاعتنا تظهر بالخضوع الكامل لمشيئته . لا يخفى أن كل من ليس له إيمان حى يجد صعوبة عظيمة فى هذه المسألة التى هى فى غاية البساطة عند المؤمن ، ويعترض عليها اعتراضات عقلية قائلاً إن كانت لله مشيئة ثابتة فلماذا صلى المسيح ؟ ولماذا نصلى نحن ؟ ألا يكون الأليق بنا أن نسكت ونصبر قابلين ما تعين لنا ؟ فأقول أولاً — ان المعترض نفسه ليس على

هذه الحالة الحميدة أعنى الصبر والانتظار لله والخضوع لإرادته مع أنه يذكرها لكى ينقض وجوب الصلوة ، التى هى بالحقيقة من أثمار نعمة الله العاملة فينا . ثانياً – مجرد نسبتنا إلى الله كخلائقه الموجودين فى حالة الضعف وفى الظروف المتعبة توجب التدريب الروحى والاختبارات المتنوعة . والصلوة تنتج من اعتمادنا على الهنا مصدر كل خير وعون لنا . وقد قرننا معه كالإله الحى ورتب لنا الصلاة كجانب عظيم من واجباتنا. ومع أننا نصلى بالخضـــوع نثق أيضاً فى جودته وحنوه عارفين أن مشيئته هى كاملة وصالحة لأنه لا يشاء إلا خيرنا وسعادتنا لمجد اسمه وكثيراً ما يستعمل اختباراتنا المرة المتعلقة بالصلاة لــكى يظهر لنا مشيئته ويجعلنا نخضع لمــا يرضى ولو كنا من قبل مضطربين وخائفين ، وهذا من ثمر التقوى الصحيحة . كما قيل لنا عن جهاد المسيح فى البستان « الذى فى أيام جسده اذ قدم بصراخ شديد ودموع طلبات وتضرعات للقادر أن يخلصه من الموت . وسمع له من أجل تقواه » (عب ٥:٧) . فانه بصلاته بلجاجة أظهر اختبارات انسانية حقيقية تليق به كانسان متوكل على الله . وأظهر تقواه الـكاملة بخضوعه لمشيئته . فلا يوجد أساس للاعتراض على صلاته إلا فى عقل المعترض وان قيل ، انه يوجد فرق بيننا و بين المسيح من حيث أنه هو عرف مشيئة الله من جهة الآلام العتيدة أن تأتى عليه ، وأما نحن فلا نعلم ماذا تعين لنا فاذاً نصلى الى الله على أمل أنه يأتينا بالخير و يبعد عنا الضرر . قلت ، أن سيدنا و ربنا فى جميع أعمـاله تصرف حقيقة بحسب مركزه كانسان و بالنظر الى مشيئة الذى أرسله وليس بحسب مشيئته هو ولا بحسب معرفته الإلهية ، حتى لقد قيل أنه ترك لنا مثالاً لـكى نتبع خطواته (١ بط ٢:٢١) وفضلا عن ذلك اننا لسنا على جهل بطريق الله لاننا نعلم أن الضيقات والشدائد تنتظرنا وقد تعينت لنا ، ومع ذلك مسموح لنا من الله أن نطلب الانقاذ منها .

« فلتعبر عنى هذه الكأس » الـكأس عبارة عن جميع الآلام التى كان المسيح مزمعاً أن يكابدها سواء كانت من أيدى الناس أو من يد الله (أنظر مر ١٤:٣٥)

حيث يقال لها « الساعة » وفى انجيل يوحنا يشير اليها عدة مرات كساعته . لا شك أنه تألم آلاماً خاصة من يد الله . ونعبر عنها بعض الاوقات بالكأس أو بكأس الغضب ولا بأس من ذلك ، غير أنى لا أعلم موضعاً فى الكتاب قد وردت فيه لفظة الكأس مطلقه على ذلك دون سواه . كانت أمام الرب جميع آلامه برمتهـــا كالمرفوض والمرذول من الناس والمضروب من الله أيضاً ، وطلب إن أمكن أن لا تأتى عليه ، ولا لوم عليه فى ذلك لانه لا يليق به أن يرغبها فى ذاتها . فمن كاله طلب عبورها عنه ، ولكن من كاله أيضاً قبلها بحسب مشيئة الآب قائلاً « ولكن ليس كما أريد أنا بل كما تريد أنت » .

« ثم جاء الى التلاميذ فوجدهم نياماً » (ع ٤٠) لا نعلم كم من الزمن صرف فى الصلاة المرة الأولى . ولكن عند رجوعه الى التلاميذ الثلاثة وجدهم نياماً ، وبرقة مؤثرة ذكّر بطرس بثقته الذاتية التى حملته على أن يصرح أنه مستعد أن يموت معه مع أنه هو ورفيقاه لم يقدروا أن يسهروا معه ساعة واحدة .

« اسهروا وصلوا الخ » (ع ٤١) كان يجب عليهم أن يسهروا ويصلوا لأجل أنفسهم لئلا يدخلوا فى تجربة لأن ساعة قوات الظلمة كانت مقبلة عليهم والعدو يطلب أن يغربلهم كالحنطة (لو ٢٢ : ٣١) نعم كان غرض العدو الأعظم هو الراعى . ولكنه لم يغض النظر عن الخراف المسكينة . غير أن الرب لم ينطق بهذه الكلمات توبيخاً بل تنبيهاً لهم ، وحالاً أضاف اليها كلاماً آخر على سبيل التماس العذر قائلاً « أما الروح فنشيط ، وأما الجسد فضعيف » أى انهم كانوا من جهة محبتهم له راغبين فى أن يسهروا معه وانما غلبهم النوم من ضعفهم البشرى .

« فمضى أيضاً ثانية وصلى قائلاً يا أبتاه إن لم يمكن أن تعبر عنى هذه الكأس الا أن أشربها فلتكن مشيئتك » (ع ٤٢) . الرب بهذا الكلام يقبل الكأس من يد الآب . فى المرة الأولى طلب عبورها عنه إن أمكن ، مع انه أظهر خضوعه لمشيئة الآب مهما كانت . وأما الآن فيقول فقط . ان لم يمكن ذلك فانه يشربها . فلا يطلب

شيئاً بل انما يصرح بخضوعه الكامل لتلك المشيئة التى سبق وأعلن مراراً علمه بلزومها (يو ٣ : ١٤ و ١٢ : ٣٤ و ٢٤) . ثم رجع إلى التلاميذ ووجدهم أيضاً نياماً فتركهم ومضى أيضاً وصلى ثالثة قائلاً ذلك الكلام بعينه . أى كلامه الذى نطق به فى المرة الثانية . قد سبق القول ان الكأس عبارة عن جميع الآلام التى كان المسيح مزمعاً أن يكابدها . ولكن لا يخفى على القارىء المسيحى أن الجزء الأعظم منها هو احتماله الغضب الالهى حين قام مقامنا وتألم البار من أجل الأثمة (١ بط ٣ : ١٨) . لم يكن تحت غضب الله بعد فى جهاده فى البستان لأن شركته مع الآب كانت كاملة . وأما على الصليب فكان متروكاً (مز ٢٢ : ١) . ونرى أيضاً فى الشهادة التى سبق إيرادها من عب ٥ : ٧ انه كان ينظر إلى موته على نوع خاص أى تحت الغضب فانه قدم تضرعاته للقادر أن يخلصه من الموت تحت الغضب الالهى . لقد عرف خيانة يهوذا وتآمر رؤساء الكهنة وبكل ما هو عتيد أن يحدث له من البشر وكان انتظار ذلك مراً بدون شك ، ولكنه مما يمكن احتماله . وقد احتمله كثيرون من البشر . لأنه مهما اشتد حنق الانسان فلا يمكنه أن يفعل أكثر من فصل النفس عن الجسد . أما احتمال غضب الله فمن يستطيعه ؟ وهذا هو الذى كان الرب ينظر اليه.

« ثم جاء إلى تلاميذه وقال لهم ، ناموا الآن واستريحوا . هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم إلى أيدى الخطاة . قوموا ننطلق. هوذا الذى يسلمنى قد اقترب » (عدد ٤٥ و ٤٦) . ان قوله « ناموا الآن واستريحوا » قد قرئت فى بعض النسخ « هل تنامون بعد وتستريحون ؟ » . ونفهم منها أن الرب انما قصد بها أن يوقظهم من النوم وينبههم على أن الأمر قد تم وحان الوقت لقيامهم من موضعهم . كما عاد وقال « هوذا الساعة قد اقتربت وابن الانسان يسلم الى أيدى الخطاة . قوموا ننطلق » (ع ٤٦) ويظهر أنه يشير إلى انطلاقهم من موضعهم فى داخل البستان الى الباب (انظر يو ١٨ : ٤) لأنه خرج الى هناك وهو عالم بكل ما يأتى عليه لكى يواجه الذين أرسلوا من عند رؤساء الكهنة

ليمسكوه لكي لا يدخلوا الى البستان و يمسكوا التلاميذ أيضاً . كان هو الراعى الصالح ووقف بين الخراف والذئب .

المسيح يسلم نفسه

(ع ٤٧—٥٦ ، مر ١٤: ٤٣—٥٢ ، لو ٢٢: ٤٧—٥٣ ، يو ١٨: ١—١٢) .

« وفيما هو يتكلم إذا يهوذا واحد من الاثنى عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصى من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . والذى أسلمه أعطاهم علامة قائلاً ، الذى اقبله هو هو . امسكوه . فللوقت تقدم إلى يسوع وقال ، السلام يا سيدى . وقبله . فقال له يسوع ، يا صاحب ، لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادى على يسوع وأمسكوه . واذا واحد من الذين مع يسوع مد يده واستل سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع ، رد سيفك إلى مكانه ، لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون. أتظن انى لا أستطيع الآن ان أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من اثنى عشر جيشاً من الملائكة . فكيف تكمل الكتب انه هكذا ينبغى أن يكون ؟ » فحالاً بعد خروج يسوع إلى باب البستان وصل يهوذا والذين معه . ونرى قساوة قلب يهوذا من العلامة التى أعطاها لهم ليدلهم على سيده. لأنه يندر أن يوجد انسان يخون صاحبه بعلامة المحبة والألفة الطويلة

«فقال له يسوع يا صاحب لماذا جئت؟» (ع ٥٠) قال هذا تنبيهاً لضميره ولكن واأسفاه لأن الوقت للانتباه قد مضى إذ صار آلة فى يد عدو أقوى منه قد استخدمه لتنفيذ مراده . ثم بعد ذلك تركه لليأس والقنوط

« وإذا واحد من الذين مع يسوع مد يده الخ » (ع ٥١) نرى أيضاً ضعف التلاميذ الآخرين فان واحداً منهم استل سيفه وضرب. نعرف أن بطرس هو الذى عمل هكذا (يو ١٨: ١٠) مع ان اسمه ليس مذكوراً هنا . لأن قصد الوحي الخاص ليس أن يظهر ضعف بطرس بل ضعف الجميع. فانهم ناموا فى وقت السهر والصلاة

وحاولوا أن يدافعوا عن السيد بالقوة البشرية في الوقت المعين للخضوع والتسليم . فلم تكن لهم أدنى شركة مع الرب في أفكاره . كان عندهم سيفان (لو ٢٢ : ٣٨) وإذا سأل القارىء كيف حدث ان الرب سمح لهم أن يحملوا سيفاً ؟ أقول ان النظام العتيق كان لم يزل موجوداً بعد . وكان حمل السلاح جائزاً لهم كيهود . والرب صبر عليهم ولم يمنعهم من حمل السيف الى أن أظهر هنا رفضه له تماماً

« رد سيفك الى مكانه » (ع ٥٢) بذلك ينهى الرب أتباعه عن حمل السلاح نهياً مطلقاً . وان كان لأحد منهم سيف فليس له إذن الآن أن يخرجه من مكانه ، كما قال واحد من المسيحيين القدماء « ان الرب عندما أمر بطرس برد سيفه الى مكانه قد رد سيوف جميع تلاميذه إلى مكانها أيضاً »

« لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون » يصرح هنا بمبدأ عام لسياسة الله وهو أن ظلم الظالم غالباً يرجع على رأسه . فان الذى يحمل سلاحاً لا بد أن يلاقى خصماً متسلحاً أقوى منه . لا حاجة ان أقول ان ليس لهذا مدخل فى شأن الحكام والسلاطين الذين يستخدمهم الله فى عنايته لضبط العتاة ، وقد وضع سيفاً فى أيديهم (أنظر رو ١٣ : ١ — ٧) . غير انه لا يليق بتلاميذ المسيح ان يحملوا سيفاً مطلقاً ، ولا ان يتداخلوا فى أمور السياسة العالمية ، بل ان يخضعوا الحاكم ويكرموه فى خوف الله

« أتظن انى لا أستطيع الآن ان أطلب الى أبى فيقدم لى أكثر من إثنى عشر جيشاً من الملائكة الخ ؟ » يشير بذلك الى خضوعه الكامل لمشيئة الآب . كان يستطيع بالنظر لشخصه الجليل ان يطلب جيشاً وافر العدد من أجناد السموات ليفنى فى لحظة قوات الظلمة وآلاتها البشرية ، ولكنه امتنع عن ذلك . طوعاً لارادة الآب . كان له سلطان ان يضع حياته فسلم نفسه الى أيدى أعدائه طاعة للآب

« فى تلك الساعة قال يسوع للجموع ، كأنه على لص خرجتم بسيوف وعصى لتأخذونى . كل يوم كنت أجلس معكم أعلم فى الهيكل ولم تمسكونى . وأما هذا

كله فقد كان كله لكي تكمل كتب الأنبياء . حينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا » (ع ٥٥ و٥٦) سلم الرب نفسه لظلم الناس . ولكنه أخبرهم بما كانوا يفعلون فانه كان قد صرف زماناً طويلاً بينهم يعلّم علانية ولم يمسكوه خوفاً من الجموع . لذلك خرجوا تحت ستر الظلام متسلحين كأنه على لص . ثم يذكر البشير متى ان هذا صار طبقاً لكتب الأنبياء لأننا نراه هنا يسلم نفسه ليجعلها على الصليب ذبيحة اثم . فلا يوجد ذكر هنا لإسقاطه أعداءه الى الأرض بكلمة كما في يو ١٨ :٤ ، وهو ما قصد به إظهار مجد شخصه الإلهي كمن بمحض اختياره صار ذبيحة . أما هنا فالمقصود إظهاره هو كمال طاعته كذبيحة

ونرى أن سبيله كان كاملاً في جميع الحوادث المذكورة سواء كان مع التلاميذ في العلية ، أو في البستان مع أبيه أو أمام أعدائه . وأما سبيل التلاميذ فليس بحميد . فانهم انغلبوا من الضعف ، وناموا حين كان يجب ان يسهروا ويصلوا ، وعندما استفاقوا ورأوا ما هو عتيد ان يحصل استعدوا ليحاربوا في الوقت المعين للتسليم والخضوع، ثم لما صار الرب في أيدي الأعداء تركوه كلهم وهربوا . وبالحقيقة لم يبقَ لهم الآن سوى ان يهربوا لأنه لا يمكن لأحد ان يجتاز في هذه الظروف إلا الشخص الكامل الذي يقدر وحده ان يلاقي قوة الشيطان بخضوعه التام لمشيئة الآب ، و بوداعته كشاة تساق الى الذبح يحتمل ظلم الناس وعنفهم .

محاكمته الدينية امام رؤساء اليهود على قوله أنه « ابن الله »

(ع ٥٧ ـ ٦٨ مر ١٤ : ٥٣ ـ ٦٥ ، لو ٢٢ : ٥٤ و ٦٣ ـ ٦٥ ، يو ١٨ : ١٢ ـ ٢٤)

« والذين امسكوا يسوع مضوا به الى قيافا رئيس الكهنة حيث اجتمع الكتبة والشيوخ . وأما بطرس فتبعه من بعيد الى دار رئيس الكهنة فدخل الى داخل وجلس بين الخدام لينظر النهاية. وكان رؤساء الكهنة والشيوخ والمجمع كله

يطلبون شهادة زور على يسوع لكى يقتلوه . فلم يجدوا . ومع انه جاء شهود زور كثيرين لم يجدوا . ولكن اخيراً تقدم شاهدا زور وقالا ، هذا قال ، انى اقدر ان انقض هيكل الله وفى ثلاثة ايام أبنيه . فقام رئيس الكهنة وقال له ، أما تجيب بشىء ؟ ماذا يشهد به هذان عليك ؟ وأما يسوع فكان ساكتاً . فأجاب رئيس الكهنة وقال له ، إستحلفك بالله الحى ان تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله ؟ قال له يسوع ، انت قلت . وأيضاً أقول لكم ، من الآن تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء . فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه قائلاً ، قد جدّف . ما حاجتنا بعد الى شهود . ها قد سمعتم تجديفه . ماذا ترون ؟ فأجابوا وقالوا ، انه مستوجب الموت . حينئذ بصقوا فى وجهه ولكموه . وآخرون لطموه . قائلين ، تنبأ لنا ، ايها المسيح من ضربك ؟ » (ع ٥٧ — ٦٨) انه يتضح من مقابلة يو ١٨ : ١٣ و ١٤ و ٢٤ انهم اخذوا يسوع اولا الى حنان وفحصوه على منوال غير قانونى بالليل . ثم فى الصباح باكراً اجتمع المجمع الكبير لاجل محاكمته قانونياً . غير انهم كانوا قد صمموا على موته من قبل كما لا يخفى . والقصد الخاص هنا هو ذكر اتفاق رؤساء اسرائيل فى الحكم على مسيحهم بالموت خلافاً لمبادىء الحق التى كانوا لا يزالون يقرون بها . لأنهم طلبوا شهادة زور عليه ولم يجدوا . ونرى فى هذه الحوادث المتعلقة بموت الرب كل نوع من صفات الاثم البشرى . وحقاً ان المنظر محزن الى الغاية . كان الكهنة مقامين فى وظيفة اقتضت ان يترفقوا بالجهال ويقدموا قرابين لاجل الاثمة (عب ٥ : ١ — ٣) ولكنهم سعوا فى محاكمة البرىء . وكان مفوضاً الى الشيوخ ان يرشدوا الشعب الى الحق ولا يحكموا الا بالعدل ولكنهم طلبوا شهادة زور لتحريف العدل (مز ٣٥ : ١١) . كانوا قد تشاوروا ان لا يمسكوا يسوع فى عيد خوفاً من حدوث ثورة من الشعب . ولكن لم يحصل الامر بحسب مشورتهم بل بحسب مشورة الله الذى ترك يهوذا لنفسه بعد اللقمة ثم دخل الشيطان الى قلبه فأتاهم الأمر بغتة . فاضطروا ان يطلبوا شهود زور بعجل .

اخيراً تقدم اثنان لكي يثبتا عليه انه مجدف ومن ثم يستحق الموت بموجب شريعة موسى (لا ٢٤ : ١٦) ولكنهما لم يتفقا في شهادتهما ضده من جهة نقض الهيكل (انظر مر ١٤ : ٥٨ و ٥٩) وكانت شهادتهما شهادة زور عليه. لأنه لم يقل أبداً أنا أنقض هذا الهيكل بل « انقضوا (انتم) » فضلا عن أنه لم يكن يقصد هيكل اليهود بل هيكل جسده. ومن ثم لم يقدر المجمع ان يصدر حكماً بموجب شهادات متناقضة.

« فقام رئيس الكهنة وقال له، أما تجيب بشيء؟ ماذا يشهد به هذان عليك؟ وأما يسوع فكان ساكتاً » الانسان من ضعفه اذا وقعت عليه تهمة ظلماً يبادر إلى أن يحتج لنفسه ويفرح اذا صارت له فرصة للتكلم، ولو عرف أن قاضيه ظالم. فانه لا يزال يتوقع أن يكون من الأمور الممكنة أن يبرهن براءته، أو على الأقل أن يخفف القضاء الظالم. وأما يسوع فكان يعلم ما هو في الناس المتروكين لأنفسهم ولقوة الشيطان التي تعمي وتقسي، فلم يكن ينتظر منهم لا رحمة ولا عدلاً. وقد عرف متى يجب أن يتكلم ومتى يجب أن يسكت. وأما رئيس الكهنة الماكر فاحتار من سكوته وتظاهر بحب العدل إذ وقف وسأله لماذا لا يجيب على كلام الشهود؟ ولا شك انه كان يرجو أن تحصل لهم فرصة ليصطادوه بكلمة ولما عجز عن ذلك أخذ يستحلفه بحسب شريعة موسى (لا ٥ : ١) وعند ذلك إجلالا لاسم الله الذي حلف به رئيس الكهنة ومراعاة للسلطان الالهي المفوض اليه من هذا القبيل فتح الرب فاه وتكلم. وفحوى القسم، أهو المسيح ابن الله أم لا؟ فأجاب الرب على ذلك بقوله « انت قلت » أي أنه كذلك. ثم أضاف إلى ذلك كلاماً آخر هو « وأيضاً أقول لكم من الآن تبصرون ابن الانسان جالساً عن يمين القوة وآتياً على سحاب السماء ». وبهذا قدّم شهادة لاسرائيل تناسبهم كل المناسبة هي أنهم لا يعودون يبصرونه كالمسيح الوديع الحاضر في وسطهم ليباركهم و يشفيهم فانه مزمع ان يتبوأ مكانه الخاص كابن الانسان المجد في السماء بعد أن رفضوه على الأرض.

كانت القوة وقتئذ فى يد رئيس الكهنة ، وكان المسيح واقفاً أمامه ليحاكم . ولكن بعد قليل سينعكس الامر حينما يجلس المسيح عن يمين القوة ثم يأتي من هناك كابن الانسان متسربلا بالمجد والجلال لكى يدين، واذا راجعنا كلام الرسول بطرس وغيره من يوم الخمسين فصاعداً نرى انهم نادوا بالمسيح الى اسرائيل بحسب هذه الصفات عينها فانهم كانوا يصرحون بارتفاعه الى يمين الله (أع ٢: ٣٣ ، ٧: ٥٥ و٥٦) وانه مزمع أن يأتي لكى يدين (أع ٢: ١٩و٢٠) وكل من آمن به صار ينتظره هكذا بعين الايمان (١ بط ٣: ٢٢ ، أع ١٠: ٤٢) وأما غير المؤمنين فسينظرونه على هذه الهيئة فى وقت إتيانه رغماً عنهم . وهذه الحقائق مما تختص بسيادته المطلقة كابن الانسان بحسب المزمورين ٨ و ١١٠ ودا ٧ ونبوات أخرى كثيرة جداً .

« فمزق رئيس الكهنة حينئذ ثيابه الخ» (ع ٦٥) تظاهر رئيس الكهنة بغيظ شديد قائلا، انه ليست حاجة بعد الى شهادات. فحكموا عليه كمجدف (لا ٢٤: ١٦) بموجب شهادته بالحق الخاص بشخصه. فكانت المحاكمة محاكمة باطلة ومخالفة لمبادئ الحق والعدل فانهم بدون خجل طلبوا شهادة زور. ثم لما انتهت المحاكمة الصورية انفك القيد الذي كان يمنع إجراء شرهم و بغض قلوبهم إذ كانت هذه ساعتهم وسلطان الظلمة فأخذوا يتسابقون معاً فى إظهار كل نوع من الإهانة والظلم ضد فريستهم الوديعة القدوسة فانهم بصقوا عليه ولكموه ولطموه وغطوا وجهه وسألوه أن يستعمل معرفته الإلهية كالمسيح ابن الله ويقول لهم من ضربه. فاحتمل كل ذلك بصبر وسكوت مع أنه كان يعرف سرائر جميع القلوب.

إنكار بطرس

(ع ٦٩ — ٧٥ ، مر ١٤ : ٦٦ — ٧٢ ، لو ٢٢ : ٥٥ — ٦٢ ، يو ١٨ : ٢٥ — ٢٧)

« أما بطرس فكان جالساً خارجاً فى الدار . فجاءت اليه جارية قائلة، وأنت

كنت مع يسوع الجليلي . فأنكر قدام الجميع قائلا ، لست أدرى ما تقولين . ثم إذ خرج الى الدهليز رأته أخرى فقالت للذين هناك، وهذا كان مع يسوع الناصرى . فأنكر أيضاً بقسم، انى لست أعرف الرجل . و بعد قليل جاء القيام وقالوا لبطرس، حقاً أنت أيضاً منهم، فان لغتك تظهرك. فابتدأ حينئذ يلعن و يحلف، انى لا أعرف الرجل. وللوقت صاح الديك. فتذ كر بطرس كلام يسوع الذى قال له انك قبل أن يصيح الديك تنكرنى ثلاث مرات. فخرج الى خارج وبكى بكاء مراً»(ع ٦٩—٧٥)

قد رأينا فى ع ٥٨ أن بطرس تبعه من بعيد (قابل مر ١٤: ٥٤ ، يو ١٨: ١٥ و ١٦) ثم بعد دخولهم جميعاً الى دار رئيس الكهنة واجتماعهم على فريسة غضبهم دخل بطرس أيضاً بوساطة يوحنا لدى البوابة وكأنه ليس مبالياً كثيراً بما يجرى وجلس بين الخدام لينظر النهاية. ولكنه لا يقدر أن يختفى عن نظر الذين يبغضون المسيح وكل من التصق به. فلما انكشف أمره للمرة الأولى تظاهر بأنه لا يفهم كلام الجارية. فيحتمل أنه قصد أن يتظاهر كأنه من اليهود المستوطنين فى البلدان الأجنبية ومن ثم لا يقـدر أن يفهم الكلام الدارج بين اليهود فى وطنهم . ثم لما اعترضته جارية أخرى وصارت تقول للذين هناك ان هـذا كان مع يسوع الناصرى ازداد خوف بطرس من أن أمره ينكشف لجميع الحاضرين فأنكر أيضاً بقسم انى لست أعرف الرجل. ولكن وا أسفاه فانه قد اشتبك بحبائل القانص المحتال الذى لا يتركه ينجو بدون أن يسقط سقوطاً أعظم. ثم بعد قليل جاء أناس من الذين خرجوا إلى البستان وشاهدوا ماجرى هناك وقالوا لبطرس «حقاً أنت أيضاً منهم ولغتك تظهرك» فعند ذلك ابتدأ «يلعن و يحلف انى لا أعرف الرجل» قد صارت له الفرصة أن يموت مع سيده بحسب قوله السابق، ولكنه امتلأ خوفاً وأنكره فظهرت منه أثمار الجسد الفاسد . وعدا ذلك نرى أنه لم يكن لزوم لما عمل لأن أمره انكشف ومع ذلك فما من واحد ألقى القبض عليه. ولكن الله تذكر عبده المسكين، ولما ظهر سقوطه تماماً أعطى الله العلامة لتنبيهه. إذ « صاح الديك ».وحينئذ تذكر كلام يسوع وابتدأ

يشعر بضعف الانسان وعجزه عن الوقوف بنفسه أمام الخطية وأمام عدو نفسه . ثم خرج إلى خارج وبكى بكاء مراً. ولكن دموعه لا تقدر أن تمحو خطيته مع أنها تبرهن لنا وجود استقامة النية فيه بل والمحبة القلبية أيضاً لذلك السيد العزيز الذى كان قد أنكره على أسلوب يدعو إلى الخجل. ونرى أيضاً فى سقوط بطرس أننا نحتاج الى أكثر من استقامة القلب لكى تثبت ضد مكايد إبليس. فان الذى يمهد الطريق أمام المجرب لإسقاطنا أكثر مما سواه هو الثقة بالذات. ويمكننا أن نحب الرب حقيقة ومع ذلك لا نكون قد تعلمنا بعد عدم الثقة بالذات كما يجب. كانت خطية بطرس عظيمة جداً. ومما عظمها أن الرب كان قد أنذره انذاراً صريحاً من قبل، ولكنه بسبب ثقته الشديدة فى ذاته لم يقدر أن ينتبه الى الانذار. ولكن بقدر ما كانت خطيته عظيمة كانت توبته مرّة . لا يذكر متى أن الرب التفت ونظر الى بطرس (لو ٢٢: ٦١) لأن قصده الخاص أن يذكر فاعلية كلام الرب فى قلب بطرس بعد ما انتبه فصياح الديك قد نبهه ثم أتى به كلام الرب إلى التوبة. الانتباه إلى سقوطنا لا يكفينا وحده. لانه إن لم يفعل فينا كلام الله نقطع الرجاء من جهة القبول عنده أيضاً كيهوذا الاسخر يوطى (ص ٢٧: ٣—٥) أو نتهور أكثر فى الخطية وهكذا دائماً فى معاملة الرب معنا، فانه كثيراً ما يتركنا لأنفسنا لكى نختبر ضعفنا وقوة العدو. ثم بعد ما يرد نفوسنا نسلك بالتواضع أكثر من ذى قبل ونكون بقوة الله أقوياء فيما كنا فيه بأنفسنا ضعفاء .

الاصحاح السابع والعشرون

تلفيق تهمة سياسية للمسيح وتسليمه لبيلاطس

(ص ٢٧: ١و٢ ، مر ١٥: ١، لو ٢٣: ١و٢ ، يو ١٨: ٢٨ — ٣٢)

« ولما كان الصباح تشاور جميع رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب على يسوع حتى يقتلوه . فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطي الوالي » (ص ٢٧: ١و٢)

كانوا قد حكموا عليه بالموت ولكن لم يكن لهم سلطان ان ينفذوا حكمهم. و بما أن العلة كانت دينية لا يمكن للوالي الروماني أن يقبلها و يأمر بقتله بسببها ، فاضطروا بأن يتشاوروا معاً قبل إحضارهم إياه أمام الوالي لكي يجدوا شكاية أخرى عليه تظهر انها من الجرائم السياسية فلفقوا عليه أنه يقاوم قيصر ويمنع أن تعطى جزية له. وقدموه للوالي بهذا الاتهام (لو ٢٣: ٢ و٥ ، يو ١٩: ١٢) .

يأس يهوذا وانتحاره (ع ٣ — ١٠)

« حينئذ لما رأى يهوذا الذي أسلمه أنه قد دين ندم ورد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ قائلاً قد اخطأت إذ سلمت دماً بريا ، فقالوا ماذا علينا ؟ أنت أبصر . فطرح الفضة في الهيكل وانصرف . ثم مضى وخنق نفسه . فأخذ رؤساء الكهنة الفضة وقالوا لا يحل ان نلقيها في الخزانة لأنها ثمن دم . فتشاوروا واشتروا بها حقل الفخاري مقبرة للغرباء . لهذا سمي ذلك الحقل حقل الدم إلى هذا اليوم » (ع ٣—٨) .

يمكن لإبليس أن يهيج شهوات قلوبنا و يغوينا على ارتكاب الخطية ولكنه لا يقدر أن يعزينا بعد ارتكابها أو يسكن شكاية ضمائرنا المضطربة . لقد استخدم يهوذا لتنفيذ غايته . ولما تم العمل تركه لليأس والقنوط. المحتمل أن يهوذا انتظر أن الرب يخلص نفسه بقوته الإلهية من أيدي أعدائه، لأنه كان قد عمل كذلك عدة مرات

قبل ذلك (لو ٤: ٢٩ و٣٠ ، يو ٨: ٥٩) . ولكن هــذا مما يعظم إثمه إذ كان يعلم يقيناً بوجود هذه القوة فيه . ولكن المال كان يسود على قلبه و به قاده الشيطان الى هذه الخطية الشنيعة . ان الطمع يعمى البصر تماماً وكذلك سائر الشهوات إذا تحركت واشتدت فينا . وكوننا لا نقدر أن نرى العواقب فى الوقت الحاضر لا يجعلنا أقل ذنباً ولا يخفف تلك العواقب وقت حصولها « توجد طريق تظهر للانسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت » (أم ١٤: ١٢) . ان من تهوّر فى طرق الإثم لا يعرف الى أين تؤدى به أخيراً . فانه كمن يحاول أن يمشى على جرف جليد يخطو أول خطوة ثم تنزلق قدمه فلا تعود له قدرة على أن يقف . ندم يهوذا ولكن ما عاد يمكن للندامة أن تنفعه . ردّ الثلاثين من الفضة الى رفقائه الأدنياء فى الشرّ لأنها صارت ثقلاً على قلبه لا يطاق حمله بعد . فما هو المال المقطوع الرجاء ؟ وهـل يستطيع أن يتعزى من مشاهدة ثمر خطيته ويفرح به بعد أن خسر نفسه وصار ينتظر الدينونة الأبدية ؟ قال لهم « قد اخطأت إذ سلمت دماً بريئاً » فعلم يقيناً ماذا فعل . الشهوة ترينا الخطية لذيذة الى حين وتخفى قباحتها عن أعيننا حتى بعد ارتكابها . وابليس أيضاً يعمـل فى أفكارنا ويقدم لعقولنا حججاً وأعذاراً حتى نرى أنفسنا مبرّرين بعملنا . وأما بعد سقوطنا وانتباهنا الى خطيتنا ولا نرى فى اثرها سوى الظـــلام الدامس واليأس المؤبد إن لم تكن عندنا نعمة الله لنلتجىء اليها .

« فقالوا ماذا علينا ؟ أنت أبصر » (ع ٤) . لما أتاهم قبل ذلك وقال لهم « ماذا تريدون أن تعطونى وأنا أسلمه اليكم » فرحوا وتكلموا معه بغاية اللطافة. ولكنهم الآن قد حصلوا على مرامهم فلا يبالون بندامته ولا بإقراره ببراءة الرب. فبجوابهم أظهروا القساوة القصوى . فنرى فيهم صورة فظيعة للقلب البشرى المنصب الى إثمه . كان يجب عليهم بحسب وظيفتهم ان يرشدوا يهوذا الى الحق ولكنهم شاركوه فى الظلم . ولما أقر بذنبه قالوا له « ماذا علينا ؟ أنت أبصر » وعند ذلك طرح لهم الفضة فى الهيكل وانصرف وليس ذلك فقط بل مضى وخنق نفسه . ويظهر ان يهوذا دخل الى الهيكل

موضع الكهنة حيث لم يكن جائزاً لأحد أن يدخل إلا للكهنة فقط . وهذا مما يدل على حالة الاضطراب الشديد التي كان عليها ، والتي حملته أيضاً بعد ذلك ان ينهي حياته بيده إذ لم يقدر أن يحتمل وجوده في الحياة بعد . فعادت فضتهم اليهم فالتزموا أن يتشاوروا أيضاً ماذا يصنعون بها . لم يزالوا متعصبين في ديانتهم لذا لم يقدروا أن يحسبوها بين القرابين لله فاشتروا بها مقبرة للغرباء . لم يترددوا في شراء دم ابن الله بثلاثين من الفضة ولكنهم حافظوا على طهارة خزانة الله الى هذا المقدار حتى لم يريدوا أن يدنسوها بشيء . ولكن الغرباء من الأمم الذين كانوا يموتون في أورشليم احتاجوا الى موضع لدفن جثثهم . فهذه الفضة الدنسة قامت بحاجتهم . وأما اليهود المقدسون في أعين أنفسهم فلا يليق بأن يدفنوا في تلك المقبرة . ولكنهم أقاموا تذكاراً لاثمهم حيث سمى الحقل حقل الدم . ونرى من ذلك انه يمكن لنا أن نتعصب في الديانة ونحن منصبون في أعظم الشرور . و بالحقيقة التعصب الديني يقترن غالباً بأشد الرياء والفجور :

« حينئذ تم ما قيل بارميا النبي القائل وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذي ثمنوه من بني اسرائيل . وأعطوها عن حقل الفخاري كما أمرني الرب » (ع ٩ و١٠).

لا يخفى ان أصل هذه الشهادة متضمن في نبوة زكريا ص ١١ . ولكن سفر ارميا النبي كان في أول أسفار الأنبياء بحسب ترتيبها في كتاب التلمود فكان اليهود معتادين أن يشيروا الى مجموع النبوات باسم السفر الأول منه . فلا يجوز أن ننسب خطأ للبشير متى كأنه لم يعرف انه إقتبس هذا الكلام من أقوال زكريا . واذا راجعنا الاصحاح المشار اليه في زكريا نرى أنه يتعلق بخدمة المسيح في اسرائيل كراعيهم . ثم عند نهاية خدمته أعطاهم فرصة ليظهروا تقديرهم لها « فقلت لهم ان حسن في أعينكم فأعطوني أجرتي و إلا فامتنعوا . فوزنوا أجرتي ثلاثين من الفضة . فقال لي

الرب القها الى الفخارى الثمن الكريم الذى ثمنونى به . فأخذت الثلاثين من الفضة والقيتها إلى الفخارى فى بيت الرب » (زك ١١: ١٢ و١٣) .

وكان اقتباس متى لهذه النبوة بالمعنى لا باللفظ إذ ان العمل فى عبارة النبى منسوب فعله للنبى كرمز للرب راعى شعبه بينما فعله فى عبارة البشير منسوب للرؤساء . وهذا لأن الرب إستعمل أولئك الرؤساء كأداة لتتميم العمل . فتمموا كلام الرب بدون ان يقصدوا ذلك . كان الله فوق الكل يحوّل مشوراتهم وأعمالهم الى إتمام مقاصده رغماً عن خبثهم وغاياتهم الشخصية .

قد قيل ايضاً عن يهوذا فى هذه الحادثة « فان هذا اقتنى حقلاً من أجرة الظلم واذ سقط على وجهه انشق من الوسط فانسكبت احشاؤه كلها وصار ذلك معلوماً عند جميع سكان اورشليم حتى دُعى ذلك الحقل فى لغتهم « حقل دما » اى « حقل دم » (اع ١: ١٨ و١٩) . فهنا شراء الحقل منسوب إلى يهوذا مع انه ما اشتراه بيده لأن الرؤساء اشتروه نيابة عنه . إذ حسبوا الفضة له ولم يقبلوها من يده لما ردها لهم وعند ذلك طرحها في الهيكل وانصرف . فالتزموا ان يتشاوروا معاً كيف يتصرفون فى مسألة كهذه . فصار شراء الحقل بناء على ان ثمنه دفعهُ يهوذا . ولا يذكر وقت الشراء ولا الوقت الذى فيه خنق يهوذا نفسه هل صار ذلك حالاً بعد مواجهته إياهم فى الهيكل أو بعد ذلك بفترة قصيرة . ثم مضى يهوذا وعلق نفسه بحبل وسقط من حيث كان معلقاً فانسكبت أحشاؤه كلها . لا يخفى ان تفاصيل تلك الحادثة ليست مذكورة . ولكن لا يوجد تناقض فى ما ذكر .

محاكمة المسيح السياسية أمام بيلاطس

(ع ١١—٣١ ، مر ١٥: ٢—٢٠ لو ٢٣: ٣—٢٥ ، يو ١٨: ٣٣—ص ١٩: ١٦)

فوقف يسوع أمام الوالى فسأله الوالى قائلاً ، أأنت ملك اليهود ؟ فقال له يسوع ، أنت تقول . و بينما كان رؤساء الكهنة والشيوخ يشتكون عليه لم يجب بشىء .

فقال له بيلاطس أما تسمع كم يشهدون عليك ؟ فلم يجبه ولا عن كلمة واحدة حتى تعجب الوالى جداً » (ع ١١—١٤).

لما وقف يسوع أمام مجمع رؤساء اليهود كانت المسألة هي هل هو المسيح ابن الله ؟ فأقر بذلك لأنه كان الحق. ولكن هذه المسألة لا تنفع شيئاً أمام الوالى. ومن ثم اشتكوا عليه لدى بيلاطس انه جعل نفسه ملكاً إذ عرفوا أن شكاية كهذه تؤثر في مسمع الوالى وتهيج مخاوفه. فلما سأله قائلاً « أأنت ملك اليهود ؟ » أقر بذلك أيضاً لأنه كان الحق وكان قد أتى الى العالم ليشهد للحق (أنظر يو ١٨:٣٧ و ١ تى ٦:١٣) فكان هو الحق بشخصه وشهد للحق إذ أقر بحقيقة شخصه. وأما بيلاطس فرأى بسهولة ان يسوع لا يقول عن نفسه أنه ملك اليهود فى الوقت الحاضر بحسب المعنى الاعتيادى للفظة ملك، أو بعبارة أخرى فهم أنه ليس من الأشخاص الخطرين أصحاب الفتن والثورات، الذين ينبغي ان يخشى منهم على حكومة قيصر. فلذلك أراد ان يطلقه (لو ٢٣: ٢٠) ولكن بطريقة ترضى اليهود الذين كانوا دائماً مشاغبين وصعب على أسيادهم الأجنبيين أن يضبطوهم. وقد تعجب أيضاً من سكوت الرب لأنه لم يكن معتاداً أن يرى المشكو عليهم يتصرفون هكذا.

« وكان الوالى معتاداً فى العيد أن يطلق للجمع أسيراً واحداً من أرادوه. وكان لهم حينئذ أسير مشهور يسمى باراباس. ففيما هم مجتمعون قال لهم بيلاطس من تريدون أن أطلق لكم؟ باراباس أم يسوع الذى يدعى المسيح ؟ لانه علم أنهم أسلموه حسداً. واذ كان جالساً على كرسى الولاية أرسلت اليه امرأته قائلة، إياك وذلك البار لانى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله. ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ حرضوا الجموع على أن يطلبوا باراباس ويهلكوا يسوع. فأجاب الوالى وقال لهم، من من الاثنين تريدون أن أطلق لكم ؟ فقالوا باراباس. قال لهم بيلاطس، فماذا أفعل بيسوع الذى يدعى المسيح ؟ قال له الجميع، ليصلب. فقال الوالى، وأى شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين، ليصلب. فلما رأى

بيلاطس انه لا ينفع شيئاً بل بالحري يحدث شغب أخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا ، إني بريء من دم هذا البار . أبصروا أنتم . فأجاب جميع الشعب وقالوا ، دمه علينا وعلى أولادنا . حينئذ أطلق لهم باراباس . وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب » (ع ١٥ - ٢٦)

كان الوالى يطلق لهم أسيراً واحداً إكراما للعيد . ولما كان يؤمل أنهم على أي حال يفضلون إطلاق يسوع على إطلاق لص مشهور بجرائمه الفظيعة سألهم أى الإثنين يريدون أن يطلق لهم (مر ١٥ :٧ ، لو ٢٣ :١٩) وقد تحول فى سؤاله عن الرؤساء إلى الشعب إذ كان اختيار الأسير للشعب لا للرؤساء (مر ١٥ : ٦ و٩) فضلا عن أنه عرف جيداً أن هذا الهيجان ضد المسيح إنما حصل من جراء حسد الرؤساء الدينيين له (مر ١٥ : ١٠) إذ انحط اعتبارهم كمعلمين ومرشدين بسببه . فما أرذل القلب البشرى المحمول من شهواته الدنيئة خصوصاً الرغبة فى الحصول على الشهرة المتعلقة بالرياسة الدينية !

وبينما كان ينتظر رد الشعب باطلاقه تأثر أيضاً إذ أرسلت اليه امرأته تقول له « إياك وذلك البار لأنى تألمت اليوم كثيراً فى حلم من أجله » كم من الانذارات يتنازل الله من لطفه أن يعطى البشر عندما يكونون فى تجربة أن يتهوروا فى مسالك الإثم . لاشك أنه أعطى امرأة الوالى هذا الحلم لكى يزيد به اقتناعه ببراءة ذلك الأسير الجليل الواقف للمحاكمة أمامه ، ويعظم إثمه إذا تساهل مع الشعب وسلمه إلى إرادتهم . غير أنه كان ينبغى للجميع أن يمتحنوا بواسطة حضور ابن الله بينهم فحصل لبيلاطس امتحان يناسبه فى دائرة سلطانه كالإسرائيل ورؤسائهم أيضا وإن كان أولئك الرؤساء قد وجدوا عند الامتحان منافقين ومبغضين للحق والصلاح الظاهرين فى شخص المسيح ، فبيلاطس الأممى المتكبر الحاكم باسم قيصر سيده العظيم فى رومية أظهر صفاته أيضاً وعند الامتحان تبرهن أنه عديم الموالاة باجراء العدل بين إنسان وإنسان وإنصاف المظلومين فلماذا وضع السيف فى يده

إلا لتخويف فعلة الشر ولمدح الذين يعملون الصلاح (رو ١٣: ٣و٤)؟ وأما رؤساء الكهنة والشيوخ فلما رأوا تردد الوالي عملوا جهدهم في تهييج الشعب ثانية وقادوهم أن يختاروا اللص. ولما عاد بيلاطس وسألهم ماذا يفعل بيسوع قالوا «ليصلب» (انظر أع ٣: ١٤) ولما سألهم أيضاً «وأي شر عمل؟» عجزوا عن أن يذكروا له ذنباً وازدادوا صراخاً طالبين صلبه، فانغلب الوالي من خاوفه، فانه كان ينظر إلى اضطراب الشعب المنقادين إلى رؤسائهم الأردياء لا إلى واجباته كحاكم ولكنه تردد في تحمل المسئولية في إصدار الحكم على البرىء فأخذ ماء وغسل يديه قدام الجمع قائلا «إني برىء من دم هذا البار. أبصروا أنتم» فكان عمله هذا اجتهاداً باطلا في أن يبرىء نفسه من الذنب وهو مرتكب أعظم جريمة يمكن لحاكم أن يرتكبها لا شك أن الماء يزيل الوسخ عن الجسد ولكن هل ينزع الإثم عن النفس قدام الله؟ وعند ذلك قبل الشعب المسلوب العقل على نفسه وعلى أولاده حمل الإثم الفظيع الذي كان ذلك الوالي الوثني قد امتنع عن قبوله على نفسه فصاروا أعظم منه ذنبا ولا يزال ذلك الحمل مثقلا عليهم إلى الآن. فلما أراح بيلاطس ضميره بغسل يديه أطلق لهم باراباس وأما يسوع فجلده وأسلمه ليصلب.

«جلده» واللفظة اليونانية هنا ليست اللفظة المترجمة «بجلدة» في ١ بط ٢: ٢٤ أو «بحبر» في أش ٥٣: ٥ لأن الرسول بطرس يشير إلى جميع آلامه بقوله «بجلدته شفيتم» لا إلى الضرب الخاص الذي أصابه بأمر بيلاطس. لا شك أن الوالي أهانه إهانة رديئة فاحتملها ولكن الوحي لا يذكر ذلك كأنه هو الكفارة التي أكملها لأجلنا.

«فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة فعروه وألبسوه رداء قرمزياً وضفروا اكليلا من شوك ووضعوه على رأسه وقصبة في يمينه وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين السلام يا ملك اليهود وبصقوا عليه

وأخذوا القصبة وضربوه على رأسه . وبعد ما استهزأوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب » (ع ٢٧ — ٣١)

قد سبق القول بأن حضور ابن الله كان امتحاناً تاماً لقلوب البشر جميعاً وقد صار الآن الوقت لعسكر الوالى ليظهروا ما فى قلوبهم نحو ذلك الشخص الوديع « فجمعوا عليه كل الكتيبة » لأنه من دأب البشر عندما يمرحون فى الظلم أن يجتمعوا معاً لكى يشجعوا بعضهم بعضاً ويتسابقوا معاً فى من منهم يفوق رفقاءه فى الفجور . لم تكن لأولئك العساكر الأجنبيين خلطة مع اليهود ولا دخل لهم فى مشاجراتهم الدينية . فمن دربهم على الإفراط فى إهانة المسيح ؟ فبلاشك الشيطان ملأ قلوبهم فى تلك الساعة واستعملهم لإظهار ما عندهم من البغض الغريزى فى قلب الإنسان نحو ابن الله . ومما نتعجب منه أنهم فى حماقتهم وهزئهم به جثوا قدامه ساجدين له . ولكن هذا ما سيفعله له الأمم فى المستقبل جدياً وتعبدياً بعد ظهوره فى المجد ، حينما تسجد قدامه كل قبائل الأمم .

صلب المسيح

(ع ٣٢ — ٥٦ ، مر ١٥ : ٢١ — ٤١ ، لو ٢٣ : ٢٦ — ٤٩ ، يو ١٩ : ١٦ — ٣٧)

« وفيما هم خارجون وجدوا إنساناً قيروانياً اسمه سمعان فسخروه ليحمل صليبه . ولما أتوا إلى موضع يقال جلجثة وهو المسمى موضع الجمجمة أعطوه خلاً ممزوجاً بمرارة ليشرب . ولما ذاق لم يرد أن يشرب . ولما صلبوه اقتسموا ثيابه مقترعين عليها لكى يتم ما قيل بالنبى اقتسموا ثيابى بينهم وعلى لباسى ألقوا قرعة . ثم جلسوا يحرسونه هناك . وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود . حينئذ صلب معه لصان واحد عن اليمين وواحد عن اليسار » (ع ٣٢ : ٣٨) .

« انساناً قيروانياً اسمه سمعان الخ » يظهر أن سمعان هذا صار معروفاً بعد ذلك

بين تلاميذ المسيح (مر ١٥ : ٢١) . وقد سخروه الجند ليحمل صليب المسيح وطوبى لسمعان القيرواني الذي أجبر بأن يحمل صليب الرب ثم بعد ذلك تعلم قيمته .

« إلى موضع يقال له جاجثة الخ» «جلجثة» موضع خارج المدينة في جهة الشمال ولكنه بالقرب منها (يو ١٩: ٢٠) وبالقرب من البستان الذي كان به القبر الذي دفن فيه المسيح (يو ١٩: ٤١) ولا نعلم لماذا يقال لذلك الموضع «موضع الجمجمة» وربما كان السبب أنه جرت العادة ان يقتل هناك المحكوم عليهم بالموت .

« أعطوه خلا ممزوجا بمرارة ليشرب » (ع ٣٤) كان ذلك مشروبا من شأنه أن يعدم الحس . فلم يقبله الرب لانه شاء أن يحتمل كل شيء بحسب ارادة الله .

« ولما صلبوه اقتسموا ثيابه الخ » (ع ٣٥) لما علقوه على الخشبة أخذوا يقتسمون ثيابه (يو ١٩ : ٢٣ ، ٢٤) وتمموا النبوة بدون معرفة (مز ٢٢: ١٨) لانهم كانوا وثنيين .

« وجعلوا فوق رأسه علته مكتوبة هذا هو يسوع ملك اليهود » قصد الله أن يكون لقب المسيح كملك اليهود ظاهرا قدام أعين إسرائيل والعالم أيضا في ساعة اهانته العظمى. لقد اغتاظ بيلاطس من اليهود ورؤسائهم لسبب طلبهم بلجاجة موت إنسان بريء من بعد ما شهد هو لبراءته . وقصد أن يغيظهم ويهينهم بتعليق علته فوق رأسه مكتوبة باللغات المعروفة عند المجتمعين (يو ١٩: ٢٠) وإن أرادوا أن يتطلعوا الى ذلك المنظر المحزن فينبغي أن يقرأوا ما يفكرهم بأنهم رفضوا ملكهم . وبالحقيقة بلغوا حينئذ إلى أقصى درجة من الإهانة كأمة إذ صلب ملكهم . فصار ذلك وصمة عليهم إلى هذا اليوم فاضطروا إلى أن يحتملوه رغما عنهم . ولأجل زيادة العار صلب لصان معه .

«وكان المجتازون يجدفون عليه وهم يهزون رؤوسهم قائلين، يا ناقض الهيكل

وبانيه في ثلاثة أيام خلص نفسك. إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب. وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً وهم يستهزئون مع الكتبة والشيوخ قالوا، خلص آخرين وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها إن كان هو ملك اسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به ، قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده . لأنه قال أنا ابن الله . وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه » (ع ٣٩ : ٤٤) .

«وكان المجتازون يجدفون عليه الخ» لقد صارت الآن الفرصة للجموع المجتازين أن يظهروا ما فيهم نحو ابن الله . فاقتبسوا كلام شاهدى الزور وعيروه به . الكذب دائماً ينتشر بسرعة ويسبق الحق ويجد القبول فى قلب الانسان الكاذب . كان الخبر عن محاكمته أمام المجمع اليهودى قد شاع بين الشعب فأخذوا يظهرون الآن أعظم سرور لمشاهدتهم إياه معلقاً فى عار . نشكر الله لأننا نعلم أن ليس الجميع اتفقوا فى ذلك العمل المهين لأن قلوب البعض امتلأت حزناً فى ذلك اليوم الحزين ولم تشترك مع الجموع فى شماتتهم الأثيمة .

« وكذلك رؤساء الكهنة أيضاً الخ » بعد هزء المجتازين نرى هنا ذكراً خاصاً لهزء رؤساء الكهنة والكتبة والشيوخ . كانوا قد اضطربوا مع هيرودس الملك حين بلغ أورشليم الخبر بولادة المسيح كملك اليهود وقاوموه وقت حياته ، فليس مستغرباً أن يشمتوا فيه ساعة موته . لقد ذكروا أعمال الرحمة والمحبة التى عملها قائلين « خلص آخرين » وكنا نظن أنهم يقفون عند هذا الحد ويخجلون من عملهم ، ولكنهم أقروا بهذا الاقرار وأضافوا إليه القول « وأما نفسه فما يقدر أن يخلصها » (ع ٤٢) افتكروا فى القوة فقط ولم يعرفوا شيئاً عن المحبة ، شكراً لله أننا نحن قد علمنا أنه بذل نفسه لأجلنا بمحبة لا توصف ولا تستقصى فلم يقدر أن يخلص نفسه وإيانا أيضاً .

« إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل عن الصليب فنؤمن به » كان الصليب معثرة لهم . وهذا هو الحال إلى اليوم ، فإن الصليب لا يزال معثرة للمعتدين

ببر أنفسهم وجهالة للدعين بحكمة هذا الدهر. المتكل على بره الذاتى لاموضع للصليب فى قائمة أعماله الصالحة وأما الفيلسوف فيظن أن ذكر الصليب حماقة وجهالة (١كو ١:١٧-٢٥) قالرؤساء فى فيض غضبهم تمموا ما قيل عنه فى مز ٢٢ دون أن يخطر على بالهم أنهم يتممونه « قد اتكل على الله فلينقذه الآن إن أراده » (ع ٤٣) (انظر مز ٢٢:٨) حيث ينسب الوحى هذا الكلامَ لأعداء المسيح غير المؤمنين.

« وبذلك أيضاً كان اللصان اللذان صلبا معه يعيرانه » يظهر أن الاثنين عملا ذلك فى الأول ثم تاب واحد منهما (انظر لو ٢٣ : ٤٠ - ٤٣). وأما متى فإنما يذكر الحادثة الغريبة أن اللصين اشتركا مع أولئك الرؤساء فى إهانة ابن الله. لأنه لم يسمع قط إن انساناً مشرفاً على الموت يعير رفيقه فى الآلام. فانه لو كان الواحد قد ظلم الآخر فالموت الذى هو ملك الأهوال ينهى كل الدعاوى بينهما ويسكن إحساسات الغضب، ولكن حضور المسيح بين الناس امتحن قلوبهم وجعلهم يظهرون عداوتهم الغريزية لله، وفى تلك الساعة هاج عليه كل قلب عدا قلوب الذين كانت النعمة قد فعلت فيهم واجتذبتهم إلى المسيح ولكنهم كانوا كخراف بددها الذئب.

« ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض إلى الساعة التاسعة. ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا، إيلى إيلى لما شبقتنى ؟ أى إلهى إلهى لماذا تركتنى. فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادى ايليا. وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه. وأما الباقون فقالوا، أترك. لنرى هل يأتى إيليا يخلصه. فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح » (ع ٤٥ - ٥٠). قد رأينا أن امواج الظلم البشرى هاجت واحدة بعد آخرى تلاطم الرب بقوة متزايدة، ولكن لله تعالى السلطان المطلق ويقول للبحر المضطرب « إلى هنا تأتى ولا تتعدى. وهنا تتخم كبرياء لججك ». (أى ٣٨ : ١١). كان البشر اليهود والأمم آلات فى يد إله هذا الدهر وكانت قوتهم عظيمة جداً ومع ذلك كله إنما قدروا أن يعذبوا و يذلوا انساناً بريئاً ويقتلوا

جسده . وكان الرب قد قال لتلاميذه ان لا يخافوا ممن ليس لهم أن يعملوا أكثر من ذلك .

« ومن الساعة السادسة كانت ظلمة على كل الأرض الى الساعة التاسعة»

نرى هنا العلامات التي تدل على أن الله نفسه يتداخل في تلك الحوادث العظيمة . فأولا يرخي الظلام[1] الدامس كحجاب على المشهد حيث هو مزمع ان «يفعل فعله الغريب» (اش ٢٨: ٢١) وهو الدينونة. ولكن ان كان الظلام يخرج البشر عن محضر الله ويتركهم هنيهة في الحيرة والشعور بعجزهم فإنه يفرز المسيح ليكون وحده مع الله في تلك الساعة الخطيرة لأن الله فيها « جعل الذى لم يعرف خطية (أو ذبيحة خطية) لأجلنا» (٢ كو ٥ : ٢١) . وان كان المسيح قد صار الذبيحة فكان ينبغي أن نار الله تنزل عليه . بل والذبائح القديمة نفسها ، مع انها لم تكن إلا رموزاً إلى المسيح في آلامه، فقد احترقت بنار . أما غضب البشر مهما اشتعل فلا يكون سوى نار غريبة لا تصلح لمحرقات الرب (انظر لا ٢٠: ١ و٢) وعندما يحاسبهم الله على عملهم في إماتتهم ابنه يعاملهم بالمثل ويخرج نار دينونته عليهم فتأكلهم (عب ١٠ : ٣٧) ولكن وقت المحاسبة لم يأت بعد . ونرى أن عكس ذلك تماماً قد جرى وقت صلب المسيح فان الله حينما تداخل أوقع الدينونة على ابن محبته لا على قاتليه .

«ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلي إيلي لما شبقتني ؟ أي إلهي إلهي لماذا تركتني؟في وسط الظلام تكلم المسيح وكان صوته لله لا للإنسان. واقتبس كلامه من مز ٢٢ : ١ . كان رؤساء الكهنة قد اقتبسوا ما يخصهم من هذا المزمور وأما الآن فالمسيح اقتبس قسمه هو منه ولا يخفى ان موضوع هذا المزمور

(١) لم تكن هذه الظلمة طبيعية بل معجزية تدل على تدخل إلهي لانه لا يمكن أن تكسف الشمس إلا والقمر هلالا، بينما كان يومئذ عيد الفصح الواقع في الخامس عشر من نيسان . وكان القمر بدراً .

الرئيسى هو آلام المسيح التى تألمها من يد الله . يوجد فيه ذكر للعار والعذاب اللذين وقعا عليه من الناس ولكن ذلك مهما كان فليس شيئاً بالنسبة الى ما وقع عليه من يد الله الذى ألجأه لأن يصرخ « إلهى إلهى لماذا تركتنى » ؟ إن الأيادى الأثيمة التى أمسكته وسمرته على الخشبة عجزت عن تعذيب نفسه البارة وما قدرت أن تصدعنه لمعان وجه أبيه وفضلا عن ذلك كان البشر قد عملوا عملهم قبل أن صرخ يسوع ذلك الصراخ الذى يخبرنا بالاختصار بما جرى فى ذلك الدجى العميق . إن غضب الانسان يمكن أن يحتمل وأما غضب الله فمن يستطيع احتماله ؟ وأطلب إلى القارىء المسيحى أن يتذكر أن خطايانا باهظة وتستوجب غضب الله ورجزه فى هذه الحياة وفى الحياة العتيدة أيضاً . كان مفروضاً على المسيح أن يواجه عدل الله غير المتغير ويقبل على نفسه البارة عقاب الخطية الذى لا يستقصى من يد الله الذى أخطأنا اليه إن كان هو قائماً مقامنا فينبغى أن يعامل معاملتنا . إن كنا مستوجبين غضب الله مصبوباً صرفاً فينبغى أن ينصب صرفاً على نفس نائبنا البار . وإن كان الله لا يقدر أن ينظر الينا بعين الرضى ونحن فى خطايانا فينبغى أن يصرف وجهه عن ابنه العزيز وهو حامل إياها على سبيل الكفارة لدى العزة الالهية . آه من منا يستطيع أن يتصور آلام نفس فادينا المبارك حين أصبح متروكاً من الله مختبراً فى نفسه ثقل ذلك الغضب العادل الذى كنا نستحق نحن أن نكابده إلى أبد الآبدين ! « غمر ينادى غمراً عند صوت ميازيبك . كل تياراتك ولججك طمت على » (مز ٤٢ : ٧) . إن كانت لجج الظلم البشرى قد هاجت جداً عليه فلم تكن سوى الأمواج التى على وجه البحر . لأنه كانت تحت ذلك أعماق آلام لا تقاس قد تعينت لفادينا . ينبغى أن ينحدر اليها لكى يبلغ إلى حيث كنا نحن مضطجعين فى خطايانا ويصعد بنا من هناك ، نعم ويضعنا أمام الله فى الرضى الكامل الغير المتناهى . كان قلبه ممتلئاً من المحبة الإلهية بكمالها فقبل أن يجعل نفسه ذبيحة إثم وبما أنه كان قدوساً ولم يعرف الخطية كشىء فيه استطاع أن يأخذ خطايانا عليه ويحتمل عواقبها لدى الله الذى حجب

عنه وجهه وحمل غضبه يضغط عليه. الانسان الساقط المبتعد عن الله قد أصيب بالعمى وقلما يفكر فى انصراف وجه الله عنه. وأما الغضب فيظنه مستقبلا بعد. فلا يعرف الأول ولا يبالى بالثانى. ولكن لم يكن الأمر هكذا مع يسوع المسيح ربنا الذى كان كالابن الوحيد للآب منذ الأزل فى ذلك الرضى الذى هو أفضل من الحياة. وكذلك فى حياته كانسان على الأرض لم ينقطع تمتعه التام بشركته مع الله الآب ولا دقيقة واحدة إلى أن بدأت ساعات الظلمة الرهيبة على الصليب. حتى فى جهاده العظيم فى البستان كانت له شركة تامة مع أبيه ولم نسمع منه صراخاً كهذا «إلهى إلهى لماذا تركتنى». ويجب أن نلاحظ أنه كان قبل هذا دائماً يخاطب الله بحسب نسبته البنوية الفريدة قائلاله «يا أبتاه» (لو ٢٣: ٣٤) أما فى ساعات الظلمة على الصليب فخاطبه قائلاله «إلهى» ولهذا أهمية عظمى. ولا يجوز أن نقول أن الآب صرف وجهه عنه. فإنه لم تزل نسبته الفريدة كالابن الوحيد موجودة ولكن الله حجب وجهه عنه كإنسان فى تلك الساعة حينما قام مقامنا أمام الله المطلق السلطان الذى معه أمرنا لأن لفظة أب تدل على نسبة وهى أخص من لفظة الله الدالة على العزة الإلهية المطلقة. لم ينقطع اتكال المسيح على الله لأنه قال له «إلهى» مع أنه كان متروكاً ومضروباً منه ولاق به أن يقول له «لماذا؟» لأنه لم يكن به سبب إذ كان هو البار متألماً بدل الأثمة لا يستطيع الهالكون المكابدون العقاب الأبدى أن يقولوا «لماذا» لأن كل واحد منهم يعرف بغاية اليقين أنه معاقب على خطاياه بعدل وكان يسوع المسيح معتاداً على مقاومة الخطاة لنفسه منذ دخوله إلى العالم ولم يستغرب أن يكون متروكاً من تلاميذه (يو ١٦: ٣٢) وأما ترك الله فلم يحصل له قبل الصليب كل من أراد أن يفهم موضوع آلام المسيح ينبغى أن لا يقصر نظره على ما عملته أيادى البشر الأثمة. لم نقرأ قط أن الشيطان كان له تداخل معه فى تلك الساعة الفريدة حين قام وحده أمام الله كذبيح متألم بلا عيب. فإن الله هو الذى جلب عليه الغضب وهو الذى قدمه كفارة (رو ٣: ٢٥) وليس للشيطان يد فى إجراء قضاء

الله العادل على الخطية . يمكنه أن يغوى الناس إلى ارتكاب الخطية حتى يجلبوا غضب الله على أنفسهم. ولكنه لم يتعين قط لتنفيذ القضاء الالهى. قد حدث بعض الاوقات عند حلول الضربات على أناس احياء على الأرض أن الله استخدمهم كواسطة لإبادة بعضهم بعضاً . وقد استخدم الشيطان هكذا أيضاً . غير أن ذلك انما يحصل فى الديونات الجزئية الوقتية فقط. فان الله عندما يعامل الخطية بحسب الديونة المطلقة الابدية كما صار عند صلب المسيح وكما سيصير أيضاً عند العرش العظيم الابيض فانه يدينها بحسب طبيعته القدوسة ويجلب غضبه رأساً . فلنتذكر ذلك . حينما يقوم فى رجزه ليرعب الارض ويطالب الأئمة على آثامهم ينحط حالا الشيطان والبشر إلى مقامهم الحقيقى لانهم هم المحكوم عليهم لا الحاكمون فأى قاض يستخدم المجرمين لتنفيذ أحكامه الخطيرة . فالله الذى هو ديان الأرض كلها يحكم ويجرى أحكامه. فمن قال بأن ظلم البشر كان يكفى لإجراء غضب الله على شخص المسيح كنا نبينا لم يتعلم بعد ماهى الخطية ولا ما هو الذى يستحقه الخاطىء. فمن هو الذى سيعذب الهالكين ليلا ونهاراً إلى الأبد فى جهنم النار؟ اننا لا نقرأ انهم يعذبون بعضهم بعضاً ولا أن الشيطان يعذبهم. فان الله يعاقبهم جميعاً والشيطان نفسه يكابد قصاصاً أشد من قصاصهم كلهم .

وإن قال قائل أننا نستحق أن نتألم إلى الأبد وأما المسيح فانما تألم إلى برهة. فكيف يمكن أن تألمه مؤقتاً يوازى ما نستحق أن نكابده مؤبداً ؟ فأجيب :

أولا : ينبغى أن نتذكر من هو الذى تألم بدلا عنا وننظر إلى جلال شخصه وعدم محدوديته فى ذاته ، الأمر الذى جعل لعمله عدم محدودية فى قيمته .

ثانياً : لأن الخطية هى ضد الله الغير المحدود ولذلك صارت جرماً غير محدود، وصار الخاطىء بالتبعية مستوجباً قصاصاً غير محدود. ولكن الطاقة الانسانية قاصرة ومحدودة. فلا يمكن للانسان المحدود أن يحتمل كل ثقل غضب الله الغير المحدود لحيظة. وعليه، فمهما احتمل من الغضب فلن ينفعه ذلك شيئاً على سبيل الكفارة

لأنه لا يمكن للمحدود أن يوفى لغير المحدود حقه عن نفسه أو عن غيره. فمهما تألم فآلامه لا تأتى له بالغفران أو الاطلاق من موضع العذاب. وأما فادينا العزيز فكان إناء المحبة الإلهية التى لا تقاس، وكان يستطيع أن يشعر بحقيقة الخطية أمام الله ويكابد الرجز الإلهى بسببها فى نفسه البارة الى الدرجة الغير المحدودة وبعمق ألم لا يتصور ولا يقاس. كان من الجهة الواحدة يعرف الله تماماً وكل ما كانت العزة الإلهية تقتضيه، ومن الجهة الأخرى عرف الخطية كما هى كذنب باهظ جداً مغيظ لله. وبما أنه لم تكن فيه خطية استطاع أن يأخذ الخطية على نفسه ويحتملها لدى الله الى أن اكتفى العدل اكتفاء تاماً وقال، كفى. وكل ما قاساه كان كفارياً واستحق أن يأتى لنا بالرضا من اليد التى آلمته. أولا: لسبب جلال شخصه وثانيا: لأن المشيئة الإلهية هى التى أقامته مقامنا وثالثا: لأنه تألم طاعة. وأما الخاطىء فيتألم اضطراراً لا طاعة. ومهما تألم فليس من فضل لآلامه. فلم يمكن لله أن يتمجد تمجيداً كاملا إلا فى موت المسيح على الصليب. لاشك أنه تمجد فيه كإنسان وهو حى على الأرض ولكن ذلك ولو كان جميلا فى محله لا يقدر أن يمجد الله من جهة حكمه العادل على الخاطىء بالموت، ومن ثم كان ينبغى أنه يتمجد فيه على طريق أخرى كذبيحة إثم (انظر يو ١٣ : ٣١ و ٣٢) فانه أظهر شيئاً من لطفه للبشر بخدمة المسيح الجهارية. ولكن أين عدله، لا بل جميع صفاته بكمالها؟ فإنه لم يستطع أن يعلن حقه وعدله وقداسته ومحبته وسائر الصفات الإلهية ويثبتها تثبيتا أبديا فى معاملته للبشر إلا فى صليب يسوع المسيح. لو عفى عن الخطاة بلا كفارة فأين كانت القداسة والحق؟ لأنه كان قد صرح أن الخطية مكرهة أمامه وأنه لا يبرىء المذنبين، ولو أهلك الجميع بعدل فأين كانت المحبة؟ ولكن الشكر له إلى الأبد لأنه وجد طريقاً به قدر أن يبرر الفاجر ويظل باراً.

لا يخفى أن الإنسان يتلذذ فى الخطية مع أنه يتحسر من أجرتها. يتمنى أنه يعيش فيها وينجو من عواقبها. ولكن ذلك من المستحيل كما قد أوضح لنا صليبه.

المسيح . لأنه لو كانت الخطية من الأمور الزهيدة لما كان هناك موجب لأن الله يضعها شرعياً على ابنه ثم يصرف عنه وجهه ويجعل كل لجج غضبه تطمو عليه . إذن فصليب يسوع المسيح قد برهن الى الأبد أن الله لا يستطيع أن يجازى الخطية ولا أن يتساهل معها وانه قد قام بعقابها فى الصليب .

إن كان القارىء من الذين يتهاونون بالإثم ظانين أنهم ينجون بطريق من الطرق من غضب الله فعليه أن يلتفت الى ذلك المنظر العجيب الذى قد أظهر مرة فى موضع الجمجمة ولا يمكن أن يظهر ثانية وعليه أن يصغى الى صوت المسيح وهو صارخ « إلهى إلهى لماذا تركتنى » ويسأل نفسه : لماذا ؟

كان الله قد خرج من مكانه ليدين الخطية وهى موضوعة على ابن محبته ، ولم يقدر أن يتساهل فيها أو يلطف قصاصها لأنه فى ذات طبيعته نار آكلة . فمخيف هو الوقوع فى يديه فى الدينونة . وكل ما هو الله ضد الخطية ، وكل ما يمكنه تعالى أن يظهر من علامات غضبه العادل فذلك وقع على المسيح فاحتمله احتمالا حقيقياً ولكن بالنيابة عن الآخرين . كل من عاش متغافلا عن صليب المسيح فلا بد أن يتعلم يوماً ما حقيقة الخطية بمكابدة عواقبها الهائلة فى ذلك الموضع الذى لا رجاء لمن انحدر اليه . لا يخفى أن ابليس يفرغ جهده ليعمى أعين الناس ويخفى عنهم معنى صليب المسيح ، لأنهم لو انتبهوا اليه لتعلموا ما هو الله وهو مجرٍ قضاءه العادل وإذ ذاك يهربون من الغضب الآتى ويجدون الملجأ فى ذلك الذبيح القدوس الذى دمه يطهر من كل خطية ويستر خطايا المؤمن الى الأبد عن نظر الله فى صفته كقاض .

ولكنه ينبغى لنا أن نؤمن ، لأن الذى لا يؤمن يدان . كل من لا يقبل أن المسيح قد حمل خطاياه ينبغى أن يحملها هو لنفسه أمام الله فى الدينونة . فلا يستخف أحد بصراخ المسيح على الصليب أو يظن أن الخطية من المسائل الخفيفة .

أخيراً أقول أيضاً أنه إن أردنا أن نفهم الأمر بنا يسوع المسيح حق الفهم فيجب أن لا نشغل أفكارنا كثيراً فى ما عمل البشر معه . إن نظرنا إلى نفاق

اليهود وظلم الأمم تنسى يد الله و نغتاظ من الناس و نلومهم كأننا أفضل منهم ونشفق على المسيح كأنه فقط مظلوم من شر الإنسان ، ولكن صليبه لا يطلب منا أبداً شفقتنا عليه بل إيماننا به وخضوعنا له . فإن خطايانا أتت به إلى الصليب وربطته به وهي الجواب الوحيد لصراخه لله « لماذا تركتني ؟ » .

« فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا انه ينادي إيليا . وللوقت ركض واحد منهم وأخذ اسفنجة وملأها خلا وسقاه . وأما الباقون فقالوا اترك .. لنرى هل يأتي إيليا يخلصه » . تكلم المسيح باللغة الارامية الدارجة حينئذ بين اليهود في وطنهم وأما بعض الواقفين فلم يفهموها تماماً . ولعلهم كانوا من اليهود الذين حضروا العيد من الأماكن الأجنبية . ولا يظهر جلياً ماهو قصد الذي ركض ليسقيه خلا . ولكن المرجح أنه عمل ذلك على نوع من الهزء . فإن الآخرين قالوا له اترك لنرى هل يأتي إيليا يخلصه . نعرف أن الجند استهزأوا به مقدمين له خلا وهو على الصليب (لو ٢٣ : ٣٦) وأنه هو قال أخيراً « أنا عطشان » والبعض قدموا له خلا (يو ١٩ : ٢٨ — ٣٠) فإذا حصلت عدة أعمال من هذا القبيل . ولكن مهما كانت أفكارهم في ما عملوا فقد تمموا الكتب بجهالتهم (مز ٢٢ : ١٥ ، ٦٩ : ٢١) .

« فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح » (ع ٥٠) متى لا يذكر ما هو الصراخ ولكن لوقا يوضح أن ذلك كان في قوله « يا أبتاه في يديك أستودع روحي » (لو ٢٣ : ٤٦) إذ كان قصد متى هو أن يظهر فقط الحقيقة المهمة في أن موت المسيح لم يكن من فراغ القوة الجسدية . فإنه « صرخ بصوت عظيم وأسلم الروح » ، وهذا يطابق قوله « لأني أضع نفسي لآخذها أيضاً . ليس أحد يأخذها مني بل أضعها أنا من ذاتي . لي سلطان أن أضعها ولي سلطان أن آخذها أيضاً . هذه الوصية قبلتها من أبي (يو ١٠ : ١٧ و ١٨) .

لا شك أنه مات بالجسد حقيقة ولكنه قبل تسليم الروح كان قد احتمل دينونة الله

الرهيبة فى نفسه . وبعد ما أكمل كل شيء وهو حي بعد ، خضع بحسب مشيئة الله للموت الجسدى أو لانفصال الروح عن الجسد (يو١٩: ٢٩-٣٠) . «وإذا حجاب الهيكل قد انشق إلى اثنين من فوق إلى أسفل . والأرض تزلزلت والصخور تشققت . والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين الراقدين . وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين . وأما قائد المئة والذين معه يحرسون يسوع فلما رأوا الزلزلة وما كان خافوا جداً وقالوا ، حقاً كان هذا ابن الله . وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد وهن كن قد تبعن يسوع من الجليل يخدمنه . وبينهن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ويوسى وأم ابنى زبدى» (ع ٥١ — ٥٦) .

قد رأينا فى هذا الإنجيل أن البشير متى قد ألهم على نوع خاص بأن يدرج كل ما يتعلق بالمسيح فى حياته كابن داود ابن ابرهيم حاضراً بين نسل ابرهيم كيهوه إلههم ثم بعد رفضه صار ذبيحة اثم . ومع أنه يدرج أيضاً الحوادث المهينة التى أصابته من الناس بعدما أسلم إلى أيديهم ، فالموضوع الأعظم فى هذا الفصل من انجيله هو موت المسيح كذبيحة قدوسة وبلا عيب ، قائماً وحده أمام الله محتملا حجب وجهه عنه وضغط غضبه . لا يخفى أنه توجد أوجه مختلفة لموته ولكل منها فوائد عظيمة لنا . ولكنه أنفع لنا أن نتبع كلام كل واحد من الأربعة البشيرين فى محله . لاشك أن جميع الذبائح الدموية القديمة أشارت إلى المسيح كفاد متألم ولكن اليهود ما كانوا يفهمون أنها مختصة بالمسيح ، لأنهم لم يدركوا الحقيقة الرئيسية من الإعلانات الإلهية أنه بدون سفك الدم لن تحصل المغفرة . وأما من جهة أفكارهم فكانوا على المبدأ الناموسى أى أن الله طالب من الإنسان وليس معطياً له مجاناً بلا شرط . وكانوا متلثين من الأفكار من جهة أعمال الله فى سياسته للناس فى هذه الحياة إذ يجازى الأبرار الآن على برهم ويعاقب الأشرار على شرهم . فلذلك أخذوا يشمتون فى المسيح لما تيسر لهم أن يأتوا به إلى الصليب ، إذ ظنوا أن الله مصادق على عملهم فى عنايته

وسياسته . قائلين « قد اتكل على الله فلينقذه الآن أن أراده » وكان جانب من الحق فى أفكارهم هذه . لان الله كان معتاداً فى سياسته أن يظهر رضاه على الأتقياء ، وأن سمح بأن يظلموا إلى حين فلا بد أن يكون معهم فى شدائدهم وكان غالباً يفرج ضيقاتهم ويخرجهم منها . كان يوسف مثلا قد ظلم من اخوته وبيع كعبد إلى مصر وهنالك وقعت عليه تهمة ردية ومع ذلك نقرأ أن الرب كان مع يوسف فى السجن (تك ٣٩) وفى الوقت المعين أنقذه (تك ٤١) كذلك الثلاثة الفتية الذين ألقوا بأمر الملك فى أتون النار . فان شخصاً إلهياً وقف معهم فى النار وحفظهم من قوتها (دا ٣) ودانيال كذلك حين رموه فى جب الأسود لأن الله أرسل ملائكة وسد أفواهها ثم خرج سالما وحصل على شرف زائد (دا ٦) وأما الأمر مع المسيح فى عظم شدته فلم يكن هكذا . فانه اضطر إلى أن يعترف علينا بصوت عظيم أنه متروك من الله وفى ذلك نرى السر العظيم لعمل الفداء الذى لم يقدر اليهود أن يدركوه (مز ٢٢ : ١-٨) ونحن أيضا لا نقدر أن ندركه أن لم نتعلم من الله . لأنه أمر خلاف أفكارنا الطبيعية أن الله يضرب البار بدل الأثمة ولكن هذا ما عمله مع المسيح على الصليب . وبذلك أعلن ذاته أعلانا تاما لمن قد انتبه وعرف خطاياه . أن طرق الله وأعماله فى سياسته للعالم لا نقدر أن نعلمه إلا اعلانا جزئيا . لانها كثيرا ما يكون انما تظهر حقيقة واحدة أى أنه ينظر إلى الابرار بعين الرضى ويجعل وجهه ضد الاشرار (١ بط ٣ : ١٢) ولكن هذه وأن كانت مهمة فلا تخبرنا كيف يمكن للأثيم أن يصير بارا أو للخاطىء المذنب أن يفوز بالغفران ويوضع فى النعمة الإلهية الغير المتناهية . وبالاجمال أقول أن الله فى مدة النظام القديم لم يعلن ذاته تماماً . فانه كان كما كنا وراء الحجاب . لاشك أنه كان يجرى أعمال ديونة ورحمة خارج الحجاب . ولكن النظام نفسه كان متصفا بتعليق الحجاب ليمنع عن الوجود فى قدس الاقداس مسكن الله الخاص . لأن الطريق اليه ظل غير ظاهر مدة إقامة النظام الأول (أنظر عب ٩ : ٧-١٤) . ولكن عند صلب المسيح خرج الله من مكانه بكمال

صفاته لكي يتمم عملا عجيباً يوافق صفاته ويعلنها أيضاً . فانه دان الخطية لكونها ضد طبيعته. ولكن حلت دينونته على البار نفسه خلاف معاملاته الجزئية السياسية السابقة. وبالتبعية عمله هذا أنهى النظام القديم. لأنه لم تعد بعد حاجة إلى ما يستره من بعدما أعلن تقديسه تماما. وبالعمل نفسه نزع الخطية التي كانت قد أبعدت الانسان عنه ومنعته من الاقتراب اليه بجراءة مقدسة فكان من الأمور اللائقة كل اللياقة أنه يشق حجاب الهيكل إلى اثنين من فوق إلى أسفل (انظر عب ١٠: ١٩ و٢٠) كان الحجاب نفسه تشبيهاً لجسد المسيح ووجه الشبه أن الله كان محتجباً في ذلك الجسد ولم يقدر أن يعلن ذاته إلا عند انشقاقه بالموت، وعند ذلك نزع ما كان يفصل بينه وبيننا ولا يبقى شيء في الوسط الآن سوى المسيح نفسه وهو الذي حمل خطايانا وقربنا إلى الله بدمه. كل من أراد أن يضع فاصلا بيننا وبين الله ينكر حقيقة الايمان المسيحي ويحاول أن يجدد الحجاب المشقوق ويرجعنا تحت النظام الذي أبطله الله عند موت ابنه .

«والأرض تزلزلت والصخور تشققت» هنا نرى أنه جرت حوادث أخرى وقتئذ برهنت على حضور الله على نوع خاص. كان الظلام الخارق العادة الذي غطى وجه الأرض في نصف النهار قد أظهر أن الله نفسه تداخل كإله القضاء. ولكن بعد موت الذبيحة عمل في الطبيعة ليجعلها تشهد لعظم الشخص الذي مات. فانه إن كانت الرياح والبحر قد خضعت لصوته وهو حي يخدم احتياجات الانسان العديم الشكر فيليق بالأرض والصخور أن تشهد له بعد موته على أسلوب قد أثر في فظاظة قلوب العساكر الرومانيين وجعلهم يصادقون على الشهادة التي قدمها عن نفسه قائلين «حقاً كان هذا ابن الله» (ع ٥٤) أن الزلزلة من العلامات الدالة على حضور الله وقوته في الطبيعة. لا نقدر أن نجزم في أمر أولئك العساكر وقائدهم أحصل فيهم عمل إلهي ثابت أم لا. غير أنه يجوز لنا أن نرجو أن الله جعلهم مثل باكورة للأمم المعترفين بابنه حق الاعتراف. قصد الوحي هنا أن يذكر الشهادة الفائقة

الطبيعية التي قدمها الله للمسيح عند موته حتى اخترقت قلوب وضمائر الذين كانوا يحرسونه وأخرجت من أرواحهم المرتعدة الاعتراف بمن هو . لا كملك اليهود فقط ، بل كابن الله أيضاً . كانت أخباره قد شاعت وصارت المسألة عند الجميع ترى أهو ابن الله أم لا ، والخليقة نفسها بادرت إلى أن تعطى الجواب قائلة نعم . ولم يقدر أن يقاوم بعد إلا الذين قد صارت قلوبهم أصلب من الصخور .

« والقبور تفتحت وقام كثير من أجساد القديسين وخرجوا من القبور بعد قيامته ودخلوا المدينة المقدسة وظهروا لكثيرين » هذا الكلام هو كجملة معترضة . لأن الحوادث المذكورة لم تكن معلومة فى تلك الساعة . ولكن لما عرفت كانت شهادة أخرى لفاعلية موت المسيح وقيمة آلامه عند الله . طالما كان القبر يفتح فاه ليقبل فرائسه الذين لم يكن لهم مناص . وعندما يضمهم لا يعود يردهم « ثلاثة لا تشبع . أربعة لا تقول كفى الهاوية والرحم العقيم وأرض لا تشبع ماء . والنار لا تقول كفى » (أم ٣٠ : ١٦) لم يكن القبر قد شبع ومهما ابتلع فلم يقل كفى . ولكن عند موت المسيح أخذ يفتح فاه ويرد فريسته طاعة له . لأنه بالموت غلب الموت . لاحظ أن موته هو علة الحياة لنفوسنا وأجسادنا أيضاً . فلذلك عاش أولئك القديسون وقت موت المسيح (*) مع أنهم لم يقدروا أن يخرجوا من القبور إلا بعد قيامته لأنه هو باكورة الراقدين (١ كو ١٥ : ٢٠) فكان يلزم أنه يسبقهم فى هذا الطريق الجديد . انى أفهم أنهم قاموا بأجساد متغيرة ولم يرجعوا الى أجسادهم على حالتها الطبيعية الأصلية ليموتوا أيضاً كلعازر وغيره من الذين أقيموا من الأموات بقوة الله ثم ماتوا أيضاً . وهذا يفهم أيضاً من أن الكتاب استعمل لهم كلمة « ظهروا » التى استعملها لشخص الرب فى قيامته الجديدة (مر ١٦ : ٩ و ١٢) ، والتى تدل على

(*) يرجح كثير من المفسرين أن القبور قد تفتحت وقت الزلزلة وربما يفعلها تمهيداً لخروج من كانوا راقدين فيها عند ما تصلهم الحياة من ربهم بعد قيامته فيخرجون منها كأدلة حية على انتصاره على القبر .

ان لهم القدرة على الظهور بهذه الأجساد للبعض والاختفاء عن البعض الآخر ، بخلاف الأجساد الطبيعية المنظورة دائماً وللجميع . والكتاب لا يذكر شيئاً آخر عنهم . ولا يجوز لنا أن نتكلم بحسب تصوراتنا. غير أنى لا أشك فى أنهم أخذوا إلى السماء مع المسيح كعلامة ظفره ونحن سنلحقهم بعد قليل .

« وكانت هناك نساء كثيرات ينظرن من بعيد الخ» نرى هنا ذكراً جميلا لبعض المؤمنات اللواتى خدمن للمسيح فى حياته بغاية التقوى ولم تزل قلوبهن تلتصق به فى موته . ولكنهن كن ينظرن اليه من بعيد .

دفن المسيح

(ع ٥٧ ـ ٦١ ، مر ١٥ : ٤٢ ـ ٤٧ ، لو ٢٣ : ٥٠ـ٥٦ ، يو ١٩ : ٣٨ـ٤٢)

« ولما كان المساء جاء رجل غنى من الرامة اسمه يوسف . وكان هو أيضاً تلميذاً ليسوع . فهذا تقدم إلى بيلاطس وطلب جسد يسوع . فأمر بيلاطس حينئذ أن يعطى الجسد . فأخذ يوسف الجسد ولفه بكتان نقى . ووضعه فى قبره الجديد الذى كان قد نحته فى الصخرة . ثم دحرج حجراً كبيراً على باب القبر . ومضى . وكانت هناك مريم المجدلية ومريم الأخرى جالستين تجاه القبر » (ع ٥٧ - ٦١) .

رتب الله جميع الحوادث المتعلقة بموت ابنه . وأما الآن فرتب أمر دفنه بواسطة بعض الأتقياء من الذين عرفوه وأحبوه . ذهب يوسف إلى الوالى وطلب الجسد . ونرى هنا مثالا جميلا لتدابير الله بعنايته المحيطة بكل شيء حيث يدبر الأمور فى وقتها ومحلها . كان يوسف تلميذاً غنياً فاستخدمه الله لخدمة ربما لم يقدر أحد غيره أن يقوم بها . فلما احتاج المسيح الى قبر كان حاضراً مستعداً . فأمر بيلاطس أن يعطى الجسد الذى ليست له أهمية عظيمة عنده الآن . فأخذه يوسف ووضعه . بغاية التقوى والاحترام فى قبره الجديد الذى لم يكن قد استخدم ليخفى فساد الإنسان .

وكان هذا ضرورياً لمنع كل التباس فى قيامته . وبعد أن دحرج حجراً كبيراً على باب القبر مضى (أش ٥٣ : ٩) .

« وكانت هناك مريم المجدلية الخ » هنا يوجد ذكر لإثنتين من النساء المؤمنات حملتهما محبتهما لشخص الرب على أن يستمرا وقتاً جالستين تجاه القبر حيث دفن . لقد كانت قيامة الرب أمراً بعيداً جداً جداً عن أفكار جميع التلاميذ . ولم يبق لتقواهم شىء بعد يمكنهم أن يعملوه للذى أحبوه فى حياته والذى فاجأهم موته العنيف وتركهم فى حزن وحيرة إلى حين .

وضع الحراس على القبر (ع ٦٢—٦٦)

« وفى الغد الذى بعد الاستعداد اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس قائلين، ياسيد قد تذكرنا أن ذلك المضل قال وهو حى أنى بعد ثلاثة أيام أقوم . فمر بضبط القبر إلى اليوم الثالث لئلا يأتى تلاميذه ليلا ويسرقوه ويقولوا للشعب أنه قام من الأموات . فتكون الضلالة الأخيرة أشر من الأولى . فقال لهم بيلاطس عندكم حراس اذهبوا واضبطوه كما تعلمون . فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر » (ع ٦٢ - ٦٦) .

« وفى الغد الذى بعد الاستعداد » أى فى يوم السبت وكان يوم ذلك السبت عظيما عند اليهود باعتباره ثانى أيام الفصح وكان اليوم السابق له وهو يوم الجمعة ، استعداداً لحفظه وذلك على نوع خاص لتعلقه بعيد الفصح .

« اجتمع رؤساء الكهنة والفريسيون إلى بيلاطس » ان كانت تقوى البعض قد جعلتهم يعتنون بجسد الرب بعد موته فخبث البعض الآخر لم يدعهم يرتاحون . فلم يقدر رؤساء الكهنة والفريسيون أن يأخذوا راحتهم فى السبت ولو كان يوما عظيما . كنا نظن أن تلك الحوادث العجيبة التى حصلت يوم أمس تفعل فى أفكارهم وتجعلهم يترددون قليلا لئلا يوجدوا محاربين لله . كان حجاب الهيكل المشقوق قدام نظرهم يكفى وحده لأن ينبههم أنه قد حدث أمر فوق العادة . ولكن الزلزلة التى

زعزعت الأرض وشققت الصخور الصلبة لم تؤثر فى قلوب رؤساء اسرائيل الذين كانوا أبعد عن الله من أولئك العساكر الوثنيين فاجتمعوا الى الوالى لأجل مسألة عظيمة الأهمية وقائلين، ياسيد، قد تذكرنا أن ذلك المضل، فهم يتكلمون كأنه من المسائل المؤكدة أن المسيح كان مضلا وأنهم يخشون وقوع ضلالة جديدة وبما أنهم يحبون الحق ويريدون خير الشعب يطلبون ضبط القبر .

« قال ... انى بعد ثلاثة أيام أقوم » الظاهر أنهم فهموا هذا من كلامه عن يونان كرمز اليه فى ص ١٢ : ٣٨ - ٤٠ ، فى حين لم يفهمه تلاميذه لما قال لهم صريحاً عدة مرات فى ص ١٦ : ٢١ ، ١٧ : ٢٢ و ٢٣ ، ٢٠ : ١٨ و ١٩ . والغريب أنهم هم تذكروه فى حين انسيه تلاميذه .

« فمر بضبط القبر الى اليوم الثالث » (ع ٦٤) ان استعمالهم عبارة « الى اليوم الثالث » بدل عبارة « بعد ثلاثة أيام » دليل على أنهم أرادوا بالعبارتين معنى واحداً .

« فمضوا وضبطوا القبر بالحراس وختموا الحجر » (ع ٦٦) الإنسان المظلوم المقاوم للحق بضمير مضطرب يخاف دائماً أنه ربما مايقاومه يكون حقاً . ولكنه لا يريد الحق ومجرد ذكره يتعبه وما أشد عمى أولئك الرؤساء الآنه ماذا تنفع هذه الاحتياطات البشرية ضد قيامة المسيح إن كان الله يتداخل ليقيمه من الأموات فحراسة العساكر وختم الوالى لا يمنعانه عن إجراء عمله وأمام جهة إتيان تلاميذه ليلا ليسرقوه فلم يكن ذلك سوى ثمر تصورات قلوبهم المضطربة الخبيثة ، التى لم تدعهم يطمئنون عند تذكرهم كل ماجرى ولكن إرادتهم الأثيمة العامل فيها الشيطان حملتهم على أن يستمروا فى المقاومة الى النهاية . فسمح الله بأنهم فى عماهم يعملون نفس العمل الذى جعل قيامته أكثر تأكيداً إذ ضبطوا القبر وختموا الحجر بختم الوالى فصارت سرقة الجسد من الأمور المستحيلة . لا يوجد نوع من العمى نظير عمى الذى يرى النور ويرفضه . ولا قساوة مثل قساوة رؤساء الدين اذ كانوا يقاومون الحق .

ولكن عندما نرى هذه الصورة القاتمة التي رسمها الوحي لحالة اليهود ورؤسائهم لنتذكر أنها بالحقيقة صورة قلب الإنسان اذا كان الله ينعم عليه بإعلان الحق له ، وبتركه يظهر عداوته له . انه من الأمور السهلة علينا أن نلوم اليهود على ما عملوا وننسى أعمالنا . نلومهم لقساوتهم ، وتلك القساوة نفسها فينا لأن اليهودي كان انساناً قد أنعم عليه من قبل الله بامتيازات وخيرات خاصة وعند الامتحان أظهر حقيقة الإنسان الساقط وهو في أحسن الظروف والأحوال ونرى أنه كشجرة ردية الجنس في أصلها وكلما اعتنيت بها فإنما تحصل على ثمر أردأ . هذه قصتها كلها . والممالك المسيحية بالاسم هي الآن على هذا الحال عينه ومع اجتهادها في إصلاح الطبيعة البشرية وتهذيبها فإنما تتهيأ للقيام ضد الله ومسيحه لتصنع حرباً مع الخروف ، وعند ذلك تبرهن أنها أعظم ذنباً من اليهود بقدر ما عندها من نور أكثر منهم .

الاصحاح الثامن والعشرون

قيامة المسيح

(ص ٢٨ : ١-١٠ ، مر ١٦ : ١-١١ ، لو ٢٤ : ١-١٢ ، يو ٢٠ : ١-١٨)

« وبعد السبت عند فجر أول الأسبوع جاءت مريم المجدلية ومريم الأخرى لتنظرا القبر» (ع ١) . هذا العدد هو وحده ، لأن الزلزلة ودحرجة الحجر المذكورتين فى (ع ٢) لم يحدثا أثناء وجود المريمين (انظر مر ١٦ : ٤) لقد أتتا لتنظرا القبر. ومريم الأخرى هى زوجة كلوبا وهى أم يعقوب ويوسى، والتى قيل عنها أنها أخت أم يسوع (ص ٢٧ : ٥٥ ، مر ١٥ : ٤٠ مع يو ١٩ : ٢٥ أما باقى ليلة الأحد فانقضت فى هدوء وسكون .

« واذا زلزلة عظيمة حدثت لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه وكان منظره كالبرق ولباسه أبيض كالثلج . فمن خوفه ارتعد الحراس وصاروا كأموات» كانت الزلزلة قد حدثت حين لم يكن أحد هناك فى وقتها إلا الحراس فقط. وهى علامة حضور الله وعمله فى الخليقة. وتداخله الآن بالقوة هو للدلالة على اقامة ابنه من الأموات بنفس القوة. وقد نسبت قيامة المسيح لكل من الأقانيم الثلاثة من الثالوث الأقدس أولا ـ للمسيح نفسه (يو ٢ : ١٩) ثانيا ـ للروح القدس (رو ١ : ٤ ، ١ بط ٣ : ١٨) وثالثا ـ الآب (رو ٦ : ٤) . وهذا كله حق. لأن قيامته كانت عملا إلهيا فائقا جداً ونقدر أن نقول أنها كانت أعظم من خلق الإنسان فى البداءة بكلمة الله. وقد تأسس إيماننا المسيحى على قيامة المسيح من الأموات. كان لابن حق إلهى ليقيم نفسه . ومجد الآب اقتضى إقامة ابن محبته بدون أن يرى جسده فساداً . والروح القدوس هو الفاعل الإلهى فى تنفيذ المشيئة الإلهية. وأما من جهة الأعمال الإلهية فينسب بعضها للأقنوم الأول والبعض للثانى والبعض

للثالث بحسب صفات العمل المذكور. لا شك أن الأقانيم الثلاثة واحد فى اللاهوت ولا يجوز لنا مطلقاً أن نتصور وجود درجات متفاوتة من المجد بينهم أو مناقضة فى العمل، ولكن مع ذلك توجد مناسبة تامة عند ذكر كل من أعمالهم. وقد أجريت قيامة المسيح على يد الثلاثة الأقانيم للدلالة على عظمتها وأهميتها. ولا يخفى أنها نسبت أيضاً لله مطلقاً فى مواضع كثيرة من الكتاب. وذكرها هكذا يشير إما إلى الأقانيم الثلاثة أو لواحد منهم بحسب قرائن الكلام.

«لأن ملاك الرب نزل من السماء ودحرج الحجر عن الباب وجلس عليه» (ع ٢)

يجب أن نلاحظ أن الملاك لم يحى الرب فانه إنما أرسل من قبل الله بعلامات الهيبة والجلال الموافقة لإرساليته ولمجد مرسله. ودحرج الحجر الذى كان البشر قد ضبطوه على قدر ما يمكنهم بعد أن خرج رئيس الحياة من القبر الذى عجز عن إمساكه بعد كأسير. ولم يتردد الملاك عن كسر ختم الوالى لأن لله حقاً أن يبطل أوامر الرؤساء.

ولنلاحظ أيضاً أن الملاك لم يدحرج الحجر لكى يخرج المسيح من القبر، بل ليدخل اليه النساء والتلاميذ ليتحققوا من قيامة المسيح. لأن المسيح الذى لم يقو الموت على منعه من القيامة (أع ٢ : ٢٤) لم يكن الكفن أو الحجر ليقوى على منعه من الخروج من القبر.

«فمن خوفه ارتعد الحراس . الخ.» (ع ٤)

ارتعد الحراس ووقعوا كأموات من هيبة الملاك. الانسان منذ سقوطه قد عجز عن الوقوف أمام مجد الله. وظهور شخصيات من العالم الغير المنظور ترعبه. وإن أمكنه فيهرب منها. فآدم فى جنة عدن هرب من وجه الرب واختبأ (تك ٣ : ٨) والتلاميذ أنفسهم امتلأوا خوفاً على جبل التجلى (ص ١٧ : ٥ و ٦).

«فأجاب الملاك وقال للمرأتين، لا تخافا أنتما فانى أعلم أنكما تطلبان يسوع المصلوب. ليس هو ههنا لأنه قام كما قال. هلما انظرا الموضع الذى كان الرب مضطجعاً

فيه. واذهبا سريعاً قولا لتلاميذه أنه قد قام من الأموات . ها هو يسبقكم إلى الجليل. هناك ترونه. ها أنا قد قلت لكما. فخرجتا سريعاً من القبر بخوف وفرح عظيم راكضتين لتخبرا تلاميذه. وفيما هما منطلقتان لتخبرا تلاميذه إذا يسوع لاقاهما وقال سلام لكما. فتقدمتا وأمسكتا بقدميه وسجدتا له. فقال لهما يسوع لا تخافا. اذهبا قولا لإخوتي أن يذهبوا إلى الجليل وهناك يرونني» (ع٥-١٠) «فأجاب الملاك وقال للمرأتين» لقد حضرت هاتان المرأتان ومعهما سالومة (مر ١٦: ١) في الفجر إلى القبر. وكان قصدهن أن يدهن جسد الرب بالأطياب. وقد كلمهن الملاك بالسلام وبشرهن بقيامة الرب. ونرى كم كان بعيداً عن أفكارهن أمر القيامة. فإنهن حضرن بالمحبة لكي يحنطن جسد الرب. وكان استعدادهن لهذا العمل برهاناً لمحبتهن القلبية للرب مع أنه لم يكن في وقته لأن الرب كان قد قام دون أن يرى جسده فساداً نظراً لقداسته الكاملة (أع ٢: ٢٧) ولنلاحظ هدوء الملاك فإنه تصرف كما يليق بمن أرسل من قبل الله. ودعا النساء أن ينظرن الموضع الذي كان الرب قد اضطجع فيه. وقال لهن أيضاً أن يذهبن ويخبرن التلاميذ بقيامة الرب، أنه يسبقهم إلى الجليل كما سبق وقال لهم، وأنهم يرونه هناك. فتأثرن بكلام الملاك تأثراً عميقاً جداً وصدقنه وخرجن بعجل ليخبرن التلاميذ، والرب نفسه ظهر لهن في الطريق وكلمهن بالسلام وقبل منهن السجود.

معلوم أن البشير متى إنما يذكر جانباً قليلاً من الحوادث المتعلقة بالقيامة. ويجب أن نقبلها كما هي مذكورة ولا نصرف وقتاً في التساؤل أهي مطابقة لما ورد في البشيرين الآخرين أم لا. لأن جميع الحوادث المذكورة حصلت. ولا توجد مناقضة بينها، وقد ألهم كل من الأربعة البشيرين أن يدرج منها ما يتفق مع قصده الخاص ولم يذكر شيئاً بحسب حكمته الانسانية. وأما القصد الخاص في هذا الموضع فهو ذكر حادثة القيامة مع الشهادات الكافية لإثباتها. فأولاً — رؤساء اليهود بما عملوا جعلوا سرقة الجسد مستحيلة. وثانياً — الحراس أنفسهم شهدوا بأن عملاً

خارق العادة قد حصل . وثالثاً — شهادة النساء اللواتى نظرن الرب وسجدن له وهو مقام من الأموات .

ويجب أن نلاحظ فى جميع هذه الأمور المتعلقة بموت الرب وقيامته أن النساء المؤمنات يظهرن أحسن من الأحد عشر تلميذاً . ونستفيد من ذلك أن المحبة القلبية للرب تجعلنا أقرب إليه من المعرفة الكثيرة والخدمة الوافرة . لاشك أن للمعرفة والخدمة أهمية ولكنهما لا تقومان مقام المحبة . ويمكن وجودهما مع محبة ضعيفة .

إشاعة الحراس (ع ١١ - ١٥)

«وفيما هما ذاهبتان إذا قوم من الحراس جاءوا إلى المدينة وأخبروا رؤساء الكهنة بكل ما كان . فاجتمعوا مع الشيوخ وتشاوروا وأعطوا العسكر فضة كثيرة قائلين قولوا أن تلاميذه أتوا ليلا وسرقوه ونحن نيام . وإذا سمع ذلك عند الوالى فنحن نستعطفه ونجعلكم مطمئنين . فأخذوا الفضة وفعلوا كما علموهم . فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم» (ع ١٥-١٨) . استفاق العسكر من رعبهم وأتوا إلى المدينة لأنه لماذا يحرسون قبراً فارغاً بعد؟ وأخبروا الكهنة بكل ما حصل من أمر الزلزلة ونزول الملاك وارتعابهم ودحرجة الحجر . وعند ذلك التزم الكهنة والشيوخ أن يتشاوروا أيضاً كم مرة قد رأيناهم متشاورين معاً من جهة المسيح وكل مرة لأجل مقاومته . عملوا من الأول إلى الآخر بدون قلب ولا ضمير . وأظهروا أنفسهم مجردين من مخافة الله . إذا كنا سالكين فى مخافة الله طالبين الخضوع لكلمته لا نحتاج إلى المشاورات معاً للعمل بالاتفاق ، لأن عمل الروح القدس فى ضمائرنا يجعلنا نشعر بمسؤليتنا لله شخصياً ولا نطلب سوى مشيئته . ولا تكون لنا حاجة إلى آراء الناس لإرشادنا . لاشك أننا نستطيع أن نساعد بعضنا بعضاً على قدر ما نكون روحيين لأننا جميعاً قاصرون فى المعرفة . ولكن المساعدة لا تنتج من جمع آراء بشرية على سبيل المشاورة ، بل من طلب مشيئة الله بالاتفاق معترفين بجهالتنا وطالبين الحكمة من فوق . وينتج من ذلك شروق نور إلهى على نفوسنا ليرشدنا إلى طريق الطاعة .

وأما أولئك الرؤساء فلم يكن فيهم سوى الخبث الذى لم يزالوا سالكين فيه . لم يقدروا أن ينكروا حقيقة ما حصل فإن حراسهم أخبروهم ولكن مع ذلك صمموا فى نيتهم على مقاومة حقيقة القيامة . لم يخطر ببال العساكر الوثنيين أن يكذبوا من جهة ما جرى لهم، ولكن الرؤساء أعطوهم فضة ودربوهم على الكذب ، وكانت القصة الكاذبة من شأنها أن تجلب عليهم عقوبة الإعدام إن سمعت عند الوالى. ولكن الكهنة أخذوا على عاتقهم أن يدبروا الأمر مع الوالى .

وإذا سأل القارىء كيف عرف ماجرى خفية بينهم وبين الحراس ؟ أقول. أنه صار معلوماً عند الرؤساء . والبعض منهم آمنوا فى ما بعد (انظر اع ٦ : ٧) .

« فشاع هذا القول عند اليهود إلى هذا اليوم » . لأنهم على وجه العموم رفضوا الحق ومن رفض الحق يقبل الكذب بكل سهولة . وإلا كيف يصدق عاقل أن صيادين من الجليل يجرأون على فتح قبر يحرسه جنود رومانيون ؟ أو أن جميع العسكر ينامون وهم يعلمون أن عقوبة ذلك هى الموت (أع ١٢ : ١٩) ؟ أو أن العسكر وهم جميعاً نيام يرون تلاميذه وهم يسرقونه ؟ أو أن الرؤساء بعد ذلك يسكتون ولا يقدمون الحراس والتلاميذ إلى المحاكمة ؟

والذى أزعج الرؤساء فى قيامة المسيح ودفعهم لإشاعة هذه الأكذوبة أنهم كانوا قد وعدوا أن يؤمنوا به إذا نزل عن الصليب (ص ٢٧ : ٤٢) وها هو قد قام من بين الأموات بشهادة حراسهم ، وأنهم كانوا قد طلبوا منه آية من السماء فوعدهم بآية يونان النبى وأنجز وعده بقيامته (ص ١٢ : ٣٩) . فإن سلموا بصحة قيامته التزموا أن يؤمنوا بصدق ما قاله من أنه المسيح ابن الله .

ظهوره لتلاميذه على جبل الجليل

(ع ١٦ - ٢٠ ، مر ١٦ : ١٥ - ١٨)

« وأما الأحد عشر تلميذاً فانطلقوا إلى الجليل إلى الجبل حيث أمرهم يسوع

ولما رأوه سجدوا له ولكن بعضهم شكوا . فتقدم يسوع وكلمهم قائلا ، دفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض . فاذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس . وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به . وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر . آمين ». (ع١٦-٢٠)

البشير متى لا يذكر من ظهورات الرب العديدة التى ظهرها لتلاميذه فى أورشليم مع أنه شاهدها إلا ظهوره الذى ظهره للنساء اللواتى ذهبن إلى القبر (ع ٩ و ١٠) إذ ليس له غرض إلا أن يذكر حادثة القيامة ذاتها مع الشهادات الكافية لتثبيتها ، ثم يذكر انطلاق الأحد عشر تلميذاً إلى الجبل فى الجليل بحسب موعد الرب . وكان انطلاقهم إلى الجليل بعد أن لبثوا فى أورشليم إلى الأحد التالى للأحد الذى قام فيه المسيح (قابل يو ٢٠: ١٩-٢٩ مع ٢١: ١) وهناك نظروه وسجدوا له ولكن كان بعضهم لا يزالون شاكين فى أمر القيامة .

وأما غاية ذهابهم إلى الجليل فكانت ليقبلوا ارسالية خاصة من الرب هناك . وهذا مما يوافق صفة هذا الإنجيل . فإننا قد رأينا أنه يدرج على نوع خاص خدمة المسيح الجهارية فى الجليل موضع أذل الغنم .

وكان رؤساء أورشليم المتكبرون يحتقرون إخوتهم القاطنين فى تلك المقاطعة . فبحسب هذا الإنجيل ذهب الرب بعد قيامته إلى الجليل لكى يجدد علاقته مع قطيعه بقية إسرائيل الصغيرة الحقيرة .

« فتقدم يسوع وكلمهم قائلا ، دُفع إلى كل سلطان فى السماء وعلى الأرض » نراه هنا مقاماً من الأموات وله كل سلطان ليس على الأرض فقط بل فى السماء أيضاً . كان له سلطان على الأرض قبل موته ليغفر الخطايا ويخرج الأرواح الشريرة وكان له حق كابن داود أن يجلس على كرسى داود ، وكابن ابرهيم أن يبارك الأمم أيضاً . ولكن بعد رفضه وموته وقيامته اتسعت دائرة سلطانه إذ دُفع إليه كل سلطان مطلقاً باعتبار كونه قد مجد الله تمجيداً كاملا وأقيم من الأموات . غير أننا

نراه كانسان قابلا هذا السلطان المفوض إليه . لأنه لا يمكن له كالله أن يقبل سلطاناً . لاشك أن الله سيمجده وقت الملك مدة الألف السنة ولكنه لم ينتظر إلى ذلك الوقت بل أخذ يمجده سريعاً (يو ١٣ : ٣٢) وفوض إليه كل سلطان لكي يتصرف فيه كانسان مقام من الأموات .

يجب أن نلاحظ جيداً أن متى لا يذكر صعود المسيح إلى السماء ولكنه سبق وأشار ضمناً فى ص ٢٢ : ٤٤ : ٢٤ : ٣٠ ؛ ٢٥ : ١٤ و ٣١ ؛ ٢٦ : ٦٤ أننا نعلم جيداً أن المسيح صعد بعد لقائه مع الاثنى عشر آخر مرة على جبل الزيتون فى بيت عنيا وكان البشير متى من الذين رافقوه إلى خارج أورشليم وعاينوه حين ارتفع عنهم من جبل الزيتون إلى السماء . ولكن الروح القدس لم يرشده إلى ادراج ذلك فى هذا الإنجيل . ولا يجوز لنا أن نقول بأن إنجيله ناقص لأنه ليس كذلك ، بل كاملا طبقاً لما قصد الوحى أن يفيدنا به . ومن الفضول لى أن أقول هذا للقارىء المسيحى .

كان متى من الذين شاهدوا الرب وسمعوه مدة أربعين يوماً بعد قيامته ومع ذلك لايذكر إلا قليلا مما حصل وأما لوقا فلم يكن منهم ولكنه يذكر أكثر . فإن كل واحد كتب مسوقاً من الروح القدس . وينتهى التاريخ بحسب إنجيل متى فى الجليل حيث قبل الأحد عشر إرسالية خاصة من سيدهم المقام من الأموات . كان قد أعطاهم ارسالية لاسرائيل (ص ١٠) وأما الآن فيعطيهم ارسالية لأجل دائرة أوسع من تلك .

« اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم » فلا يرسلهم إلى خراف بيت اسرائيل الضالة مانعاً إياهم من الذهاب إلى طريق الأمم (ص ١٠ : ٥ و ٦) ولا يقول كما فى إنجيل لوقا مبتدئاً من أورشليم (لو ٢٤ : ٤٧) لأن إرساليتهم بحسب لوقا هى من قبل الرب وهو مرتفع عنهم إلى السماء باسطاً يديه عليهم بالبركة . وبما أن ارساليتهم هى لإبلاغ نعمة مجانية فأورشليم للسكينة الأثيمة تحتاج إليها قبل سواها . وأما بحسب

انجيل متى فانه يرسل تلاميذه (كاسرائيليين) من الجليل الى الأمم لكى يتلمذوا منهم . ويعمدوا الذين يؤمنون منهم « باسم الآب والابن والروح القدس » . فان المعمودية بالماء علامة ظاهرة لخضوعهم لسلطان المسيح . قد رأينا أن تثليث الأقانيم الإلهية إنما أعلن أولا عند معمودية المسيح (ص٣) ولكن بعد موت المسيح وقيامته ينبغى أن يعترف بذلك عند جميع الذين ينضمون الى الإيمان المسيحى وكل من رفض هذا الاعتراف ليس مسيحياً البتة.

وقوله لهم « تلمذوا جميع الأمم » لا ينتج منه أن الأمم جميعاً ينضمون الى الإيمان قبل رجوعه . معلوم أن الرب كان مع الأحد عشر فى خدمتهم بحسب وعده ومع ذلك قليلون من الذين سمعوهم آمنوا . وليس ذلك فقط بل نرى أيضاً أنه بعد أيام الرسل أقام لنفسه عبيداً أمناء كثيرين من وقت إلى آخر . ولم يخضع له جميع الأمم بواسطتهم كما نعلم . وفى وقتنا الحاضر لا يوجد إلا نسبة قليلة من سكان المسكونة قد اعترفت بسلطان المسيح اعترافاً شفاهياً . ومن هؤلاء المعترفين به لا يوجد سوى بقية صغيرة تطيعه طاعة قلبية . وفى الممالك المسماة مسيحية قد انحط الأكثرون الى الكفر والفجور وعدم المبالاة بالدين حتى أصبح حالهم عاراً على اسم المسيح .

ومع هذا كله قد سمع القول من أفواه البعض انه لا بد من صيرورة الأمم جميعاً تلاميذ المسيح بموجب أمره للأحد عشر أن يذهبوا الى جميع الأمم ويتلمذوهم . فأقول أولا ـ الرب فى الكلام الذى نحن فى صدده لا يقول شيئاً عن نتائج الخدمة . وقد تعلمنا من مثل الزارع ان من كل أربعة أجزاء لا يأتى بثمر سوى جزء واحد.

ثانياً بقوله « ها أنا معكم » انما يعد الأحد عشر وجميع خدامه الأمناء بحضوره معهم لتعزيتهم ومساعدتهم فى خدمتهم الى أن يأتى لكى ينهى هذا الدهر الشرير باجراء القضاء . وقد رأينا الحال الذى سيجد عليه العالم لا بل والمسيحيين بالإسم عموماً عند مجيئه . فانهم يكونون كالعالم القديم فى أيام نوح قبل الطوفان (لو ١٧: ٢٦ و٢٧).

ثالثاً - قد جعل وقت رجوعه مجهولا وأوصى عبيده أن يخدموا منتظرين سرعة مجيء سيدهم لا خضوع العالم جميعاً لسلطانه. والقول بإبطاء مجيئه من علامات العبد الردي. والعبد الأمين انما يخدم بحسب ما عنده من قبل الرب ويكفيه رضى السيد واستحسانه ان كانت أثمار خدمته قليلة أو كثيرة. ويعلم يقيناً أنه لا يوجد وعد بصيرورة العالم مسيحياً لا باتعابه ولا باتعاب غيره. إذن فقول الرب للأحد عشر «وتلمذوهم» إنما يوضح به صفة خدمتهم هذه لا نتيجتها. بحيث أنها كانت متجهة للأمم لا لليهود فقط كما كانت خدمتهم في زمان حياة الرب على الأرض. فوجب عليهم بموجب ارساليتهم من قبل الرب المقام من الأموات أن ينادوا باسمه وسلطانه الى جميع الأمم ثم يعمدوا ويعلموا الذين قبلوا كلامهم. ولا يعني انهم لا بد أن يصيروا الجميع تلاميذ.

«وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به» فله وصايا يجب على تلاميذه من الأمم أن يتعلموها ويحفظوها لأن مجرد اعترافهم بسلطانه لا يكفي وحده بدون الطاعة. معلوم أنه من الأمور الممكنة للناس أن يعترفوا بسيادته ولا يطيعوه. وجمهور المسيحيين بالإسم الآن هم على هذا الحال عينه. وهذا مما يجلب عليهم الدينونة كما قد رأينا في هذا الإنجيل.

«وها أنا معكم كل الأيام إلى انقضاء الدهر» بهذا الوعد يصرح بحضوره ومساعدته للكل خصوصاً للأحد عشر رسولا في ارساليتهم الى الأمم. لأن قوله هنا لا يقتصر على الرسل وحدهم. لأن الرسل لا يبقون أحياء إلى انقضاء الدهر فاذن قوله يعم كل المؤمنين ولاسيما الكارزين به إلى نهاية الدهر. وعليه فنحن لا نشك بأن الرب يحضر معنا جميعاً ويساعدنا، ولكن الموضوع الخاص هنا هو ارسال الأحد عشر كرسله الى الأمم. يجب على كل خادم أمين أن ينتظر معونة السيد في خدمته في كل حين ومع ذلك ينبغي أن نتذكر أنه كان للأحد عشر وظيفة رسولية وخدمة خاصة لأن الرب أسس الإيمان المسيحي في العالم بواسطتهم. وليس الجميع

رسلا (١ كو ١٢: ٢٩). فان استخدام الرب أناساً كموسى لإنشاء النظام القديم والأحد عشر لإنشاء النظام الجديد هو شيء، واستخدامه إيانا كأوانى للخدمة فيه بعد تأسيسه شيء آخر. وان كنا لا نميز جيداً هذه الحقيقة نكون فى تجربة أن ننسى مقام الرسل الخاص و نعظم أنفسنا كأن لنا مقاماً نظيرهم. لاشك أن الله عمل على نوع خاص بواسطة الرسل وبعد تأسيس الكنيسة لم تبق بعد حاجة الى الخدمة الرسولية. ومن قال يوجد رسل يوجد كاذباً عند الامتحان إذ ليست عنده الآيات والعجائب التى هى بينات الرسول (٢ كو ١٢: ١٢، رؤ ٢: ٢).

« إلى انقضاء الدهر» قد وردت هذه العبارة عدة مرات فى هذا الإنجيل (انظر ص١٣: ٣٩ و٤٠ و٤٩، ٢٤: ٣) ومعناها انتهاء معاملات الله التى يجريها الآن بينما المسيح مرفوض من إسرائيل والعالم ومرتفع الى السماء. وستنتهى هذه المدة بالدينونة للاحياء، وقد رأينا فى هذا الإنجيل نفسه أن الرب فى جميع كلامه عما يحدث فى مدة غيابه يعتبر رجوعه قريباً ووقته مجهولا عند عبيده ولا يفرض مضى وقت طويل. وقوله هنا «إلى انقضاء الدهر». لا يعنى انتهاء العالم، بل انقضاء تدبير النعمة الحاضر.

وقد قيل أيضاً أن هذه الإرسالية هى للكنيسة. ولكن هذا القول خطأ فان الكنيسة إنما هى «عمود الحق وقاعدته» (١ تى ٣: ١٥) أى تعترف بالحق وتحافظ عليه، ولكنها لا تبشر ولا تعلم. لاشك أن الرب يقيم فيها أفراداً ويمنحهم المواهب الروحية لأجل التبشير والتعليم وما شا كلهما فيتعقبون كل واحد بحسب النعمة المعطاة له، ولكنهم ليسوا الكنيسة، ولا خدمتهم خدمة الكنيسة، ربما يستغرب القارىء هذا الكلام لكونه قد اعتاد على سماع الكلام الدارج بين المسيحيين، ان الكنيسة قد عملت بكذا وكذا، وان الكنيسة تقيم فعلة، وأن الكنيسة ترسل الإنجيل الى الأماكن البعيدة، وخلافه مما يدل على أن الكنيسة قد قامت مقام الرب تماماً فى أفكار الاكثرين وصرف النظر عن حقيقة حضوره وسلطانه وعمله. لاشك أنه

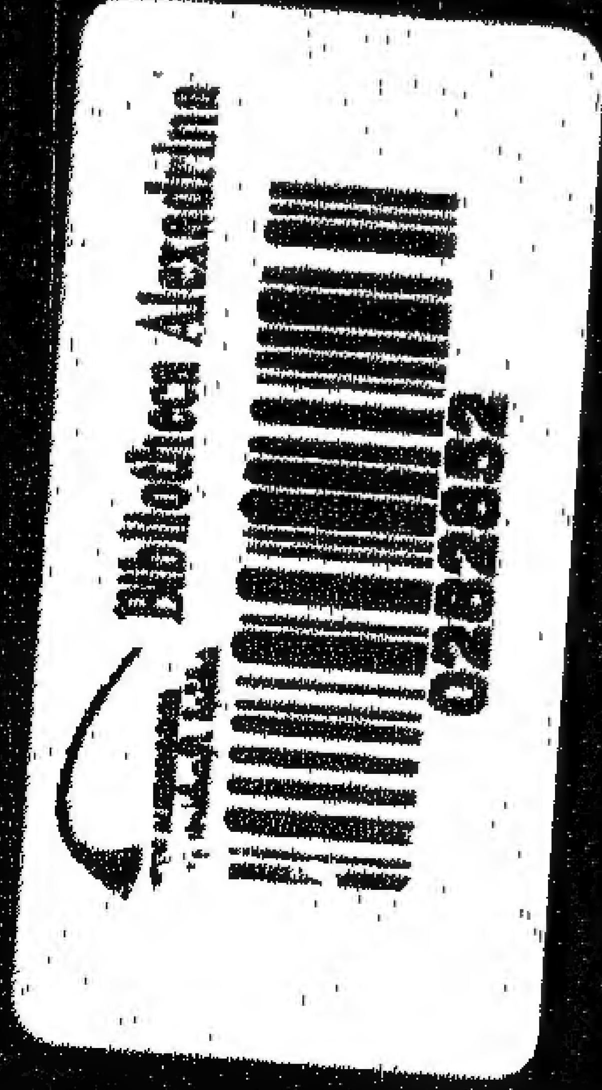
من واجباتنا الشخصية أن نجعل رائحة اسم المسيح الذكية تفوح للجميع على قدر استطاعتنا بالسيرة المقدسة وبالكلام أيضاً . ولكن الخدمة تختص بنا كأفراد ، وسنقدم عنها حساباً للرب ، كل واحد عن نفسه .

لو سلمنا بأن الكنيسة التي تأسست بواسطة الرسل هي الملتزمة بأن تخضع كل العالم للمسيح فيجب أن نعترف بحزن أنها قد فشلت وقصرت عن إتمام واجباتها . الله انتخب اسرائيل قديماً وأقامهم في مقام خاص كأمة لكي يتمجد اسمه بين الامم بواسطتهم ، ولكنهم خانوه تعالى وصار اسمه الجليل يجدف عليه بسببهم بين الامم (رو ٢ : ٢٤) . وما النتيجة إلا أنهم جلبوا على أنفسهم دينونة صارمة . وهذا الحكم عينه عتيد أن يدرك المعترفين باسم المسيح من الامم (رو ١١ : ١٧–٢٢) لأنه من الأمور الواضحة أنهم لم يثبتوا في لطف الله والإقرار بذلك بالأسف والحزن هو من علامات عمل روح الله فينا .

نرى في العهد القديم أن الله أقام أنبياء كثيرين في اسرائيل بعد أن ابتعدوا عنه وأخذوا يتهورون في طرق الاثم ومع ذلك تعاظم شرهم إلى أن لم يوجد شفاء (٢ أى ٣٦ : ١٥–٢١) وبدون شك قد أصبح المسيحيون بالإسم على حال القساوة والتكبر على الله وكلمته نظير حال أولئك ولا يقبلون أن يسمعوا قول الله الخطير «وأنت أيضاً ستقطع» يمكن للإنسان المتكبر المعتد بقوته وحكمته أن يتكلم عن مشروعاته وعن الاعمال العظيمة التي هو مزمع أن يعملها في الارض ، ولكن يا ترى هل يستطيع أن يمنع دينونة الله من السماء ؟ نعم اننا لا نعرف الى متى تطول أناة الله ، وإلى متى يحتمل وينتظر بعد ، ولكننا نعلم يقيناً أن هذا الدهر الشرير لابد أن ينقضى سريعاً بإتيان ربنا يسوع المسيح من السماء ، وطوبى ثم طوبى للذين ينتظرونه بأحقاء ممنطقة وسرج موقدة ؟

مطبعة كنيسة الإخوة
بجزيرة بدران
ت ٩٧٩٣٩٢

رقم الايداع بدار الكتب : (١٩٨٠/٥٥٣٧)


Bibliotheca Alexandrina
0282852